تاريخ العالم الاسلامي
الحديث والمعاصر
الجزء الأول
الجناح الأسيوى

تاريخ
العالم الاسلامي
الحديث والمعاصر

٩٨٧هـ ـ ١٤٠٠هـ / ١٤٩٢م ـ ١٩٨٠م

الجزء الأول
الجناح الأسيوي

إعداد
الدكتور إسماعيل أحمد ياغي
محمود شاكر



ص.ب: ١٠٧٢٠ ـ الرياض: ١١٤٤٣ ـ تلكس ٤٠٣١٢٩
المملكة العربية السعودية ـ تلفون ٤٦٥٨٥٢٣ ـ ٤٦٤٧٥٣١

رقم الإيداع
٩٢/٨٦٠٧


بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

مقـــدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد بن عبدالله خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن الإسلام قد بدأ ينتشر في أوائل القرن السابع الميلادى، وينطلق من أرض إلى أخرى بدعوته النقية الصافية التي تنسجم والفطرة البشرية، ولاغرابة في ذلك فالبشر خلق الله والإسلام منهج الله، وطبيعي أن يكون المنهج متسقاً مع من وضع له. واعتمدت الدعوة الإسلامية على تثبيت العقدية وإرجاء الأمر كله لله مع العمل وفق ذلك، وبما يتطلب من المخلوق أن يقوم به. كما اعتمدت على المساواة بين بني البشر ومحاربة الظلم أينما وجد فأقبل الناس أفواجاً يدخلون في دين الله. وخاف الطغاة وأصحاب النفوذ السيطرة على أنفسهم من هذه الدعوة التي تقف أمام مصالحهم وأهوائهم وطغيانهم فوقفوا في وجهها ولكن لم يلبثوا أن تهاووا أمامها وعمّ الاسلام جزيرة العرب.

وانتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى فاشرأبت نفوس إلى جاهليتها الأولى، وغرّت نفوس أصحابها فأعلن بعضهم الردة، وامتنع بعضهم عن دفع الزكاة، ولقي كلا الصنفين دعماً من الطواغيت خارج الجزيرة، إلا أن قوة العقيدة قد أخضعت من كان في الداخل، ثم اتجه المسلمون نحو الجوار يقوضون أركان الظلم، وكان يتمثل في دولتي الفرس والروم أكبر دول الأرض يومذاك وأشدها بأساً، ولم يمض أكثر من خمسة عشر عاماً من الجهاد حتى سقطت الأولى، وزالت نهائياً، وورث المسلمون ديارها، وغنموا ما خلفته، وفتحوا أكثر أرض الثانية حتى لم يبق لها إلا مساحات قليلة من الأرض رمزاً لبقائها واستمرارها، وكان الصراع بين الطرفين عدة قرون. وامتد الفتح الإسلامي حتى وصل المسلمون في الغرب إلى مقربة من باريس على حين طرقوا في الشرق أبواب الصين، وكانت الطريق ممهدة أمام انتشار الإسلام وسط إفريقية بواسطة التجارة والاتصال، وكذلك قطع

الاسلام أشواطا بعيدة في الانتشار على كل شواطىء المحيط الهندي سواء في شرق افريقية أم في جنوب شرقي آسيا، بل عمّ في تلك الجهات كلها، وكان المحيط الهندي أشبه ببحيرة إسلامية، وكذلك كان البحر الأبيض المتوسط بعد أن ضعفت أساطيل الروم أمام الأساطيل الإسلامية.

هذه الفتوحات الواسعة قد أصابها توقف مفاجىء إذ ضعفت العزيمة، وفتر الجهـاد، وانصرف الناس إلى الحياة الدنيا يأخذون منها بنصيبهم وقد جاءتهم صاغرة إذ سيقت نحوهم الغنائم، وجبيت إليهم الأموال، فأخذوا بالنعيم، وركتوا إلى الأرض فنقم عليهم مواليهم الذين كانوا وقود الحركات الداخلية، واستخفّ بهم غيرهم الذين كانوا قد هابوهم مدة من الزمن ليست قصيرة عندما كانوا يسيرون على الطريق الصحيحة، فلما انحرفوا عن الخط الإسلامي نشأت العصبيات، وتفرقت الأمة، وذهبت قوتها، وحدث الضعف، وكانت الحروب الخارجية سجالاً بعد أن كانت لصالحهم، ثم كانت دفاعية بعد أن كانت جهادية، ثم أصاب الأمة الوهن، وقد قال رسول الله ﷺ محدثاً عن هذا «يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها. فقال قائل: أو من قلة نحن يومئذ؟. قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعنّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن. فقال قائل: يارسول الله وما الوهن؟. قال: حب الدنيا وكراهية الموت»(١)

تقدّم أعداء المسلمين ينازلونهم في بلاد الأندلس، ولكنهم هزموا أمامهم إذ دعم المرابطون في المغرب إخوانهم المسلمين في الأندلس الأمر الذي جعل الصليبيين يتجهون إلى قلب بلاد المسلمين لتكون الضربة حاسمة فحدثت الحروب الصليبية في المشرق الإسلامي، وحصل الصليبيون على بعض النجاح إلا أن ردّ الفعل الإسلامي حدثت معه صحوة قليلة، فانهزم الصليبيون وخرجوا من بلاد المسلمين أيام الأيوبيين والمماليك، وعرف الصليبيون نتيجة ذلك أنه لاقبل لهم بحرب المسلمـين مادامـوا يتمسكون بعقيدتهم التي هي مصدر قوتهم لذا فقد خططوا لإضعاف هذه العقيدة وإبعاد المسلمين عن دينهم، وجاءت البعثات للتنصير منذ

---

(١) أخرجه أبو دواد، وغيره، عن ثوبان رضي الله عنه.

ذلـك الـوقت لإحكـام الخطة، وتمكنت هذه البعثات من التأثير على المسلمين وعطفهم على من يظهر العبادة والتدين حتى ولو كانوا من أعدائهم. ولم تمض غير مدة قصيرة حتى عادت التفرقة إلى المسلمين، وركن بعضهم إلى أعداء الله على الرغم من تحذير الله «يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم، إن الله لايهدى القوم الظالمين»(١)

وحدث ضعف المسلمين، ودبّ فيهم الوهن، وقوي أعداؤهم الذين ركّزوا جهودهم على الأندلس حيث كانت النصرانية في أوربا تمدهم وتساعدهم، واذا كان الدعم يأتي إلى مسلمي الأندلس أحيانا من إخوانهم في المغرب كما حدث في أيام المرابطين ثم في أيام الموحدين وبني مرين، ويقف المد الصليبي. وإذا كانت انتصارات مسلمى الأندلس تحدث أحيانا أخرى إلا أن كل ذلك كان لمدة محدودة إذ أن الخط العام للقوة المسلمة كان يتراجع باستمرار والتناحر بين المسلمين يقع بين مدة وأخرى، وموالاة النصارى تحدث بين وقت وثان، واستمر ذلك مدة حتى تمكن النصارى في النهاية من بسط سيطرتهم على بلاد الأندلس وذلك عام ٨٩٧ هـ (١٤٩٢م)، وظهرت قوتهم فعدوا ذلك الوقت نهاية للعصور الوسطى التي كانت القوة فيها للمسلمين وبداية للعصور الحديثة.

تلا هذا التفوق النصراني تقدم نحو البلاد الإسلامية الأخرى، ولم تمض مدة طويلة حتى سيطر نصارى أوربا على أرجاء واسعة من العالم الإسلامي، وإزداد إرسال البعثات التنصيرية لتؤدي دورها في التمكين للصليبيين والتأثير على المسلمين ومحاولة صرفهم عن دينهم، واستمرت هذه الطريقة مدة طويلة من الزمن بقيت حتى يومنا هذا، وامتازت بعض أوقات هذه السيطرة بميزات متشابهة يمكن أن نصنفها بمراحل معينة هي:

١ ــ المرحلة الأولى (٨٩٧ - ١٢١٣هـ)

وتبـدأ بسقـوط الأندلس بيد النصارى عام ٨٩٧هـ (١٤٩٢م) والاتجاه إلى السيطرة على العالم الإسلامي، وكانت السيطرة على مواقع صغيرة على سواحل

(١) سورة المائدة: الآية ٥١.

العالم الإسلامي كله سواء أكان ذلك على سواحل المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط أم على سواحل المحيط الهندي وجنوب شرقي آسيا، وعرفت هذه السيطرة لدى أوربا باسم الكشوف الجغرافية، إذ عرفت بلاداً واسعة لم تكن تعرفها من قبل على حين كان المسلمون يعرفونها تماماً. وهذه السيطرة لاتمثل غلبة تامة إذ لايستطيع النصارى أن يتصرفوا بالأجزاء الداخلية من العالم الأسلامي تصرفاً كاملاً إذ كانت تخضع لأبناء المسلمين خضوعاً كاملاً، وظهر في هذه المرحلة الاستعمار البرتغالي على شواطىء افريقية الغربية والشرقية وجنوبي آسيا، كما ظهر الاستعمار الاسباني في جنوب شرقي آسيا إذ جاء من جهات أميركا بعد أن عرفوها، وذلك حسب تقسيم سري بين الطرفين.

لقد أثرى الصليبيون من برتغاليين وإسبان الأمر الذي جعل بقية الصليبيين يحسدونهم بعد أن كانوا يساعدونهم وذلك لأنهم لم يحصلوا على ما يتطلعون إليه من غنىً وأراض تكون تحت نفوذهم وهيمنتهم وهذا ما جعلهم ينافسونهم، بل أن التنافس حدث بين كثير من الدول الأوربية للحصول على أرباح كثيرة ومستعمرات أوسع وهذه المنافسة هي التي جعلت الحروب الصليبية تأخذ مظهراً عرف باسم الاستعمار، وفي هذه المنافسة وهذا الصراع تراجعت اسبانيا عن كثير من مستعمراتها، وكذلك فقدت البرتغال عددا كبيرا من المناطق التي كانت تسيطر عليها، وظهرت انكلترا وفرنسا في طليعة الدول الاستعمارية، ثم كانت هولندة، أما روسيا فقد بدأت أيضاً تتوسع في الشرق وبدافع صليبي أيضا، إذ كانت تقاتل التتار المسلمين وتستولي على أراضيهم منطقة إثر أخرى، كما كانت تحارب العثمانيين الذين استطاعوا فتح مدينة القسطنطينية حاضرة الدولة الرومانية الشرقية التي تتبع المذهب النصراني الارثوذكسي وهو المذهب نفسه الذي ينتشر في روسيا كلها، وبعد أن احتلت بلاد التتار بين عامي ٩٦٠ - ١١٩٨هـ تقدمت إلى الشرق فاجتازت جبال الأورال، واحتلت سهوب القيرغيز. وإذا كانت الدول الأوربية الواقعة في الغرب من القارة قد سيطرت على مناطق بعيدة عنها إلا أن سيطرتها قد اقتصرت على المناطق الساحلية وعلى أجزاء منها فإن دولة روسيا الواقعة في الشرق من القارة قد ابتلعت المناطق المجاورة لها، وما ذلك إلا بسبب بعدها عن البحار الحرة التي حرصت كثيراً على الوصول اليها. ولا تزال تحرص.

امتازت هذه المرحلة بالروح الصليبية الحاقدة لذا فقد كثرت أعمال التخريب والإبادة الجماعية والتصرفات الوحشية، ولم يكن للمسلمين قوة كبيرة، ولم تكن دولتهم مجتمعة وإنما متفككة، وأقوى مافيها الدولة العثمانية التي نشأت حديثاً والتي قامت تقـاتل أوربا لتخفف ضغط أوربا عن المسلمين في بقية جهات العالم. وكانت المستعمرات تنتقل من دولة إلى أخرى أو تتقاسمها فيما بينها. وكان نتيجة هذا كله أن ضعف المسلمون سياسياً واقتصادياً، وبدأت تظهر عندهم الهزيمة النفسية، واستمـرت هذه الحملة حتى عام ١٢١٣هـ (١٧٩٨م) حيث جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر.

٢ ــ المرحـلة الثانية (١٢١٣ - ١٣٣٧ هـ :

وقـد بدأت هذه المـرحلة بقـدوم الحملة الفرنسية على مصر عام ١٢١٣هـ (١٧٩٨م) وقد زاد الجشع الأوربي، وكثرت الأطماع، وانطلق الجميع يبحثون عن الثراء ويعملون له، وقد قلت الأموال التي كانت تُجنى عما كانت عليه سابقاً اذ كثر طالبوها وكثرت الحروب التي تلتهم المزيد من الثروات، وتستنفذ العظيم من الطاقات سواء أكانت هذه الحروب بين الدول الصليبية الاستعمارية، أم ضد الإمارات الاسلامية أم لإخماد الحركات الداخلية، أم حرب صليبية سافرة ضد العثمانيين.

شعر المسلمون بما نزل بهم فقاموا برد فعل ضد الصليبيين، وقادهم العلماء، وكان في كل مكان حركة، ولكنها كانت غير منظمة إذ لم تقم في وقت واحد، لذا كانت الجهـود مبعثـرة الأمـر الـذي سهل القضاء عليها فأصاب المسلمين الضعف نتيجة ذلك، واتجه بعضهم الى تقليد الصليبيين، واقتنعوا أن في هذا التقليد سيرا نحـو التمـدين وتقـدما نحو القوة، وابتدأ بذلك الوهن إذ سمح للنصـارى بافتتـاح المـدارس الخـاصـة، والتقاضي أمام محاكم خاصة، وسمح للأجانب بتملك الأرض، وتسلم المناصب، ودخول المجالس المحلية، وأصبح كلا الطرفين من نصارى محليين وأجانب عيوناً على المسلمين يرصدون كل حركة، ثم تبعتهم الفرق الضالة، كما كان اليهود من البداية أعوانا، وأصبحت الطائفية تلقى كل دعم وعون من الأجانب.

قاوم الأجانب العلماء ووقف قسم من الشعب وراءهم، ووقفوا ضد الهجمة الصليبية، وكانت حركات الجزائري، والمهدي، ومحمد عبد الله حسن في الصومال، والحاج عمر في غربي إفريقية، وعمر المختار في ليبيا، والأمير رابح في تشاد، وسلطان تيبو في الهند، وكانت الجمعيات الإسلامية الكثيرة في أندونيسيا وغيرها، ووجه الصليبيون همهم لعزل علماء المسلمين عن الشعب.

كانت قارة افريقية نتيجة الهجمة الصليبية مقسمة بين فرنسا وانكلترا مع بعض الجيوب للبرتغال، وايطاليا، وألمانيا، وبلجيكا واسبانيا. وكانت آسيا بيد روسيا وانكلترا وفرنسا مع بعض الجيوب لهولندا والبرتغال، وكانت الدولة العثمانية في غربي هذه القارة.

٣ ـ المرحلة الثالثة (١٣٣٧هـ ـ ١٩١٨م) :

وبدأت بانتهاء الحرب العالمية الأولى (١٣٣٧هـ ـ ١٩١٨م) واستمرت حتى يومنا هذا، فقد هزمت ألمانيا فقسّمت مستعمراتها بين الدولتين العظميين آنذاك فرنسا وانكلترا، وهزمت مع ألمانيا الدولة العثمانية فقطّعت أجزاؤها، ولم تستفد روسيا كثيرا، إذ قامت فيها الثورة الشيوعية وقامت الحركات في كل مكان ضد حكام روسيا الجدد ثم لم يلبثوا أن تمكّنوا من السيطرة على الوضع وعادوا إلى سياسة القياصرة الذين انتهى حكمهم، فأعلنوا حربهم على المسلمين من جديد، فذبحوا وشرّدوا واضطهدوا مامكّنهم من ذلك هواهم، وشدّدوا القبضة على مناطق المسلمين.

وألغيت الخلافة التي كانت رمزاً لوحدة المسلمين الأمر الذي زاد من تفككهم وأصبحوا لامثل لهم، يسير كل حسب هواه دون نظر إلى أثر إسلامي كبير.

واختلفت أساليب الاستعمار بين دولة وأخرى فانكلترا مثلاً بدأت تعطي مستعمراتها شيئاً من الاستقلال الذاتي، وان كانت تحتفظ بالسيطرة، وقبض اليد على المراكز الهامة والحيوية كالجيش والاقتصاد والسياسة الخارجية، وأعطت أعوانها الحكم فقدّروا لها الجميل، وبقوا رهن إشارتها، أما بقية الدول الاستعمارية فقد أبقت كل شيء تحت سيطرتها وتحت ناظرها أو ابتلعت مستعمراتها ابتلاعاً كما فعلت روسيا، أو كما حاولت فرنسا في الجزائر، والبرتغال في غينيا بيساو، وتيمور،

واسبانيا في الصحراء المغربية.

وجاءت الحرب العالمية الثانية وهزمت فيها إيطالية فأخذت منها مستعمراتها ووضعت إسماً تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة التي تأسست عقب الحرب العالمية الثانية، وفعلاً فقد كانت تحت تصرف الدول الكبرى التي تسير الأمم المتحدة مثل الولايات المتحدة الأمريكية، وانكلترا، وفرنسا.

ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية بدأت الدول الإسلامية تحصل على استقلالها الذاتي، أو الاستقلال العسكري فقط إذ تنسحب الجيوش المحتلة من أراضيها، ولكن بقيت هذه الـدول المستقلة خاضعـة للأفكار الغربية عنها، والتي عمل المستعمرون الصليبيون على تنشئة الأجيال المسلمة وتربيتهم عليها بما وضعوه من مناهج، وما بثوه من أفكار ومعلومات مشوهة، نقلها عنهم طلاب العلم واستمروا يلقنونها لأبنائهم.

كان الصراع واضحاً بين الدولتين الكبيرتين فرنسا وانكلترا، ثم حلّت الولايات المتحـدة محلهـما عن طريق الانقلابات العسكرية أو السيطرة الاقتصادية، وفي الوقت نفسه ظهرت روسيا التي كونت لها امبراطورية واسعة في منافسة الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين في المجالات المختلفة، وفي كل ميدان من مناطق النفوذ إلى الصراعات السياسية والعسكرية التي تبدو أحياناً وتختفي تارة أخرى، وإن كان التفاهم يأخذ مكانة سراً لتقاسم بعض الجهات المتنازع عليها أو للتفاهم على توزيع المصالح وأخذ، الثروات بين العملاقين المختلفين ظاهراً في بعض الجوانب وحقيقة في جوانب ثانية.

استمرت انكلترا تعطي مستعمراتها شيئاً من الاستقلال، وشكلت منها رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث) لتحتفظ بسيطرتها أو نفوذها في هذه الجهات على حين شددت فرنسا قبضتها على مستعمراتها الأمر الذي جعلها في غليان دائم وتنفصـل عنها الواحدة إثر الأخرى حتى اضطر الرئيس الفرنسي (ديغول) أن يعـطي المستعمرات شيئاً من الحرية في اختيار الحكم الذي تريده علّه يحتفظ ببعض النفوذ، فانفصلت بعض الأقاليم عن المجموعة الفرنسية، وشكل بعضها الآخر مجموعة خاصة عرفت بالشعوب الفرنسية. وهكذا نال كثير من الأمصار استقلاله عام ١٣٨٠ (١٩٦٠م) وخاصة في افريقية، ولم يبق من العالم الإسلامي

خاضعاً للسيطرة الاستعمارية إلا ماكان خاضعاً للسيطرة الروسية، وبعض أجزاء التركستان الشرقية التي ضمت الى الصين، وكشمير التي احتلتها الهند، وفلسطين التي اغتصبها اليهود، وإن كان عدد من الدول الافريقية تحكمها أقلية نصرانية وتسيطر عليها سيطرة تامة مثل سيراليون، وساحل العاج، والتوغو، والبنين، و إفريقية الوسطى، وتانزانيا، وقد يكون بعض الحكام من النصارى ولهم نفوذ كبير مثل: السنغال، ولبنان، وغيرهما.

استقلت أكثر أمصار العالم الإسلامي، ولكن لاتزال تخضع للسيطرة الاقتصادية والتـأثيرات الفكـرية التي حرصت الـدول الاستعمارية الصليبية على بثّها مدة سيطرتهـا، ولاتزال هي السائدة بسبب ضعف الشخصية وعدم تنميتها بصورة متميزة ومستقلة عن غيرها، كما لاتزال الهيمنة السياسية تطغى على عدد من أجزاء العالم الإسلامي، وعندما يحاول جزء أن يتفلت من الإطار الذي يدور فيه يتغير الوضع بصورة سريعة، ويغيب الذي يحاول التفلّت، ويأتي من هو أكثر ارتباطاً بثوب جديد.

هكـذا وجـدت دول إسلامية وهي التي يغيش على أرضها أكثر من ٥٠٪ مسلمين بغض النظر عن عقيدة حكامها أو اعترافهم بأن دولهم اسلامية أو وجود تبـاين في الإحصاءات المختلفة المصادر، وبدأت هذه الدول يتجه بعضها الى بعض، وتلتقى في مؤتمرات وكانت فكرة العالم الإسلاي الذي بدأ يأخذ دوره في المحافل الدولية وكافة المجتمعات.

هذا وضع الأمصار الإسلامية بعامة في العصور الحديثة التي ابتدأت حسب العرف الأوربى بسقوط الأندلس بيد النصارى الأسبان عام ٨٩٧هـ (١٤٩٢م)، وهذا وضع المسلمين في هذه المدة، وسنحرص على دراسة كل مصر من الأمصار الإسلامية في هذه العصور، ودراسة المراحل التي مرّ عليها حتى وصل إلى ماهو عليه الآن، وستكون دراسة البلاد العربية في آسيا تليها البلاد الإسلامية في القارة نفسهـا فالأقليات المسلمة التي تعيش في هذا الجزء من العالم، وهذا مايشمله القسم الأول من الكتاب، أما القسم الثاني فيضم البلدان العربية في أفريقية فالبلدان الإسلامية في القارة نفسها فالأقليات المسلمة، وفي النهاية نتعرض بلمحة سريعة للمسلمين الذين يعيشون في القارة الأوربية، كما نتكلم باختصار عمن

يعيش من المسلمين خارج البر القديم في كل من أمريكا وأوقيانوسيا وذلك من أجل أن نعطي فكرة عامة عن تاريخ العالم الإسلامي في العصر الحديث، وفي الواقع أن كل مسلم أينما عاش فإنما يرتبط بالعالم الإسلامي، وجنسيته المسلمة إنما هي عقيدته، فإن وفقنا في هذا العرض فهو من فضل الله علينا وإن كانت الأخرى فعذرنا أننا اجتهدنا وعملنا.

والله نسأل التوفيق وسداد الخطى، فهو نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيـم.

إسماعيل أحمـد ياغـي

محمـود شاكـــر

انتشار الاسلام

بعد أن ثبتت أقدام المسلمين في بلاد العرب، وترسّخت مبادىء الدين في قلوب أبنائه انطلق المسلمون خارج الجزيرة يُؤدّون المُهمّة الملقاة عليهم بإخراج الناس جميعاً من الظلمات إلى النور بعبادة الله الواحد الأحد، وترك كل ماسواه من عبادة المخلوقات، وبالقضاء على الظلم والطغيات واجتثاث المصادر لهما في بقاع الأرض كلها، وبالقضاء على ضيق الدنيا في النفوس إلى رحابتها، ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام.

ورفع المسلمون راية الجهاد، وانطلقوا إلى كل جهةٍ يُقوّضون ركائز الظلم، واستطاعوا بحركةٍ سريعةٍ أن يدكّوا دولة فارس نهائياً، وأن يُزيلوا كل ما كانت ترمز إليه من معاني البطش والسيطرة، كما تمكّنوا من تحطيم جبروت دولة الروم حيث انتزعوا منها الشام، ومصر، وشمالي إفريقية، وكما جعلوها تنحسر عن أراضٍ شاسعةٍ، وتتنزل عن كبريائها جعلوها تنزوي في بقاعٍ محدودةٍ، وتشعر بالذلّ والفشل بعد الهزائم التي مُنيت بها، والأقطار التي انسحبت منها، وتخلّت عنها صاغرةً.

كانت هناك قمتان لحركة الجهاد والفتح الإسلامي، أولاهما في عهد الخلفاء الراشدين أيام أبي بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم حيث استطاعت الجيوش الإسلامية في هذه المرحلة أن تفتح الشام، والعراق وفارس، وخراسان، وأذربيجان، وداغستان، وأرمينيا، هذا في قارة آسيا، أما في قارة إفريقية فقد تمكّنت من فتح مصر، وبعض بلاد المغرب. أما القمة الثانية فقد كانت في عهد بني أمية وخاصةً أيام الوليد بن عبد الملك، وذلك بعد أن توقّف الفتح الواسع ما يقرب من ستين سنةً نتيجة ما حدث في الأمصار داخل المجتمع الإسلامي من خلافاتٍ، وشيء من الانصراف إلى الدنيا والتمسّك بالرأي، وتمّ في هذه المرحلة الثانية فتح بلاد ما وراء النهر، وطرق أبواب الصين بالوصول إلى أقصى بلاد الترك «تركستان»، وضمّ بلاد السند، وغزو القسطنطينية، وهذا ما حدث

في آسيا أما في الجبهة الغربية فقد فُتحت الأندلس، ووصل المسلمون إلى أواسط فرنسا، كما توسّعوا في بلاد المغرب إذ وصلوا إلى اسواحل المحيط الأطلسي وامتدّ سلطانهم داخل القارة قليلاً.

ولم يحدث بعد هذه المرحلة من فتوحاتٍ واسعةٍ إلا ما كان من الغوريين الذين دخلوا بلاد البنغال في القرن السادس الهجري، ومن العثمانيين الذين توغّلوا في أوربا، وهناك فتوحات على نطاقٍ ضيقٍ، كما حدث في جزر البحر المتوسط، وأماكن أخرى. هذا انتشار الإسلام عن طريق الفتح، أما عن طريق التجارة والدعوة فله شأن آخر، إذ حدث بعد هذا الفتح وتمّ على مرحلةٍ طويلةٍ، وإذا كان قد شمل مساحاتٍ واسعةٍ وضمّ أرجاءً شاسعة إلى العالم الإسلامي حيث غدا أكثر سكانها من المسلمين كما هي الحال في أندونيسيا، وماليزيا، والمالديف في قارة آسيا، والصومال، وشرقي إفريقية وجزرها، كزنجبار، والقُمر، وبمبا، ومافيا وغيرها، ومعظم غرب إفريقية وبعض جهات في الوسط منها.

ركّز المسلمون أمورهم في البلدان التي دخلوها حيث أقبل السكان على الإسلام أفواجاً لأنه دين الفطرة، وفي مبادئه ما يحلمون به من مُساواةٍ، وحريةٍ، وعدالةٍ، وأمنٍ، ولم يمض إلاّ وقت قصير حتى غدا الإسلام دين الأكثرية، ولم يبق في هذه البلدان إلا المسلمون وأهل الكتاب ومن يلحق بهم من المجوس، وهؤلاء الذين هم من غير المسلمين وهم الذين يدفعون الجزية، لم يسمح ببقاء غيرهم في ديار الإسلام لقوله تعالى ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا اليوم الآخر ولا يُحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحقّ من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون﴾.[1] أما السكان الذين لم يقبلوا الإسلام، ولم يكونوا من أهل الكتاب، أو المجوس أي كانوا من أهل الوثنيات الذين يعبدون المخلوقات فعليهم أن يرحلوا عن الأمصار التي يحكمها المسلمون، وإن يفعلوا، وأرادوا التشبُّث في ديارهم فإن على المسلمين قتلهم لقوله تعالى: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحُرُم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخُذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصدٍ، فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلّوا سبيلهم، إنّ

(١) سورة التوبة الآية ٢٩.

الله غفـور رحيم﴾.[١] ولـذلـك نرى اليوم أن الأمصار الإسلامية التي دخلها المسلمون فاتحين لا يوجد بين سكانها إلا من كان مسلماً أو من أهل الكتاب ومن يلحق بهم من المجـوس، وتخلو تماماً من أهل الوثنيات من هنادك، وبوذيين، وكـونفـوشيين، وشنتـويين، وعبـدة قوى الـطبيعـة من أشجار، وصخور، ومن الطوطميين الذين يعبدون الحيوانات والحشرات الحقيرة ويعدّون أنفسهم ينتمون إليها، وترتبط القبيلة جميعها بهذا الطوطم.

أما الأمصار التي عمّ فيها الإسلام عن طريق التجارة أو الدعوة فقد بقي فيها بعض الوثنيات والمشركين ولو كان الإسلام الدين الرئيسي في البلاد، ويُشكّل المسلمون غالبية السكان كما هي الحال في اندونيسيا في قارة آسيا ، وذلك لأن الإسلام قد انتشر تدريجياً، ولم تكن لأهله الهيمنة والسيطرة إلا بعد مرور زمنٍ عندما أصبحوا يُؤلّفون الأكثرية، ولما أصبحوا كذلك تسلّط عليهم المستعمرون الصليبيون الذين كان أمرهم قد قوي، وتمكّنوا من إخضاع المسلمين لنفوذهم، فطبّقوا تشريعاتهم وقوانينهم الوضعية، أو أن المسلمين أنفسهم كانوا غير مُؤهلين لذلك إذ انصرفوا إلى دنياهم وغطّوا في نومهم في الأمصار الإسلامية كلها بما في ذلك المركز الذي انطلق منه الإسلام، والذي يجب أن يكون مركز إشعاع يمدّ المسلمين دائماً بشحناتٍ من القوة، وينطلق أمامهم يرفع راية الجهاد والعمل للدعوة، وليس معنى هذا أن يظلّ المسلمون في بقية الجهات تبعاً لذلك المركز، لا ، بل يمكنهم الانطلاق، والسبق، وحمل اللواء. ولكن ينظر المسلمون عادةً إلى مكان انبثاق الدعوة نظرة حبٍ وتقديرٍ، ويعملون على التقليد والسير على الخطا، فإذا كان المركز يومذاك في جهلٍ وغفلةٍ، وفي ضعفٍ واسترخاءٍ فالأمر طبيعي أن يكون الهامش المقلّد أكثر من ذلك، ويجب ألا نغفل أيضاً أن المسلمين الذين اعتنقوا الإسلام حديثاً قد أخذوه وأهله في حالةٍ من الضعف، ودانوا به وهم في وضع من الهزيمة، ولذا لم يتفهّموا مبادئه بشكلٍ صحيحٍ، ولم يُطبّقوا أحكامه بصـورةٍ واضحةٍ فبقي بينهم وثنيون، وظلّ بينهم مشركون، عملوا في المجتمع إفسـاداً، وفي العقيدة وخـزاً ونخـراً، وكـانوا دائماً ضد المسلمين ومع أعدائهم عليهم، ومعنى هذا كله أن الإسلام لم يحكم في هذه الأمصار التي لم يدخلها

---

(١) سورة التوبة الآية ٥.

الإسلام فاتحاً وإنما منتشراً في وقتٍ ضعُف فيه أبناؤه فكأنه جاء مُتسللاً.

وكذلك فإن المسلمين قد حكموا الهند ولكن الإسلام لم يحكم، ذلك أن أهله قد تمكّنوا من بسط نفوذهم على تلك المنطقة الواسعة وحرصوا الحرص كله على بقاء سيطرتهم من غير اهتمام على اعتناق السكان للإسلام، لقد دخل المغول الهند في مطلع القرن التاسع الهجري واستطاعوا إخضاع مقاطعات الهند كافةً وحاولوا إبقاء حكمهم بالوسائل كلها حتى إن «أكبر خان» عمل على إرضاء الهندوس فأمر بمنع ذبح البقرة، وسمح بزواج المسلمات من الهندوس، والمسلمين بالهندوسيات بل أراد إيجاد دينٍ جديدٍ من الاسلام والهندوس، ومع أن حفيده قد عمل على إبطال هذه المنكرات والعمل للإسلام غير أن الخط العام كان هو المحافظة على السلطان، وكذلك فإنه في الوقت الذي دخل فيه المغول الهند كان المستعمرون الصليبيون من برتغاليين، وانكليز، وفرنسيين، وهولنديين يطرقون أبواب البلاد من الشواطيء ويعملون على التسلّل إلى الداخل حتى تمّت لهم السيطرة على الهند بعد أن استخدموا مختلف الوسائل من خداعٍ، ومكرٍ، واتفاقاتٍ مع الأمراء، وإغراءاتٍ لبعض الأهالي، وإفساد السكان لإضعاف المقاومة. ولما لم يحكم الإسلام لم تظهر محاسنه ومبادئه السامية، ولم يُقبل عليه السكان، وبقي المسلمون أقلية في ذلك البلد الواسع رغم أنهم يحكمونه. ولما كانت هناك محاولات لاسترضاء الهندوس وتقريبهم لذا لم يجدوا دوافع لاعتناق الإسلام وترك خرافاتهم، بل على العكس كانوا يستعلون أحياناً رغم ذلّهم ووثنيتهم، ولما جاء المستعمرون الصليبيون قرّبوا الهنادك، وعملوا على إبعاد المسلمين، وبذلوا جهودهم لإفقارهم بمصادرة أملاكهم ومؤسساتهم، كما حرصوا على إبقائهم في حالةٍ من الجهل بإلغاء مدارسهم و. . . . وهذا مازاد من إبداء الهندوس بعض القوة رغم ضعفهم وهزيمتهم النفسية لما هم عليه من خمولٍ وكسلٍ، وما في عقيدتهم من خرافاتٍ وأوهامٍ، وهكذا وجد المسلمون أقلية في الهند رغم كثرتهم العددية، لكن جموع الهند الكبيرة تُبقي نسبتهم ضعيفةً. وهكذا لا يكفي أن يحكم المسلمون لو كان لابّد من تطبيق التشريع الإسلامي الذي يُعطي القوة، وتظهر فيه معاني المساواة، والإحسان، والعدل، ويُنشر الأمن والرخاء وليست الأهمية بالرجال ولكن الأهمية كل الأهمية بالنظام، ولا تُعرف قيمة أي نظامٍ إلا بتطبيقه.

وفي إفريقية فتح المسلمون الأوائل مصر وبلاد المغرب وأجزاء من السودان،

وتبعت هذه النواحي للدولة الإسلامية التي تُطبّق شرع الله بأخذ الجزية من أهل الكتاب ومن يتبعهم إن وجدوا، وعدم إبقاء ماسواهم في ديار المسلمين لذا لا نجد في هذه الأجزاء غير هؤلاء الأصناف كبقية كل البلدان التي دخلها المسلمون فاتحين. وانتشر الإسلام فيما بعد عندما ضعفت دولة الإسلام، عندما اهتزّ النظام ولم يبق من تطبيق الشرع إلا جوانب منه عندها انتشر الإسلام في مناطق كثيرةٍ عن طريق التجارة، كما هي الحال في شرقي إفريقية، وقد عمّ الإسلام في المناطق التي كانت آخر المحطّات مثـل جزر القُمْـر، وجـزر بمبـا، وزنجبار، وبلاد الصومال، وأجزاء من شرقي إفريقية كسواحل كينيا، وتانزانيا اليوم، كما انتشر عن طريق الدول التي أقامها المسلمون في غربي إفريقية وعمّ مناطق واسعةٍ هناك، وعن طريق الدعوة، وعن طريق القبائل إذ أن إسلام أحد زعماء القبيلة قد يُؤدّي إلى إسلام معظم أفرادها إن لم يكونوا جميعاً، وعن طريق الانتقال من الشمال إلى الجنوب سواء أكان للتجارة أم للرعي أم للتحرّك الجماعي وتغيير منازل القبيلة. ولكن هذا الانتشـار قد أبقى أعداداً من الوثنيات ضمن المناطق التي حكمها المسلمـون وذلـك لأنـه لم يُطبّق فيها النظام الإسلامي إذ انتشر فيها الإسلام تدريجياً، ولم تكن السلطة لأبنائه، وعندما كثر المسلمون وأصبحت لهم الكلمة لم يعملوا على تطبيق الشرع لأنه كان قد انحسر من النفوس حتى من الأمصار التي فتحها المسلمون الأوائل، فلم يبق للمسلمين الجدد قُدوةٌ يهتدون بها، وتُنير لهم طريق العمل بالإسلام، ولم يروا من سابقيهم ما يُظهر محاسن النظام ومبادي الإسـلام، هذا إضـافةً إلى أنه لم يمض الوقت الكافي حتى جاء المستعمرون الصليبيون فحالوا دون تطبيق الإسلام، وعملوا على الحدّ من انتشاره، ووقفوا في وجه تعليم أهله، وأشغالهم، وتعاطيهم أسباب الصحة ليبقوا جهلة، فقراء، مرضى ولينعت الأعـداء هذا الـوضع بالإسلام فينفر منه السكان، ويجدوا في النصرانية ديانة المستعمرين أسباب القوة، والعلم، والصحة بما يقدّمه الصليبيون من دعمٍ لمن يعتنق ديانتهم، وهكـذا بقي المسلمون أقلية في بعض الأقطار، وبعيدين عن تطبيق الإسلام في الأمصار التي ترتفع فيه نسبة أتباعه.

أما أوربا فقد دخلها المسلمون فاتحين حيث دخلوا الأندلس والجزء الجنوبي من فرنسا، ومعظم جزر البحر المتوسط غير أنهم عادوا فانسحبوا من فرنسا، وبدأ الاستعمار الصليبي بإخراج المسلمين من الأندلس، ثم تابع الصليبيون زحفهم

على المسلمـين في جزر المتـوسط حتى العصر الحـديث فأبـادوهم في منـاطق، وطردوهم من أخرى، ولم يبق من آثار ذلك سوى أقليةٍ في قبرص، وبعض من يدّعي الانتسـاء إليه في جزيرة مالطة. غير أنه عندما قامت دولة بني عثمان في الأناضول استطاعت أن تتقدّم في أوربا بسرعةٍ، وتمكّنت من طرق أبواب فيينا وحصارها أكثر من مرةٍ ولكن لم يلبث أمرها أن ضعف، وانحصر نفوذها في جنوب شرقي أوربا، وحرصت على نشر الإسلام غير أنها لم تفلح لأسباب كثيرةٍ منها:

١ ــ أنه في الوقت الذي انطلقت فيه الدولة العثمانية في أوربا كانت تلك القارة قد بدأت تقـوي ويشتـدّ ساعـدها فوقفت في وجه العثمانيين، وحرّضت شعوبها باسم الصليبية.

٢ ــ تحريض أوربا للنصارى الذين يعيشون تحت سلطان الدولة العثمانية، وإثارة العاطفة الدينية عندهم، وتقديم الأماني لهم، والمساعدات الدائمة، وطرح بركات البابا عليهم إن التزموا بتوجيهات الدول النصرانية

٣ ــ أمل النصارى الذين يعيشون في ظلّ الحكم العثماني في عودة النصارى إليهم وإعطائهم السلطة، وظنّ كل فردٍ أن حظّه سيكون وفيراً.

٤ ــ عدم توفّر الإمكانية التامة للدعوة الإسلامية لدى الدولة العثمانية مع وجود العاطفة الشديدة للدعوة.

٥ ــ عدم إعطاء الصورة المشرقة للنظام الإسلامي لعدم تطبيقه بالشكل الصحيح.

ولما لم يجد العثمانيون الإقبال الجيد على الإسلام في البلدان التي دخلوها لجأوا إلى وسائل أخرى علّهم يفلحون في كسب أعدادٍ إلى الإسلام ومن هذه الوسائل

١ ــ نقل مجموعات من الأتراك من الأناضول إلى جنوب شرقي أوربا للإستقرار فيها والعمل للدعوة الإسلامية. غير أن هذه الطريقة قد أوجدت ردّ فعلٍ لدى السكان إذ نظروا إلى الأتراك القادمين نظرة المنافسين لهم على الأرض والديار أو نظرة الاستعمار.

٢ ــ إعـطاء الـولاة الصـلاحيات الـواسعـة لبناء المساجد، والدعوة، وتقديم المساعدات، والمنح، وإن أعطت هذه الوسيلة نتائج إلا أنها كانت نتائج ضعيفةً، لأنها تحتاج إلى ولاة صالحين، وقليل ماهم، وقد أثّر الصالحون فعلاً.

٣ ـ تشجيع المسلمين سواء أكانوا جنوداً أم منتقلين على الزواج بفتيات من السكان لتوطيد العلاقة مع الأسر الأوربية فلعلّه تحدث رغبة للدخول في الإسلام ، ولم يكن لهذه الوسيلة أثر كبير لانكماش الأوربيين تحت تأثير الصليبية .

٤ ـ إظهار القوة أحياناً غير أن هذا كان له فعل عكسي وخاصةً إن كان الولاة لا يتخذون الحكمة في استعمال القوة أو يضعونها في غير مكانها.

وهكذا بقي المسلمون أقلية في جنوب شرقي أوربا، وتتألف هذه الأقلية من:

أ ـ الفئات التي أسلمت من أبناء البلاد، وهي قليلة.

ب ـ المجموعات التركية التي استقرت هناك، وبقيت في أماكنها عندما انسحب العثمانيون من جنوب شرقي أوربا، وقد تعرّضت هذه المجموعات إلى الاضطهاد والطرد بعد زوال سلطان بني عثمان ولا يزال يتعرّض من بقي منها إلى الآن

جـ ـ المجموعات التي تعود إلى أصل إسلامي قبل أن تنتقل إلى جنوب شرقي أوربا مثل «البوشناق» و «الكومان» في يوغوسلافيا، والباشفرد» في المجر، وكانت هذه المجموعات قد اعتنقت الإسلام في القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع عندما كانت في مواطنها الأولي في «بلاد البلغار» القديمة والواقعة في حوض نهر الفولغا. فلما انتقلت إلى جنوب شرقي أوربا أهملت عقيدتها التي لم تترسّخ في نفوسها بالأصل. فلما جاء العثمانيون عاد هؤولاء إلى الإسلام، ومنهم سكان البوسنة والهرسك في يوغوسلافيا، وأبرزها قبائل البوشناق التي أعطت أسمها لمقاطعة «البوسنة» ثم قبائل الكومان.

د ـ الألبان الذين تأثّروا بالمسلمين القادمين إليهم من منطقة البلغار رغم سطحية إيمانهم، فنشأت عندهم كنيسة جديدة تدعى «البوغوميل» تختلف عن كل الكنائس النصرانية، فلما جاء العثمانيون اعتنق الألبان الإسلام، وتعدّ ألبانيا الدولة الوحيدة في أوربا ذات الأكثرية المسلمة، كما يُقيم الألبان في إقليم «كوسوفو» الذي يتبع جمهورية صربيا الاتحادية في دولة يوغوسلافيا.

هـ ـ الباماك وهم من الفئات المستضعفة، ويُقيم أكثرهم في بلغاريا، ويُعرفون أيضاً باسم «الغجر»

و ـ التتار الذي دخلوا في الإسلام وانتشروا في شرقي أوربا.

أما بقية الدول الأوربية في العصر الحديث فتكاد لا تخلو دولة من أقليةٍ مسلمةٍ الذين انتقلوا إليها للعلم، أو العمل، أو التجارة، أو رحلوا مُشرّدين وتوزّعوا هناك.

وفي قارة أمريكا وصل إليها مسلمون مستطلعين، ومن وصل إليها أقام بها إذ ربما عجز عن العودة أو خشي الطريق بعد أن رأى اهوال في ذهابه، فلما وصل إليها المستعمرون الصليبيون أبادوا من وجدوا فيها من المسلمين إذ كانوا في ذلك العام في صراعٍ مع المسلمين في الأندلس وقد تمكّنوا من طردهم منها، وطلائع الصليبيين إنما جاءوا إلى أمريكا من الأندلس «اسبانيا والبرتغال» وهكذا خلت أمريكا من المسلمين في تلك المرحلة من الزمن.

ثم أخذ مسلمون يُخفون إسلامهم في الأندلس خوفاً من طغاة الحكام فيها من إسبانٍ وبرتغاليين ينتقلون إلى هذا الجزء من العالم الجديد مع من ينتقل إليها من أبناء بلدانهم، ومنهم من أظهر الإسلام هناك وناله من أنواع العذاب والاضطهاد ما ناله حتى لحقت التصفية الجسدية الكثير منهم، ومنهم من حافظ على إخفاء ما يُؤمن به حتى ضاعت العقيدة في الأجيال اللاحقة وربما بقي بعضهم يضمر الانتماء إلى الإسلام دون أن يكون له منه شيء حتى الوقت المعاصر حتى زالت موجة السخط، وإن أُعطيت الحرية الدينية مع بقاء الحقد مُغلغلاً في القلوب.

وفي العصر الحالي وصل المسلمون إلى أمريكا الشمالية للعلم، والعمل، والتجارة، ومُمثّلين لأمصارهم، كما وصل إليها مُشرّدون منهم، وعاشوا هناك، ووصل إلى أمريكا الجنوبية من المسلمين من انطلق للعمل والاستقرار.

ووصل المسلمون إلى قارة أوقيانوسيا للأسباب نفسها ألتي جعلتهم يتّجهون إلى أمريكا الجنوبية، وإن كانوا بأعدادٍ أقلّ:

وهكذا وجدت أقليات مسلمة خارج إطار العالم الإسلامي تختلف في نسبتها بين السكـان، وتتبـاين في أوضـاعها، وإن كانت تتقارب في أكثر الأحيان في مشكلاتها حيث تواجه هجوماً عنيفاً عليها، وتلقي اضطهاداً، ولا تجد دعماً أو نصيراً في معظم الأوقات.

انتشار الاسلام في قارة آسيا

وصل المسلمون في فتوحاتهم الأولى أي في القرون الهجرية الأولى في قارة آسيا إلى شرق بلاد السند، وبلا الترك «تركستان» من ناحية الشرق، وهي حدود العالم الإسـلامي الشرقية اليوم لا يشـذّ عن ذلـك سوى منطقة البنغال التي فتحها الغوريون في القرن السادس الهجري، وأندونيسيا وماليزيا اللتين عمتهما الإسلام عن طريق التجارة.

كما وصل المسلمون فاتحين في ناحية شمال القارة الآسوية إلى شمال بلاد ماوراء النهر، وإلى شمالي بلاد الداغستان وهي حدود أمصار العالم الإسلامي اليوم من جهـة الشمال لم يزد عليها سوى بلاد القفقاس التي عمّها الإسلام عن طريق الدعوة في أيام الدولة العثمانية.

أما من ناحية الغرب فقد انتشر فيها الإسلام منذ بداية أمره إذ انطلق من جزيرة العرب التي عمّها الإسلام منذ أيام رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أمـا بلاد الشـام، والعراق، وتركيا بأكثر أجزائها الجنوبية والشرقية فقد دخلها المسلمون فاتحين منذ أيام الخليفتين الراشدين الأوليين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولم يزد على ذلك في حدود العالم الإسلامي الغربية في قارة آسيا سوى ما ضمّه السلاجقة من أواسط الأناضول، وما فتحه العثمانيون من بقية أجزاء تركيا الغربية حتى القسطنطينية.

وتـوقّفت الفتـوحـات الإسلامية لانصراف الناس إلى دنياهم، واكتفائهم بما حصلوا عليه من مغانم، وبما يأتيهم من خراجٍ، وبما يعمل لهم مماليكهم، غير أن بعضهم لم يقنع بما نال إذ يجد مُتعةً في العمل فلابّد من أن يُزواله، كما أن

الإسلام يفرض على أبنائه العمل سواء أكانوا أغنياء أم فقراء لأن الفرد ملك للأمة وليس مرتبطاً بشخصه وهواه، ويجب أن يُنتج لأمته مهما كان ميسوراً. فلما توقّفت الفتوحات ولم يعد للرجال شاغل يُؤدّون فيه واجبهم ومهمتهم الملقاة على عاتقهم في الحياة من جهادٍ ومُقارعة للأعداء انصرف عدد إلى مزاولة التجارة، واتجه عدد آخر إلى الدعوة بل نستطيع أن نقول: لم تكن الدعوة لتنفصل عن عمل المسلم أياً كان نوعه، فالمسلم يدعو إلى الله أينما وجد، وفي أية مهنةٍ كان يزاول، غير أن الذين كانت التجارة وسيلتهم اتجهوا إلى ركوب البحر وحملوا معهم البضائع، وغالباً ما تكون الرحلات جماعيةً على حين أن الذين انصرفوا إلى الدعوة لاهمّ لهم سواها فقد ساروا في البر وامتطوا ظهر البحر، ساروا منفردين، وانطلقوا مع مجموعاتٍ، وارتحلوا جماعاتٍ، وربما امتهن بعصهم التجارة في بعض أوقاته إن وجد فيها وسيلة للصلة مع الناس أو دعته الحاجة وظروفه المادية.

التجـارة البحـرية

ركب التجار المسلمون البحر وحملوا معهم بضائعهم، ورحلوا والأمل يحدوهم بالنجاح في مهمتهم لنشر الإسلام. وتنطلق السفن، ويتوكّل ركابها على الله يبغون تجارةً لن تبور، وتصل الفلك إلى المحطّات، وينزل منها التجار، ويتلقّاهم نظراؤهم من أهل البلاد يبتاعون منهم ويبيعون فيجدون فيهم الصدق، ويرون فيهم الاستقامة، ويعرفون فيهم الأمانة، ويعلمون أن هذا كله من أثر العقيدة التي يحملونها، فيُحبّب الإسلام إلى نفوسهم، ويدعونهم، ويلتقون معهم فيحسّون منهم الكرامة والعفّة، وينظرون إلى عبادتهم وعلمهم وسلوكهم فيُسرّون مما يرون، ويُصبح الإسلام قريباً من نفوسهم، وأهله مُقربين إلى قلوبهم وبعد رحلاتٍ ولقاءاتٍ لا يجد التجار من أهل البلاد أنفسهم إلا وقد دانوا بالإسلام وأصبحوا من أبنائه.

وتنطلق السفن إلى محطاتٍ أُخرى وتتم المقايضات، والمبايعات، واللقاءات كما حدث في المحطة الأولى، وهكذا كانت المحطات التجارية مراكز لانطلاق الإسلام، وكلما كانت المحطات أكثر اتساعاً وأكثر بضائع كان الإسلام أكثر انتشاراً لذا فإننا نلاحظ أن السواحل التي كانت طريقاً للسفن التجارية قد انتشر فيها الإسلام، وهي عادة الشواطيء المُحدّبة والتي تصلح لإقامة الموانيء سواء

لحمايتها من الريح أو لسواحلها التي تُساعد على إقامة المرافيء إذ لا تصل إليها مجروفات الأنهار، أما السواحل المُقعّرة فلا تمرّ منها عادةً السفن لكثرة المجروفات وعدم إقامة الموانيء وطول الطريق حيث تتعدّاها السفن عادة إلى السواحل المُحدّبة الأخرى التي تليها، وكلما كانت إقامة التجار المسلمين في محطات الموانيء أكثر كان الإسلام أكثر ازدياداً.

فإذا ما وصلت السفن إلى آخر المحطّات كانت هناك الإقامة الأكثر طولاً حتى تنفد البضائع إذ لا توجد بعدها محطّات فلا تفكير لبيعها في مكانٍ ثانٍ، وحتى يشتري التجار بضائع جديدة حيث لا توجد بعدها مواقف لأخذ البضاعة منها والحاجات، ثم إن هذه المحطّة هي المقصودة بالذات وهذه البلدان هي المعنيّة بالسفر إليها، وبضائعها ومنتجاتها هي المرغوب فيها لهذا كله تطول الإقامة وتزدادا الصلة مع السكان وبالتالي ينتشر الإسلام. ولما كانت أندونيسيا من المواضع التي تُشدّ إليها الرحال للتجارة لذا فقد انتشر فيها الإسلام كثيراً حتى عمّ، وأصبحت أحد الأمصار الإسلامية. وكانت ماليزيا ترتحل إليها السفن بدرجةٍ أقلّ، لذا فقد إنتشر فيها الإسلام بدرجة أقل وكانت مصراً إسلامية غير أن نسبة المسلمين فيها ليست مرتفعةً.

ومن أنـدونيسيا قد تنطلق سفن تجارية ويرتحل دعاة أو يسيروا منفردين إلى السواحل القريبة منها أو الجزر الدانية فانتشر الاسلام في الجزر التي عُرفت باسم الفيلبين حتى حكم المسلمون تلك الجزر إلى أن جاءها الصليبي «ماجلان» وأراد ردّة السكان عن الإسلام وتحويلهم إلى النصرانية الكاثوليكية فقتلوه، ودفنوه في أرضهم، وجاءت بعده الجيوش الإسبانية تترى كلما هُزِم جيش تبعه آخر حتى استطاعوا أن يقضوا على المسلمين في الجزر الشمالية، وأن يطردوا من بقي منهم إلى الأجزاء الجنوبية ويحصروهم فيها. وبعد قرونٍ أنتهى الاستعمار الإسباني في تلك الجزر فحلّ الاستعمار الأمريكي، وأخذ بعض المسلمين من الجنوب ينتقلون إلى الشمال ويُقيمون حول العاصمة «مانيلا» فوُجدت مجموعة منهم استقرّت هناك، وهكذا بقي المسلمون أقليةً في الفيليبين بعد حرب الإبادة التي شنّها عليهم الاستعمار الإسباني، أقلية حول العاصمة، وأكثرية في الأجزاء الجنوبية.

أما جزر اليابان فلم يصل إليها الإسلام لبُعدها عن مواطن المسلمين الأولى،

وعن مراكزهم الجديدة في أندونيسيا وماليزيا، وبقي الوضع هكذا حتى العصر الحديث حيث اتجه بعض المسلمين إليها وتشكّلت نواة منهم هناك تنمو بشكلٍ طيبٍ.

وأما سواحل البر الآسيوي فقد انطلقت إليه بعض السفن التجارية من أندونيسيا أيضا، وانتشر عن طريقها الإسلام على سواحل فيتنام، وأسّس المسلمون هناك في القرن التاسع الهجري إمارة «تشامبا» التي بقيت عدة قرونٍ خاضت خلالها حرباً شنّها عليها الفيتناميون حتء تمّت لهم الغلبة فطردوا المسلمين من «تشامبا» فارتحلوا إلى «كامبوديا» حيث ارتفعت نسبة المسلمين هناك بقدومهم.

ووصلت السفن إلى سواحل الصين، وتوقّفت في «كانتون»، وربما وصلت إلى هذا المرفأ سفن قادمة مُباشرةً من بلاد العرب حيث كان قد انتشر الإسلام هناك في وقتٍ مبكرٍ، وقد يكون قبل وصول الإسلام إلى أندونيسيا، ولكن لم تلبث أن رفدت سفن قادمة من «مالاقا» و «أندونيسيا» السفن التي سبقتهم من بلاد العرب فانتعش المسلمون هناك وزاد عددهم، وأقاموا أحياء خاصةً لهم. ووصلت السفن الإسلامية تحمل معها التجار والدعاة إلى «شنغهاي» وضواحيها، وإلى شبه جزيرة «شانتونغ» وإن كانت قليلةً إذ أن الرحلات إل تلك الجهات كانت قليلةٍ فانتشر الإسلام هناك بأعداد تعدّ قليلةً نسبياً إذا قارناها بالمحطات السابقة لها والتي هي قريبة من المراكز الأولى للإسلام.

ولم ترتحل السفن الإسلامية إلى شمال شبه جزيرة «شانتونغ» لذا لم يصل الإسلام إلى تلك السواحل ذات العروض المرتفعة، وبقي إنتشاره فيما قبل ذلك، وإن كان في الوقت المعاصر قد أخذ الإسلام طريقه إلى كوريا بأعدادٍ قليلةٍ بعد الحرب الكورية عام ١٣٧٤هـ، حيث كان لجنود الفرقة التركية المقاتلة هناك دور في نشر الإسلام، وقد جاءت هذه الفرقة مع الفرق الأخرى من قبل الأمم المتحدة لدعم كوريا الجنوبية من الغزو الشمالي، ثم أخذ الإسلام ينمو ببطءٍ ويُؤمل انتعاشه بعد إقامة المركز الإسلامي هناك في «سيؤول».

أما السواحل التي قبل ماليزيا، واندونيسيا والتي كانت تمرّ منها السفن

الإسلامية فقد انتشر فيها الإسلام بنسبٍ مُتفاوتةٍ حسب الميناء، وموقعه، ومدة الإقامة فيه، والمنتجات في ظهيره، والبضائع التي تُستهلك في المنطقة. لقد انتشر الإسلام على سواحل الهند الغربية في جزر «لاكاديف» بنسبةٍ كبيرةٍ حيث كانت محطةٍ طبيعيةً، كما انتشر على سواحـل منطقة «بومباي» نتيجة كثرة الاستهلاك وشراء البضائع المحمولة إليها، وإن لم تكن محطةً أساسيةً إلا أن السفن المنطلقة إليها تكون خاصةً بها، ولم تطل مُدّة إقامة التجار فيها لسرعة عمليات المبادلة التجارية، ولذا لم تزد نسبة المسلمين فيها على ٩٪، أما السفن المتجه إلى جنوب شرقي آسيا فإنها تنطلق إلى جزر «لاكاديف» لذا فقد إنتشر الإسلام فيها، وبلغت نسبـة أتباعه فيها ٩٤٪، ثم تتحرّك السفن إلى جنوب الهند حيث تضطر إلى التوقّف للتزوّد باحتياجاتها، وأخذ بعض الراحة، وربما قامت فيها بعض الأعمال التجارية، وقد وصلت نسبة المسلمين هناك إلى ٢٠٪، وتتجه السفن بعدها إلى السواحل الشرقية للهند ولكن لا تسير مُوازيةً لها مسافة طويلة بل تتركها مُتجهةً إلى الشرق مُبتعدةً عن تقعرٌ خليج البنغال، وربما توقّف بعضها في «مدراس» إن كانت هناك حاجة للتزوّد باحتياجاتها من جنوبي الهند، وتنطلق إلى «مدراس» لتوجيه خط سيرها، وهي ليست بحاجةٍ إلى تزوُّد من جديدٍ، لذا كانت نسبة المسلمين قليلةً في «مدراس» ولا تزيد على ٥٪ من مجموع السكان.

وكلما اتجهنا شمالاً قلّت نسبة المسلمين، وهكذا تبقى سواحل الهند الشمالية الشرقية قليلةً من أتباع الديانة الإسلامية، غير أن ارتفاع نسبة المسلمين في البنغال إنما جاء نتيجة الفتح حيث فتح الغوريون ـ كما سبق أن ذكرنا ـ البنغال في القرن السـادس الهجـري، وكـذا تبقى سواحل «بورما» و «تايلاند»، ثم تعود نسبة المسلمين للارتفاع في «فطاني» و «مالاقا» المرفأ الغربي لما ليزيا وذلك لمرور السفن من تلك السواحل بعد أن تكون قد قطعت مياه خليج البنغال، وأصبحت بحاجة إلى الراحة والتزوّد بالحاجات الأساسية.

وبعـد أن تلتفّ السفن حول شبه جيرة ماليزيا، تعود نسبة المسلمين قليلة للسبب نفسه إذ تتقعر سواحل «تايلاند» و «كامبوديا» بتقدّم مياه خليج «سيام» في داخل اليابس، هذا إلى جانب ما تُلقيه الأنهار الموسمية الغزيرة من مجروفات في مياه البحـر، ونصـل بعدها إلى سواحل «فيتنام» وقد تحدّثنا عنها، غير أن

سواحلها الشمالية مقعرة حيث يقع خليج «طونكين» فلا تمّر السفن عليه، ولا تقف في محطات هناك، وهذا ما حال دون انتشار الإسلام بتلك الجهات، وبعدها تبدأ سواحل الصين.

وهكذا وجدت أقليّات مُسلمة نتيجة التجارة البحرية والدعوة على طول سواحل قارة آسيا الجنوبية، والجنوبية الشرقية، وبعض الشرقية، ولم يعمّ الإسلام سوى الأجزاء التي كانت آخر المحطات التجارية، أو تقصدها البواخر وتكون هدفاً لها لمنتجاتها، وهي «أندونيسيا» و «ماليزيا»

التجارة البرية والدعوة

أما في الداخل فقد انتشر الإسلام فيه وخاصة في البلدان الشاسعة كالصين والهند عن طريق التجارة البرية، والدعوة، وربما أسهمت الحكومات في العمل لدعم ذلك الانتشار فيما إذا كانت بأيدي المسلمين سواء أرغب أصحابها في ذلك أم لا لأن للحكومة هيمنة تُشجّع على الإقبال على عقيدة من بيدهم السلطة.

انتشر الإسلام في الصين ببطءٍ، ونلاحظ أن النسبة العامة للأقلية المسلمة تقل كلما تعمقنا في داخل الصين مُبتعدين عن حدود أمصار العالم الإسلامي إلا أن وجُود دُعاة في منطقةٍ استطاعوا بذل الجهد ووُفّقوا في العمل فعندها ترتفع نسبة المسلمين قليلاً كما هي حال ولاية «يونّان» التي تزيد نسبة المسلمين فيها على ٣٠٪ من مجموع السكان على حين أن نسبة المسلمين في الصين عامة لا تزيد على ١٠٪ من مجموع السكان. ولقد نشط المسلمون في العهد المغولي الذي امتدّ من ٦٨٥ ـ ٧٦٩هـ حيث انتقلت مجموعات من المسلمين من تركستان وكانت بينهم أعداد من الدعاة إلى الصين إذ كان المغول يُسيطرون على المنطقتين.

وفي الهند انتشر الإسلام في الشمال بين السند والبنغال نتيجة سير الفتوح، وتوزّع المسلمون في أرجاء الهند كلها عندما آل إليهم حكمها فقلّ الفرق بين النسب المتباينة، وتصل نسبة المسلمين عامة في الهند إلى ١٤٪.

وانتشر الإسلام في داخل بورما بوصول بعض المسلمين إليها عندما غزاها التتار المسلمون.

وهكذا فإن المناطق كلها التي انتشر فيها الإسلام في آسيا بعد القرن الثالث الهجري بقي المسلمون فيها أقليات باستثناء منطقة البنغال التي فتحها الغوريون في القرن السادس الهجري وأندونيسيا وماليزيا اللتين كانتا آخر محطات التجارة البحرية وقامت فيهما أمارات مسلمة، وجزر المالديف التي عمّها الإسلام بالدعوة التي كانت عن طريق الدعاة الذين وصلوا إليها مع التجار.

انتشار الاسلام في إفريقية

فتح المسلمون الأوائل مصر وبلاد المغرب، وتبعت هذه المناطق الدولة الإسلامية فلم يبق فيها بجانب المسلمين إلا أهل الكتاب، وتوقّفت الفتوحات، غير أن الإسلام قد أخذ طريقه إلى باقي أرجاء القارة بصُورٍ مُختلفةٍ ونسبٍ مُتباينةٍ.

التجارة البحرية

كما إتّجه المسلمون نحو جنوب شرقي آسيا عن طريق البحر فإنهم قد اتّجهوا نحو شرقي إفريقية حيث تطلّ هذه القارة على البحر نفسه «المحيط الهندي»، وقد كانت أكثر مواقع شرقي إفريقية آخر محطات السفن الإسلامية، وهذا ما جعل الإسلام يعمّ تلك السواحل حتى خط العرض ٢٠ جنوباً حيث كانت مدينة «سُغاله» آخر المحطات لهم جنوباً.

وقد ساعدت الإمارات الإسلامية التي قامت في شرقي إفريقية في عدة أماكن على نشر الإسلام، ولكنه بقي محصوراً على السواحل وذلك لأوضاع السكان في الداخل، وظروفهم الاجتماعية، وطبيعة المناخ. وتوقف المدّ الإسلامي أثناء سيطرة الاستعمار الصليبي البرتغالي. ولكن هذا الاستعمار بقيت جذوره ظاهرةً فأمكن اقتلاعه بسهولةٍ حيث لم يتعمّق داخل البر الإفريقي.

عاد النشاط الإسلامي إلى شرقي إفريقية بعد زوال الاستعمار الصليبي البرتغالي وانتقل كثير من العمانيين إلى هناك وأصبح شرقي أفريقية يتبع دولة عمان. وانتبه المسلمون إلى خطئهم السابق بالبقاء في المناطق الساحلية، وهو الخطأ الذي وقع

فيه البرتغاليون مما سهّل طردهم، لذا فقد شجّع السلاطين التجار المسلمين على الولوج إلى داخل إفريقية وقدّموا لهم الحماية، فتعمّقوا في الأدغال وتمكّنوا من الوصول إلى ضفاف نهر الكونغو حيث نشروا الإسلام هناك، كما نشروه على طول الطرق التي سلكوها، ونشأت أقلّيات مُسلمة في داخل تنزانيا، وفي رواندا، وبورندي، وزائير، ونمت مع الزمن نتيجة الدعوة، وبقيت هذه الأقلّية ضمن سكانٍ من الوثنيين يمكن التأثير عليهم بسهولة لتأخّرهم، وسذاجتهم ونظرتهم إلى المسلمين نظرة الأعلى غير أن الاستعمار الصليبي لم يلبث أن بسط نفوذه على تلك الأرجاء فوقف في وجه المدّ الإسلامي، وبذل كل إمكاناته المادية والعلمية لهؤلاء الوثنيين ليحوّلهم إلى النصرانية، وانتقلت جموع الإرساليات التنصيرية إلى إفريقية تقدّم الإغراءات لإبعاد الوثنيين عن الإسلام، ونجحت إلى حدٍّ ما فقلّ الإقبال على الاسلام، واعتنق بعض الوثنيين النصرانية، ورغم كل هذا فلا يزال الإسلام يجد طريقه إلى قلوب وعقول سكان القارة الأصليين حيث أنه دين الفطرة ينسجم مع النفس البشرية وما ترغب فيه وتعمل له، والصراع قائم بين النصرانية والإسلام في هذه القارة، ولا يزال التفوّق للإسلام. ويخشى من غلبة النصارى إن استمر الإهمال الإسلامي إذ غدا الدعم أساساً والإعلام ضرورةً ملحةً.

التجارة الداخلية

غدا شمال الصحراء الكبرى بلاداً إسلاميةً على حين بقي جنوبها بعيداً عن الأثر الإسلامي وإن كان قد ولج بعض المسلمين إليها، وتعمّق بعضهم في فيافيها، غير أن ذلك كان على مستوىً محلّي، ولما كانت منتجات الشمال تختلف عن حاصلات الجنوب لذا فقد أخذ التجار المسلمون بعد توقّف الفتوحات يحملون البضاع من شمالي إفريقية ويتعمّقون داخل الصحراء حتى يصلون إلى بلاد الزنج فيُقايضون السكان هناك، ويعودون بأحمالٍ من حاصلات جنوبي الصحراء، كما كان الملح يُشكّل مادةً تجاريةً جيدةً تُنقل من الصحراء إلى شماليها. وكان التجار ينتقلون ضمن قوافل كان لرجالها الأثر الكبير في نقل الإسلام من الشمال إلى الجنوب.

وانتشر الإسلام على طول تلك الطرق التجارية التي كانت تجتاز الصحراء إذ كانت أكثر من طريق فوادي النيل طريق طبيعية في الشرق، وهامش الصحراء

من الغرب مثلها، إضافة إلى الطرق التي كانت تقطع الصحراء، وعمّ الإسلام تلك الجهات، ومن أطراف الصحراء من ناحية الجنوب تعمّق المسلمون داخل الغابة ونشروا دينهم بين قبائل تلك النواحي.

وهكذا نلاحظ أن الدول الصحراوية، والتي تقع إلى الجنوب منها وتضمّ أجزاء من الغابة كلها أمصار إسلامية وترتفع فيها نسبة المسلمين إلى أرقام عاليةٍ. أما في الغابة فتعيش أقليات إسلامية بين وثنيين، وكلّما تعمّقت أجزاء الدولة في البر الأفريقي من خليج غينيا في غربي إفريقية كانت نسبة المسلمين أكثر ارتفاعاً، أو أن نسبة المسلمين تزدادا كلما اتجهنا شمالاً.

ويجب ألا ننسى دور الإمارات التي نشأت في المنطقة في نشر الإسلام، وأهمها إمارات «الهاوسا» التي قامت في النيجر وشمالي نيجيريا، وإمارة «عثمان دونفديو» الفولانية في شمالي نيجيريا أيضاً.

الحيــاة القبليــة

تعرف الحياة القبلية بأنها حياة تنقل وراء المرعى والخصب، والقبائل التي تعيش على هامش الصحراء الكبرى من الجنوب تنتقل بين الشمال والجنوب، فإذا نزل الغيث، وجادت السماء، وأعطت الأرض خيراتها اتجهت القبائل نحو الشمال إلى أطراف الصحراء، وهناك تتصل بالمسلمين، وتأخذ منهم حاصلات بلادهم وتُعطيهم من منتجات حيواناتهم، وربما تأثرت بإسلامهم بل كثيراً ماكان يحدث هذا، فإذا ما انتهى فصل الغيث والخير، وجفّت أعشاب أطراف الصحراء بلظى الشمس المحرّقة تحرّكت القوافل نحو الجنوب حتى تصل إلى أطراف الغابة وربما ولجت فيها لتنال بعض ماتنتجه، ولترعى حيواناتها، ولتعيش في ظلّ الغابة وأحراجها. وإذا كانت قد تأثّرت بالإسلام فإن ذلك يُلاحظ على سلوك أفرادها وعاداتهم، ويسأل من يحتك بأبناء القبيلة عن سبب هذه التغيّرات، ويعرفون أن الإسلام كان السبب، وربما راق لهم ذلك فاعتنقوه، أو تأثّروا به، ومع الزمن يصبحون من أتباعه.

وللحياة القبلية بعض الجوانب الإيجابية في انتشار الإسلام فإذا ما أسلم زعيم القبيلة لم يلبث بقية الأفراد أن يدخلوا في الإسلام، وهذه ما نُلاحظه إذ أن القبيلة

التي تعتنق الإسلام قلّما يوجد فيها أفراد لايدينون به إن كانت تعيش في منطقةٍ مكشوفةٍ، كما كانت ديارها تشمل أجزاء من الغابة فإن الذين يعيشون داخل الغـابة يكونون معزولين نسبياً عن بقية أفراد القبيلة، وربّما بقي بعضهم على وثنيته، وأسلم بعضهم الآخر، فكل مجموعةٍ منعزلةٍ كانت لها عقيدة خاصة بها، وليس من الضرورة أن يكون الوثنيون الذين يعيشون في الغابة والذين ينتمون إلى قبيلةٍ واحدةٍ أن يتبعوا طوطماً واحداً يعدّون أنفسهم يرجعون في أصولهم إليه، لا، وإنما كل مجموعةٍ مُنعزلةٍ تعيش في وسطٍ معينٍ في الغابة تتبع طوطماً يختلف عن طوطم جيرانها.

وعندما جاء الاستعمار الصليبي بذل جهده الواسع للفصل بين الجنوب والشمال كي لا يتسرّب أثر الإسلام إلى قبائل الجنوب، بل عمل على عزل مجموعات القبيلة الواحدة بن المسلمين منها وغير المسلمين حتى لا يكون بينهم احتكاك فلا يتأثّر الوثنيون بأبناء جلدتهم من المسلمين.

الــدول

لقد نشأت دول إسلامية في غربي إفريقية، وكان لها دورها الكبير في نشر الإسلام، وربما كان أول هذه الدول وأكثرها أثراً دولة المرابطين التي نشأت في منتصف القـرن الخامس الهجري، وإذا كان دورها قد برز في ناحية الشمال، باجتياز بحـر الزقاق، ودخول الأندلس لمساعدة أهلها، والوقوف بجانبهم أمام الطغيان الصليبي، وانتصارهم على الإسبان الصليبيين في معركة الزلّاقة المشهورة عام ٤٧٩هـ، والمحافظة على وضع المسلمين في الأندلس مدةً، فإن دورهم وأثرهم في ناحية الجنوب لا يقلّ عن هذا أبداً بل يفوقه إذ اتجه بعضهم نحو الجنوب، وعملوا على نشر الإسلام، وأرسلوا الدعاة إلى جهات إفريقية الغربية كلها، وبنوا الرباطات في كثيرٍ من المناطق، وقد وصل أثرهم إلى منطقة الغابون، ولا تزال بقايا آثارهم حتى هذا اليوم.

ودخل المرابطون عاصمة إمبراطورية غانة القديمة «كومبي صالح» عام ٤٦٩هـ ودانت لهم دولتها، التي لم تلبث أن استقلت عنهم بعد وفاة زعيم المرابطين في الجنوب أبوبكر بن عمر اللمتوني، غير أن مملكة غانا الجديدة قد أخذت على

عاتقها الدعوة إلى الإسلام، وأعلنوا ارتباطهم بالدولة العباسية، وكثرت المساجد، وألحق بكل مسجدٍ مدرسة لتعليم الدين، واللغة العربية التي غدت الرسمية في التجارة والثقافة.

وقامت مملكة «مالي» في المدة ٦٣٩ - ٨٩٤هـ، وعملت على نشر الإسلام أيضاً، وقد أبحر بعض ملوكها في المحيط ليكشف ماوراءه، ولم يعد، ويعتقد أنه وصل إلى أمريكا الجنوبية وعاش هناك مدةً، وبقي بعض أحفاد من وصل معه إلى أمريكا ومن أسلم على أيديهم حتى جاء الاستعمار الصليبي أيام ما عُرف بالكشوف وأباد المسلمين هناك.

ونهضت مملكة «الصنغاي» بالمهمة نفسها، ثم قامت عدة إمارات التي منها «البامبارا» برئاسة «ساموري توري» الذي اتخذ لقب إمام، وقبض عليه الفرنسيون عام ١٣١٦هـ، وإمارة «الفولاني» برئاسة الحاج عمر الذي قُتل عام ١٢٨١هـ، غير أن أبناءه قد اختلفوا فيما بينهم، واصطدم بعضهم مع بعضٍ، ونشبت الحروب بينهم مما أضعف شأنهم، وقد هُزم آخرهم وهو الأمير أحمد على يد الفرنسيين عام ١٣١٦هـ.

وعندما أخذ المستعمرون الصليبيون يلجون داخل إفريقية كان همّهم الأول قتل الزعماء والأعيان والعلماء الذين يمكن أن يلتفّ حولهم الناس خوفاً من قيام إماراتٍ ودول يمكنها حشد الناس، والوقوف في وجه المستعمرين الصليبيين وقتالهم، وإذا خشوا من نتائج القتل قاموا بنفي الوجهاء إلى أماكن بعيدةٍ لا يعرفهم أهلها، وهذا ما يمنع أثرهم، ويحول دون اتحاد المسلمين.

العمـــال

منذ أن تمكّن المستعمرون الصليبيون من بسط نفوذهم على معظم أجزاء القارة الإفريقية أخذوا يُفكّرون في استغلال خيراتها واستثمار ثرواتها غير أن هذا يحتاج إلى عمال عندهم القدرة على العمل والمعرفة فيه، والمشكلة أن سكان كثيرٍ من جهات إفريقية وخاصةً الحارة منها يغلب عليهم الخمول، وليس لديهم النشاط الكافي للقيام بالأشغال بل ولا الرغبة، وإذا كان المسلمون من الإفريقيين يمكنهم العمل غير أن الصليبيين لا يريدونهم لأنهم إنما يريدون إفقارهم فلا يمكن أن

يجدوا لهم عملاً، ويرغبون في إذلالهم فلا يمكن أن يهتمّوا بهم، لذا فكّروا بجلب عمالٍ من مستعمراتهم لزراعة القطن الذي تحتاج إليه معاملهم في أوربا، ومدّ السكك الحديدية من الساحل إلى الداخل لإمكانية نقل الجنود وبسط النفوذ على وسط القارة، ولتسهيل نقل حاصلات الداخل إلى المرافيء لشحنها إلى بلادهم، واستقدمت انكلترا، التي استعمرت أكبر جزءٍ من إفريقية، العمال من الهند، وكان بينهم عدد المسلمين، ولم تبال انكلترا بهذا على أنهم أُجراء، ضعفاء، غرباء غير أن بعضهم قد استقر فشكّل أقليةً مسلمةً رفدها الذين اعتنقوا الإسلام بتأثير هؤلاء العمال وغيرهم. ومافعلته انكلترا فعله بقية المستعمرين الصليبيين من فرنسيين، وهولنديين وغيرهم إذ كانت لأكثر الدول الأوربية النصرانية مستعمرات في بلاد المسلمين أو تضمّ أقلياتٌ منهم.

إن هؤلاء العمال المستقدمين رغم أوضاعهم وغربتهم كان لهم تأثير على السكان لأن الإسلام دين الفطرة تتفق مبادئه مع طبائع النفوس ورغباتها.

ويمكن ملاحظة هذه الأقلية المسلمة من العمال وخاصةً الهنود منهم في المستعمرات الإفريقية الانكليزية مثل كينيا وشرقي إفريقية عامة.

الجنــــود

كان للجنود المصريين الذين أرسلهم إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي حاكم مصر إلى منطقة أوغنده عندما أراد أن يُوسّع أملاكه ويمدّ نفوذه إلى منابع النيل كان لهم دور في انتشار الإسلام في تلك الجهات.

وكان للجنود الذين جنّدتهم هولندا من أندونيسيا وماليزيا أثر في نشر الإسلام في جنوبي إفريقية وكذلك للجنود الهنود الذين عملوا في جيوش انكلترا لإخضاع، ودخول قلب إفريقية، والقضاء على بعض الحركات أحياناً.

وقد جنّدت معظم الدول الاستعمارية الصليبية جنوداً في مُستعمراتها وزجّتهم في الحروب التي خاضتها في إفريقية خلال المراحل كلها، فكان من المسلمين منهم أثرهم سواء أعاشوا مدة قصيرةً بين سكان القارة واحتكّوا بهم أم استقرّوا هناك وأضحوا جزءاً من أهل البلاد ولهم تأثيرهم على الوسط الذي يعيشون فيه.

الدعـــاة

رافق هذه المجموعات كلها عدد من الدعاة، وربما كان بعض أفرادها دعاةً إذ كثيراً ما يعمل المسلم داعيةً وهو يُمارس مهنةً مُعيّنةً مهما كان وضعها الاجتماعي أو تصنيفها ما دام يعتقد أن الدعوة أمر واجب عليه، وربما اتّخذ مهنته وعمله وسيلةً للصلة بالناس حتى يدعوهم، وهو أثناء هذه الصلة يتحبّب إليهم ويُريهم مُعاملة المسلم وسلوك الرجل الملتزم بتعاليم دينه من أبناء هذه الأمة.

ويتفرغ الذين تسمح لهم حالتهم المادية بالعمل للدعوة فيسيرون مع القوافل التجارية، وقد تكون لهم أموال مع التجار، وغالباً ما يكون أكبر وقت التجار وهمّهم منصرفاً للدعوة، فظروفهم المادية تسمح لهم، وليست التجارة سوى وسيلةٍ للارتحال والصلة والوصول إلى أماكن لا تزال بكراً لم يصل إليها الإسلام، فينالون الأجر، ويحصلون على المال الذي يُساعدهم في تأدية مُهمّتهم. وقد يتزوجون هناك من بنات الذين دخلوا بالإسلام لتتوطّد صلتهم بأسر وأقرباء الزوجة فيتعرّفون عن قربٍ على الإسلام وسولك أبنائه ومعاملة أهله، فلا يلبثون أن يدخلوا بالإسلام.

ومن الجنود ماهم دعاة، ومن العمال دعاة، وكل مسلمٍ داعية وإن لم يكن على معرفةً كافيةٍ من العلم تُؤهّله للعمل فسلوكه وأخلاقه رمز وصفة لعقيدته.

ويجب ألا ننسى تلك الجماعات التي هيّأت نفسها للدعوة، فكانت تبني الزوايا في المناطق التي تقع على هامش ديار الإسلام ليعمل أتباعها على نشر دينهم، وإن اختلفت الطرق والوسائل وربما وجدت مفاهيم لا تتفق دائماً وتعاليم الإسلام، وربما نستطيع أن تعدّ هؤلاء الذين يقبلون هذه الأفكار أنهم في مرحلةٍ سابقةٍ للدخول في الإسلام أو أنهم في مرحلة التهيئة أو الموافقة دون الالتزام الذي سيأتي في المستقبل.

وهكذا وجدت أقليات مسلمة في مناطق إفريقية وبلدانها كلها فإضافة إلى أمصار العالم الإسلامي التي تمتدّ في شمالي القارة، ومنطقة الصحراء، وإفريقية الغربية، وعلى هامش الغابة، ويتناثر بعضها في شرق إفريقية نُلاحظ أن بقية

الجهات تضمّ كلها أقلياتٍ مسلمةً، وإن كانت تختلف بنسبها وأعدادها، والنسب ترتفع في شرقي القارة، وما بقي من دول غير إسلاميةً في غربي إفريقية وهي: لبيريا، وغانا، وتنخفض في الوسط والجنوب نتيجة تأخّر وصول المسلمين إليها.

جغرافية العالم «قارات العالم»

يقسم الجغرافيون العالم إلى خمس قاراتٍ، وتفصل القارة عن الأخرى بمياه المحيطات الـواسعة، وإذا كانت ثلاث منها متقاربة، وهي: آسيا، وإفريقية، وأوربـا وهي التي تُعـرف بالبر القديم، فإن اثنتين منها بعيدتان وهما: أمريكا واوقيانوسيا، وتعرفان بالبر الجديد. ويرى بعض الجغرافيين أن أوربا ليست سوى شبه جزيرةٍ من قارة آسيا لصغر مساحتها، واتصالها بآسيا، وعدم انفصالها عن قارة إفريقية بمياه المحيطات، ويُطلق هؤلاء على القارة اسم أوراسيا اشتقاقاً من أوربا وآسيا.

تتقارب قارات العالم القديم بعضها من بعض حتى لتتصل أوربا من جهة الشرق بقارة آسيا اتصالاً تاماً يشمل الجهة الشرقية كلها، كما يتقاربان بعضهما من بعض في جهـة جنوب شرقي أوربا، وتكادان تتلامسان فمضيق البوسفور يضيق إلى ثمانمائة متر، وهو الذي تقع عليه مدينة استانبول في الناحية الأوربية، ومضيق الدردنيل يضيق إلى الف مترٍ ويكون بين المضيقين بحر مرمره وتتصل آسيا بأفريقيا في برزخ السويس ومضيق باب المندب يمتد البحر الأحمر كفاصل بين القارتين. ولا تُعدّ قناة السويس فاصلاً ما ثياً بين القارتين إذ أنها حُفرت بأيدي البشر، ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فإن عرضهـا لا يزيد في صفحة الماء العليا على مائةٍ وخمسين متراً، وأما في العمق الذي لا يزيد على أربعة عشر متراً يكون عرض القناة أربعين متراً فقط. وتقترب أوربا من إفريقية فلا يفصلها عنها في ناحية الغرب سوى مضيق جبل طارق الذي يضيق عن خمسة عشر كيلو متراً في بعض نقاطه وينفرج في أوسع مناطقه إلى ما يزيد على ثمانية وثلاثين كيلو متراً بقليل، كما تمتد أشباه جزر أوربية نحو الجنوب مقتربةً من إفريقية فشبه جزيرة ايطالية تقترب من تونس، وتزيد جزيرة صقلية من هذا التقارب فلا يفصل بين القارتين سوى الممر الصقلي الذي تقع في وسطه أيضا جزيرة «قوصرة»، كما تمتد شبه جزيرة اليونان في الجزء الشرقي من البحر المتوسط. وتقترب مساحة هذه القارات

من أربعةٍ وثمانين مليون كيلو متر مربع، وتُوزّع بالتقريب كالآتي:

قـارة آسيـا : ٤٤ مليون كيلو متر مربع
قـارة أفريقية : ٣٠ مليون كيلو متر مربع
قـارة أوربـا : ١٠ مليون كيلو متر مربع
المجمـــوع : ٨٤ مليون كيلو متر مربع

أما قارتا العالم الجديد فهما أمريكا التي تقرب مساحتها من أثنين وأربعين مليون كيلو متر مربـع، ويفصل المحيط الأطلسي بين هذه القارة وبين قارتي إفريقية وأوربا، على حين يفصل المحيط الهادي بينها وبين قارتي آسيا وأوقيانوسيا.

وتمتد قارة أمريكا من الشمال إلى الجنوب على شكل مثلثين قاعدتهما في الشمال ويتجه رأساهما نحو الجنوب، وهما أمريكا الشمالية التي تُقارب مساحتها أربعةً وعشرين مليون كيلومتر مربع، وأمريكا الجنوبية التي تقرب مساحتها ثمانية عشر مليون كيلومتر مربع. ويصل بين هذين الجزأين امتداد بسيط يعرف باسم أمريكا الوسطى.

أما قارة أوقيانوسيا فهي مجموعة من الجزر تصل مساحتها إلى تسعة ملايين من الكيلو مترات المربعة، وتقع جنوب شرقي آسيا، وأكبر هذه الجزر هي استراليا التي تشمل أكثر هذه المساحة حتى لتعطي اسمها أحياناً للقارة كلها.

ولما كان البشر قد وصل إلى هاتين القارتين «أمريكا وأقيانوسيا» في وقتٍ متأخرٍ من البر القديم، وعاش فيهما منعزلاً لانعزالهما عن بقية القارات، وبعدهما عنها، ثم عرف ذلـك إنسان البر القديم ووصل إليهما، فقد عدّ ذلك اكتشافاً لهما، وأطلق عليهما العالم الجديد، أوالبر الجديد.

السكـــان والتطـــور

كانت بداية وجود البشر عندما خلق الله آدم عليه السلام في جنوب غربي آسيا، وأغلب الـظن في شبه جزيرة العرب، ومنها انطلقوا إلى مختلف جهات الأرض، وتكاثروا، وخاصةً في العراق، والشام، ومصر، وأرسل الله لخلقه رسلاً ليبيّنوا لهم النهج القويم، وليرشدوهم إلى عبادة الخالق، ولهذا كان أكثر الأنبياء،

والرسل جميعاً في هذه الرقعة من الأرض ما دامت هي الجزء المعمور فقط من العالم يومذاك.

وردّت الأقوام دعوة رسلهم وخاصةً في جنوبي العراق فكانت نتيجتهم الغرق، وكان الطوفان الذي شمل العراق وشمالي الشام واتصلت مياه البحر المتوسط بمياه الخليج العربي، وأنقذ الله نوحاً ومن آمن معه وما آمن معه إلا قليل، ورست السفينة التي حملتهم على جبل الجودى في شرقي تركيا اليوم، واستقر رُكّاب السفينة هناك، وأخذوا بالتكاثر، وأقلعت السماء عن المطر، وابتلعت الأرض المياه، وعادت الحياة من جديدٍ إلى العراق والشام، وأخذت ترد إليها جماعات من الذين استقرّوا عند جبل الجودي وتكاثروا، كما انطلقوا إلى مختلف الجهات، ومن الذين اتجهوا إلى جنوبي العراق أبناء نوحٍ عليه السلام، حيث عاد العمران من جديد، وتوزّع أبناء سام بن نوحٍ في جزيرة العرب، فكان قوم عاد في منطقة الأحقاف وجنوبي جزيرة العرب، وقد بعث الله إليهم رسوله هوداً، فردّوا الدعوة فعاقبهم الله، ومن أبناء عاد القحطانيون والعرب العارية. ومن أبناء سام قوم ثمود في غربي جزيرة العرب في وادي القرى وقد أرسل الله إليهم رسوله صالحاً وقد ردّوا دعوته أيضا. ومن الساميين طسم وجديس في منطقة نجد والعمالقة في غربي الجزيرة.

وانتقلت جماعات من الساميين إلى شمالي إفريقية حيث استوطنوا هناك، كما انتقلت جماعات أخرى من جنوبي العراق واستقرّت في الشام، ومن هذه الجماعات كان انتقال إبراهيم الخليل عليه السلام الذي سار من جنوبي العراق إلى «حرّان» في شمال الشام متخذاً وادي الفرات طريقاً له، ومن «حرّان» سار إلى دمشق فالخليل حيث استقرّ فيها، وسافر إلى مصر ورجع إلى موطن استقراره حيث رحل مع زوجه هاجر وابنه إسماعيل فأودعهم وادي مكة قبل أن تكون مكة ومن أحفاد إسماعيل هناك كانت العرب المستعربة التي تكاثرت في جزيرة العرب، وكان مع إبراهيم ابن أخيه لوط بن هاران حيث أقام في وادي العربة جنوب البحر الميت الذي حمل اسمه فعُرف باسم «بحيرة لوط» وكانت قرى قومه جنوب البحيرة تماماً. كما كان مع إبراهيم ابن أخيه الآخر مدين الذي أقام في شمال غربي جزيرة العرب في المنطقة التي حملت اسمه فعرفت باسم «بلاد مدين» وقد أرسل الله لسكان

تلك المنطقة رسوله شعيباً، وردّ أولئك القوم دعوة نبيهم فعاقبهم الله.

وأما حام بن نوح فقد سار إلى شرقي إفريقية وتكاثر أبناؤه هناك، ومنهم من ارتحل إلى شمالي تلك القارة واختلط مع الذين سبقوهم من أبناء سام، وكان المصريون القدماء، وكان البربر في بلاد المغرب وأطراف الصحراء، وجاءتهم رسلهم، وأما الذين بقوا في شرقي إفريقية فقد ردّوا دعوة أنبيائهم فسلّط الله عليهم أقواماً آخرين ففرّ الأوائل منهم حتى وصلوا إلى جنوب غربي القارة ومنهم قبائل «البوشمن» الذين تناثروا في صحراء «الهوتنتوت» أمام قبائل «البانتو» ودخل بعضهم إلى الغابات مختبئين، وهكذا سلّط الله ظالمين على ظالمين فتوزّع بعضهم في الصحاري وتناثر بعضهم في الغابات، وهكذا توّزع الناس في إفريقية.

وأما يافث بن نوح فقد سار إلى آسيا وتكاثر أبناؤه في بلاد الهند وبلاد الصين عند دالات الأنهار، وفي أوديتها الخصبة، كما تجمّع بعضهم وتكاثر في شمالي بلاد إيران اليوم، ونتيجة ذلك التكاثر في هذه المنطقة غير القابلة لاحتواء الكثير من البشر فقد ارتحل منها جماعات وانطلقوا نحو الشمال الغربي وتوزّعوا في أوربا، وكان ما عُرف بالآريين. وقد جاءت الأنبياء والرسل إلى الأقوام هذه التي استقترت في آسيا فردّوا دعوة الله فسلّط الله عليهم من قاتهلم ففر الذين ظلموا أنفسهم نحو الشمال وعاشوا حياةً قاسيةً داخل الغابات المخروطية وفي الشمال منها في الصحاري الباردة شمالي سبيريا ومن بقاياهم قبائل الصاموئيد، والياقوت وغيرهم. ومنهم من أوغل في الهرب فوصلوا إلى أمريكا الشمالية عن طريق مضيق «بهرنغ» فمنهم من بقي في مكانه واستقرّ وسط تلك الصحاري الباردة ومن بقاياهم قبائل الأسكيمو التي لا تزال تعيش في شمالي كندا وفي شبه جزيرة آلاسكا، ومنهم من أمعن في الهرب وتابع سيره نحو الجنوب حتى وصل بعضهم إلى أمريكا الجنوبية، وهؤلاء جميعاً ما يعرف باسم الهنود الحمر، وهم سكان أمريكا الأوائل مع الأسكيمو، وهكذا وُجد السكان في أمريكا.

وكان من الذين فرّوا من جنوب شرقي آسيا من أمعن في الفرار وركب البحر منتقلاً من جزيرة إلى أخرى حتى وصلوا إلى استراليا فتناثروا داخل صحرائها خائفين وهم الاستراليون القدماء.

وإذا كان الآريون قد توزّعوا في أوربا الشمالية والوسطى فإن الأجزاء الجنوبية

من تلك القارة قد وصل إليها السكان من شمالي إفريقية ومن غربي آسيا وأعمروها، كما ارتحل بعض من أقام في جنوبي أوربا حتى أوربا الغربية والشمالية الغربية كالنورمان، وهكذا توزّع السكان في معظم قارة أوربا. بل يكون بهذا قد عمّ البشر العالم وإن كانت كثافتهم تختلف بين منطقةٍ وأخرى، فهي مخلخلة في الصحاري الباردة، والحارة، وفي المناطق الجبلية، والغابات. وتزداد هذه الكثافة في البلاد المعتدلة وعلى سواحل البحار، وترتفع في دالات الأنهار والمناطق الخصبة في الأراضي الرسوبية والأودية.

الحضارة المادية

ومع مرور الزمن، ونتيجة الحاجة، وبالتطور الدائم، وللوصول إلى حاجات أفضل وجدت بعض الأساليب المتطورة، وتمت معرفة وسائل جديدة كانت كمرحلة حضارية متقدمة في بعض المناطق عن غيرها في الجهات الأخرى، فقد عرفت وسائل جديدة للري بتوزيع مياه الأنهار، وخزن بعضها، وزراعة أنواع جديدة من الحبوب والثمار، إضافة إلى ركوب البحر وصناعة السفن، والحياكة وصناعة الفخار، وعمل الأخشاب و. .

ولكن أهم ما اشتهرت به تلك الحضارات المادية التي وجدت في تلك الأزمان الغابرة إنما كانت في البناء، فشيدت المعابد الضخمة، والقصور الفخمة، وأقيمت الأهرامات، كما وجدت الأصنام والتماثيل، ولايزال بعضها باقٍ إلى اليوم ويدل على مهارةٍ في الفن، وروعة في العمل، وعظمة في الإقامة، ومع هذا فليس فيه أي معنى للحضارة بمعناها الصحيح إذ لم يكن ذلك لخدمة الناس ولا لمصلحتهم، وإنما قام لخدمة الطغاة وبناءً على أوامرهم، وعلى جثث العاملين فيها ولا تزال تحمل الآثار الباقية رمز أنين المظلومين الذين أجبروا على الشغل فيها سُخرةً. ولا يزال صوت السياط التي أدمت جلود العاملين، ومرأى الذين سقطوا إعياءً من التعب، والذين ماتوا من الإرهاق ودفنوا في أمكنتهم. . . كل هذا تحمله الآثار الموجودة الآن. فظلم الطغاة، وطغيان الكهنة، واستبداد أصحاب السلطة، واستعباد الأقوياء للرعية هو السمة البارزة في تلك الحضارات التي كانت قائمة يومذاك.

الديانـــــات

بعث الله النبيين إلى تلك الشعوب، وأرسل الرسل إلى تلكم الأقوام فردّت الجـماعـات دعوة أنبيائها، ورسالات رسلها، بعث الله يونس إلى الآشوريين، واليسع إلى السلوقيين، والياس إلى الفنيقيين، وأيوب إلى الآراميين، ويوسف، وموسى إلى الفراعنة إضافة إلى ما أرسله إلى الأمم السابقة كإبراهيم، ولوط، وشعيب، وهود، وصالح، ونوح وإدريس إلى أقوامهم، فردت الأقوام دعوة رسلهم فعاقبهم الله فمنهم من أغرقه، ومنهم من خسف بهم الأرض، ومنهم من أبادتهم الريح الصرصر و. . .

وكان الطغاة يدّعون الألوهية، أو أنهم يحكمون باسم الآلهة، ويُنصّبون كهنةً يُؤمنّـون على دعـوى الطغاة، وسدنةً للمعابد والأصنام التي يُعطونها أسماء آلهةٍ يُوافقون على ما يقوله الكهنة وما يدّعيه المتسلّطون، وينال الكهنة والسدنة نصيبهم من السلطة إذ يُشاركون في قهر الرعية وظلمهم، ويأخذون من الأموال التي كانت دائماً تُرهق الشعب وتُذلّه، ويُسخّرون أفراده في بناء المعابد وإقامة القصور لهم تقليداً لسادتهم، ويعيش الشعب مغلوباً على أمره ذليلاً يتقاسم جهده المتسلّطون والكهنة والسدنة بل يملكون حياته، وما يملك، ونساءه، وأبناءه ولا يجرؤ أحد من الرعية أن يعترض أو يرفض السخرة أويمتنع عن تقديم ما يطلبه السادة ولو كان أعزّ ما يملك من شرفٍ أو حياة.

وقد أرسل الله موسى لفرعون وقومه فاستكبروا في الأرض بغير حق، وأرادوا قتل موسى ومن آمن معه من بني إسرائيل فخرج موسى بقومه، وتبعهم فرعون وجنوده، فنجّى الله بني إسرائيل وأغرق فرعون ومن كان معه. ولكن بني إسرائيل لم يشكروا الله هذه النعمة فعبدوا العجل، وطلبوا من نبيهم موسى عليه السلام أن يصنع لهم أصناما لتكون آلهة لهم، وطلبوا منه أن يُريهم الله جهرةً، وتخاذلوا عن دخول فلسطين، ويعفو عنهم الله بعد كل جحودٍ إذا أبدوا الندم أو أظهروا التوبة، ويعطيهم النعمة بعد الأخرى، ويمدّهم من فضله، ويُقّدم لهم كل ما يطلبونه، ومع ذلك لم يزدادوا إلا جحوداً وكفراناً.

وبعـد موسى عليه السلام حرّفوا كتاب الله وبدلّوه، وجاءتهم الأنبياء تترى

تنصحهم، وبعث لهم الرسل ترشدهم إذ أرسل إليهم داود، وسليمان، وزكريا، ويحيى، وكان كلما جاءهم رسول بما لاتهوى أنفسهم فريقاً يكذبون، وفريقاً يقتلون، وادّعوا أنهم شعب الله المختار، وأنه ليس عليهم في الأميين سبيل، وأن عزير ابن الله، وأحلّوا الحرام، وحرّموا الحلال، وارتكبوا المنكرات وطغوا بالكفر.

وجاءهم عيسى بن مريم بالبينات، وأنزل الله عليه الإنجيل، فدعاهم إلى عبادة الله، فكذبوه، وتآمروا عليه، وعملوا على صلبه فأنجاه الله ورفعه إليه، وشبّه لهم آخر هو كبير المجرمين فصلبوه، وزعموا أنهم صلبوا المسيح.

وانتشر حواريو المسيح في الأرض، وكتبوا سيرة المسيح عيسى بن مريم كل حسبما وعى منها، فظنّ بعضهم أنها الانجيل، فترجموا، وحرّفوا، وبدّلوا كلام الله. وانتشرت النصرانية بعد المسيح في عدة مناطق، وكان أبرزها الدولة الرومانية، ولكن هذا الانتشار كان اسماً إذ بقيت الوثنية هي السائدة عندهم، ولكنها حملت اسم النصرانية، وتعصّب بعض الحكام لها، واضطهدوا اليهود فتوزّعوا، وبقيت الوثنية مضمون النصرانية فكانت التماثيل والصور تملأ الكنائس، وبقيت المحرّمات هي التي ترتكب باسم النصرانية والوثنية فزعموا أن المسيح ابن الله، وأنه صُلب، فعبدوا الصليب، واختلفوا في طبيعة المسيح فانقسمت النصرانية إلى أقسام تبعاً لذلك.

وقامت الدول تسيطر على الشعوب وتدّعي أنها تحكم باسم الديانات، وأنها مُمثّلة للإله الذي تدّعيه، ويُعاون الساسة رجال الدين، وتقاسموا المنافع معهم، وظلموا، واستبدوا، وبالغوا في الظلم والطغيان.

الدول والامبراطوريات

نشأت في العالم المعمور بعد الميلاد عدة دولٍ وامبراطورياتٍ تتحكّم في الشعوب، وتتنافس فيما بينها، ولكلٍ ديانة خاصة مليئة بالخرافات والأساطير وأنواع الشرك والوثنيات ولا تخلو منها واحدة، حتى التي كانت سماوية اعتراها التحريف والتبديل فكان الاسم سماوياً والواقع لا يبتعد كثيراً عن الأخرى من الوثنيات.

قامت الامبراطورية الرومانية وريثة الإغريق والرومان فسيطرت على جنوبي

أوربا وبلاد الأناضول، والشام، ومصر، والمغرب، وكانت لها هيمنتها على أجزاء أخرى واسعة من بلاد العرب، والصقالبة، والأرمن، وربما قامت إمارات أو دول صغيرة تحكم أجزاء من هذه الامبراطورية تحت إشراف الرومان فالغساسنة في الشام عرب يعملون للرومان وتحت نفوذهم، والأقباط في مصر يحكهم المقوقس باسم الرومان و. . . . وكان المتسلّطون على هذه الأمبراطورية يدّعون الحكم بالنصرانية التي ليست في مضمونها سوى وثنية لبست ثياب النصرانية، وعمال الرومان في الشام ومصر صورةً مصغرةً عن سادتهم فالشعب يئن من وطأة الظلم، ولا يستطيع أن يرفع أحد منهم رأساً، ورجال الدين متواطئون مع الطغاة ويظلمون رعاياهم، ولا تختلف الرعية عن السوائم أو هكذا ينظر إليها الذين بيدهم مقاليد الأمور، ويدفعون بها إلى الحرب حيث كان التنافس على أشدّه مع دولة الفرس.

والامبراطورية الفارسية تسيطر على فارس، وخراسان، وبلاد الجبل، والعراق، وتدعي أنها حامية النار المقدسة، وشعبها المجوس يتبع حكامه في عبادتهم، فالنار هي المعبودة، وتتعدد عندهم الآلهة واحد للخير، وآخر للشر، وثالث للنور، ورابع للظلمة. . ويدّعون أن لهم كتاباً مقدساً، ويقدسون «زراد شت» ويعدّونه و «ماني» كأنبياء لهم، وفي هذه الديانة من الخرافات مافيها، وكفى أن النار معبودة عندهم، والشعب كالبهائم يسوقهم آل ساسان وقادتهم، وسدنة النار، وكهنة معابدها. والمناذرة إمارة عربية في جنوبي العراق تعمل لهم وتحت اشرافهم، والصراع مع الرومان لا ينقطع تارة يُغلب الفرس فيتوسع الرومان نحو الشرق وأخرى ينتصر الفرس فينحسر نفوذ الرومان عن بعض الأجزاء الشرقية من دولتهم.

وامبراطورية الحبشة نصرانية تعمل بتوجيه الرومان إلى حدٍّ مادامت العقيدة تجمع بينهما، ويخنع شعبها للنجاشي ولرجال الدين الذين لهم نفوذ كبير حتى على النجاشي نفسه.

وفي الهند إمارات ودول تعتمد الديانة البراهمية التي تُقدّس البقرة، وتعجّ بالخرافات، وأكثر ما يميزها الطبقات المفصولة بعضها عن بعض يأتي على رأسها

الحكام الذين هم يُمثّلون رأس «براهما» فالكهنة الذين يُمثّلون عمله، والقادة ويمثلون أكتاف الشودرا أو المنبوذون، وهم بعيدون عن براهما فليس لهم طبقة معتبرة. . . . ولا تتزوج طبقة من أخرى، ولا ينتقل فرد من طبقة إلى أخرى، ومعظم الشعب من الشودرا محتقر، مزدرى، ذليل لأيُؤبه به ولا يمسّ، ومن لمسه عليه الغسل والتطهر مما لحقه.

وانتشرت البوذية على أطراف الهند، وتُقدّس «بوذا» الذي كان أحد البراهميين وانشقّ عنهم، ودعا إلى ديانةٍ جديدةٍ، ولهم إمارات في سفوح جبال هيمالايا، وسيلان، وبورما، وشرقي آسيا، وجنوبها الشرقي.

وفي الصين إمارات ودول ترتبط أحياناً بعقدٍ تارة يكون قوياً فتتحد، وأخرى هزيلاً فينفرط العقد وتتناثر الإمارات. وتدين كلها بالبوذية حسب تعاليم «كونفوشيوس» التي تقوم على عبادة الأجداد، وتمتلىء بالخرافات، ومنها تقديس «كونفوشيوس» والشعب لا يختلف عن غيره من الشعوب مغلوب على أمره، ولا ينظر إليه على أنه أكثر من سوائم ليس له إلا المرعى وذبح كل من شاء الراعي ذبحه أو أكله.

وفي اليابان شعب مُتخلّف يدين بالبوذية على المبدأ الشنتوي الذي يعدّ الامبراطور ابن الإلهة الشمس لذا يجب تقديسه، وفداءه بالأرواح، وتقديم القرابين.

وتتناثر في شمالي آسيا، وداخل الغابات، وأعالي الجبال مجموعات وثنية مُتخلّفة، وكذا الحال في أوربا الشمالية، ووسط إفريقية وفي الجنوب منها، وفي مجاهل العالم الجديد.

وفي بلاد العرب كانت تعيش مجموعات قبلية، ومدنية، وربما تشكّلت بعض الإمارات أحياناً، وكلها تقوم على عبادة الأصنام، وتقضي حياتها بالرعي، والحروب فيما بينها، وتقضي أوقات فراغها في معاقرة الخمر، ولعب الميسر، واللهو عند صحابات الرايات. وكان القوي يأكل الضعيف. ويبدد الإنسان ماله باسم الكرم للسمعة والشهرة. ويئد بناته أحياناً خوفاً من الذلّ والعار، ويفضل الذكور

على الإناث للدفاع عن القبيلة، والذود عن العرض. ويقتل المرء نفسه لينال شرف الشجاعة والذكر. ويعرف أهل البادية مسالك بواديهم، ويهتدون بالنجوم، لذلك فقد برزوا في ذلك، كما عُرفوا باقتفاء الأثر، وبرعوا في الشعر والأدب.

ظهور الإســــلام

هذا العالم البائس الذي يعيش تحت وطأة الظلم، ومآسي الذلّ والاحتقار، وظلمات الجهـل، وغطرسة الأقوياء، وتسلّط الأثرياء، وجبروت الطغاة، وجور الأديان، وفوارق الطبقات، كان لابدّ له من إصطلاح، وكان لابدّ من إرسال رسول من الله ليأخذ بأيدي البشرية نحو طريق الخير والصلاح، والهداية والرشاد.

وقد مضت قرون عدة تقرب من الستة قرون «٥٧٧» لم يبعث الله بها نبياً ولم يرسـل رسولاً. حتى إذا أظلمت الدنيا وغطّى ظلامها بالجهل، والخرافة، والاستبداد، والظلم، والانحراف بعث الله محمداً بدين ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، فكان خاتم الأنبياء، ورسالاته آخر الرسالات، فهي للعالم جميعاً، وللبشر كلهم.

دعا رسول الله قومه فآمن من آمن وجحد من جحد، وأخيراً انتصر الحق وزهق الباطل وبأقل من ربع قرنٍ عمّ الإسلام جزيرة العرب. واكتمل الدين، وانتهى التشريع، واشتـدّ ساعـد الإسلام، وانتقل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى الـرفيق الأعلى، وقام أصحابه بالدعوة بعده، ورفعوا راية الجهاد، وانطلقوا يُقوّضون الظلم والاستبداد، ويدكّون عروش الطغيان من الأرض.... فانتشر الإسلام في أرجاء واسعةٍ.

العالم الاسلامي

القسم الأول

١ ـ جزيرة العرب
٢ ـ بلاد الشام
٣ ـ العراق
٤ ـ تركيا
٥ ـ إيران
٦ ـ أفغانستان
٧ ـ باكستان
٨ ـ المالديف
٩ ـ اتحاد ماليزيا
١٠ ـ أندونيسيا
١١ ـ بروني

مقـدمـة القسـم الأول :

يشكل المسلمون محيطا اجتماعيا وحضاريا عظيم الامتداد، وتحتل دول العالم الإسلامي جزءا كبيراً من سطح الأرض يمتد من أقصى الشرق من آسيا إلى أقصى الغرب من إفريقية، ومن أعالي نهر الفولغا شمالا إلى أواسط إفريقية جنوبا ويشغل، العالم الإسلامي موقعاً ممتازا ذا أهميةخاصة بين مناطق العالم الأخرى، فهـو يطل على عدد كبـير من المسطحات المائية المفتوحة التي تمثل أهم طرق المواصلات البحرية في العالم وممراتها من جهة، كما أنه يتحكم في طرق الملاحة الجوية العالمية من جهة أخرى.

وعلى هذه الرقعة الواسعة تتناثر اثنتان وخمسون دولة إسلامية تختلف فيها نسبة عدد المسلمين. فهناك دول إسلامية وهي التي يشكل المسلمون فيها أغلبية كبيرة. ودول ثانية تزيد فيهـا نسبـة المسلمـين قليلا على النصف، هذا بالإضافة الى الأقليات الإسلامية.

وتتوسط هذه الدول الإسلامية جميعها المنطقة العربية التي تحتل مكان القلب في العالم الإسلامي، وهي بحكم ماضيها وعراقتها في الإسلام لها مركزها الخاص وأهميتها الكبيرة، ففي الجزيرة العربية ظهرت الدعوة الإسلامية ومنها انطلقت رسالة الإسلام ة لتغطي أرجاء المعمورة. كما انبثقت من هذه المنطقة حضارة الإسلام الرفيعـة التي أضفت على دول الأرض وشعوبها نور المعرفة في كافة المجالات الفكرية والعلمية والانسانية.

ونحن اليوم في أمس الحـاجـة الى دراسـة «متكـاملة» صحيحـة عن العالم الاسلامي ترسم قبل كل شيء جغرافية الإسلام من حيث هو غطاء روحى واسع الانتشار بالغ الخطورة في الحياة البشرية. . . وترسم ملامحه بدقة وأمانة بعد أن كانت تضيع وسط زحام الزيف والبعد عن الواقع.

أولا - الموقع الجغرافي وأهميته :

يقع العالم الإسلامي بين خط عرض ٥٦٠ شمالا عند أعالي نهر الفولغا، ويمتد جنوبا حتى خط الاستواء وجنوبه قليلا في أندونيسيا وتانزانيا. أما امتداده شرقا فيصل من خط طول ١٢٠° شرقا في جزر الفلبين، ويصل الى أقصى الغرب عند الرأس الأخضر على خطو طول ٢٠° غرباً.

وعلى ذلك فإن رقعة العالم الإسلامي تبلغ مساحة كبيرة وشاسعة على سطح الكرة الأرضية، وتمتد من ملقا بالملايو شرقا الى مالقة بالأندلس غربا، أو من أرض المورو بالفلبين الى أرض المورو بالمغرب، أو من غينيا الجديدة في أقصى الشرق من آسيا إلى جمهورية غينيا في أقصى الغرب من إفريقية.

يشكل المسلمون محيطاً اجتماعيا وحضاريا عظيم الامتداد، وعلى هذا السطح كثير من الدول والوحدات السياسية التي يدين أكثر سكانها بالإسلام، وتبلغ مساحة هذا السطح حوالي ٣٥ مليون كيلو متر مربع، كما يمتد من تانزانيا جنوب خط الاستواء حتى جمهورية كازاكستان، وهي الآن تحت حكم روسيا في وسط آسيا شمالا وهذا الامتداد يشمل عدداً من الأقاليم المناخية والنباتية والحيوانية والزراعية.

بهذا الامتداد يشغل العالم الاسلامي موقعا ممتازاً ذا أهمية خاصة بين مناطق العالم الأخرى فهو يطل على عدد كبير من المسطحات المائية المفتوحة، وهذه تمثل في الوقت نفسه أهم طرق المواصلات البحرية في العالم. فمن جهة الغرب يشارك العالم الإسلامي مناطق العالم الآخرى المطلة على المحيط الأطلسى وبه أضخم حركة ملاحية في العالم، سواء في نقل البضائع أو النفط أو الركاب، إذ يمر به حوالي ٥٥٪ من مجموع حركة التجارة الدولية، كما تمتد من هذا المحيط ذراع مهمة تتمثل في البحر المتوسط وتعد أقصر طريق يربط بين الشرق والغرب، وسواحله الجنوبية والشرقية والشمالية الشرقية كلها سواحل إسلامية، كما تتحكم الدول الإسلامية في مداخل هذا البحر، اذ تسيطر المغرب على الساحل الجنوبي لمضيق جبل طارق، وتتحكم مصر في المدخل الجنوبي لهذا البحر من خلال سيطرتها على قناة السويس، كما تسيطر تركيا على مضيقى البوسفور والدردنيل، ويعدان أهم طريق يربط الامبراطورية الروسية بالبحار الدافئة.

ويطل العالم الإسلامي كذلك على المحيط الهندي، وبه حركة بحرية عظيمة تتمثل في نقل النفط الخام والمواد الأولية بصفة خاصة، ويتحكم المسلمون في أهم مداخل هذا المحيط أيضا، فمضيق باب المندب مدخله الغربى ويقع تحت سيطرة اليمن من جهة وجمهورية جيبوتي من جهة أخرى، كما أن مدخله الشرقى يقع في منطقة إسلامية إذ تشرف عليه ماليزيا من ناحية وأندونيسيا من ناحية أخرى، وتمتد من هذا المحيط ذراعان مائيتان هما البحر الأحمر والخليج العربي وتتعمقان في أراض إسلامية صرفة.

وقد لعب العالم الإسلامي بالنسبة لجهات الدنيا الأخرى أدوارا عظيمة الأهمية في تاريخ الحضارة الانسانية، فطرق التجارة البحرية بالإضافة إلى المسطحات المائية التي يشرف عليها قد جعلته يقوم بدور المعبر أو همزة الوصل بين الشرق والغرب، كما كانت التجارة البرية من المؤثرات الحضارية والثقافية المهمة. فقد جعلت العالم الإسلامي دائم الصلة بين أجزائه المختلفة وبينه وبين غيره من أجزاء العالم الأخرى فقد كان (طريق الحرير) مثلا منذ أقدم العصور أحد هذه الطرق البرية المهمة، وكان يربط الصين بمنطقة البحر المتوسط، ونشأ على هذا الطريق بعد انتشار الإسلام كثير من المدن الإسلامية المهمة، مثل طشقند وبخارى وسمرقند.

وقد أضافت قناة السويس ميزة أخرى لهذا العالم الإسلامي فهي توفر على السفن التي تصل بين الشرق وغربي أوزبا أو العكس، بين ١٧٪ و ٥٩٪ من المسافة التي تقطعها، كما توفر كمية الوقود التي تستهلكها بنسبة تتراوح بين ٥٠٪، ٧٠٪.

زد على ذلـك، فان موقع العالم الإسلامي يتحكم أيضا في الملاحة الجوية العالمية من ناحية توسطه بين أطراف العالم ومن ناحية صفاء سمائه في أكثر الأوقات.

يزيد عدد المسلمين اليوم على المليار، وتكون نسبتهم حوالي ٢٥٪ من سكان العالم، وقد أجمعت الكتابات التي صدرت في السنوات الاخيرة على أن الإسلام في توسع حركي مطرد، وأنه أكثر الأديان نموا عدديا، وهو في كل يوم يكسب أرضا جديدة أكثر على امتداد جبهة عريضة في إفريقية وفي آسيا وفي الأمريكتين،

وفي ذلك تعويض عما فقده خلال القرنين الماضيين من أرض وقاعدة بشرية، إذ تعرض المسلمون للغزو والاستعمار الذي تمكن من قهرهم والسيطرة على مقداراتهم، ومنذ ذلك الحين والاستعمار يحاول تقويض رسالة الإسلام، ويقف سدا أمام انتشارها، ويعمل على إفساد كل أثر خلفه وأضاعة وكل نتيجة حققها، ولولا هذه المرحلة القاسية الطويلة التي مرت بالمسلمين لانطلقوا الى آفاق أوسع ولا تسعت رقعتهم وأرضهم في المشرق والمغرب، ولأصبحت خريطة الإسلام اليوم شيئا آخر يختلف عما هي عليه الآن.

هذا التوسع هو الذي يخيف العالم النصراني أو الغرب أو الشرق فيعملون على وأد الحركات الإسلامية والتخطيط للنيل منها، وأخطر المخططات ماكان في ضربه من الداخل وبيد أبنائه. كما تعمل الحركة الصليبية اليوم للسيطرة على العالم، ومحاولة جرّ الدنيا وراءها بتسخير الصيهونية لمصلحتها، وادارة الطغاة في فلكها وتخص منهم الذين أوكلت إليهم مهمة حكم أمصار العالم الإسلامي.

ثانياً ـ الإسلام بين القارات الثلاث :

تعد قارة آسيا هي مركز ثقل العالم الإسلامي، ففي هذه القارة تتركز النسبة الغالبة من عدد المسلمين في العالم، فهي تضم وحدها مايقرب من أربعة أخماس المسلمين أو حوالي (٥٥٠) مليون مسلم.

ويطلق بعض الكتاب على هذه القارة اسم «بيت الإسلام الحقيقي» ففيها الجزيرة العربية التي قامت على أرضها الدعوة اسلامية، كما أنها مركز انطلاقها إلى الدنيا بأسرها.

وأياماكان الأمر فعلى الرغم من الكثرة العددية للمسلمين في آسيا إلا أنها لاتمثل في الحقيقة سوى ٢٩٪ فقط من عدد سكانها الذين يبلغون مايزيد على (٢٥٠٠) مليون نسمة، وإذا رجعنا الى تاريخ المسلمين في آسيا في عهد الفتوحات والدول الإسلامية، وقارنا بين مكانتهم في تلك العهود وبين حالتهم اليوم لوجدنا الوضع يختلف كثيرا. فالرقعة التي كانوا يتحكمون فيها قد انكمشت وعددهم قد تقلص نسبيا وخاصة في مناطق الشمال وشمال شرقي آسيا، وهذا راجع إلى الحملات العنيفة التي شنها عليهم خصوم الإسلام من ناحية والحروب التي قامت

بينهم من ناحية أخرى. أما عن المسلمين في أوربا ـ وهذا العدد يتركز في يوغوسلافيا وألبانيا وبلغاريا ـ فالمعروف أن الإسلام قد ازدهر في أوربا إبان عصر قوة الدولة العثمانية، ومن قبل أيام الفتوح الإسلامية لبلاد الأندلس حتى أصبح البحر الأبيض المتوسط بحيرة اسلامية وامتد نفوذهم حتى وصل الى مناطق متعددة من القارة الأوربية.

ولكن الحقد الصليبي على المسلمين في اسبانيا ثم التدهور الذي أصاب الدولة العثمانية تسبب في انكماش الرقعة الإسلامية وعدد المسلمين في أوربا، وبدا هذا واضحا منذ نهاية القرن الماضي حين أخذت المناطق في أوربا والتي تتبع الخلافة العثمانية تنفصل عنها بتحريض ودعم أوربى، وكان أول شيء يتبع هذ الانفصال هو تصفية الوجود الإسلامي فيها وترحيل المسلمين منها إلى الأراضى التركية.

وبالنسبة لقارة إفريقية فقد أجمعت الكتابات والتوقعات على أنها قارة المستقبل بالنسبة للإسلام فهي جبهة زيادة وزحف الاسلام واحتياطى توسعه خلال السنوات القادمة.

وإذا كان الإسلام قد فقد البحر المتوسط كبحيرة إسلامية فانه قد وجد العوض في إفريقية لتكون قارته الإسلامية، وإذا تتبعنا عدد المسلمين في إفريقية خلال نصف القرن الأخير لوجدناه في زيادة مضطردة، رغم أن هذه الإحصاءات لاتمثل إلا أرقاما تقريبية ففي عام ١٣٥٠هـ (١٩٣١م) تجاوز عدد المسلمين في إفريقية الثمانين مليونا، وزاد هذا العدد في عام ١٣٧١هـ (١٩٥١م) إلى حوالي مائة وأربعين مليونا، وبعد عام ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢م) تجاوز هذا العدد مائتي مليون، وهكذا يصل عدد المسلمين في إفريقية إلى أكثر من نصف عدد السكان في القارة (٥٩٪) بسبب زيادة معدلات مواليدهم وقلة وفياتهم وإطمئنانهم الى مستقبلهم بعد زوال شبح الاستعمار عن بلادهم ودخول أفواج جديدة في الإسلام، ويتطلع المسلمون في إفريقية الى آفاق رحبة جديدة ومستقبل يليق بهم.

ثالثا ـ قطاعات العالم الإسلامي :

ويقسم الجغرافيون العالم الإسلامي إلى قطاعين رئيسيين :ـ

(أ) القطاع الغربي من العالم الإسلامي.

(ب) القطاع الشرقي من العالم الإسلامي .

أما القطاع الغربي، فيشمل دول العالم الإسلامي في إفريقية وفي غربي آسيا وفي البلقان وهضبة إيران وباكستان، ثم يستمر في سهول طوران وتركستان حتى مشارف الفولغا شمالا والتركستان الصينية شرقا، ويبلغ عدد المسلمين في هذه الكتلة مابين ٦٥٠ مليون نسمة أي مايوازى ثلاثة أخماس العالم الإسلامي، كما أن هذا القطاع يغطى رقعة كبيرة من أرض الإسلام وهي لهذا تعد صلبه ومركز ثقله .

وأهم حقيقة جغرافية في هذا القطاع أنه كتلة واحدة متصلة تقريبا لا انقطاع فيها، كما يتميز بأنه يضم في وسطه العالم العربي الذي بعد بمثابة قلب العالم الإسلامي النابض باعتباره مهد العقيدة وموطن الأماكن المقدسة ولغته هي لغة عقيدة المسلمين عبادةً. فهذا العالم كما هو معروف هو نواة الإسلام وحولها يلتف عدد كبير من المسلمين يمثل مايقرب من خمس عددهم في العالم.

أما خارج العالم العربي في آسيا فهناك مناطق الأناضول التي يوجد بها مجموعة إسلامية تزيد على خمسة وأربعين مليونا، ثم هضبة إيران التي تتكون من إيران وأفغانستان وبها مايقرب من خمسة وستين مليون مسلم، وإلى الشرق من هذه الكتلة توجد كتلة باكستان التي تشمل أكبر تجمع إسلامي منفرد في القطاع الغربي من العالم الإسلامي بعد نيجيريا، وبها ما يقرب من السبعين مليون مسلم، ويضم هذا القطاع كذلك قارة الإسلام في المستقبل وهي قارة إفريقية.

وهناك أيضا كتلة المسلمين في البلقان والامبراطورية الروسية، ويقدر عددها بحوالي خمسين مليون مسلم، ويتركز المسلمون في الامبراطورية الروسية بصفة خاصة في جمهوريات وسط آسيا الخمس، وقد تعرض السكان لغزو عنصري من قياصرة الروس، ثم من النظام الشيوعي الحاكم الآن، وفي أقصى الشرق من أطراف القطاع الغربي، وحيث مناطق سيكيانغ (تركستان الشرقية). يبلغ تعداد الكتلة الإسلامية عشرين مليون نسمة.

والقطاع الشرقي ويبدأ من الهند وينتهي بجزر الفلبين ويمتاز القطاع الشرقي للعالم الإسلامي بعدم الاتصال والتقطع بين أجزائه بعكس القطاع الغربي، ولعل أهم نقطة تجمع فيه تقع في مجموعة الجزر الأندونيسية.

ومناطق القطاع الشرقي كلها بعيدة عن مهد الإسلام وعن قلبه العربي، وكان طبيعيا أن يكون لهذا البعد أثره في ضعف وصول التيارات الإسلامية عبر المسافات السحيقة الى هذا القطاع وإلا لارتفعت نسبة المسلمين فيه، ورغم هذا فان عدد المسلمين فيه يصل إلى ٣٥٠ مليونا ، ويمثلون حوالي $\frac{٢}{٥}$ عدد المسلمين في العالم، وتوجد فيه أندونيسيا أكبر دول العالم الإسلامي.

ويشمل هذا القطاع أيضا أقليات إسلامية تعيش وسط دول غير إسلامية كالهند مثلا حيث يبلغ عدد الأقلية الإسلامية فيها ما يزيد على عشر عدد السكان، ويبلغ عددهم حوالي ٨٠ مليون مسلم، وعددهم يفوق تقريباً العدد الموجود في أية دولة إسلامية في القطاع الغربي باستثناء نيجيريا.

ويتراوح عدد المسلمين في الصين مابين ٩٠ ـ ١٠٠ مليون وفي بنغلاديش يبلغ عددهم حوالي ٩٠ مليون مسلم، ويصل عدد المسلمين كذلك في الملايو إلى مايزيد على نصف عدد السكان البالغ عددهم أربعة عشر مليون نسمة، وتعد الملايو بؤرة توزيع الإسلام في جنوب شرقي آسيا.

ومما يجدر ذكره أن الإسلام قد جاء إلى هذه المناطق عبر الطريق البحرى، وذلك لأن العوامل الجغرافية الطبيعية (كجبال هملايا الشاهقة) قد حالت دون انتشاره بالطريق البرى، وكانت حضر موت محور الطريق البحرى ومركز إرسال الدعوة الإسلامية والمسلمين إلى جنوب شرقى آسيا، كما كانت شبه جزيرة الملايو تمثل مركز استقبال لهذه الدعوة.

وفي هذا القطاع تقع الجزر الأندونيسية التي تعد طليعة التجمع الإسلامي في العالم، إذ يمثل المسلمون نحو ٩٢٪ من السكان البالغ عددهم ١٤٥ مليون نسمة، وتقع جزر الفلبين كذلك في الطرف الشرق للقطاع، ويسميها الجغرافيون أرض الشمس المشرقة في العالم الإسلامي، وفيها يستقر عدد كبير من المسلمين يعرفون باسم «المورو» وهي تسمية أطلقها عليهم المستعمرون الأسبان على نحو ما عرفوا به المسلمين في إسبانيا والمغرب وجزيرة مدغشقر، وسيلان.

ويتراوح عدد المسلمين في الفلبين مابين ٨ـ٩ ملايين مسلم، ويتركزون في الجزر الجنوبية مثل منداناو وصولو، ومسلمو الفلبين يتألفون جنسيا من عنصرين رئيسيين

المـلايو المهـاجرون الذين دخلوا الإسلام بعد القرن الخامس الهجري، وقبائل الناجال الوطنية التي أسلمت على أيديهم في القرن الثامن الهجري.

رابعا ـ خريطة العالم الإسلامي السياسية:

يوجد المسلمون في أكثر من سبع وخمسين دولة موزعين على خريطة العالم، وتتفاوت أعدادهم من دولة إلى أخرى، ومن هذه الدول دولة واحدة في أوربا، وخمس وعشرون في آسيا، وسبع وعشرون في إفريقية، ولا تخلو كذلك دولة من دول العالم الجديد من إسلام المهجر والمشرّدين.

(أ) دول أسلاميــة :

يبلغ عدد الدول الإسلامية سبعا وخمسين دولة في العالم واحدة منها في أوربا هي البانيا والبقية موزعة بين آسيا وإفريقيا، وهي تسع وعشرون في آسيا وست وعشرون في إفريقية، وهي في مجموعها تفوز بأكير من نصف عدد المسلمين في العـالم بكثير، بل مايقرب من تسعة أعشار مسلمي العالم، حيث يصل تعداد المسلمين فيها إلى حوالي تسعمائة مليون مسلم وفي هذه الدول قل أن يخلو الأمر فيها من أقليات دينية إذ أنه من النادر أن توجد دولة إسلامية يصل فيها عدد المسلمين الى مايقرب من مجموع سكانها كما هي الحال في المملكة العربية السعودية حيث تصل نسبتهم إلى ٩٩ر١٪ والصومال الى ٩٩٪ وتركيا الى ٩٨ر٩٪، والأغلب أن تؤلف الأقليات الدينية نسبة تتراوح من ٥ـ١٠٪ من عدد السكان، كما هي الحال في مصر والعراق مثلا، وقد تصل الى حوالي الربع كالوضع في السودان أو إلى الثلث كالنسبة الموجودة في ألبانيا.

وتوجد أهم التجمعات الإسلامية في العالم العربي حيث يمثل الإسلام في هذه المجموعة الدين الرسمي لهذه الدول، سواء نص على ذلك دستوريا أم لم ينص عليه.

ومهما كان الأمر فان الاستعمار قد بذر فكرة الطائفية وغذّاها وجعل منها هدفا للتفرقة، اذ بدأ يشجع أبناء عقيدته ويدعمهم واستغل ذلك لتفتيت الشعب وفي الوقت نفسه الذي فتح فيه باب التنصير والإرساليات والمدارس الدينية النصرانية، وغير ذلك من الوسائل التي تخدم أغراضه ونحن لاننسى هنا الأقليات الدينية

النصرانية التي زرعها في العالم العربي، ليقوى بها شوكته مثل الأرمن والمالطيين والقبارصة واليونانيين ثم اليهود، وكان هذا التصرف يبدو واضحا في كل من مصر والسودان وبلاد الشام.

أما التجمع الثاني الكبير للدول الإسلامية فيتمثل في كل من أندونيسيا، وأفغانستان، وإيران، وتركيا، وباكستان، وهذه الدول يمثل الإسلام دورا أساسيا في وجودها السياسي فهي تنتسب للإسلام أصولا ونشأة وكيانا، بل إن إحداها جعلت من اسمها جمهورية باكستان الإسلامية، والذي يتتبع هذه الدول يجد أنها ظهرت على مسرح السياسة العالمية على دعوة الإسلام واستظلت بظله في كل تحركاتها وعلاقاتها الدولية ونحن لاننسى وقف تركيا إبان فترة أمجاد الدولة العثمانية، وكيف كانت مقرا لخلافة المسلمين، ثم اصرارها على حمل لواء الزعامة في العالم الإسلامي، رغم ماوصلت اليه من ضعف وتدهور في المرحلة الأخيرة من أيامها، وذلك حتى تبقى على البقية الباقية من نفوذها.

(ب) دول الأقليات الإسلامية :

وهي وإن كانت تضم نسبة محدودة من قوة المسلمين العددية إذ تتراوح نسبة المسلمين بين الأقليات الكبيرة والأقليات الصغيرة، ففي بعض هذه الدول تزيد نسبة الأقلية الإسلامية على ثلث عدد السكان أو تقرب من النصف مثل أوغنده، والغابون.

ويختلف وضع الأقليات الإسلامية من دولة إلى دولة، فالأقليات الكبيرة تتطلع الى المشاركة في الحياة السياسية والاقتصادية والدينية بحيث تعمل على نشر الإسلام وكسب أعداد جديدة إلى صفوفه، وفي أكثر الجهات تتعرض الأقليات الإسلامية للضغوط والحكم القسرى.

والجدير بالذكر أن دول الأقليات الإسلامية في إفريقية تمثل حاليا الوحدات التي يزحف فيها الإسلام بقوة، والتي يرجح أن له فيها توسعا كبيرا.

ويتوقف دور المسلمين السياسي في هذه الدول على قدر نسبتهم فيها.

وعلى العموم فان دور الإسلام السياسي في دول الأقليات الإسلامية يختلف من مكان إلى آخر فهو ينزع إلى الاستقلال كما هي الحال بالنسبة للمسلمين في

كينيا ويهدف أبناؤه لنشر الدين والقيام بدور الداعية في هذا السبيل لكسب أعداد جديدة إلى الأسلام.

وفي مناطق اخرى اصطدمت تطلعات المسلمين بسياسة الدولة التي يعيشون فيها فتعرضوا لغضبها، كما حدث في غانا عند ماقررت حكومتها إلغاء الحزب الإسلامي فيها.

وهناك أقليات إسلامية تعيش تحت وطأة الحكم العسكري وتعامل من جانب الدول التي تحتويهم بالعنف والبطش ففي جنوب شرقي آسيا مثلا، وفي جزر الفلبين بالذات حاول المسلمون فيها القيام بحركات جهاد لتحسين أوضاعهم وتحرير رسالة الإسلام من الخوف والاستبداد، ولكن حركتهم هذه قوبلت بمذابح وحشية ولاتزال حتى اليوم تقاوم بشدة.

وفي الهند وجد المسلمون أنفسهم يذوبون داخل الكيان السياسي للبلاد، وأنه لامفر للملايين منهم من الضياع داخل هذا الكيان، وهم يحاولون باستمرار الخروج من هذا المصير المحتوم ولكن حركاتهم تقابل بالقوة، وغالبا ماتضطرهم الحكومة الهندية للهجرة الى باكستان تخلصا من مشكلاتهم ـ على زعمها ـ وأحيانا تتعقد الأمور بين المسلمين والهندوك في شبه القارة الهندية فيصل هذا التعقيد إلى ذروته فتنشب الحروب بين الفريقين، وما الحروب الأخيرة التي دارت منذ أعوام ونتج عنها انفصال إقليم بنغلاديش لون من ألوان تفاقم الموقف بين الفريقين.

وأما قبرص فتبلغ نسبة الأقلية الإسلامية فيها مايزيد قليلا على خمس عدد السكان في الجزيرة ورغم أن المسلمين أقلية إلا أن حركتهم الانفصالية التي تطالب بتقسم قبرص تشتد ولاتعرف الاستكانة.

١ ــ جـزيـرة العـــرب

سكن جزيرة العرب من القديم جماعات من البشر في عدة مناطق منها ماباد مثل طسم وجديس في نجد (اليمامة)، وعاد (قوم هود) في الأحقاف، وثمود (قوم صالح) في وادي القرى، ومدين (قوم شعيب) في الشمال الغربي من الجزيرة في بلاد مدين. وقامت فيها بعض المراكز الحضارية مثل مكة، والطائف، ويثرب في القسم الغـربي، وحجـر (الرياض) في الوسط، ودومة الجندل في الشمال. كما تأسست فيها بعض الممالك مثل معين، وسبأ، وحمير في بلاد اليمن، وكنده في الوسط في القسم الجنوبي منه.

وجاء الإسلام، وعمّ جزيرة العرب في عهد رسول الله ﷺ، ثم نجم النفاق وحـدثت الـردة بعـد وفاة رسول الله ﷺ. وقام أبو بكر رضي الله عنه فقاتل المـرتديـن ومـانعي الـزكاة وأعاد الإسلام إلى الجزيرة، وانطلق بالمسلمين إلى الفتوحات، وخرجت أعداد كبيرة من الجزيرة للجهاد في سبيل الله، واستقرت جماعات منها في البلدان المفتوحة. وتتابعت الفتوخات في العهد الراشدي الذي كانت المدينة المنورة حاضرته ومكان انطلاق المجاهدين، باستثناء مدة قصيرة كانت الكوفة قاعدة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في أواخر عهده.

وفي العهـد الأموي انتقلت عاصمة المسلمين إلى دمشق .... وبعد وفاة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما حدثت بعض القلاقل في الجزيرة العربية أيام ابنه يزيد، إذ ضربت المدينة، وحوصرت مكة المكرمة، ولم يلبث أن توفي يزيد في دمشق، وقام أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما في مكة ودانت له الجزيرة، ثم انفصل الخوارج، وسيطروا على اليمامة والبحرين. ثم صفا الجو لعبد الملك بن مروان بعد مقتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما في مكة، وعادت الجزيرة جزءاً من الدولة الإسلامية الواسعة التي عاصمتها دمشق. كما انتهى عبد الملك من الخوارج في شرقي الجزيرة. ولما ضعفت الدولة الأموية طمع بنو حنيفة بالاستقلال في نجد، وطلب المهير بـن أبي سلمى ابن هلال الحنفي من والي بني أمية على المنطقة وهو (علي بن المهاجر) مغادرة المنطقة فرفض، فجمع

المهير جيشاً وساربه إلى الوالي في (حجر) قاعدة المنطقة إلا أنه هزم، وعند موته استخلف عبد الله بن النعمان الذي كان ضعيفاً فاستطاع يزيد بن عمر بن هبيرة أن يخضع نجداً، وأن يرسل ابنه المثنى والياً عليها عام ١٢٨هـ ، وقد بقي حتى قامت دولة بني العباس.

عيَّن السفاح عمه داود بن علي والياً على جزيرة العرب إلا أن هذه الولاية كانت اسمية، وخاصة نجد التي بقي فيهاالوالي الأموي المثني بن يزيد بن عمر بن هبيرة. ولما توفي داود بن علي أرسل السفاح مكانه زياد بن عبيد الله الحارثي فوصل إلى المدينة، وأرسل إلى نجد إبراهيم بن حسان السلمي فقتل المثنى ودانت الجزيرة كلها للعباسيين.

قامت بعض التمردات مثل تمرد بني نمير عام ٢٣٢هـ أيام الواثق، ولكن قضي على هذا التمرد بسرعة، ومن ثم ضعفت الدولة العباسية.

قام في الحجاز إسماعيل السفاك بن يوسف الطالبي عام ٢٥١ هـ في الحجاز ولما توفي في العام الثاني ٢٥٢هـ قام بعده أخوه محمد الأخيضر بن يوسف، ولما كثرت تعدياته أرسل له العباسيون جيشاً فانهزم وسار إلى نجد وأسس فيها الدولة الأخيضرية التي قاعدتها الخضرمة.

خضعت الحجاز للدولة الطولونية عام ٢٥٤ هـ واستمروا في حكمها حتى عام ٢٩٠ هـ حيث عاد العباسيون، ولكن القرامطة عاثوا الفساد في الحجاز في هذه الآونة وأخذوا الحجر الأسود إلى مدينتهم هجر عام ٣١٧ هـ .

ووصل نفوذ الإخشيديين إلى الحجاز عام ٣٣٠ هـ وبعد خمسة أعوام عاد الأخيضريون إلى الحجاز، ولكن أنهى القرامطة حكم الأخيضريين هناك عام ٣٥٠ هـ ، بينما أبقوه في نجد.

وجاء الفاطميون عام ٣٥٩ هـ وأجلوا القرامطة عن الحجاز، واستمروا فيها حتى جاء السلاجقة عام ٤٦٣ هـ ، وورثهم الأيوبيون عام ٥٦٧ هـ ، ثم المماليك عام ٦٥٠ هـ ثم جاء العثمانيون عام ٩٢٣ هـ .

هذا بالنسبة إلى الحكومات أو الدول الأساسية، أما الحكم فقد كان بيد أسر تعود إلى بني الحسن بن علي بن أبي طالب عادة، فقد حكم الحجاز بعد زوال

القرامطة عام ٣٥٩ هـ أسرة بني موسى، وتنتسب إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما، واستمر أمرها حتى عام ٤٥٣ هـ، ويعد أمراؤها من عمال الفاطميين. ثم آل أمر الحجاز إلى أسرة بني فليتة، ويعودون أيضا في أصلهم إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبقوا في إمارتهم حتى عام ٥٩٨ هـ، وكانوا عمالاً للفاطميين ثم للسلاجقة. وجاء الأيوبيون أيام السلاجقة.

وفي عام ٥٩٨ هـ جاء أمير ينبع أبو عزيز من بني قتادة فقضى على حكم بني فليتة وأسس أسرة حكمت الحجاز حتى عام ١٣٤٢ هـ (١٩٢٤ م)، وكان آخر أشرافها الحسين بن علي وابنه علي.

كانت شرافة مكة أيام أسرة بني قتادة قوية تصل إلى عسير أحياناً، وتنكمش عنها أحياناً أخرى فيحتل العسيريون أجزاء من أطراف الحجاز، وقد تتنازع الحجاز واليمن على عسير، كذلك كانت تمتد سلطة بني قتادة أحياناً إلى نجد فتدين لهم الإمارات بالطاعة أو تقف في وجههم إمارات أخرى، ولربما وصل نفوذ هؤلاء الأشراف إلى البحرين.

وعندما قامت الدعوة السلفية في نجد وقفت شرافة مكة في وجهها في الحجاز ووقع قتال بين الطرفين، أما الإمارات الصغيرة الواقعة بين نجد والحجاز فكانت تارة تعاون الحجاز إذا وجدت في ذلك مصلحة لها، وتقاتل نجدا، وتنضم أحياناً إلى نجد ضد الحجاز إذا وجدت كفة نجد هي الراجحة.

أما نجد فقد انتهي حكم الأخيضريين فيها بزوال دولة القرامطة التي قضى عليها السلاجقة الذين سيطروا على بغداد عام ٤٤٧ هـ، وقضوا على نفوذ البويهيين الذين كانوا من الشيعة، كما قضوا على الحركات الشيعية الأخرى التي كانت تسيطر على أجزاء واسعة من العالم الإسلامي، منها المتطرفة أمثال القرامطة، والحمدانيين في حلب، والفاطميين في مصر، والبويهيين في بغداد، ومنها المعتدلة أمثال الأخيضريين في نجد، وزال حكم الأخيضريين من نجد عام ٤٦٧ هـ. وضعف الأمر في المنطقة، وانقسمت إلى امارات صغيرة لا يزيد بعضها أحياناً على مدينة واحدة وما حولها ووقوع الصراع بين هذه الامارات فكان بعضها يخضع إلى بعضها الآخر، وقد تمتد سلطة الحجاز إلى نجد أو يتسع نفوذ البحرين ليضم عددا من إمارات نجد، وأخيرا خضعت نجد اسمياً للدولة العثمانية ولكن

الإمارات المتعددة بقيت على حالتها والتنافس بينها استمر على طبيعته، ودام الأمر حتى ظهرت الدعوة السلفية وقامت الدولة السعودية.

أما البحرين (شرق الجزيرة العربية) فقد وفد إلى المدينة المنورة وفد بني عبد القيس في السنة السابعة للهجرة، وأسلموا. وعندما انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى ارتد في البحرين بنو بكر بن وائل، وثبت بنو عبد القيس، وتمكن المسلمون من إحراز النصر على المرتدين بمساعدة القوة التي أرسلها لهم الصديق رضي الله عنه بإمرة العلاء بن الحضرمي. واشترك سكان البحرين بالفتوحات، ووصل بنو عبد القيس الى الهند بالقرب من بومباى وإلى سيلان في غزواتهم، وكانت آخر غزوة لهم في العهد الراشدي أيام علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث ساروا بإمرة الحارث بن مرة العبدي وحصلوا على النصر وأصابوا مغانم كثيرة.

وفي العهد الأموى سيطر الخوارج بإمره نجدة بن عامر الحنفي على البحرين، وقد اتخذ القطيف قاعدة له. ثم ولي مكانة أبو فديك أحد أنصاره السابقين، وهو من الخوارج أيضاً، واستمر في حكمه حتى أرسل له عبد الملك جيشاً قضى عليه عام ٧٣ هـ . وخرج بعد وفاة عبد الملك مسعود بن أبي زينب العبدي، ولكن مسعوداً لم يلبث أن قتل في معاركه مع الأمويين، وصار أمر الخوارج من بعده إلى هلال بن مدلج، وثار بالخوارج المهير بن أبي سلمى بن هلال واستولى على البحرين، وفّر منها واليها علي ابن المهاجر . . . وعندما مات المهير خلفه عبد الله بن النعمان، إلا أن الأمويين ولوا على اليمامة المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة فاستطاع ضم البحرين إليها.

وفي العهد العباسي كانت ولاية الجزيرة إلى داود بن علي عم الخليفة السفاح، ولكن كانت ولايته اسمية وبقيت البحرين تحت سلطة المثنى بن يزيد، وعندما توفي داود بن علي تولى أمر الجزيرة زياد بن عبيد الله فاستطاع أن ينتصر على المثنى، وأن يضم البحرين إليه.

وثارت البحرين على المنصور بإمرة سليمان بن حكيم العبدي عام **١٥١ هـ** إلا أنه قتل بعد ستة أعوام وعادت البحرين تخضع للعباسيين حتى عام **١٩٠ هـ** حيث خرج فيهـا سيف بن بكـير العبدي ولكنه قتل. وعندما **ضعفت الدولة**

العباسية بعد أيام المتوكل أصبح للبحرين تاريخ منفصل وإن بقيت اسمياً تتبع الدولة العباسية.

ومنذ عام ٢٤٩ هـ بدأت حركة الزنج في منطقة البحرين بمدينة هجر، وتبعتها حركة القرامطة منذ عام ٢٨١ هـ وكان مقرها مدينة القطيف، واستمرت دولتهم حتى عام ٤٦٧ هـ، ومن البحرين امتدت الى أرجاء واسعة حتى وصلت إلى بلاد الشام.

وجاءت بعد القرامطة الدولة العيونية، وبقيت حتى عام ٦٤٢ هـ إذ خلفهم بنو عقيل في حكم البحرين، واستمروا في سلطتهم حتى وصل البرتغاليون إلى المنطقة وقتلوا مقرن بن أجود بن زامل عام ٩٢٧ هـ، ولكن بقي بعض زعماء بني عقيل يحكمون تحت إشراف البرتغاليين.

وجاء العثمانيــون فحكموا البحرين منذ عام ٩٤٥ هـ، ثم عاد البرتغاليون ثانية واحتلوا القطيف، وهجر، وجزيرة أوال، وتاروت، وسيهات، غير أنهم هزموا ثانية أمام العثمانيين عام ٩٤٤ والذين بقوا في البحرين حتى عام ١٠٨١ هـ حيث استقل بنو خالد، واستمروا في وضعهم حتى عام ١٢٠٨ حيث جاء السعوديون الذين بدأت غاراتهم على المنطقة منذ عام ١١٦٦ هـ، كما أنهم كانوا يغيرون أيضاً على نجد من جهةٍ ثانية.

أما عسير فقد كانت جزءاً من الحجاز وأحياناً تتبع اليمن مدة الخلافة الراشدية والأموية، وكانت موطن قبائل أزد شنوءة، فلما دالت دولة بني أمية، وقامت دولة بني العباس، وبدأت ملاحقة الأمويين فّر عدد من أمراء بني أمية إلى جهات مختلفة، ومنها عسير، فقد سار إليها علي بن محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وتحالف مع قبائلها، واستطاع بعد مدة وجيزة أن يكــون صاحب الكلمـة المسمـوعة، وصاحب النفوذ، ثم ثار ضد الخليفة العباسي الثالث محمد المهدي، فاتجه إليه الجيش العباسي السائر إلى اليمن بقيادة عبدالرحمن الغامدي فقتله عام ١٦٩ هـ، وضعف شأن أهله من بعده إلا أنهم تماسكوا وعاد لهم نفوذهم، وبقوا سادة المنطقة، وإن كانت الخلافات تقع أحياناً بين أفراد هذه الأسرة، كما حدث عام ٦٥٢ هـ إذ اختلف صقر بن حسان مع ابن عمه علي بن إبراهيم، وفي خلال هذه الخلافات يضعف أمرهم، فإذا كانت

قوة الحجاز قوية سيطرت على المنطقة، وإن كانت اليمن قوية ساد نفوذها أو اختلفت اليمن والحجاز على المنطقة، وإن كانت كلتاهما ضعيفة مثل عسير فإن كل منطقة تبقى بحالتها لا تتفرغ لغيرها ولا تهتم بشؤون خارج دائرتها الى أن يقوى أمر إحداهما. واستمر وضع عسير هذا حتى انتشرت في ربوعها الدعوة السلفية، واصطدم أتباعها بأمير المنطقة من آل يزيد محمد بن أحمد بن محمد فقتلوه عام ١٢١٦ هـ وأصبح محمد بن عامر المتحمي من أتباع الدعوة السلفية سيد المنطقة، ولكن أفراد الأسرة الأموية قد انضموا إلى الدعوة السلفية وأخلصوا لها فعادت إليهم إمرة المنطقة، ومنهم سعيد بن مسلّط، وعلي بن مجثّل، وعائض بن مرعي، الذي أسس أسرة حكمت المنطقة، وانتهت عندما قامت الدولة السعودية الثالثة عام ١٣٤٢ هـ .

هذه المناطق الأربع: الحجاز، ونجد، وعسير، والمنطقة الشرقية تشمل أكثر أجزاء الجزيرة العربية، ومنها تشكلت المملكة العربية السعودية التي سنتحدث عنها الآن، أما بقية الأجزاء فستتحدث عن تطورها - إن شاء الله - عندما نتحدث عن الدول التي قامت فيها.

أ — المملكة العربية السعودية

كانت الفوضى تعمّ أرجاء الجزيرة العربية كلها في مطلع القرن الثاني عشر الهجري، بل كانت أحوال العالم الإسلامي على حالة لايحسد عليها أهله. ومن هذه المناطق نجد بصفة خاصة فالفوضى السياسية قائمة ففي كل بلد أمير، وفي كل ناحية حاكم يأخذ مايحلو له من الثمار، وقد يأتي شريف مكة فيفرض نفوذه، وقد يسير حاكم الأحساء فيخضع الأمراء لسلطانه، وهم يتبعون له، ويغزو بعض الأمراء بعضاً، ويعتدي الجوار بعضهم على بعض، وغارات البدو لا تنقطع، وتسلّط القبائل وشيوخها على الحضر لاينتهي، وانتشار اللصوص في كل مكان لاحدود له، ووجود الخراب في الطرقات والدروب.

ولا يقل الجهل في الأمور الدينية عن الفوضى في النظام فتقديس القبور

والمظاهر الخاصة بذلك قائمة، والتعامل بالربا، وارتكاب الفواحش، والإكراه على تزويج البنات، وانتشار الخرافات، والتوسل بغير الله من أضرحة الصالحين الأولياء، والاعتقاد ببعض الأشجار والأحجار بأنها تكون سبباً في إنجاب الأولاد، أو إيجاد الزوج، وحفظ النسل إذا قام الطالب عندها ببعض التصرفات... كل هذا كان قائماً وزيادة من الأمور التي يجد المرء صعوبة في ذكرها، وكان لابّد من منادٍ للإصلاح وشاء الله أن يكون هذا المنادي الشيخ محمد بن عبدالوهاب التميمي المولود في بلدة العينية[1]عام ١١١٥ هـ، وكان أبوه قاضياً فيها، ثم انتقل إلى حريملاء[2] لاختلافه مع أمير العينية ابن معمر، وارتحل ابنه معه وذلك عام ١١٥٣ هـ، وقد انصرف إلى التأليف حسب نصيحة والده الذي لم يلبث أن توفي، فقام ابنه يدعو الناس إلى ترك مادخل على الدين من بدع وخرافات، والتمسك بما كان عليه السلف الصالح، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ووجد أن الجو في حريملاء لايناسبه فقرر العودة إلى العينية، وساعده أميرها عثمان بن معمر في نشر دعوته، وقطعت الأشجار التي كان يتبرك بها الناس، إلا أن ابن معمر لم يلبث أن تنكر للشيخ بناء على طلب حاكم الأحساء سليمان بن محمد بن غرير الذي كان ابن معمر يتبع له، ويتقاضى منه راتباً، فطلب ابن معمر من الشيخ أن يغادر بلده فارتحل إلى الدرعية[3] عام ١١٥٧، وكان أميرها محمد بن سعود منذ عام ١١٣٩ هـ، فاستقبله ودعمه، ومنعه، وبدأ دعوته فغدت الدرعية مركزاً دينياً ومقراً للنشاط. وبدأت إمارة محمد بن سعود تتوسع وتأسست الدولة السعودية الأولى.

الدولة السعودية الأولى:

ضمت إمارة الدرعية إليها العينية وحريملاء وبعض المناطق، ووقعت صدامات مع الرياض، ومع حاكم نجران، والأحساء، وبعض الأمراء الآخرين، وكان قائد جيوش الدرعية عبد العزيز بن محمد بن سعود.

توفي محمد بن سعود عام ١١٧٩ هـ بعد أن ضم إليه العارض عدا الرياض،

(١) العينية بلدة شمال الرياض تبعد عنها أربعين كيلو متراً.
(٢) حريملاء بلدة شمال الرياض على بعد ثمانين كيلو متراً.
(٣) الدرعية بلدة شمال الرياض على بعد عشرين كيلو متراً منها.

وأكير بلاد الخرج، وحائر، والوشم، والمحمل، وسدير. وخلفه ابنه عبد العزيز فضم الرياض عام ١١٨٧ هـ ، والقصيم، والأحساء عام ١٢٠٨ هـ (١٧٩٧ م) ومكة والطائف عام ١٢١٧ هـ (١٨٠٢ م)، ووصلت إمارته الى جنوبى العراق، ودخل كربلاء، كما وصلت إلى جنوب بلاد الشام، وكان ابنه سعود قائد جيوشه، وفي عام ١٢١٨ هـ (١٨٠٣ م) طعن بيد شيعية وهو يصلي صلاة العصر.

تولى ابنه سعود الحكم بعده، وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد توفي عام ١٢٠٦ هـ (١٧٩١ م)، فغزا سعود جنوبي العراق في أواخر عام ١٢١٨ هـ (١٨٠٣ م)، ثم عام ١٢٢٠ هـ (١٨٠٥ م) وعام ١٢٢٣ هـ (١٨٠٨ م)، وأرسل ابنه عبد الله في غزو آخر عام ١٢٢٥ هـ .

وانتشرت الدعوة السلفية في عسير، وكان أميرها محمد بن عامر، وتمكن من قتل أميرها عام ١٢١٦ هـ (١٨٠١ م) وهو محمد بن أحمد بن محمد، ودخلت الحجاز في الطاعة، وأغار على أطراف الشام فوصل إلى مزيريب وبصرى وذلك عام ١٢٢٥ هـ (١٨١٠ م)، ومن ناحية الشرق وصلت الدعوة إلى عمان التي كانت تدخل في الطاعة بعض الأحيان، وتنقض العهد أحياناً أخرى. وهكذا دانت أكثر الجزيرة العربية إلى سعود، ولم يبق منها خارجاً عن الطاعة سوى جزيرة البحرين، وبعض مراكز النفوذ الانكليزي. إذ كانت الأحساء قد دخلت في الطاعة منذ عام ١٢٠٨ هـ (١٧٩٧ م)، واستولى طامي بن شعيب على تهامة، وكان يومها أمير عسير، كما أن إمام صنعاء المنصور وابنه المتوكل قد هادنا سعوداً واستجابا إلى شيء من الدعوة السلفية.

تأثرت الدولة العثمانية من الوضع الذي آلت إليه الجزيرة العربية، ولم يقو ولاتها في الشام والعراق على الوقوف في وجه الدولة السعودية، بل إن الدعوة السلفية قد بدأت تنتشر في كل مكان. فكلفت الدولة محمد علي باشا بقتال السعوديين ومحمد علي صاحب أطماع وتخافه الدولة العثمانية التي رأت ضربه بالسعوديين وضربهم به، وأعطته ولاية جدة ليبدأ الاحتكاك. فأرسل محمد علي باشا مندوباً له إلى الجزيرة العربية يستطلع الأوضاع الداخلية، ويتعرف على أحوال القبائل، ويتصل بالشريف غالب بن مساعد شريف مكة الذي صالح السعوديين، وأقرّ لهم بالطاعة وهل كان ذلك عن قناعةٍ وعقيدةٍ أم عن ضعف وخوف . ، ووصل

المندوب إلى الجزيرة بنية العمرة، ودخل مكة والتقى بالشريف فوجده على حذرٍ شديداً من السعوديين ويتربص بهم الدوائر، وهذا ما شجع محمد علي لحرب السعوديين.

أرسل محمد علي حملة قوامها ثمانية آلاف من المشاة وألفان من الفرسان مع ماتحتاجه من عمال وفنيين وطهاة وغيرهم، وكانت بقيادة ابنه أحمد طوسون الذي لم يتجاوز السادسة عشر من عمره، والذي سار مع الفرسان براً، وانتقل المشاة بحراً فسقطت مدينة ينبع بأيديهم عام ١٢٢٦ هـ (١٨١١ م)، ثم اتجهوا نحو المدينة المنورة حسب نصيحة الشريف غالب الذي تنكر للسعوديين وقدّم خدماته كلها لجيش محمد علي.

وتقدم السعوديون بقوةٍ قوامها خمسة عشر ألفا، وقد انضم إليها أمير الطائف عثمان المضايفي وأمير عسير طامي بن شعيب، وانتصروا على الحملة المصرية في موقع الصفراء... إلا أن النجدات قد وصلت إلى طوسون بناء على طلبه، وأعاد الكرة وحاصر المدينة المنورة عام ١٢٢٧ هـ (١٨١٢ م) وتمكن من أخذها، وسار بعدها إلى مكة المكرمة وجدة فدخلهما بمعونة الشريف غالب، وأسر الأمير عثمان المضايفي.

وجاء محمد علي بنفسه الى مكة ليكون على مقربه من ميدان الأحداث وأقام فيها مدة، وقبض في أثناء ذلك على الشريف غالب وأمر بنقله إلى مصر، ثم إلى سالونيك باليونان حيث بقي فيها حتى مات بها.

أراد المصريون التقدم نحو نجد فهزموا في (الحناكية) شرق المدينة، كما هزموا على محور الطائف مرتين في (تربة)، وأرسلوا حملة إلى عسير عن طريق القنفذة فهزمت كذلك، وفي زحمة هذه الأحداث توفي سعود بن عبدالعزيز وخلفه ابنه عبد الله عام ١٢٢٩ هـ (١٨١٤ م).

حاول المصريون تطويق عسير فهزموا من كلا الجانبين من الغرب ومن الشمال، ولكن في الوقت نفسه هزم السعوديون الشرق الطائف في (بسل) وكانوا بإمرة فيصل بن سعود، وكانت هزيمة منكرة فبدأ محمد علي يطاردهم، ويشنّ حرباً على القرى التي بدأت تستسلم للمصريين من الخوف الذي أصاب أهلها من ظلم محمد علي وطغيانه.

وتمكن المصريون من هزيمة عسير، وأسرطامي بن شعيب أمير المنطقة، ونقله مكبلاً إلى مصر ومنها إلى استانبول حيث صلب هناك.

وتقدم طوسون من المدينة شرقاً، ووصل إلى (الرس)، واستقر بالخبراء، والتقى بالسعوديين لكن صلحاً عقد بين الطرفين يقضى بوقف القتال، وانسحاب المصريين من نجد التي يستقل آل سعود بحكمها. وبقاء الحجاز لمحمد علي، وعدم منع أي حاج من تأديته فريضته. ورحل المصريون عن نجد، وسافر طوسون الى مصر، إلا أن محمد علي قد رفض الصلح، وسير حملة بإمره ابنه ابراهيم باشا، فالتقى بالسعوديين في شرق المدينة فانتصر عليهم، وتابع حتى دخل مدينة الدرعية مقر حكم آل سعود، وسلم عبد الله بن سعود نفسه في ذي القعدة من عام ١٢٣٣ هـ (١٨١٨ م). فأخذ إلى مصر، ومنها إلى استانبول حيث أعدم هناك، كما نقلت أعداد من آل سعود و آل الشيخ الى مصر، وهرب من تمكن منهم من الهرب، واختفى من اختفى، وهدمت الدرعية، وعاد إبراهيم باشا إلى القاهرة عام ١٢٣٥ هـ (١٨٢٠ م).

وانتهت الدولة السعودية الأولى بعد أن توالى على حكمها أربعة حكام.

وعادت الفوضى إلى نجد، ورجعت الإمارات الصغيرة، وبقى آل خالد زعماء الأحساء في مركزهم، وتسلّط الأشراف من جديد على الحجاز. وبعد أن رحل إبراهيم باشا عن الدرعية انقض عليها أمير العينية محمد بن مشاري بن معمر وأخذ البيعة لنفسه، ثم تنازل لمشاري بن سعود الذي هرب من قافلة الأسرى وبايعه، لكنه لم يلبث أن قاتله وأسره وسلمه إلى الأتراك فقتلوه، وعاد ابن معمر يحكم الدرعية، وسار إليه تركي بن عبدالله[٤] فقتله عام ١٢٣٦ هـ (١٨٢١ م)، وجاءته قوة تركية دخلت الرياض فاضطر أن يغادرها عام ١٢٣٧ هـ (١٨٢٢ م)، ثم رجع إليها وانتصر على الترك عام ١٢٤٠ هـ (١٨٢٥ م).

الدولة السعودية الثانية :

استقر تركي بن عبد الله بالرياض، وأطاعه أهل نجد جميعاً، كما انتصر على بني خالد في المنطقة الشرقية فبايعته، وهكذا عادت الدولة السعودية من جديد، ولكن أصبح مقرها الرياض.

(٤) تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود هرب إلى الخرج وتحصن فيها عندما كان إبراهيم باشا يحاصر الدرعية، ثم حكم الرياض أيام ولاية ابن عمه مشاري بن سعود، ثم غادرها بعد عودة ابن معمر إلى الحكم.

فر من مصر مشاري بن عبدالرحمن (ابن اخت تركي) عندما وصل إليه خبر تأسيس الدولة السعودية الثانية على يد خاله، ووصل إلى نجد عام ١٢٤٣ هـ (١٨٢٨ م)، ثم تمكن فيصل بن تركي من الفرار أيضا، وكان عوناً لأبيه في توطيد دعائم الدولة، إذ كان قائد الجيوش.

كان فيصل بن تركي في المنطقة الشرقية يقاتل خصوم الدولة، ويحاصر الطائف وإذ يصل إليه مصرع أبيه في أواخر أيام عام ١٢٤٩ هـ (١٨٣٣ م) (٢٩ من ذي الحجة) على يد ابن أخته مشاري بن عبدالرحمن وتسلمه السلطة في الرياض، ففك الحصار عن الطائف، ورجع إلى الرياض، واستعاد الحكم بعد أن قتل عبد الله بن رشيد قاتل تركي في مطلع عام ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م)، وأصبح فيصل إمام الدولة، ودانت له البلاد كلها.

ضعفت قوة محمد علي في الجزيرة إذ ثار ضده شريف مكة، وهزم في عسير أمام آل عائض، وقام ضده أهل جدة، وقويت دولة آل سعود من جديد، فأراد أن يضرب بعض هذه الحركات ببعض، وأن يفرق الأسرة الواحدة. واستطاع أن يخمد ثورة شريف مكة يحيى بن سرور، وأن يعزله ويولي مكانة محمد بن عبدالمعين بن عون، كما سيطر على جدة، إلا أنه هزم في عسير. أما بالنسبة لنجد فقد أرسل حملة بإمرة خالد ابن سعود أخي الإمام عبد الله بن سعود الذي استسلم إلى إبراهيم باشا وأعدم في استانبول، ولعل في هذا الأمر تكون طاعة أهل نجد لخالد ذكرى لأخيه الامام، واستطاع خالد فصلاً دخول الرياض، وخرج منها فيصل إلى الخرج، ومنها إلى المنطقة الشرقية. وأصبح خالد بن سعود أمير نجد، وفي الوقت نفسه اتبع خالد سياسة محمد علي في تفريق الأسر، فقد عزل عن حائل أميرها عبد الله بن رشيد صديق فيصل، وولي مكانه عيسى بن علي.

ثار عبدالله بن ثنيان على خالد، واستطاع دخول الرياض، ففر خالد إلى الأحساء، ومنها إلى الكويت، فمكة وبقي فيها حتى مات. وكان الذي مكّن ابن ثنيان من النصر كره الأهالي لخالد. وبسط ابن ثنيان نفوذه، وساعده على ذلك ضعف حكومة محمد علي في مصر بعد هزيمته في الشام، وانحصر نفوذه في مصر بعد توقيع معاهدة لندن، فانسحب المصريون من الجزيرة وخلا الأمر لابن ثنيان في نجد حتى عام ١٢٥٩ هـ (١٨٤٣ م).

هرب فيصل من سجنة في مصر، وانتقل إلى الجزيرة العربية حيث مر على حائل، ونزل عند صديقة عبد الله بن رشيد، واتجه نحو الرياض فحاصرها ثم فتحت له أبوباها فقبض على ابن ثنيان وأودعه السجن حتى مات فيه عام ١٢٥٩ هـ (١٨٤٣ م)، واستعاد هو حكمة، إذ دانت له نجد ثم المنطقة الشرقية عام ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ م) وصالح شريف مكة محمد ابن عون الذي وصل إلى عنيزة في نجد.

امتد نفوذ الإمام فيصل على أكثر الجزيرة : فنجد والمنطقة الشرقية ضمن دولته، وعمان تدفع له الزكاة، وفي عسير حكومة آل عائض تؤيده وتدعمه، وقد شملت سلطتها تهامة وأكثر أرض اليمن، أما الحجاز فكانت تتبعالعثمانيين، ويُسيّر الأشراف ـ أمورها.

وكانت حكومة فيصل قويةً، والأمن موطداً، والاستقرار قائما، وتمتد من جنوب بلاد الشام شمالاً إلى الربع الخالي جنوباً ومن الحجاز وعسير غرباً حتى الخليج شرقاً، وكان فيصل يتقي العثمانيين بأن يدفع لهم أحياناً بعض الأموال أو يظهر لهم التبعية الاسمية، وكانت صلته حسنة بالانكليز الذين لم يعترفوا بأية تبعية للعثمانيين على فيصل.

توفي الإمام فيصل عام ١٢٨٢ هـ ، وله أربعة أولاد، وقد بويع عبد الله بن فيصل إماماً مكان أبيه، ولكن أخاه سعودا نافسه وثار في الخرج عام ١٢٨٣ هـ إلا أنه هزم فالتجأ إلى عسير، ولما لم يدعمه ابن عائض تركه، والتجأ إلى نجران فوجد مساعدة فحارب أخاه غير أنه هزم ثانية، فسار إلى المنطقة الشرقية، واحتمى بواحة البريمي، ولما قوي أمره عاد إلى حرب أخيه، فانتصر في هذه المرة، وغادر أخوه عبد الله الرياض، ولما لم يدخلها سعود فقد رجع إليها عبد الله.

زحف سعود إلى الرياض وتمكن من اقتحامها عام ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) فخرج منها عبد الله، واتجه إلى قبائل قحطان في الجنوب، وحاول العودة إلى الرياض إلا أنه هزم.

احتل العثمانيون المنطقة الشرقية فسار إليهم عبدالله وطلب مساعدتهم. وثار أهل الرياض على سعود وولوا مكانه عمه عبدالله بن تركي الذي تنازل بعد شهرين من حكمه لابن أخيه عبدالله الذي جاء من المنطقة الشرقية.

كان سعود بن فيصل قد فرّ إلى الخرج، وجمع جموعه وسار بهم إلى أخيه في الرياض فانتصر عليه، وفر عبد الله إلى الكويت ورجع سعود يحكم الرياض عام ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م).

حاول سعود دخول الأحساء ففشل، وطلب دعم الانكليز ففشل، واتفق الآن الأخوان سعود وعبدالله، وحاولا مهاجمة العثمانيين ولكن لم يفدهما هذا الاتفاق، وهزموا في الهجوم.

انسحب العثمانيون من الأحساء عام ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) بسبب ما أصابهم من أمراض، وقام فيها عبدالرحمن إماماً لهم، وأيده أبناء أخيه سعود في البداية، ثم اختلفوا معه وأخرجوه من الرياض وحكموها.

اتفق أبناء فيصل (عبد الله، محمد، عبدالرحمن) ضد أبناء أخيهم سعود، فحكموا الرياض، وتولى عبدالله الأمر للمرة الثالثة، وخرج أبناء سعود منها، ولكن في عام ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤ م) عاد النصر إلى جانب أبناء سعود فدخلوا إلى الرياض، وحكم محمد بن سعود، وسجن عمه عبد الله بن فيصل فسار من حائل أميرها محمد بن عبد الله بن رشيد الى الرياض بحجة إعادة عبد الله بن فيصل إلى الحكم، إلا أن ابن رشيد بعد أن دخل الرياض أبقى فيها حاميته تدير شؤونها بأمره وبقيادة سالم السبهان، وحمل معه عبد الله وعبدالرحمن بن فيصل بن تركي. وبعد مدة سمح ابن رشيد لابني فيصل بالعودة إلى الرياض التي سحب حاميته منها، ولكن لم يلبث أن توفي عبدالله بن فيصل بعد يومين من عودته وذلك عام ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م)، وأصبح عبدالرحمن هو الإمام المبايع. ولم يلبث ابن رشيد أن أرسل حملة انتصرت على أهل القصيم، وغادر عبدالرحمن الرياض إلى الأحساء فالقطيف، ومنها إلى الكويت، ثم الى قطر فالبحرين، وأخيراً سمح له أمير الكويت بالإقامة فيها، فانتقل إليها عام ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ م)، وأصبح آل رشيد حكاماً لنجد، وانتهت الدولة السعودية الثانية بعد أن سادها الخلاف مدة ربع قرن.

الدولة السعودية الثالثة : (المملكة العربية السعودية) :

وقع الخلاف بين أبناء الصباح في الكويت، إذ ثار أبناء إخوة الشيخ مبارك

عليه واتجهوا إلى العراق يطلبون مساعدتهم من الدولة العثمانية، فأوكلت الأمر إلى ابن رشيد في حائل لمساعدة هؤلاء ضد عمهم الذي تفاهم مع الانكليز.

كان عبدالعزيز بن عبدالرحمن يقيم في الكويت مع والده، فرأى أن يستفيد من الخصومة بين الشيخ مبارك وآل رشيد فطلب من الشيخ مبارك أن يرسله بقوة يحتل بها الرياض وينقذها من آل رشيد، كي تضعف قوتهم ويقاتلوا في جبهتين، فوافق الشيخ مبارك، وسار عبدالعزيز بقوة إلى الرياض عام ١٣١٨ هـ (١٩٠٠ م) وحاصرها غير أن هزيمة الشيخ مبارك اضطرته إلى العودة من حيث أتي، ولكنه سار في العام التالي ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م)، ودخل الرياض على حين غرة من أميرها وقتله في قصره، وتسلّم حكم الرياض، وبدأ يوسّع نفوذه فاحتل الوشم وسدير عام ١٣٢١ هـ (١٩٠٤ م) وبريدة وعنيزة عام ١٣٢٢ هـ (١٩٠٥م) وعلى بقية القصيم عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٧م) بعد مقتل أمير حائل في المعركة التي دارت بينهما في روضة مهنا، ثم تجدد القتال بعد صلح، وبعد خلافات حدثت في آل البيت الرشيدي، وأخيراً دخل عبدالعزيز بن عبدالرحمن حائل ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م) قبل عام ١٣٣١ هـ (١٩٣١ م) بعد أن ضعفت الدولة العثمانية إثر حروب البلقان.

اصطدم عبدالعزيز بن عبدالرحمن مع شريف مكة الحسين بن علي الذي ثار على الأتراك أثناء الحرب العالمية الأولى وشعر بقوته، وتلقب باسم ملك العرب، وخاصة بعد أن حكم أولاده الأردن، والعراق، واستطاع السعوديون دخول الطائف عام ١٣٤٣ هـ بعد هزيمة (تربة) وتنازل الشريف حسين لابنه على عن الملك وغادر البلاد، ثم تمكّن السعوديون من دخلوا مكة المكرمة في العام نفسه، وانسحب علي بن الحسين إلى جدة، ثم تنازل عن الحجاز، ودخل السعوديون جدة والمدينة المنورة عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م) بعد حصار، وهكذا انتهى حكم الأشراف عن الحجاز التي أصبحت جزءاً من ملك السعوديين.

كما استطاع الجيش السعودي دخول أبها عاصمة عسير عام ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) وعاد آل عائض إلى الانتفاض على السعوديين ولكنهم هزموا عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢م) بعد معارك دامية، ونقل آل عائض إلى الرياض.

كما ضم عبد العزيز بن عبدالرحمن تهامة التي كان الأدارسة قد استقلوا فيها

عن الدولة العثمانية، وتحالفوا مع الطليان ثم مع الانكليز . . . وثار السكان ضد على الإدريسي فالتجأ إلى الرياض، وبايع أهل المنطقة عمه الحسن الذي فاوض انكلترا وأعطاها حق التنقيب عن النفط في جزر فرسان، كما فاوض إيطاليا، وإمام اليمن، ثم فاوض السعوديين ونجح في ذلك، وضمت تهامة إلى السعوديين عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م).

بويع عبدالعزيز أميراً على نجد بعد أن دخل الرياض عام ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م)، وأصبح سلطاناً على نجد وملحقاته بعد أن دخل حائل عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م)، وغدا ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاته بعد أن استولى على الحجاز عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م)، وبعد عام أصبح ملك الحجاز ونجد وملحقاته، وأخيراً في ١٧ جمادى الأول عام ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م) أصبح ملك المملكة العربية السعودية.

استفاد ابن سعود من جماعة أسماها «الإخوان» وتضم الجماعة المتدينين من أهل البادية الذين استقروا في الهجر التي أسسها لهم، وقد ضحت هذه الجماعة بكل شيء في سبيل نشر الدعوة ثم بدأالخلاف بينها وبين الملك عبدالعزيز، ودارت معارك بين الطرفين خرج عبد العزيز منها منتصراً، وقضى على خصومه.

وجرى الخلاف بين المملكة العربية السعودية واليمن على الحدود، وجرت مفاوضات بين الطرفين لحل هذا الخلاف غير أن اليمن قد احتلت جيزان وما حولها أثناء المفاوضات، فأرسل الملك عبد العزيز جيشاً بقيادة ابنه فيصل احتل (ميدي) و (الحديدة)، ثم تدخلت الدول العربية فتوقف القتال، وعقدت معاهدة الطائف عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٥ م) التي حددت الحدود بين الدولتين.

عمل الملك عبدالعزيز على تطبيق حدود الشريعة الإسلامية فساد الأمن، واستقر الوضع، ووجد النفط في المنطقة الشرقية من بلاده، فاتجهت أنظار الدول نحو الخليج أكثر من ذي قبل، واتفق مع الدول المجاورة ذات الشأن فرسمت الحدود، وعقدت المعاهدات لحسن الجوار، وتوفي عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م) فخلفه ابنه الأكبر سعود، حسب النظام القائم بحكم الولد الأكبر من أسرة الملك عبدالعزيز.

سار سعود بن عبد العزيز بالبلاد شوطاً، ثم انصرف عن الشؤون العامة فوقع الخلاف بينه وبين أخيه ولي عهده فيصل الذي كان نائبه على الحجاز، وبايع العلماء فيصلاً فنجح في نقل الملك إليه، وغادر سعود البلاد إلى أن توفي في مصر عام ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م).

قام الملك فيصل بالأمر وسار سيرة حميدة، ودعا الى التكتل الإسلامي، وفي عهده زادت خيرات البلاد مع زيادة الثروة النفطية، والحاجة الماسة للنفط الذي أصبـح شريان الحياة الاقتصـادية، ونعمت المملكـة بالـرخـاء، وسـار الأمن والاستقرار، واتسع العمل، وجلبت الأيدي العاملة من جهة، وقتل من قبل ابن أخيه مسـاعد في ربيع الأول عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م)، فاعتلى الحكم أخوه خالد، وبايعته الأسرة جميعها، واستمر في الحكم حتى عام ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) حيث توفي فجأةً، فخلف أخوه فهد بن عبد العزيز. ولقد لقب بخادم الحرمين الشريفين، وشهدت البلاد في عهده ازدهارا وتطورا في شتي المجالات وحظيت بسمعة ومكانة دولية إسلامية وعربية.

ب - اليمـــن

تقـع اليمن في جنـوبي الجزيرة العربية، وهي منطقة جبلية، تنالها الأمطار الصيفية الناشئة عن الرياح الجنوبية الغربية، لذا عرفت من القديم باسم بلاد العرب السعيدة، وعمل أهلها بالزراعة، وأقاموا الدول مثل معين، وسبأ، وحمير، ظهرت فيها بوادر الحضارة التي امتازت ببناء السدود مثل مأرب، وبناء القصور مثل رغدان. وكثر السكان فيها حتى وصلوا في عددهم إلى مايقرب من نصف سكان الجزيرة عامة.

ومع ضعف الدولة في اليمن بهجرة أعداد من سكانها من خراب سد مأرب، وانتقالهم إلى عمان (أزدعمان)، وإلى عسير (أزد شنوءة)، وإلى الحجاز (الأوس والخزرج) وإلى بلاد الرافدين (المناذرة)، وإلى الشام (الغساسنة)، تسلط الأحباش على اليمن، وانتشرت في أيامهم النصرانية، وكـان الـروم يدعمـون الأحباش ويشجعونهم على نشر النصرانية، كما انتشرت اليهودية، وأراد بعضهم الهجوم على بيت الله الحرام فرده الله صاغراً، وأهلكه وعدداً كبيراً من جيشه بإرسال الطير

الأبابيل عليهم.

وقـام بعض أبناء البلاد بمحاولة طرد الأحباش أمثال سيف بن ذي يزن، واستعانوا بالفرس على الأحباش، فنجحوا إلا أن نفوذ الفرس قد حل محل نفوذ الأحباش، واستمر ذلك حتى جاء الإسلام.

انتشر الإسلام في اليمن في عهد رسول الله ﷺ، وما أن انتقل الرسول الكريم من هذه الحياة الدنيا حتى بزغت قرون الردة، وقام الأسود العنسى متنبئاً وتبعه كثير من أهل اليمن فأرسل لهم الصديق رضي الله عنه الجيوش التي فرقت أمرهم فعاد إلى الإسلام من كتب الله له الخير، وقتل من قتل. ودخل أهل اليمن في الإسلام، وانطلقوا مع إخوانهم إلى الفتوحات وكان على أيديهم الخير الكثير.

وتوقفت الفتوحات الإسلامية بعد الخلاف الذي دبّ بين المسلمين، وبايعت اليمن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، وبعد مقتلة عادت فبايعت بني أمية حتى إذا دالت دولتهم بايعت بني العباس إلا أن امرهم كان فيها ضعيفاً لبعدها عن مركز الحكم، ولطبيعتها الجبلية، ولو عورة أرضها، وللسبب نفسه كانت ملجأ لكثير من الفارين من الحكم أو الثائرين عليه. فقد قامت فيها دولة بني زياد عام ٢٠٤ هـ ثم سيطر القرامطة على اليمن بقيادة علي بن الفضل عام ٢٩٢ هـ ونهبوا مدنها، وفعلوا الأفاعيل، واستباحوا المنكرات، وقاموا بكل رذيلة. وقام بعدئذ بنو نجاح وهم من مماليك بني زياد، وحكموا زبيد وملحقاتها عام ٤١٢ هـ وكان بنو يعفر يحكمون صنعاء من عام ٢٤٧ هـ وحتى عام ٣٨٧ هـ، بينما سيطر بنو صليح على صنعاء ٤٣٩-٤٩٢ هـ، وخلفهم بنو همدان حتى ٥٦٩ هـ. وآل أمـر زبيد إلى بنى مهـدي من ٥٥٤-٥٦٩ هـ. وتسلم آل زريع إمـارة عدن ٤٧٦-٥٦٩ هـ. أما صعدة فكانت تحت حكم دولة (بني رس) الشيعية التي قامت عام ٢٨٠ هـ.

وجاء الأيوبيون عام ٥٦٩ هـ فقضوا على عدد من الإمارات في اليمن، وجمعوا أمرها إذ أنهوا حكم بني همدان في صنعاء، وبني مهدي في زبيد، وبني زريع في عدن، واستمر أمرهم حتى عام ٦٢٦ هـ.

خلف بنـو رسـول الأيوبيين في اليمن، ودام حكمهم أكثـر من قرنـين ٦٢٦-٨٥٨ هـ، ثم قام بعدهم بنو طاهر واستمر أمرهم حتى عام ٩٣٢ هـ حيث

جاء المماليك إلى المنطقة لرد البرتغاليين عن ديار الإسلام ثم لم يلبث أن جاء العثمانيون للغاية نفسها.

حاول المماليك الوقوف في وجه البرتغاليين، وبنوا أسطولاً لهذا الغرض، وحرصوا على تلبية نداء مسلمي الهند إلا أن أسطولهم قد هزم في معركة (ديو) في المياه الهندية عام ٩١٥ هـ . وحاول البرتغاليون عبور البحر الأحمر والسيطرة عليه بعد سيطرتهم على المياه الهندية والخليج العربي، وشن البوكرك هجوماً على عدن للسيطرة عليها عام ٩١٩ هـ غير أنه فشل، وقامت حملة برتغالية بقيادة سواريز للاستيلاء على جدة لكنها أخفقت، وتعاون البرتغاليون وتحالفوا مع الأحباش.

وقام العثمانيون يدرءون الخطر عن ديار الإسلام، ويلبون نداء مسلمي الهند، ورفض المماليك التعاون معهم، فاحتل العثمانيون أرض الدولة المملوكية، وورثوا عنها المهمة الملقاة عى عاتقها وهي حرب البرتغاليين، ودخلوا اليمن بصفة أن أرضها قاعدة ارتكاز لمحاربة البرتغاليين سواء أكان ذلك في البحر الأحمر، أم في الخليج العربي، أم في المياه الهندية. كما أن العثمانيين قد بسطوا نفوذهم على السواحل الغربية للبحر الأحمر لضمان المحافظة عليه، ولإنقاذ المسلمين من سيطرة الحبشة حليفة البرتغاليين، وقد تم للعثمانيين ذلك عام ٦٩٥ هـ وكانت الحبشة في حالةٍ من الفوضي بسبب الخلاف بين حكامها وارتباطهم بالكنيسة الغربية أو الكنيسة الشرقية، وهذا ما سهل للعثمانيين بسط نفوذهم على مصوع، وسواكن، وسواحل البحر الأحمر كافة، ولكنهم لم يستغلوا هذه الفرصة ويتوغلوا نحو الداخل لينهوا الحكم الحبشي الذي يتعاون مع كل صليبي، ويمد يده لكل دخيل نصراني يعمل ضد المسلمين، كما أنه يقاتل مسلمي الحبشة باستمرار وسيطر على المسلمين في المناطق الواقعة بين هضبة الحبشة والبحر الأحمر. ولم يزل هذا ديدنه حتى الآن.

وقبل أن يبسط العثمانيون نفوذهم على سواحل البحر الأحمر الغربية أرسلوا حملات إلى الخليج العربي لطرد البرتغاليين من هناك، ففي عام ٩٥٩هـ أرسلوا حملة احتلت مسقط وهـزمت أسطولاً برتغالياً، وحاصرت (هرمز) لكنها فشلت وعادت. وأرسلوا حملة ثانية عام ٩٦١ هـ لكنها هزمت، كما هزموا في حملة ثانية

في العام التالي، وبعدها انحصرهّم العثمانيين بالدفاع عن البحر الأحمر وتوجيه الجهود إلى اليمن. وحرم العثمانيون على السفن النصرانية دخول البحر الأحمر.

وعندما قام علي بك الكبير بحركته ضد العثمانيين وانفرد بحكم مصر، فتح البحرالأحمر لسفن الدول النصرانية، وكان قد وقع تحت تأثير تاجر من البندقية هو (كارلو روسيتي) الذي أقنعه بضرورة فتح البحر الأحمر أمام مراكب الدول النصرانية لتشجيع التجارة والإفادة من ذلك.

وعندما دخل العثمانيون اليمن مرة ثانية عام ٩٧٧ هـ على يد سنان باشا، حرصوا على بقاء سيطرتهم على اليمن لمالها من أهمية، ولكن الولاة اختلفوا في سياستهم، وقامت عدة حركات ضد العثمانيين.

عندما استولى العثمانيون على اليمن كانت حال الأئمة الزيود في صنعاء جيدة وكانوا على رضي مع العثمانيين، ولكنهم حافظوا على استقلالهم في صنعاء، ثم بدأت حركات المقاومة منذ عام ٩٦٤ هـ ، وكان الإمام المطهر قد عادى العثمانيين، واستطاع أن يستولي على صنعاء عام ٩٧٥ هـ ، وهذا ما استدعى قدوم حملة عثمانية كبيرة بقيادة سنان باشا الذي استولى على اليمن. . . . ولكن لم تلبث أن عادت الحركات بعد مدة.

ففي عام ١٠٠٨ هـ (١٥٩٩ م) قام الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد بثورته التي شملت أجزاء واسعة في اليمن، واستدعت إرسال عدة حملات عثمانية تمكنت في النهاية من إعادة توطيد الأمن. ثم تجدد النزاع بين العثمانيين والأئمة الزيود إذ شن المؤيد بالله محمد بن القاسم حرباً على الوالى العثماني أحمد فضلى عام ١٠٣٠ هـ (١٦٢١ م)، وتمكن الإمام نتيجتها من الاستيلاء على صنعاء، وتعز، وعدن ثم أخرج العثمانيين من اليمن كلها عام ١٠٤٥ هـ وأسس دولة الإمامة الزيدية التي اتخذت صنعاء مقراً لها. وتوفي الإمام المؤيد بالله عام ١٠٥٢ هـ (١٦٤٢ م) وخلفه أخوه أحمد الذي اضطر بعد عامين للتنازل عن الحكم لأخيه إسماعيل بعد خلاف بينهما.

وضعف الأئمة الزيديون نتيجة الخلاف على الإمامة، واستقلت القبائل عن صنعاء، كما انفصلت مناطق، فاستقلت حضر موت، ولحج عام ١١٤٥ هـ

(١٧٣٢ م)، وقـوي أمر الإمام المهدي عباس ١١٥٩ هـ (١٧٤٦ م) ثم هبت رياح الفوضى في البلاد بعد موته، واستقلت تهامة الشمالية، واتخذت مدينة (أبو عريش) مقراً لها، وبدأت الدعوة السلفية تنتشر فيها، ثم استولى محمد بن عامر المتحمى على (أبو عريش) وعددٍ من موانىء اليمن حتى المخا، وقام مقامه أخوه عبد الوهاب، ثم طامي بن شعيب.

استنجد الإمام المتوكل على الله بالسلطان العثماني محمود الثاني فأرسل الأتراك مدداً إلى عسير وتهامة، وتمكن محمد علي باشا المكلف بحروب الدولة العثمانية من أسر طامي ابن شعيب ونقله إلى مصر ثم إلى استانبول حيث صلب هناك، وبذا استعاد الإمام عبدالله المهدي نفوذه، وبدأ يرسل جزية سنوية الى السلطان العثماني.

وعادت القوة إلى عسير بعُد محمد بن أحمد المتحمي وقيام سعيد بن مسلط بأمر العسيريين ومن بعده علي بن مجثل، وعائض بن مرعي فتوالت الحملات على المنطقة وجاءت حملة عام ١٢٥١ هـ (١٨٣٥ م) بقيادة إبراهيم يكن، وتمكنت من القضاء على الثورة التي اندلعت في تعز ضد الإمام علي بن عبد الله المهدي وذلك عام ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧ م)، كما استطاعت بعض فرق الحملة العثمانية من دخول عدن.

احتل الإنكليز عدن عام ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م) وعسير بعد هزيمته في بلاد الشام، وعقد معاهدة لندن عام ١٢٥٦ هـ (١٨٤٠ م).

وضعف أمر الأئمة في هذه المدة إذ بدأ الخلاف بينهم، واستنجد الإمام محمد بن يحيى بالأمـير عائض بن مرعي لنصرتـه فأرسل إليه قوة سارت عن طريق صحار، والأخرى عن طريق صعدة وكانت الثانية بإمرة الشريف حسين بن علي بن حيدر شريف (أبو عريش)، والأولى بإمرة يحيى بن مرعي أخي عائض بن مرعي، وتمكنت القوتان من دعم محمد ابن يحيى وتثبيته في صنعاء وعُدّ والياً للأمير عائض بن مرعي، وخفّ الهجوم على الدعوة السلفية في اليمن. ولكن ما إن عادت القوة العسيرية حتى تنكر الإمام محمد بن يحيى للعسيريين والدعوة السلفية فكلف عائض بن مرعي عامله على أبي عريش حسين بن علي حيدر بتأديب إمام صنعاء، إلا أن الحيدري قد هزم ووقع أسيراً بيد اليمنيين. وأراد

عائض مرعي أن يسير إلى صنعاء لإنقاذ واليه إلا أن العثمانيين كانوا قد وصلوا إلى اليمن.

تضايق العثمانيون من نجاح الدعوة السلفية، وانتصار عائض بن مرعي في اليمن، وخافوا مغبة الأمر، وفي الوقت نفسه فقد استنجد الإمام علي بن المهدي بالسلطان عبد المجيد ضد محمد بن يحيى وعائض بن مرعي، فأمر السلطان نائبه في جدة توفيق باشا بالتوجه إلى اليمن ومعه أمير مكة الشريف محمد بن عون، وسارت القوة من جدة ووصلت إلى الحديدة في ٢٢ جمادى الآخرة عام ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩ م) وتابعت زحفها إلى صنعاء دون أن تلقى أية مقاومة. وما إن علم الإمام المتوكل محمد بن يحيى بهذا الأمر حتى أطلق سراح الشريف الحيدري، وأسرع للقاء توفيق باشا فاستقبله، واتفق معه، وصحبه إلى صنعاء وأنزله في قصر غمدان... وأنكر أهل صنعاء على الإمام فعلته وثاروا عليه في الحال وأرغموا الأتراك إلى العودة إلى الساحل، وألقوا القبض على محمد ابن يحيى، ونصبوا علي بن المهدي إماماً.

وحدثت خلافات بين علي بن المهدي بصنعاء، ثم الذي قام مكانه وهو المؤيد العباس ابن عبدالرحمن وبين المنصور أحمد بن هاشم بصعدة، وكادت رياح الفتن تعصف باليمن كلها.

كان العثمانيون قد قضوا على إمارة آل عائض في أبها وقتلوا محمد بن عائض، وحملوا جماعة من كبار القادة والعلماء إلى استانبول، وتولى أمر عسير أحمد مختار باشا بعد مقتل رديف باشا، استغل أحمد مختار الفوضي في اليمن فسار بقوة على طريق الساحل، ودخل صنعاء وأنهى هذه الخلافات، ولكنه لم يستطع أن يبسط نفوذه على شمال اليمن إذ بقي تحت سلطة المتوكل المحسن بن أحمد حتى توفي عام ١٢٩٥ هـ (١٨٧٧ م) فخلفه الهادي شرف الدين بن محمد.

تولى حكم اليمن عام ١٢٩٠ هـ (١٨٧٢ م) بعد أحمد مختار باشا مصطفى فاشتد على السكان الأمر الذي أدى إلى قيام ثورة قادها محمد بن يحيى حميد الدين الذي كان قد سجنه مصطفى باشا مع عدد من سادات البلاد في الحديدة، وفر من السجن وحمل لواء الثورة، وتلقب بالمنصور.

وفي الشمال اليمن توفي عام ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م) الهادي شرف الدين بن

محمد فقرر السكان مبايعة محمد بن يحيى حميد الدين الذي استطاع أن يؤلف جيشاً، ويحارب الولاة العثمانيين، وأن ينتصر عليهم، وأن يحاصر صنعاء، واضطر العثمانيون إلى اعادة أحمد فيضي باشا إلى ولاية اليمن، فجأة بقوة كبيرة تمكنت من فك الحصـار عن صنعاء ودخولها، وغادرها المنصور أحمد بن هاشم حيث اعتصم في (حاشد)، وحاول أحمد فيضي باشا القضاء عليه عدة مرات ولكنه فشل، واستمر الإمام في الشمال حتى مات عام ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤ م)، وخلفه ابنه يحيى الذي اتخذ لقب المتوكل، واتخذ بلدة (قفلة عذر) قاعدة له، وعاصمة مؤقتة.

أرسل العثمانيون قوةً لعجم عود الإمام يحيى فوجدوه صلباً، وقد هزمت قوتهم، وشجعت هذه الهزيمة سكان اليمن فقاموا بحركتهم التي دفعت القوات التركية نحو صنعاء فحاصروها، واضطرت إلى الاستسلام وفر القائد التركي إلى زبيد. فأرسلت الحكـومة التركية أحمد فيضي باشا مرة ثالثة على رأس قوة كبيرة نزلت بالحديدة، واتجهت إلى صنعاء فدخلتها، وانتقل الإمام يحيى إلى (شهارة)، فلحقه أحمد فيضي باشا ولكنه هزم على أبواب شهارة هزيمة نكراء، وعندما وصل الخبر إلى الحكومة التركية أرسلت المشير عزت باشا الألباني مندوباً للمفاوضة، فاتصل بالإمام يحيى وعقد معه اتفاقية (دعّان). ولم تمض سوى ثلاث سنوات حتى قامت الحرب العالمية الأولى وخرج الأتراك من اليمن.

وفي أثنـاء الحـرب العـالمية الأولى ضرب الإنكليز مينـاء الحـديدة واحتلوها بمساعدة الإدريسي في تهامة الذي كان يعمل بجانب الحلفاء، وعندما انتهت الحرب انسحبت القوات التركية من اليمن بعد هزيمتها أمام الحلفاء، وخرجت جنودها في اليمن عن طريق عدن.

وبقيت تهامة اليمن والحديدة تحت سيطرة الأدراسة حيث منحتهم انكلترا هذا المنـاطق، واختلف الأدراسة بعد وفاة الإدريسي بين مؤيد لابنه علي بن محمد ولأخيه حسن بن علي، واستغل اليمنيون هذا الخلاف وزحفوا على تهامة واحتلوها وفّر حسن بن علي الإدريسي إلى نجد وذلك عام ١٣٤٣ هـ (١٩٢٥ م) ووقع مع الملك عبد العزيز معاهدة مكة التي تتضمن دخول الإمارة الإدريسية ضمن الدولة السعودية.

عاد حسن بن علي الادريسي فتمرد ولكنه هزم وألغيت إمارة صبيا وأبو عريش، وقـامت مفاوضات بين اليمن والدولة السعودية لتحديد الحدود، غير أن نائب الإمـام في صعدة قد أرسل بعد رجاله فدخلوا نجران فتعكر جو المفاوضات، فأرسل الملك عبد العزيز ابنه فيصلاً على رأس قوة احتلت حرض، وميدي، والحديدة. وأرسل الإمام يحيى برقية إلى المجلس الاسلامي الأعلى الذي كان منعقداً في فلسطين لإرسال وفد لرأب الصدع، فبعث المجلس وفداً مؤلفاً من: الحـاج أمـين الحسيني، وهاشم الأتاسي، ومحمد علي علوبة، وشكيب أرسلان وعبدالرحمن عزام فانتهى الخلاف، وانسحبت القوات للطرفين إلى ماكانت عليه، وعقدت معاهدة الطائف عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م)، ورأس وفد السعودية خالد بن عبدالعزيز، ووفد اليمن عبد الله بن أحمد الوزير.

شاركت اليمن مع وفـود الـدول العربية الأخرى لبحث قضية فلسطين في الـقـاهـرة عام ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م)، وفي بلودان في سوريا عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م). وكانت من بين الدول التي ساهمت في انشاء جامعة الدول العربية، وانضمت إليها عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م)، ثم انضمت إلى الأمم المتحدة عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م).

أما على الصعيد الداخلي فقد تعرضت حكومة الإمام يحيى لتمرد قبائل المشرق عام ١٣٤٣ هـ (١٩٢٥ م) وقد أخضعتها قوة بقيادة عبد الله بن أحمد الوزير.

وتمردت قبيلة الزرانيق عام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٩ م) عامين ثم قضي عليه سيف الإسلام أحمد بن الإمام يحيى.

وقامت حركة محمد الدباغ بالبيضاء عام ١٣٥٩هـ (١٩٤٠ م) نفوذها، وأنهى التمرد الشريف عبد الله الضمين.

ثم قامت ثورة على الإمام يحيى في ربيع الثاني عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م)، أطاحت به، واشترك فيها عبدالله بن أحمد الوزير، وبعض أبناء الإمام، ونجحت ثم استطاع سيف الإسلام أحمد أن يعود وأن يقضي على الثوار، وأن ينتزع الملك.

شاركت حكومة الإمام أحد أيضاً في القضايا العربية والإسلامية كلها، كما انضمت إلى اتحـاد الدول العربية الذي نشأ بعد الوحدة التي تمت بين مصر

وسوريا، بل هي الدولة الوحيدة التي انضمت إلى الوحدة وشكلت الاتحاد، وتوفي الإمـام أحمـد عام ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م) بصـورة غامضـة، وخلفه ولده سيف الإسلام محمد البدر وتلقب بالمنصور بالله، وبعد ثمانية أيام قام فريق من الضباط بقيادة عبد الله السلال الذي كان سجيناً فأخرجه محمد البدر، وأعلن عبد الله السلال نهاية حكم الإمامة في اليمن، وقيام الجمهورية اليمنية، واستنجد بمصر فأمدته بقوات، وبدأ الصراع بين الملكيين والجمهوريين، واستمر سبع سنوات.

انسحبت القوات المصرية من اليمن عام ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م) بعد لقاء بين الملك فيصـل ملك المملكـة العربية السعودية والرئيس جمال عبدالناصر رئيس الجمهورية المصرية في الخرطوم حيث كان لقاء لرؤساء الدول العربية، وما إن انتهي الانسحاب حتى قامت القوات اليمنية بانقلاب ضد عبد الله السلال الذي التجأ إلى بغداد، وتولى رئاسة اليمن مجلس يرأسه عبد الرحمن الإيراني، واستمر القتال من جهة أخرى بين اليمن الشمالي والجنوبي، ولكن توقف في الأيام الأخيرة من عام ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م)، بعد أن خرجت أسرة حميد الدين من السعودية، وأدخل في الوزارة اليمنية الجديدة بعض أنصار الملكية.

خرج عبـدالـرحمن الإيرياني من البلاد، وأصبح نائب رئيس مجلس الوزراء للشئون الداخلي المقدم إبراهيم الحمدي رئيساً للدولة، ولكن بعد مرور عامين ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢ م)، قام بانقلاب آخر رئيس الأركان العقيد محمد الغشمي، وهو من رؤساء قبيلة همدان، وبعد عام آخر قام انقلاب تزعمه علي عبدالله صالح.

ج - اليمن الجنوبية

كانت جزءاً من اليمن، انفصلت عنها بعـد أن احتلت انكلترا عدن عام ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م)، ومن ثم بدأت انكلترا توسع نفوذها على طول الساحل، وتحاول التوغل نحو الداخل، فعدت عدن مستعمرةً ولم تكن لتزيد مساحتها على ١٩٥ كيلومتراً وتتبعها جزيرة بريم وجزيرة كارمن، وتقع كلاهما في مضيق باب

المندب، وتعرفان باسم ميون. وعدت القسم الثاني محميةً، وخضعت للحماية الانكليزية في الفترة ١٢٢٨ - ١٣٣٣ هـ (١٨١٣ - ١٩١٥ م)، وتضم ثلاثاً وعشرين سلطنة، وتنقسم إلى قسمين: محمية عدن الغربية وتضم عشرين سلطنة، ومحمية عدن الشرقية وتشمل ثلاث سلطنات.

وفي منتصف عام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م) انضمت ست سلطنات بعضها إلى بعض وكونت اتحاداً فيما بينها، دعمته انكلترا، ثم انضمت لحج إلى هذا الاتحاد وبقيت تتابع السلطنات في الانضمام حتى بلغت اثنتي عشرة سلطنة ضمن الاتحاد، ثم انضمت مستعمرة عدن في عام ١٣٨٢ ه (١٩٦٢ م) وأطلق عليه اسم اتحاد الجنوب العربي.

عارضت هذا الاتحاد بعض العناصر وعدته دولة مشبوهة، وكان في البلاد تنظيمان هما: جبهة تحرير جنوب اليمن ويتزعمها عبد القوي مكاوي، وجبهة التحرير الوطنية ويتزعمها قحطان الشعبي.

أعلنت انكلترا أنها ستنسحب من جنوب اليمن قبل حلول عام (١٩٦٨ م) أوائل شوال عام ١٣٨٧ هـ ، فنشطت الجبهتان للسيطرة على مقاليد الأمور، وكانت مصر تدعم الجبهة الأولى، أما جبهة التحرير الوطنية فتلقى تعاطفاً من القوات المسلحة العدنية. كما بدأت الجبهتان بحرب العصابات ضد المحتلين، وتمكنت جبهة التحرير الوطنية من السيطرة على اتحاد الجنوب العربي، ويشمل سبع عشرة سلطنة وفر بعض السلاطين، واستقال بعضهم، وأسر آخرون. وفي الوقت نفسه فقد وقع صدام بين الجبهتين. وسلم الانكليز مقاليد الأمور لجبهة التحرير الوطنية برئاسة قحطان الشعبي ، وغادروا البلاد في ٢٥ رجب ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م)، وأعلن قيام جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية.

وفي عام ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م) حدث تغيير في الحكم إذ وضع قحطان الشعبي تحت الإقامة الجبرية، وتولّى السلطة سالم ربيع علي، وتولى رئاسة الوزراء محمد علي الهيثم، ثم علي ناصر محمد الذي يشغل أيضاً منصب وزير الدفاع.

وجرت محاولات لقيام وحدة بين شطري اليمن إلا أن الشقة الواسعة بين نهجي البلدين قد حالت دون ذلك.

ثم قامت حركـة تالية أزيح فيا سالم ربيع علي، وتسلم الأمـر عبد الفتاح إسماعيل. وماهي إلا سنوات مضت حتى تلت حركة انتهى معها حكم عبدالفتاح اسماعيل وقام حكم علي ناصر محمد، وكل حركة جديدة تتهم سابقتهابما اتهمت به الأسبق.

ثم توحد شطرا اليمن في ٢٧ شوال ١٤١٠ هـ (٢٢ أيار ١٩٩٠ م) وتسلّم رئاسة الدولة رئيس اليمن الشمالي ورئاسة الحكومة رئيس اليمن الجنوبي.

د ـ عُمـــان

تقـع عمان في الزاوية الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة العربية. يحدها من الشرق خليج عمان، ومن الشمال اتحاد الإمارات العربية، ومن الغرب المملكة العربية السعودية ومن الجنوب المملكة واليمن الجنوبية.

اعتنق عرب عمان الإسلام في أعقاب ظهور الدعوة الإسلامية، واتصف اقليم عمان بنزعته القبلية، ومن الملاحظ أن عرب الجنوب كانوا هم أول الوافدين على عمان واستمروا يقومون بالسلطة في ذلك الاقليم، ولكن بمرور الزمن أخذت عناصر الشمال تفد إلى عمان واختلط العنصران عن طريق التزاوج وإن وقفت العصبية مع ذلك حائلا دون قيام اتحاد تام بين هذين العنصرين، كان من نتيجته أن بات كل عنصر يتطلع الى السيطرة على العنصر الآخر، ولا شك أن طابع ذلك التنافس هو من أهم السمات المميزة لتاريخ عمان القديم والحديث(٥).

ويعد إقليم عمان أهل المعاقل الإباضية إذ يعتنق المذهب الإباضي معظم سكان هذا الاقليم وخاصة في الداخل، واشتهرت هذه المنطقة منذ القرن الأول الهجري بأنها مركز اضطراب دائم، فقد استقر بها الخوارج الإباضيون الذين قاموا بعدة ثورات على الخلفاء الأمويين والعباسيين. ونحج بنو جلندي بزعامة جلندي بن سعود الأزدي في تزعم حركة انفصالية بدأت عام ١٣٧هـ . وحكم عمان من هذه

(٥) أحمد قاسم البورينى: الإمارات السبع على الساحل الأخضر، بيروت ١٩٥٧م، ص ٩٧ـ١٠٢

الســلالة تسعة وعشرون إماما إباضياً، كان آخرهم أبو جاد موسى بن موسى المتوفي عام ٥٧٩ هـ ولكن حكمهم لم يكن مستقرا. فقد تعرضوا لحملات عديدة أرسلهـا الخلفـاء وبنـو بويه. وخضعت البـلاد للقـرامطة أكثر من نصف قرن (٣١٧ـ٣٧٥). وحكم عمان بعـد ذلك بنو نبهان ولقبوا بالملوك (٥٧٩ـ٨٠٩)، قامت ثورات كثيرة ضد النبهانيين لما كان يتصف به حكمهم من ظلم وجور، وأسفرت تلك الجهود عن القضاء على ملكهم وبعث الإمامة الإباضية (والأزد) من جديد في النصف الأول من القرن التاسع الهجري ٨٣٩ هـ[٦].

وفي خلال حكم الأئمة الأزديين تعرضت عمان للغزو البرتغالي في عهد بركات بن محمد بن إسماعيل ١٠٦٨ هـ . فقد وصل البرتغاليون إلى مياه الخليج العربي في وقت خضعت فيه سواحل عمان لحكم ملك هرمز الذي أقام حصونا قوية في مسقط وغـيرهـا من مدن السـاحل العماني. وتعرض ميناء رأس الحد ٩١٢ هـ (١٥٠٦ م) لقصف الأسـطول الـبرتغـالي الذي دمر المدينة والسفن الراسية في الميناء. وتعرضت لمثل ذلك في العام نفسه موانىء مسقط، وصحار، وخور فكان، وهرمز نفسها. واستقر البرتغاليون في هرمز وبنوا فيها حصناً وخضع لهم ملكها، ولكنهم غادروها وهجروا حصنهم فيها بعد عامين.

وتنازع البرتغاليون والفرس والعثمانيون السيادة على مياه الخليج طيلة القرن العـاشر ونجح شاه فارس في حمل ملك هرمز على تقديم ولائه له بعد جلاء البرتغاليين عن هرمز. وفشلت محاولة برتغالية لاستعادة هرمز ٩٢٠ هـ (١٥١٤ م) فقاد (البوكيرك) بنفسه أسطولا في العام التالي وتمكن من إخضاعها. واعترف الشاه بالسيادة البرتغالية على هرمز مقابل وعد برتغالي بمساعدته ضد العثمانيين. ومالبث (البوكيرك) أن عاد مريضاً إلى الهند وتوفي آخر العام بعد أن حكم في الهند مدة، وخلفـه (دالميدا) الذي قاد الأسطول البرتغالي في المياه الشرقية أكثر من عشرة أعوام. وشدد البرتغاليون قبضتهم على هرمز فسيطروا على جماركها عام ٩٢٨ هـ (١٥٢٢ م) وقمعـوا بشـدة ثورات هرمز، ومسقط، وصحار والبحرين. ونصبوا محمود شاه ملكاً على هرمز وسنه لاتتجاوز الثالثة عشرة، وأجبروا أباه على الفرار. ووقّع محمود في رمضان ٩٢٩ هـ (١٥٢٣ م) معاهدةً تسلم البرتغاليون بموجبها

---

(٦) Miles. col. S.B.: The countries and the trbes of the Persian Gulf 2vols. (London 1919)r 157-158,163.

مقاليد الأمور في هرمز، وفرضوا على ملك هرمز شروطا جديدة عام ٩٢٩ هـ [٧] واستولى البرتغاليون كذلك على بعض الموانىء في شرقي إفريقية.

وإزداد نشاط العثمانيين في مياه الخليج وقاموا بعدة محاولات للقضاء على النفوذ البرتغالي مكرسين موارد مصر لهذا الهدف. فقد وصل أسطول عثماني إلى الخليج عام ٩٣٥ هـ (١٥٢٩ م)، ولكن لم يلق ترحيبا فخسر الجولة بسبب عدم وجود قاعدة له في الخليج. ولم يكن العراق قد أصبح عثمانيا بعد. ووجد العثمانيون أنفسهم بحاجة إلى العراق وإلى ميناء البصرة كقاعدة لدفع الخطر البرتغالي، فاحتل العثمانيون العراق باستثناء البصرة التي احتلوها عام ٩٥٣ هـ (١٥٤٦ م)، وبدأوا بإعداد دار لصناعة السفن فيها. وخضع عرب القطيف للعثمانيين وسلموا إليهم حصنا فانتقم البرتغاليون من المدينة ودمروا الحصن عام ٩٥٨ هـ (١٥٥١ م) وفشلت محاولة بيري بك عام ٩٥٩ هـ (١٥٥٢ م) في احتلال هرمز ولكنها استولت على مسقط. وعهد بقيادة أسطول البصرة إلى حاكم القطيف مراد بك فلم يستطع تحقيق شيء وفشل في إنجاد مسقط التي استعادها البرتغاليون [٨].

وأعد العثمانيون أسطولاً رابعاً في السويس عهدوا بقيادته إلى سيدي (علي رئيس) أحد مساعدي خير الدين بربروسا وسنان باشا. وأسند إلى سيدي علي قيادة أسطولي البصرة والسويس العثمانيين عام ٩٦٠هـ (١٥٥٣ م) فتوجه إلى البصرة أواخر ٩٦١ هـ ، وكان همه الأول إعداد سفنه بحيث تصبح صالحة لخوض معارك حربية. وأقلع الأسطول العثماني من ميناء البصرة إلى القطيف ثم إلى البحرين. وكانت البحرين عثمانية يحكمها آنذاك مراد رئيس، وعادت طلائعه تخبره بأن لا أثر للأسطول البرتغالي. ودام القتال طول النهار وانسحب البرتغاليون في الليل. واستمر الأسطول العثماني في سيره محاذياً ساحل عمان فالتقي ثانية بالأسطول البرتغالي المتمركز في مسقط، ولحقت بالأسطول العثماني إصابات بليغة حتى اضطر قائد الأسطول إلى نصب الشراع تمهيدا للانسحاب. ودفعته الريح باتجاه شمالي شرقي فوصل إلى ميناء بندر شاهبور الفارسي فتزودوا منها بالماء [٩].

---

(٧) لوتروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامى جـ ، بيروت دار الفكر، ٣٥٦ ط ١٩٧٥م

(٨) عباس الغزاوى: عشائر العراق جـ بغداد ١٩٥٦ ص ٦٨ - ٧١.

(٩) المصدر السابق ص ٧١ - ٨١

ثم اتجه ثانية إلى اليمن فقارب ظفار ثم قدفته الريح ثانياً إلى ساحل الهند، فإذا هو أمام (ديو) البرتغالية فسارع إلى تغيير اتجاه حتى وصل إلى الكجرات، والتجأ إلى ميناء (سورات). وبادر الملاحون والجنود العثمانيون إلى هجر سفنهم والعودة إلى بلادهم. أما سيدي علي فقد باع سفنه وعاد براً حاملاً إلى السلطان ثمن أسطوله(١٠).

وضعفت القـوة البحـرية البرتغالية والعثمانية في البحار الشرقية أواخر القرن العاشر (السادس عشر الميلادي) فلم يقم العثمانيون بأيه محاولة جديدة كبيرة بعد فشـل سيدي علي رئيس، أما البرتغاليون فقد ضمت بلادهم إلى أسبانيا سنة ٩٨٩ هـ (١٥٨٠ م) وأصبحت مملكتهم فريسـة سهلة لأعداء إسبانيا. وكانت هولندا هي العدو الرئيسي لإسبانيا ثم تبعتها انكلترا، واستطاع كلاهما أن ينتزع السيادة البحـرية من إسبـانيا والـبرتغـال. وفي عام ١٠٠٢ هـ (١٥٩٣ م) كان الهولنديون قد كوّنوا شركة الهند الشرقية الهولندية للتجارة، وبعد أعوام قليلة تبعهم الانكليز سنة ١٠٠٩ هـ (١٦٠٠ م) فمنحوا شركة الهند الشرقية البريطانية أول امتياز لها(١١).

غير أن الوضع الحربي في الخليج العربي قد تغير منذ مطلع القرن الحادي عشر (السابع عشر الميلادي)، فقد تحالف أمير البصرة مع البرتغاليين ضد الفرس، كما تحالف شاه فارس مع الانكليز والهولنديين. واستطاع الشاه بمساعدة حلفائه الجدد أن ينتزع البحرين من البرتغاليين ويضغط على هرمز. نجح البرتغاليون في الدفاع عن هرمـز بل واحتلوا مينـاء بندر عباس الايراني عام ١٠٢١ هـ (١٦٢١ م). واستطاع الشاه بعد عامين أن يخرجهم من بندر عباس ثم منح الهولنديين قاعدة حربية فيها(١٢)

وبدأت سفن شركة الهند الشرقية البريطانية تتردد على موانىء الخليج العربي والهنـد أوائـل القـرن الحادي عشر، وكانت ملكة بريطانيا قد منحت في عام ١٠٠٩ هـ (١٦٠٠ م) امتيازاً بتـأسيس شركـة الهند الشرقية الانكليزية كشركة

---

(١٠) عبدالكريم غرايبة: مقدمة في تاريخ العرب الحديث، ص ٢٦٤.

(١١) المصدر السابق.

(١٢) Wilson. A.:op. Cit. PP. 140-141

متممة لشركة الليفانت (الشرق) التي سبقتها بعشرين عاما. ونظمت شركة الهند الشرقية رحلات تجارية سنوية إلى الهنـد. وتمكن قائـد أسـطول الشركة عام ١٠٢١ هـ (١٦١٢ م) من انتـزاع امتيازات من حاكم (سـورات) الهندي فأقر امبراطور الهند المغولي هذه الامتيازات. وعينت الشركة بعد ثلاثة أعوام سفيرا انكليزيا في بلاط امبراطور الهند المغولي[١٣].

وحاول الانكليز كسب ود شاه فارس والتقـرب اليه والتحـالف معـه ضد السلطان العثماني، فنجحوا في استمالته إلى جانبهم، وأرسلت بريطانيا إلى شاه فارس خبراء في السياسة والشؤون العسكرية لتدريب جيشه، كما زودت الجيش الفارسي بالأسلحة. واستطاع شاه فارس بهذه القوة العسكرية طرد العثمانيين من جميع الأراضي الفارسية عام ١٠١٤ هـ (١٦٠٥ م). ومقابل ذلك منح شاه فارس الانكليز حق الاتجـار مع بلاده عبر ميناء (جسك) ومنحهم امتيازا بذلك عام ١٠٢٥ هـ (١٦١٦ م)[١٤].

وقدمت لأول مرة سفينة انكليزية إلى ميناء (جسك) قادمة من سورات) بالهند، وفشلت جهود البرتغاليين في التعرض للسفينة التي استطاعت أن تفرغ حمولتها وتبيعها بسهولة. وبعد أن تبين للتجار الانكليز أن هذه التجارة مربحة، بادروا إلى فتح وكالة تجارية لهم في الميناء الإيراني رغم معارضة السفير الانكليزي في دلهي. كما هزمت السفن الإنكليزية أسطولاً برتغالياً حاول اعتراض طريقها[١٥].

وعزم الشاه على الاستيلاء على هرمز بمعونة الانكليز. وتمكن الحليفان من احتلال الحصن البرتغالي في (قشم) على الساحل الإيراني ١٠٣١ هـ (١٦٢٢ م). وبدأ الحلفاء هجومهم على (هرمز) واستسلمت بعد شهرين ووقع في الأسر ثلاثة آلاف برتغالي. وهكذا طويت صفحة برتغالية في (هرمز) التي ارتفع عليها علم البرتغال أكثر من قرن. وأصبحت (هرمز) جزيرة إيرانية. ولم يبق بيد البرتغاليين في الخليج سوى ساحل مسقط. ووجه الشاه قواه بعد هذا النصر ضد بغداد

(١٣) Wislon. A.:op. Cit. PP 134-135

(١٤) Miss. S. B.: op. Cit. P175

(١٥) Mils. S. B. Op. Cit. PP.187-188.

فاحتلهـا في العـام التـالي. ولكنه فشل في احتلال البصرة وبقي أميرها مواليا للسلطان العثماني فقاوم الإيرانيين بمساعدة البرتغاليين[١٦].

لم يبق بيد البرتغاليين غير مراكزهم على ساحل عمان. فانتزعوا (صحار) وأبادوا حاميتها، ولكنهم خسروا بعد أربعة أعوام مركزهم قرب رأس الخلية. وانتزع الإيرانيون لفترة قصيرة حصون (صحار) و (خور فكان) وحاولوا احتلال مسقط نفسها، ولكن عاد البرتغاليون فاستعادوا حصونهم المفقودة وأخرجوا الايرانيين منها وهددوا الموانيء والسفن الإيرانية في الخليج. وسمح لهم أمير البصرة بفتح وكالة تجارية برتغـالية في البصرة عام ١٠٣١ هـ (١٦٢٢ م)، وغـدت البصرة مركـزاً برتغاليا هاما[١٧].

غير أن تطورات هامة حدثت في عمان غيّرت استراتيجية الخليج العربي. فقد استتب الأمر في عمان للإمام الإباضي ناصر بن مرشد بن سلطان عام ١٠٣٤ هـ (١٦٢٥ م)، وأخضع «الملوك» المحليين واستولى على الميناء العماني الوحيد الذي لم يكن بيد البرتغاليين وهو ميناء (لادة). وشرع الإمام ناصر بمهاجمة الحصون البرتغالية ففشل في احتلال (مسقط) ولكنه نجح في احتلال (صحار). وتابع الإمام سلطان بن سيف سياسة ابن عمه وسلفه في تطهير البلاد من البرتغاليين فحـرر مسقط وهي آخـر معقل للبرتغاليين، ولم يكتف بذلك بل قام بمهاجمة الحصون البرتغالية في الهند فقصد (ديو) وسواحل (الكجرات) وعاد بغنائم كبيرة[١٨].

أصبح العمانيون بعد نجاحهم في طرد البرتغاليين من الخليج العربي وشرقي إفريقية قوة ذات خطر، كما أضحى أسطولهم الشراعي يسيطر على التجارة في المحيط الهنـدي، وسـاعدهم على ذلك أن سياسة الدول الأوربية التي خلفت البرتغال في البحار الشرقية لم تكن قائمة على سياسة الاحتكار التجاري كما كانت

(١٦) Wilson, A.: op. Cit.. PP. 143-149.

(١٧) Miles. S .B.: op. Cit.. PP. 187-189.

(١٨) جمال زكريا قاسم: دولة بوسعيد في عمان وشرق أفريقيا ص ٢١ وانظر كذلك نورالدين عبدالله السالمى: تحفة الأعيان بسيرة آل عمان آلعمان، جـ، ص ١١. (القاهرة ١٣٣٠هـ)

سياسة البرتغاليين، وإنما انصرفت إلى تأسيس المستعمرات واستغلال الأهالي وتكوين الامبراطوريات. أما في التجارة فقد أفسحت المجال للعناصر التي كانت تعمل فيها من قديم لتعمل فيها من جديد، وإنما حرصوا في الوقت نفسه على تأمين المواصلات لامبراطوريتهم الاستعمارية، وترتب على ذلك دخولهم في علاقات مع القوى المسيطرة على أهم القواعد في طريق هذه المواصلات كفارس وعمان والدولة العثمانية[١٩].

ومهما يكن من أمر، فان دولة اليعاربة التي كان لها دور كبير في طرد البرتغاليين، سرعان ما أصابها الوهن والضعف، وتفشت فيها الفتن والثورات مما أضعفها وأدى إلى نهايتها لتقوم على أنقاضها دولة (البو سعيد) بزعامة الإمام أحمد بن سعيد الذين حكموا عمان منذ عام ١١٥٤ هـ (١٧٤١ م) حتى يومنا هذا.

نجح أحمد بن سعيد مؤسس تلك الأسرة في طرد الفرس من عمان ١١٥٧ هـ (١٧٤٤ م)، وبذلك أصبح الطريق ميسراً أمامه للوصول إلى الإمامة خاصة بعد النجاح الذي أحرزه على الفرس، الذين آثروا تركه يصرف شؤون البلاد على شرط تقديم الجزية لهم والاعتراف بسيادتهم على البلاد. على أن الظروف لم تلبث أن سنحت لأحمد بن سعيد ليعلن استقلاله عن الفرس منتهزا حالة الفوضى والاضطرابات التي تردت فيها الدولة الفارسية عقب اغتيال نادر شاه في عام ١١٦٠ هـ (١٧٤٧ م)، وبذلك استطاع أن ينأي ببلاده عن كل تبعية، كما كان لتزعمه حركة التحرير العمانية ضد الفرس أثر كبير في عقد البيعة بالإمامة له[٢٠] وبنى السلطان الإمام أحمد أسطولاً حربياً قوياً فطهّر شواطىء (ملبار[٢١]) من القراصنة وانجد البصرة ضد الفرس عام ١١٨٨ هـ (١٧٧٤ م)، ولكنه فشل في القضاء على حكم اليعاربة في بعض المناطق (الحزم والنخل)، كما بقيت بلاد الظاهرة وواحة البريمي وساحل عمان الشمالي الغربي بيد بني غافر القيسيين العدنانيين[٢٢].

(١٩) جمال زكريا: المصدر السابق، ص ٢٥

(٢٠) نورالدين عبدالله بن حميد السالمى: تحفة الأعيان بسيرة آل عمان جـ ص ١٢٦ القاهرة (١٣٣٠هـ)

(٢١) شواطىء الهند الغربية.

(٢٢) عبدالكريم غرايبة: مقدمة تاريخ العرب الحديث ص ٢٦٩

اشتهر أحمد بن سعيد بإدراته الحازمة فعند وصوله إلى السلطة قام بوضع كثير من القوانين لإدارة جهاز حكومته مهتماً بصفة خاصة بإرساء القواعد الاقتصادية والقضائية والإدارية. ومع ذلك فان الظروف اضطرت الإمام أحمد إلى تكوين حكومته على شكل لامركزي حينما ترك اليعاربة والغافريين يمارسون سلطتهم على بعض مقـاطعـات البـلاد على الرغم من الجهود التي بذلها، لكي ينتزعها من سيطرتهم ويضمها إلى حكمه. والذي يؤخذ على الإمام أحمد مشاركة أبنائه معه في الحكم فقد كانت العواقب وخيمة في حياته وكان كثيرا مايضطر إلى التداخل ليحمى أبناءه من هجوم بعضهم على بعض، بل إنه كان يضطر أحيانا إلى حماية نفسـه من هجـوم أبنـائـه عليه. وهكـذا ورثت أسرة بوسعيد التنازع الأسري والاضطراب الداخلي[٢٣].

وقد حدثت فتنة أواخر عهد الإمام أحمد بو سعيد وبعد وفاته، فقد ثار عليه والداه سيف وسلطان كما ذكرنا واستطاع أحمد أن ينهى هذه الفتنة بصورة سلمية. وبايع الناس بعده ابنه سعيدا ولكنه ابنه حمد ثار عليه، وبدأت الاضطرابات في البلاد فخرج على حمد عمه سيف الذي فشلت ثورته ففر إلى زنجبار، وتولى حمد فحاول أبوه سعيد أن يستعيد السيطرة الفعلية إلا أن أخاه سلطان بن أحمد استولى على الحكم واستبد بالأمر[٢٤].

توصل سلطان بن أحمد إلى الحكم ١٢٠٧ هـ (١٧٩٢ م) فوجد عمان بلداً مجزءاً ومهدداً، فقد استقل إمام عمان في داخل البلاد متخذاً (رستاق) عاصمة له، وانفصل بنو غافر في البريمي والظاهرة، واستقر القواسم في رأس الخيمة والسواحل القريبة. ولم يبق بيد سلطان مسقط سوى ساحل الباطنة. ولم يمض زمن قصير على ولاية سلطان حتى كان إبراهيم بن سليمان بن عفيصان قد استقر في البريمي لنشر الدعوة الوهابية. وفرض الوهابيون معاهدة ولاء على القواسم عام ١٢١٤ هـ (١٧٩٩ م) وسيطروا على (الزبارة). وفشلت محاولات سلطان بن أحمد لصدهم، ولم يستطع الحصول على مساعدة شريف مكة. وألحق الوهابيون به هزيمة كبيرة وكادوا يحتلون مسقط نفسها لو لا وصول أنباء وفاة الأمير

(٢٣) جمال زكريا: المصدر السابق ص ٤٢

(٢٤) miles. S.B.: op. cit. pp. 279-285.

عبدالعزيز[٢٥].

ولكن سلطان نجح في مشروعاته الخارجية، فقد احتل (بندر عباس) و (هرمز) وبعض الموانيء في (مكران) على الساحل الفارسي. وعقد سلطان معاهدة مع بريطانيا عام ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) تعهد بموجبها بعدم التعامل مع فرنسا والسماح بإقامة وكالة بريطانية، وحامية عسكريةٍ في ميناء بندر عباس الإيراني التابع لإمام مسقط. ووصل إلى مسقط في العام التالي مندوب بريطاني استطاع أن يقنعه بقبول ممثل بريطاني في مسقط. وعادت علاقات الإمام بفرنسا ودّيةً بعد جلاء الفرنسيين عن مصر عام ١٢١٦[٢٦].

وقتل سلطان في طريق عودته إلى مسقط على يد القواسم في ١٣ شعبان ١٢١٩ هـ فنشبت فتنة بين ولديه سالم وسعيد وعمه سعيد الذي بقي إماماً رمزياً في (رستاق) واستنجد ولداه بشاه إيران ضد الوهابيين، ولكن الحملة الإيرانية فشلت في إبعاد الخطر الوهابي. وسيطر على الأمور بمساعدة الوهابيين بدر بن سيف الذي حكم باسم سعيد ابن سلطان، إلا أن سعيداً اغتاله وتسلم الحكم بنفسه عام ١٢٢١ هـ (١٨٠٦ م) عمه قيس بن أحمد بن سعيد حاكم (صحار) للاستيلاء على الحكم[٢٧].

حكم سعيد بن سلطان ساحل عمان قرابة نصف قرن ١٢٢١-١٢٧٢ هـ (١٨٠٦-١٨٥٩ م) واستطاع في أوائل عهده أن يستعيد ممتلكاته الإفريقية التي شغلته عن كثير من الأمور الهامة في بلاده. وتعرض لخطر وهابي شديد فألحق به الوهابيون هزائم متعددة، فاشترك في حلف مع الانكليز ضد رأس الخيمة، كما شارك في الحملات التي أرسلها الانكليز لإخضاع رأس الخيمة والتي أدت إلى خضوع هذه الإمارات والمشيخات للإنكليز وإجبارها على توقيع ١٢٣٥ هـ (١٨٢٠ م) وعقد مع الانكليز عام ١٢٥٥ هـ (١٨٤٠ م) معاهدة تجارية، كما وقّع معهم اتفاقيات لمكافحة تجارة الرقيق، ومنح الإنكليز إعفاءات جمركية واسعةٍ، وتوثقت علاقاته مع بريطانيا فأهداها جزر (كوريا موريا). ولكن بريطانيا لم تقدر

(٢٥) Wilson, A: op. cit. pp. 231-233

(٢٦) ج.ج. لوريمر: دليل الخليج جـ، قطر ١٩٧٥، ص ٦٦١-٦٧٠

(٢٧) المصدر السابق ص ٦٨٤ - ٦٨٩.

له صداقته حينها وقفت موقفاً عدائيا لعمان إبان النزاع بين عمان وإيران. فقد احتلت إيران المراكز العمانية في (بندر عباس) وساحل (كرمان)، وفي العام نفسه الذي تخلى فيه السلطان عن جزر (كوريا موريا) لبريطانيا. واستطاع السلطان أن يستعيد ممتلكاته الإيرانية إلا أن الشاه أرسل حملة ثانية فاحتلها، وتدخلت بريطانيا لتمنع السلطان من استعادتها، ولتفرض معاهدة إيرانية عمانية ١٢٧٢ هـ (١٨٥٩ م). تخلى السلطان بموجبها عن ممتلكاته الإيرانية. ومالبث سعيد أن توفي حزيناً بعد نصف عام(٢٨).

ونشبت فتنة بين أولاده ماجد وتركي وثويني. وتدخل الانكليز فقسموا الدولة بين ماجد وثوينى عام ١٢٧٧ هـ (١٨٦٤ م). ونال ماجد الممتلكات الإفريقية زنجبار وممباسا مقابل تعهده بدفع تعويض سنوي لسلطان مسقط. أما تركي فقد اعتصم في المناطق الجنوبية ورفض الاعتراف بسيادة أخيه الأكبر ثوينى، الذي حكم البلاد عشر سنوات كانت مليئة بالاضطرابات مما اضطره إلى أن يستنجد بالوهابيين الذين أنجدوه، ولكنهم فرضوا عليه دفع إتاوة سنوية. وكثر عليه الثوار فأنجده الانكليز وأمدوه بالمدافع والعتاد وشجعوه على غزو البريمي. وكافأ ثويني الإنكليز بمنحهم حقوق مد خطوط هاتفية، وفشل ثوينى في الاستفادة من الاتفاقية البريطانية الفرنسية الموقعة عام ١٢٧٨ هـ (١٨٦٥ م) والتي اعترف فيها الطرفان باستقلال سلطنتى مسقط وزنجبار(٢٩).

وانتهت حياة ثويني نهاية مفجعةً. فقد تآمر ضده ابنه سالم واغتاله واعتقل تركي بن سعيد. واعترفت بريطانيا بسلطنة سالم ولكن أهل عمان لم يعترفوا به، وثاروا عليه بزعامة عزان بن قيس. كذلك أفلت تركي من سجنه واحتل (صحار)، وكاد يدخل مسقط لولا تدخل الانكليز الذين اعتقلوه ونفوه الى الهند. وكثرت الثورات على سالم ففر الى الرياض طالبا المساعدة الوهابية بعد أن تخلى عنه الانكليز، وبايع أهل عمان عزان بن قيس إماما، واحتل عزان واحة البريمي بالاشتراك مع حاكم أبو ظبي وشيخ بني عامر. واختلف عزان مع حلفائه الذين هزموه. وعاد أثناء ذلك تركي بن سعيد من الهند فتغلب على عزَّان، وقتله وأعلن

(٢٨) عبدالكريم غرابية: مقدمة في تاريخ العرب الحديث، ص ٢٧٠ - ٢٧١

(٢٩) جمال ذكريا قاسم: المصدر الساق ص ٢٥٥ - ٢٦٨.

نفســه سلطانـا ١٢٨٨-١٣٠٥ هـ (١٨٧٠-١٨٨٧ م). أما البريمي فقد احتلها حاكم الشـارقة وأعادها للوهابيين. وازداد النفوذ البريطاني في عهد تركي وابنه فيصل فقد عقد تركي معاهدة مع بريطانيا لمكافحة تجارة الرقيق عام ١٢٩٠ هـ (١٨٧٢ م)، واعترف بالقنصل البريطاني قاضيا يفصل في الخصومات بين الرعايا البريطانيين كما سمح للقنصل بحرس بريطاني. وتعهد تركي بألا يتنازل عن أي جزءٍ من ممتلكاته وألا يفرض قيوداً على التجارة إلا بموافقة بريطانية. ومع ذلك لم يقـدم الانكليز له أية مسـاعـدة عنـدمـا ثارت عليه القبائل عام ١٣١٣ هـ (١٨٩٥ م) ولم يتدخلوا إلا بعد نجاحه في إخماد الثورة إذ قدمت له حكومة الهند كمية من الأسلحة والذخيرة[٣٠].

وكان تركي قد سمح للفرنسيين بفتح فنصلية وأعطى مثل هذا الحق للولايات المتحدة الأمريكية. وازداد فيصل تقربا من الفرنسيين فمنحهم حق إقامة مركز تموين للفحم، ولكن بريطانيا أجبرته على إلغاء هذا الامتياز. وخلف فيصلاً ابنه تيمور الذي حكم البلاد ثمانية عشر عاما ١٣٣١ - ١٣٥٠ هـ (١٩١٢-١٩٣٢) ثم تنازل عن السلطنة لابنه السلطان سعيد بن تيمور. وشغل تيمور وابنه سعيد بنزاع شديد مع سكان الداخل. فقد ثار سكان داخل عمان وانتخبوا سالم بن راشد الخروصي إماما، وسيطر سالم على معظم عمان باستثناء مسقط وبعض الموانىء التي أعلنت بريطانيا حمايتها لها منذ عام ١٣١٣ هـ (١٨٩٥ م).

واضطر السلطان تيمور إلى توقيع معاهدة (المسيب) مع الإمام الجديد محمد بن عبدالله الخليل عام ١٣٣٩ هـ (١٩٢١ م) ، اعترف بموجبها باستقلال عمان. وهكذا انقسمت البلاد الى قسمين: ١ - إمامة عمان في الداخل، ٢ - سلطنة مسقط على السـاحـل. وكان لكل من هذين القسمين حكومة صورية وحدود وهمية. غير أن السلطان نقض المعاهدة بايعاز من بريطانيا، وأرسل حملة عسكرية بقيادة ضابط بريطاني فاحتلت (نـزوى) عاصـة إمـامـة عمان في ١٣٧٤ هـ (١٩٥٤ م)[٣١] وأصبحت البلاد موحدة تحت حكم السلطان سعيد بن تيمور ولم يهتم السلطان سعيد بترقية أحوال البلاد الاقتصادية والسياسية والاجتماعية مما

(٣٠) Wislon, A: OP.cit., PP.237-240

(٣١) زاهية قدوره: تاريخ العرب الحديث ص ٧٤ - ٧٥

اضطر بعض المخلصين بالتعاون مع ولده قابوس إلى إبعاد السلطان سعيد عن الحكم واستيلاء ولده قابوس في عام ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م)، والذي أخذ يعمل بسرعة على ترقية أحوال البلاد في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وفي عهد السلطان قابوس الحالى دخلت سلطنة عمان الجامعة العربية وهيئة الأمم لأثر استقلالها. وفي عهده كذلك تم القضاء على ثورة ظفار التي اندلعت قبل توليه السلطة بخمس سنوات[٣٢].

هـ ـ دولة الإمارات العربية المتحدة

تقع هذه الدولة على طرف الجزيرة العربية الشرقي محاذية للخليج العربي وخليج عمان ممتدة من الغرب إلى الشرق في سبع إمارات عربية هي: أبو ظبى، ودبى، والشارقة، وأم القيوين، عجمان، رأس الخيمة ثم الفجيرة التي تقع على خليج عمان.

وهذه الإمارات تشكل امتدادا طبيعيا لشبه الجزيرة لعربية يطل على خليج عمان والخليج العربي. وتبلغ مساحة هذه الدولة ١٦٧٫٠٠٠ ميل مربع ويسكنها حوالي نصف مليون نسمة، وقد أطلق على هذه الإمارات قبل استقلالها اسم مشيخات الساحل العماني، وأطلق عليها الاستعمار ساحل القرصان، ثم غُيّر هذا الاسم ليصبح مشيخات الساحل المهادن.

كان لهذه المنطقة دور هام في منطقتى ساحل عمان والخليج العربي قبل عام ١٢٢٠ هـ (١٨٠٥ م)، ففي عام ١١٦٠ هـ (١٧٤٧ م) أسس رحمة بن مطر القاسمي دولة امتد نفوذها على طول الساحل الشرقي والشمالي للخليج العربي وبلغت حدودها الشواطىء الهندية والبحر الأحمر، واستطاعت أن توطد أركانها بأسطول بحري ضخم كان يسيطر سيطرة شبه تامة على مياه الخليج والبحر العربي كله. واتخذ من الشارقة عاصمة له، ووقفت هذه العائلة (القواسم) على قدم المساواة في معاملاتها مع سلطان مسقط والأمير السعودي.

(٣٢) أحمد شلبى: موسوعة التاريخ الاسلامى حـ ص ٣٦٢-٣٦٣.

شهدت هذه الدولة أول انتصار لها على البرتغاليين الذين كانوا يحتلون ساحل عمان كله سنة ١٠٢٨ هـ (١٦١٩ م)، وبعد تقلص النفوذ الفارسي إثر وفاة نادر شاه عام ١١٦٠ هـ (١٧٤٧ م) ازداد نفوذ القبائل العربية التي عادت إلى التجمع على ساحل الخليج بعد مدةٍ طويلة من الرعب والإرهاب والنزوح إبان الحكم البرتغالي، واستوطنت الساحل وأخذت تعمل في الصيد والسيطرة على البحار والاستيلاء على سفن الأعداء، إذ كانت تعّد أن هذا العمل جهاد إسلامي مشروع وعمل شريف في حين ان الأعداء يسمونه قرصنة، ولذلك أطلقت بريطانيا على هذا الساحل ساحل القرصان، وعندما تهادن معها سمى بالساحل المهادن. سيطر القواسم على الخليج سيطرة تامة وأثار ذلك حنق بريطانيا عليهم، لأنها عدت هجمات القواسم على سفن الانكليز في الخليج تدخلا في شؤون الامبراطورية البريطانية التي كانت تربطها علاقات تجارية واسعة بالشرق. فأرسلت الحملات البحرية البريطانية للقضاء على قوة القواسم (حكام الشارقة ورأس الخيمة) وبدأت أول حملة ١٢٢٠، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٣٤ هـ (١٨٠٥-١٨١٩ م) استطاعت في نهايتها تدمير رأس الخيمة، وكذلك تدمير أسطول القواسم، ووقعت بريطانيا مع شيوخ الإمارات معاهدة في عام ١٢٣٥ هـ (١٨٢٠ م) نصت على وقف الهجمات على السفن الأجنبية في الخليج، وبذلك أنهت هذه المعاهدة قوة العرب البحرية في مياه الخليج، وبدأت معها على الفور الحماية البريطانية على المنطقة بأسرها.

ولكن المعاهدة لم تتعرض للنشاط البري ولم تضع حدا للقتال البري بين الشيوخ، فقد وقعت عدة منازعات وخصومات بين شيوخ أبو ظبى و دبي، وكان شيخ الشارقة (سلطان) يقوم برأب الصدع وحل الخلافات بينهما. وبعد وفاة شيخ الشارقة سلطان تفككت إمارته فانفصلت أم القيوين وعجمان والفجيرة عن الشارقة. كما انفصلت مؤخراً رأس الخيمة في عام ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م). وعلى ذلك لم يكن في إمارات الخليج ذات دور مهم سوى الشارقة والتي لعبت دورا هاما في التاريخ الحديث.

نعود بعد ذلك إلى علاقة بريطانيا بدول الخليج، فمنذ أن سيطرت بريطانيا على هذا الساحل منذ عام ١٢٣٥ هـ (١٨٢٠ م)، كانت هذه المعاهدات تخرق

بين الحين والحين، وتقوم بريطانيا بتجديدها سنويا كما فرضت معاهدة عام ١٢٥٩ هـ (١٨٤٣ م) مدتها عشر سنوات ثم جعلتها عام ١٢٧٠ هـ (١٨٨٨ م) معاهدة دائمة أبدية تعهد بموجبها شيوخ الشارقة، ودبي، والعجمان، وأم القيوين، وأبي ظبي بوقف الأعمال الحربية بحراً. وأتبعتها عام ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م) بمعاهدة أعطت بريطانيا وضعا خاصا، وحرمت على الشيوخ التصرف بأرضهم ومنح امتيازات أو قواعد دون موافقة بريطانيا، ولم تمنحهم بريطانيا مقابل ذلك أية حماية ضد الغزو البري، بل تركتهم يحارب بعضهم بعضا، ومنحت بريطانيا نفسها حق القيام بأعمال قرصنة سياسية ضد هذه المشيخات، فنراها تهدد وتقصف رأس الخيمة أكثر من مرة. وتابعت بريطانيا هذه السياسة حتى في السنين الأخيرة. فقد قصفت الفجيرة عام ١٣٧١ هـ (١٩٥١ م) وحاصرت دبي عام ١٣٧٤ هـ (١٩٥٤ م) ولكن وقفت على الحياد عندما نشب القتال بين دبي وأبي ظبي عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م). وكانت المحميات هذه تابعة لحكومة الهند البريطانية.

وكانت امارات ساحل عمان تخضع مباشرة للمقيم السياسي البريطاني في (بوشهر) في إيران منذ عام ١٢٣٩ هـ (١٨٢٧ م) وحتى عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م)، ثم انتقل المقيم السياسي البريطاني إلى البحرين، وعين أول ضابط سياسي بريطاني مقيماً سياسياً في الشارقة في العام نفسه، ثم أنشئت هناك عام ١٣٧٢ هـ (١٩٥٢ م) دار الاعتماد البريطاني نفسه، وانتقلت إلى دبي عام ١٣٤٧ هـ (١٩٥٤ م). ونظمت بريطانيا مؤتمراً سنوياً للشيوخ فاجتمع المؤتمر الأول في ١٣٦٤ هـ (١٩٤٣ م) في البريمي برئاسة المندوب البريطاني، وشكلت بريطانيا عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ م) قوةً محليةً بقيادة بريطانيا جاوز عدد أفرادها الألف واستخدمتهم في عملية احتلال البريمي. ولعل هذه المنطقة من المناطق القليلة في العالم التي تستطيع فيها دولة كبيرة متمدنة أن تقوم بأعمال قرصنة دون أن يعلم الرأي العام العالمي، ليفرض على هذه الدولة وجوب اتباع خطط أكثر إنسانية.

ومن الجدير بالذكر أن المعاهدات اقتصرت على الشؤون الخارجية للإمارات وحفظ الأمن فيها، وأبقت الشؤون الداخلية طوال مدة الحماية في أيدي حكام

الإمارات الذين تعاقبوا على حكمها، غير أن التطورات المعاصرة في منطقة الخليج العربي حدت بحكام الخليج إلى أن يوحدوا إماراتهم، خاصةً بعد إعلان بريطانيا عن عزمها الانسحاب من منطقة الخليج في موعد أقصاه عام ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م).

وفي ١٨ شوال عام ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م) قام الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (حاكم أبو ظبي) بتشجيع من بريطانيا بزيارة إلى دبي وبحث مع حاكمها الشيخ راشد بن سعيد المكتوم إقامة اتحاد يضم الإمارتين المتجاورتين تكون مهمتها الإشراف على الشؤون الخارجية والدفاعية، والأمن، والخدمات الصحية، والتعليمية والسكانية لكل من الإمارتين. واتفق الحاكمان على دعوة حكام الإمارات السبع الأخرى، وكذلك البحرين وقطر للاجتماع في دبي، لمناقشة موضوع الدعوة إلى الاتحاد، ولبى الحكام الدعوة واجتمعوا في دبي في شهر ذي القعدة ١٣٨٧ هـ . وانبثقت عن هذا الاجتماع اتفاقية اتحاد الإمارات العربية التسع وهي الاتفاقية المعروفة «باتفاقية دبي» ونصت على أن يبدأ العمل بها في ١/١/١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م). وجاء في الاتفاقية أنه تم الاتفاق على إنشاء اتحاد للإمارات العربية في الخليج العربي، لتوثيق الصلات والعلاقات بين الإمارات العربية، وتقوية التعاون بينها، وتنسيق خطط تقدمها وتوحيد السياسة الخارجية والتمثيل الخارجي، ودعم الدفاع الجماعي لها ضمن احترام سيادة واستقلال كل منها.

وفي ٢٥ صفر ١٣٨٨ هـ عقد الاجتماع الأول للمجلس الأعلى لاتحاد الإمارات العربية في مدينة أبوظبي، وقد تم فيه اختيار الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيساً للمجلس الأعلى للاتحاد، وشكلت عدة لجان لمتابعة دراسة الموضوعات الأخرى. وعقدت الدورة الثانية للمجلس الاتحادي الأعلى في الدوحة (قطر)، وتقرر إنشاء قوة مسلحة برية للاتحاد.

وفي ٢٠ صفر ١٨٣٩ هـ (١٩٦٩ م) عقدت الدورة الثالثة للمجلس الاتحادى الأعلى واتفق فيها على أن يكون للمجلس الأعلى الاتحادي رئيس ونائب رئيس، ينتخبان من بين أعضائه لمدة سنتين، واتفق كذلك على تشكيل مجلس وزراء وعلى إنشاء علم واحد، وتشكيل لجنة لوضع الدستور المؤقت للاتحاد.

ووضع الدستور، وعقدت الاجتماعات، وظهرت صعوبات وعقبات، وبذلت حكومة أبو ظبي جهودا كبيرة لتذليل هذه الصعوبات والعقبات، ولم يكتب لهذه الجهود النجاح. كما فشلت جهود الوساطة الكويتية السعودية في عام ١٣٩١ هـ نحو تحقيق هذا الهدف.

ولما تعذر قيام اتحاد الإمارات التسع، سارع حكام إمارات الساحل العماني إلى الاجتماع في منتصف عام ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م) في دبي حيث تكللت جهودهم بالنجاح بإقامة إتحاد سباعي يضم إمارات الساحل العماني، وأعلن مولد دولة الإمارات العربية المتحدة في ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م). وتنفيذا لبيان المجلس الأعلى لحكام الإمارات الصادر بتاريخ ٢٠ ربيع الثاني ١٣٩١ هـ اجتمع المجلس المذكور في شوال عام ١٣٩١ هـ ، وأعلن رسميا قيام «دولة الإمارات العربية المتحدة» التي ضمت آنذاك ست إمارات هي: أبوظبي - دبي - الشارقة - عجمان - أم القيوين - الفجيرة. ثم لم تلبث إمارة رأس الخيمة أن انضمت بعد ذلك إلى الدولة الجديدة في ٢٤ ذي الحجة عام ١٣٩١ هـ (١٩٧٢ م)، وقد انتخب في احتفال رسمي حاكم أبو ظبي رئيسا لدولة الإمارات العربية المتحدة، كما انتخب حاكم دبي نائبا للرئيس، وعين ولي عهد دبي رئيسا لوزراء حكومة الاتحاد.

وفي اليوم نفسه الذي أعلن فيه قيام الدولة الجديدة اجتمع الشيخ «زايد بن سلطان آل نهيان» رئيس الدولة مع السير «جيفري آرثر» المقيم السياسي البريطاني في الخليج حيث تبادل الطرفان وثائق إنهاء المعاهدات والاتفاقات السياسية، كما وقع الطرفان معاهدة صداقة لمدة عشر سنوات. وقد قبلت الدولة الجديدة عضوا في الجامعة العربية في شوال ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م)، كما وافقت الجمعية العمومية للأمم المتحدة على قبولها عضوا في الشهر نفسه، وبعد ثلاث أيام فقط، وأصبحت العضو الثالث والعشرين بعد المائة.

ملحق خاص بالإمـــارات
(عـــام ١٣٩١ م)

الإمارة	عدد سكانها	مساحتهـا
أبوظبي	١٥٠٠٠٠ نسمة	٢٦٠٠٠ ميل مربع
دبي	١٤٠٠٠٠ نسمة	١٥٠٠ ميل مربع
الشارقة	٥٠٠٠٠ نيمة	١٠٠٠ ميل مربع
عجمان	٥٠٠٠ نسمة	١٠٠ ميل مربع
أم القيوين	٥٠٠٠ نسمة	٣٠٠ ميل مربع
رأس الخيمة	٥٠٠٠٠ نسمة	٦٥٠ ميل مربع
الفجيرة	١٠٠٠٠٠ نسمة	٤٥٠ ميل مربع

و ـ قطـــر

تقع شبه جزيرة قطر داخل الخليج العربي، وفيها تقع دولة قطر وعاصمتها الدوحة، ومن أشهر بلدانها (الزبارة) و (دخان)، وهي منطقة حقول الزيت، وتبلغ مساحة قطر ثمانية آلاف ميل مربع (١٧٫٥٠٠ كم٢) وسكانها زهاء مائتي ألف. وهي غنية بالنفط الذي نال امتيازه شركة قطر التي تشبه في تشكيلها شركة نفط العراق. وبدأ إنتاج النفط عام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) وغدت قطر البلد الحادي عشر في إنتاج النفط في عالم[٣٣].

كانت قطر جزءاً من البحرين يحكمها حاكم من قبل آل خليفة وأحيانا يستقل بهذه المناطق، وفي كثير من الأحوال كانت منطقة البصرة أو اليمامة هي التي تشرف على المنطقة. وفي القرن الثامن الهجري ـ استولى بنو نبهان العمانيون على قطر،

(٣٣) د. عبدالكريم غرابية: مقدمة تاريخ العرب الحديث ص ٢٦٠ دمشق ١٩٦١م

ولم يطل مقامهم بها، ومن بعدهم تناوب على قطر وغيرها من مناطق البحرين كثيرون من أهل البلاد. وفي عام ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) استولى البرتغاليون على قطر، وفي عام ٩٤٣ هـ (١٥٣٧ م) أرسل السلطان سليمان القانوني أسطولاً بقيادة سليمان باشا والي مصر لمحاربة البرتغال وطردها، ونجح هذا الأسطول في مهمته، فطرد البرتغال من البحرين، والقطيف، وقطر واستولي عليها، كما استولي على الأحساء. وعندما ضعفت الدولة العثمانية استطاع آل حميد من بنى خالد أن يطردوا العثمانيين سنة ١٠٨٠ هـ (١٦٦٩ م) ويصبحوا حكام الأحساء.

وعندما قامت الدولة السعودية الأولى مدت سلطانها إلى قطر في عهد عبدالعزيز بن محمد، وأرسلت حملتين إحداهما سنة ١٢٠٢ هـ (١٧٨٧ م) بقيادة سليمان بن عفيصان، والثانية سنة ١٢٠٨ هـ ١٧٩٣ م) بقيادة ابراهيم بن عفيصان. وبعد سقوط الدرعية مدّآل خليفة أمراء البحرين سلطانهم إلى قطر(٣٤).

ولعل من المفيد أن نتتبع تطور القوى المحلية في قطر منذ البداية، فمن المعروف أن العتوب هاجروا من موطنهم في نجد في أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر الهجريين، فنزلوا في منطقة قطر في ظل قبيلة آل مسلم التي كانت تحكم تلك المنطقة من شرقي الجزيرة العربية. وقد استقر العتوب في قطر مدة تقرب من نصف قرن، تعلموا خلالها ركوب البحر، وأصبحوا مهرة في شؤون البحار، وعرفوا صيد اللؤلؤ والتجارة البحرية، وخبروا مزايا موقع أرضهم الجديدة في شرق الجزيرة العربية، وبمرور الوقت نمت القوة الاقتصادية البحرية للعتوب، وأصبحوا يمثلون خطراً حقيقيا لآل مسلم حكام قطر. وشعر هؤلاء - أي آل مسلم - أن استمرار وجود آل صباح وآل خليفة في قطر يشكل خطراً عليهم، لذا فقد نشب النزاع بينهم، واضطر العتوب (آل صباح وآل خليفة) إلى الهجرة بحراً نحو رأس تنورة في الأحساء، وتبعهم آل مسلم ليحطموا قواهم حتى لاتقوم لهم قائمة بعد ذلك، وبعد تنقل وتشتت حطّ العتوب الرحال في ثغر الكويت، واستقروا بعد أن سمح لهم بنو خالد بالإقامة هناك (أي في الكويت). واقتسم العتوب الحكم في الكويت، فكان لآل صباح إدارة شؤون الحكم ولآل خليفة إدارة شؤون التجارة، وللجلاهمة إدارة شؤون البحر. ومالبث آل خليفة

(٣٤) د. أحمد شلبى: موسوعة التاريخ الإسلامى ج٧، القاهرة ١٩٧٧، ص ٦٤٦

أن هاجروا من الكويت إلى قطر ثانيةً في عام ١١٨٠ هـ (١٨٦٦ م) اي بعد خمسة عشر عاماً من إقامتهم في الكويت[٣٥].

أسس آل خليفة مدينة الزبارة، وسرعان مانمت وازدهرت لتتحول إلى مركز تجاري نشيط، راح ينافس ميناءى العقير والقطيف على ساحل الأحساء بل وراح ينافس أيضاً موانىء الفرس على الخليج. وفي عام ١١٩٨ هـ (١٧٨٣ م) كان بدء الصدام بين القوة النامية الجديدة وبين القوى القديمة التي أحست بخطر الوافد الجديد، فكان هجوم الفرس بقيادة الشيخ ناصر حاكم بوشهر على الزبارة، وقد دحر هذا الهجوم، وتراجعت السفن القادمة بعد أن تكبدت أفدح الخسائر، وكان من الطبيعي أن تحس القوى الجديدة بذاتها، وأن تزداد لديها التطلعات والآمال[٣٦].

وكان التطلع نحو البحرين هو هدف القوى المحلية، ففي عام ١١٩٨ هـ ١٧٨٣ م) قامت قبائل العتوب بغزو البحرين بأسطول كبير من شبه جزيرة قطر، وحاصرتها لمدة امتدت حوالي الشهرين، وانتهى الحصار بفتح جزر البحرين، وبعد فتح البحرين تغير ميزان القوي في المنطقة، فبعد أن كان اهتمام آل خليفة مركّزاً في قطر، تحول هذا .الاهتمام إلى البحرين. واذا كان دخول البحرين قد تحقق باتحاد قبائل قطر وتكامل وتحالف وقوة العتوب (آل خليفة والجلاهمة وآل صباح) إلا أن الجلاهمة خرجوا من الفتح دون أن ينالوا مايوازي ماقدموه. لذلك فان البنيان الجديد أخذ يهتز من داخله ويحمل بين طياته عوامل فنائه، إذ اجتاحته نزاعات، انتهت بانفصال قطر عن البحرين، بعد أن تبلورت في قطر قوة محلية تحت زعامة واحدة بقيادة قاسم آل ثاني[٣٧].

ونتيجة لما قدمه آل ثاني من مساعدات لآل حليفة في فتح البحرين، عين آل خليفة آل ثاني حكاماً لقطر يحكمونها باسمهم، وهكذا أصبح آل ثاني هم زعماء الشعب في قطر، وقد حافظوا على زعامتهم الشعبية منذ ذلك الحين، وكان ابنه

(٣٥) د. عبدالعزيز المنصور ود. فتوح الخدش: نشوء قطر وتطورها. الكويت دار ذات السلاسل ١٩٧٧ ص٣٩، ٤٠

(٣٦) لوريمر. ج.ج: دليل الخليج (التاريخي) جـ، ص ١١٩٧ (قطر ١٩٧٥)

(٣٧) عبد العزيز المنصور، وفتوح الخدش: نشوء قطر وتطورها، ص ٤١

الشيخ قاسم نائباً له في أثناء حياته، ولكنه كان من عظماء السياسة، فبدأ يستقل بالأمر دون أن يعود لاستشارة آل خليفة، فطلب آل خليفة من والده الشيخ محمد أن يرسـل لهم ابنه الشيخ قاسم (لتجديد الصحبة ولإزالة الشبهة) فاستجاب لهم[٣٨]. إلا أن البحرين قد ألقت القبض عليه واعتقلته. وهاجم قومه البحرين لإنقاذه ولكنهم هزموا، وتعقبتهم قوات البحرين إلى ساحل قطر، وكان ذلك عام ١٢٨٤ هـ (١٨٦٦ م)، وتمكن أهــل قطر من اختــطاف أحـد أقـارب شيخ البحرين، ثم أخلوا سبيله مقابل فك أسر الشيخ قاسم الذي أصبح سيد قطر الفعلي[٣٩].

وكـان لتـدخل بريطانيا أثر كبير في فصل قطر عن البحرين، فقد عقدت بريطانيا اتفاقية مع الشيخ محمد آل ثاني زعيم قطر تعهد فيها بألا يقوم بأي عمل عدواني ضد جيرانه، كما تعهد بألا يرتكب أي عمل عدواني في البحر، بل عليه أن يحل كل الخلافات والمنازعات التي قد تنشب بينه وبين جيرانه بتوجيهها إلى المقيم البريطاني للفصل فيها[٤٠]. وحددت بريطانيا كذلك العلاقات بين قطر و البحرين. وقد وضع هذا الاتفاق أساس استقلال قطر عن البحرين. وكان على قطر أن تدفع ضريبة لحاكم البحرين غير أن الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني الذي تولى الحكم بعد أبيه امتنع عن دفع الضريبة مدعماً بذلك استقلاله[٤١].

وقد وحد الشيخ قاسم ١٢٩٥ ـ ١٣٣٢ هـ (١٨٧٧-١٩١٣ م) قطر، وقضى على مناوئيه فتألق نجمه، وعلت مكانته، ومن هنا خشي العثمانيون أن يخرج عن طاعتهم كما فعل آل خليفة، فهـاجمت القـوات العثمانية قطر عام ١٢٨٨ هـ (١٨٧٠ م) واحتلتها وأجبرت الشيخ قاسم على الفرار، واعترف العثمانيون أول الأمر بزعامة أحمد أخي قاسم ثم اعتقلوه. ولكن الشيخ قاسم تمكن من إلحاق هزيمة بالعثمانيين وتحرير أخيه واستعادة سيطرته على قطر. ونجح قاسم في صد حاكـم أبي ظبـي، واستعــادة الــدوحــة منــه، وفــرض عليه صلحــاً عام

(٣٨) مصطفى كامل الدباغ: قطر ماضيها وحاضرها، ص ١٧٧

(٣٩) عبدالكريم غرايبة: مقدمة تاريخ العرب الحديث، ص ٢٥٩

(٤٠) لوريمر. ج.ج: دليل الخليج جـ، ص ١٢١٦

(٤١) أمين الريحاني: تاريخ نجد وملحقاته، ص ١١٣

١٣٠٣-١٣٠٦ هـ (١٨٨٥-١٨٨٨ م)، وفشلت محاولة قاسم لغزو البحرين عام ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) إذ تدخل الأسطول البريطاني، وحطم قوارب الغزو القطرية، وفرض على الشيخ قاسم معاهدة صلح[٤٢]

وكان الشيخ قاسم سيئ العلاقة بالانكليز يعارض سياستهم ولايسير في فلكهم، مما جعل بريطانيا تتحين الفرصة للانتقام منه، واغتنمت بريطانيا فرصة نشوب الحرب العالمية الأولى، وجلاء القوات والنفوذ العثماني عن قطر، ففرضت في عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) معاهدة حماية على قطر بعد أن تنازلت لها الدولة العثمانية عام ١٣٣٢ هـ (١٩١٣ م) عن حقوقها في قطر في العام الذي توفي فيه الشيخ قاسم. وقد جاء في هذه الاتفاقية «تتنازل الدولة العثمانية عن جميع حقوقها في شبه جزيرة قطر التي سيستمر في حكمها الشيخ قاسم بن ثاني وخلفاؤه من بعده، وتعلق الحكومة البريطانية أنها لن تسمح بتدخل شيخ البحرين في أمور قطر الداخلية أو ضمها إلى أراضيها»[٤٣]

خلف الشيخ قاسم ابنه الشيخ عبدالله الذي لم يكن في حزم أبيه ومكانته، فأصبح النفوذ البريطاني في عهده قوياً وعقد معاهدة مع بريطانيا، وفي عهده اكتشف النفط فمنح امتيازاً لاستثمار النفط عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٤ م)، وظل الشيخ علي في الحكم حتى عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م) وفي عهده حدثت زيادة هائلة في النفط في قطر نتج عنه ارتفاع في مستوى المعيشة وزيادة في العمران. ولكن الشيخ علي تنازل لابنه الشيخ أحمد ليصبح أميراً لقطر، ونصت وثيقة التنازل على أن يكون الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني (ابن أخي الشيخ علي) ولياً للعهد ونائباً للحاكم الجديد، وقد ظل الازدواج قائماً حتى عام ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢ م) حيث عزل الشيخ أحمد، وأصبح الشيخ خليفة بن حمد هو أمير قطر وحاكمها، وما زال حتى اليوم، وهو الذي أعلن استقلال البلاد عام ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م)[٤٤].

---

(٤٢) عبدالكريم غرايبة: تاريخ العرب الحديث، ص ٢٦٠

(٤٣) مصطفى الدباغ: قطر ماضيها وحاضرها، ص ١٩٤

(٤٤) المرجع السابق.

ز ـ البحريــن

مجموعة من الجزر تقع في الخليج الكائن بين شبه جزيرة قطر وساحل المنطقة الشرقية (الأحساء) بالمملكة العربية السعودية، لاتزيد مساحتها جميعا على **٥٧٥** كيلو متراً مربعــاً. ويزيد عدد الجـزر على إحدى عشرة جزيرةً، أكبرها جزيرة البحرين التي أعطت اسمها للدولة كلها، والذي أخذته من اسم المنطقة كاملةً، وكانت من قبل تعرف باسم جزيرة (أوال).

سبق أن ذكرنا أن بني خليفة وهم من العتوب قد غادروا القرين (الكويت) مغاضبين أبناء عمومتهم آل الصباح لسبب من الأسباب، واتجهوا نحو الجنوب، ورغبوا في الاستقرار في جزيرة البحرين، ولكن حكام الجزيرة من بني مدكور من قبيلة المطاريش لم يسمحوا لهم بذلك مما اضطرهم إلى متابعة السير إلى (الزبارة) في قطر فنزلوا فيها عام **١١٧٩** هـ (**١٧٦٥** م) بإمرة شيخهم محمد بن خليفة، وكانت المنطقة من ديار بني مسلم.

حصن آل خليفة الزبارة، وحصلوا على نوعٍ من الاستقلال الذاتي ولما طالبهم آل مسلم بدفع الزكاة لهم رفضوا ذلك، ولم يمضِ بعد على استقرارهم أكثر من عامين. وعمل آل خليفة بصيد اللؤلؤ، ونمت تجارتهم، وعفوا البضائع من الرسوم فتطورت مدينتهم وجذبت إليها عدداً من القبائل الأخرى منها عدد من العتوب من الكويت، مثل قبيلة الجلاهمة التي منها آل جابر أشهر قبائل العتوب في ركوب البحر، وكان المهاجرون من الكويت من الكثرة حتى اضطر أهل الزبارة الى رفض بعضهم وطردهم وإعادتهم إلى الكويت.

ضعفت دولة آل خالد في المنطقة وحصل كثير من أتباعهم على الاستقلال مثل آل الصباح في الكويت، وآل مسلم في قطر، وسار على طريقهم آل خليفة في (الزبارة).

وقع خلاف بين آل خليفة وآل جابر، واعتزل آل جابر في منطقة (الرويس)، وعملوا في بناء أسطول خاص بهم، ثم تجدد الخلاف فقتل زعيم آل جابر، وأبيد

أكثرهم، ولم ينج منهم إلا القليل واكثرهم من النساء والأطفال.

وحصل نزاع بين آل خليفة في (الزبارة) وبين حكام (بوشهر) و (والدورق) و (بندر رق) وهؤلاء لهم السيطرة على جزيرة البحرين، ونتيجة الصراع سيطر آل خليفة على جزيرة البحرين.

وبدأ الصدام بين السعوديين في الأحساء وآل خليفة في (الزبارة)، وذلك عام ١٢١٠ هـ (١٧٩٥ م)، ابتدأ السعوديون بالهجوم على الزبارة بقيادة إبراهيم بن عفيصان وألقوا الحصار على المدينة، ولما اشتد الأمر على سكانها قرروا إخلاءها وتخريبها وارتحلوا عنها بصورة جماعية إلى البحرين، إلا أن قادتهم قد وقعوا أسارى بين ابن عفيصان الذي عيّن حاكماً على البحرين من قبله.

رجع سلمان بن خليفة عام ١٢١٤ هـ (١٧٩٩ م) حاكماً على البحرين، ولكنه تعرض في العام التالي لهجوم سلطان مسقط عليه، إلا أن هذا الهجوم قد فشل غير أنه نجح في المرة الثانية بعد سنة، وفتحت مدينة المنامة أبوابها لسلطان مسقط الذي نقل بعض الرهائن من آل خليفة إلى مسقط على حين هرب بعضهم إلى (الزبارة).

واستطاع آل خليفة بعد عامين من الرجوع إلى جزيرتهم، وكان النفوذ السعودي ينتشر في البحرين فاستعان آل خليفة بالسعوديين ضد العمانيين. وتوطدت العلاقات بين آل سعود وآل خليفة، وخاصة عندما رجع سلمان بن خليفة إلى الحكم بمساعدة عبد العزيز بن محمد آل سعود عام ١٢٢٤هـ (١٨٠٩م)، بعد أن أجبر على تركه بسبب هجوم سلطان عمان.

تمكن الجيش السعودي من طرد سلطان عمان، ولكنه أخذ بعض آل خليفة إلى نجد حيث احتجزهم الإمام سعود الكبير هناك. لكن آل خليفة استعانوا بأعدائهم السابقين العمانيين ضد السعوديين. وأخرج السعوديون من البحرين بمساعدة الأمير عبدالله بن أحمد الذي ثار عليه بعد مدة أحد أبناء عمومته، وهو محمد بن خليفة بن سلمان، الا أن محمداً هذا قدهزم في معركة (الناصفة) فالتجأ إلى عبد الله بن ثنيان من آل سعود، وكان وقتذاك في المنطقة الشرقية. ولكن ابن ثنيان لم يستفد من خلاف آل خليفة لأن حكمه قد انتهى بمجيء فيصل

بن تركي. فذهب محمـد بن خليفـة يطلب النجـدة من قطر فحصل عليها، واستطاع الانتصار على ابن عمه عبدالله بن أحمد، وتسلم الحكم عام ١٢٥٨ هـ ١٨٤٢ م).

فَرّ عبد الله بن أحمد إلى إيران، وطلب النجدة، ولكنه لم يوفق، أما من الجهة الثانية فقد تمكن الإمام فيصل بن تركي آل سعود من دخول مدينة الدمام وانتزاعها من أيدي البحرانيين، وأراد السيطرة على البحرين كلها.

انتقل عبدالله بن أحمد إلى الدمام ولكنه لم يستفد شيئاً، وتوفي عام ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩ م)، وصفا الجو لمحمد بن خليفة الذي استمر في الحكم حتى عام ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م)، وكان قد عقد معاهدة مع بريطانيا عام ١٢٧٩ هـ (١٨٦٢ م).

انتقل الحكم إلى علي بن خليفة بعد وفاة محمد غير أنه قتل بعد عدة أشهر بيد أخيه ناصر، ولكن عيسى بن علي قد قبض على زمام الأمر، وتسلم الحكم حتى عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٦ م)، وعقد معاهدة عام ١٢٩٨ هـ (١٨٨٠ م) مع بريطانيا وجددت عام ١٣١٠هـ (١٨٩٢ م) وبموجبها لايحق لأمير البحرين أن يتنازل عن أي جزء من أراضيه إلى أية جهة سوى بريطانيا، ولا أن يعقد أية علاقة مع أية دولة دون علم بريطانيا، وأن يقيم مستشار بريطاني في المنامة بجانب الأمير.

توفي الأمير عيسى بن خليفة عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٣ م) فتسلم الحكم بعده ابنـه أحمد حتى عام ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م)، وفي عهده وجد النفط في البلاد بكميات تجارية. وفي أثناء الحرب العالمية الثانية وقعت بريطانيا نيابة عن شيخ البحرين معاهدة تمنح الحكومة الأمريكية بموجبها حق اتخاذ البحرين مقراً لقيادة أسطولها في الشرق الأوسط.

تسلم الحكم في البحرين بعد وفاة الأمير أحمد ابنه سلمان حتى عام ١٣٨١ هـ (١٩٦١ م)، وقـد طرد سلمان المستشار البريطاني من البلاد عام ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م) وبدأت البلاد تسير نحو الاستقلال الذي تم في عهد عيسى بن سلمان الـذي لايزال أميراً على البلاد، إذ أجري استفتاء في البحرين من قبل الأمم

المتحدة استقلت على إثره عام ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م)، وانضمت إلى الأمم المتحدة والى جامعة الدول العربية.

ح - الكـويـت

تقع الكويت في الزاوية الشمالية الغربية من الخليج العربي على هيئة مثلث، ضلعه الشمالي عند حدود العراق، وضلعه الجنوبي على مشارف المملكة العربية السعودية، وضلعه الثالث الشرقي على شاطىء الخليج العربي. ويبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب ٢٨٠ كيلو مترا وعرضها من الشرق الى الغرب ٣٨ كيلومترا ومساحتها ١٥٠٠٠ كم٢، وعدد سكانها حوالي مليون وربع مليون. وأرضها صحراوية قارية المناخ ترتفع درجة الحرارة فيها صيفا إلى ٤٨° درجة مئوية في الظل أثناء النهار، ولا تهطل فيها أمطار إلا نادرا وتفتقر إلى الينابيع. ويقع على طول الساحل عدد من الجزر الصغيرة أهمها جزيرة بوبيان، وهي أكبرها ولكنها غير مسكونة، وجزيرة فيلكا التي يسكنها عدد قليل(٤٥).

ولم يكن اسم الكويت معروفاً قبل القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي)، فقد كانت منطقة الكويت تحمل اسم القرين بسبب وقوعها على خليج الكويت الذي يشبه القرن، أما كلمة (كويت الحالية) فهي تصغير لكلمة كوت، والكوت عبارة عن حصن صغير كان موجوداً فيها، وبناه محمد بن عريعر زعيم قبيلة بني خالد التي كانت تسيطر على تلك المناطق فأقام فيها بعض أتباعه، واتخذوا منه مستودعا للزاد والذخيرة، ومايحتاجون إليه، فإذا أرادوا الغزو شمالاً أو المرعى قريبا من ذلك الحصن تزودوا بما يريدون، ونسبة إلى الكوت سميت الكويت، وذلك بعد هجرة آل الصباح اليها.

والواقع أن استقرار الحكم لآل صباح في الكويت قد مر بمراحل عدة، فقد هاجر آل الصباح من نجد ومعهم آل خليفة وبعض جماعات العتوب، فوصلوا إلى الزبارة في شبه جزيرة قطر، فأقاموا فيها بعض الوقت غير أنهم لم يلبثوا أن

(٤٥) عبدالكريم غرايبة: تاريخ العرب الحديث ص ٢٤٤ - ٢٤٥

غادروها إثر معركة دارت عند رأس تنورة رغم أن النصر كان حليفهم، ومن ثم واصلوا سيرهم بحراً حتى وصلوا الى منطقة الكويت. فنزلوا بجوار كوت بني خالد استأذنوهم في النزول فرحب بنو خالد بهم وكان ذلك عام ١١٢٩ هـ (١٧١٧ م). فاتفق جماعة العتوب على إدارة شؤون البلاد إدارة مشتركة، على أن يتولى آل صباح شؤون الحكم، وأن يتولى آل خليفة شؤون المال والتجارة في حين يتولى الجلاهمة شؤون العمل في البحر. فاستقل آل صباح بحكم الكويت ١١٧٠ هـ (١٧٥٦ م) بعد أن هجرها آل خليفة وتبعهم الجلاهمة، واختار اهل الكويت في عهدهم وازدادت أهميتها مما أدى الى قيام نوع من العلاقات المحلية والمنافسات الدولية بشأنها.

وأقام آل الصباح علاقات ودية مع القوي المحلية المجاورة، فاتفقوا مع بني خالد على حسن الجوار وعدم الانضمام إلى أعدائهم مقابل استقلال آل الصباح في حكم الكـويت، ولكنهم (آل صبـاح) مالبثوا أن تخلصوا من هذا الارتباط واستقلوا بالكويت. أما بالنسبة لبنى كعب (أمراء عربستان) فقد كانوا يسيطرون على الخليج ويفرضون الضرائب على سكان المنطقة، ولكن آل صباح رفضوا أن يدفعوا هذه الرسوم، فجرت معركة بحرية بين الطرفين في موقعة الرقة وانتصر فيهـا الكـويتيون بقيادة الشيخ عبـدالله الأول الصبـاح ١١٧٦ - ١٢٢٩ هـ (١٧٦٢ - ١٨١٧ م)، وتابع الكويتيون حروبهم مع بنى كعب في عهد الشيخ جابـر الأول الملقب بجـابـر العيش، ١٢٢٩ - ١٢٧٦ هـ (١٨١٧ - ١٨٥٩ م) وأحرزوا انتصارات كثيرة مكنتهم من توطيد نفوذهم في البلاد. وساعد آل صباح أبناء عمومتهم من آل خليفة حينما استولوا على البحرين.

ونمت الكويت بسرعة وازداد عدد سكانها، وأصبح لها أسطول تجاري من ثمانمائةً مركب شراعي، كما ازدادت أهميتها التجارية بعد سقوط البصرة. وتعرضت الكويت أواخر عهد عبدالله لخطر الوهابيين. وتدخل الانكليز لمنع الجيش المصري من التمركز في الكويت عام ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م) فاكتفوا بإرسال مندوب سياسي إليها. وفي عهد الشيخ جابر الأول توطدت علاقة الكويت مع العثمانيين، وقدم لهم مساعدات عسكرية، وذلك بسبب الهجمات الوهابية على الكويت. ولم يحدث ما يستحق الذكر في عهد صباح ١٢٧٦ - ١٢٨٤ هـ (١٨٥٩ - ١٨٦٦ م) سوى

تأزم العلاقات بينه وبين عبدالله بن فيصل آل سعود.

وازداد النفـوذ العثـماني في عهـد عبـدالله الثـاني بن صبـاح بن جابـر (١٢٩٣ ـ ١٣٠٩ هـ (١٨٧٥ ـ ١٨٩١ م)، فقـد اتبـع عبـد الله سياسـة موالية للعثمانيين فعينه مدحت باشا قائمقام (أي متصرفاً) على الكويت مرتبطا بولاية البصرة. وقـدم الشيخ عبـدالله مساعدة عسكرية للحملة العثمانية التي أرسلها مدحت باشا لاحتلال الأحساء. وخلفه في الحكم أخوه محمد ١٣٠٩ ـ ١٣١٣ هـ (١٨٩١ ـ ١٨٩٥ م) والذي كان كأخيه موالياً للعثمانيين وشارك محمد أخاه جراحاً بالحكم فأغضب بذلك الأخ الثالث مبارك. واعترفت الحكومة البريطانية في عهده في عام ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م) بتبعية الكويت للعثمانيين.

استولى مبارك على الحكم ١٣١٣ هـ (١٨٩٥ م) بعد أن قتل أخويه محمداً و جراحـاً، وعمل على النهوض بالكويت فزاد من عمرانها، واتسعت مساحتها، وكثرت منازلها، وتقدمت تجارتها، وزادت ثروتها بفضل الاهتمام بحرفة الغوص، واستتب الأمن والنظام في عهده، وأسس أول مدرسة نظامية والتي حملت اسمه (المدرسة المباركية) ولاتزال قائمة حتى اليوم.

ومنذ أن تولى مبارك الحكم ساءت علاقته بالدولة العثمانية خاصة بعد أن فر يوسف آل إبراهيم وأولاد محمد وجراح الى البصرة، واستنجدوا بوالي البصرة ضد مبارك معترضين على الطريقة التي استولى بها مبارك على الحكم، غير أن الدولة العثمانية اضطرت للاعتراف به حاكما على الكويت. ولجأ يوسف إلى قاسم بن ثاني شيخ قطر فاستعان مبارك بمتصرف الأحساء واستنجد يوسف بابن الرشيد فهزم ابن الرشيد مباركاً في معركة (الصريف) ١٣١٨ هـ (١٩٠٠ م) وكان الأمير عبدالرحمن بن سعود و ابنه عبدالعزيز قد لجأ إلى الكويت فرارا من ابن الرشيد. ولكن مباركاً ساعد آل سعود ضد ابن الرشيد فتمكن عبدالعزيز آل سعود من احتلال الرياض ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) واستراح مبارك بعد أن تخلص من أعدائه إثر وفاة خصيمه يوسف آل إبراهيم وابن الرشيد.

ولكن علاقاته مع الدولة العثمانية ظلت متوترة، فقد رفض السماح للعثمانيين بتعيين مشرف عثماني لميناء الكويت وإيفاد موظف للحجر الصحي، واقامة دار عوائد فيها. ووجود قوات عثمانية في الكويت. فوجهت الحكومة العثمانية إنذارا

إلى الشيخ مبارك طلبت فيه أن يتخلى عن بريطانيا، وعرضت على مبارك عضوية مجلس الشورى في استانبول أو الإقامة في أي مكان والتخلي عن مشيخة الكويت على أن تدفع له مرتباً كبيراً. واستنجد مبارك بالانكليز الذين أيدوه وعقد معهم معاهدة ١٣١٦ هـ (١٨٩٩ م) تعهد فيها بوضع الكويت تحت الحماية البريطانية.

والـواقـع أن محاولات بريطانيا ومسـاعيها المستمرة قد كللت بالنجاح، فقد حاولت بريطانيا مراراً قبل عهد الشيخ مبارك أن تعقد معاهدة ولكن محاولاتها باءت بالفشـل، الا أنها نجحت مع الشيخ مبارك الذي تعهد بجعل سياسته الخارجية مرتبطة ببريطانيا كما ألزم نفسه وورثته من بعده بألا يتنازل أو يؤجر أو يبيع أو يرهن أي جزءٍ من أراضيه إلى حكومة أخرى دون موافقة بريطانيا.

ويمكن تفسير هذه الاتفاقية (المعاهدة) على أنها التزام من جانب واحد هو الكويت، وليس فيه التزام من جانب بريطانيا. وقد حصلت بريطانيا بموجب هذه الاتفاقية على امتيازات مختلفة منها حظر استيراد الأسلحة إلى الكويت أو تصديرها، وإقامة مكتب بريد انكليزي وإقامة لاسلكي واتفاق حول النفط.

ووقف الشيخ مبـارك إثر ذلك موقفاً حازماً من العثمانيين. فلم يرحب بالبعثة الألمـانية التي وصلت إلى الكـويت عام ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) برئاسة القنصل الألماني في بغداد لدراسة خط حديد برلين بغداد. وانتقم منه العثمانيون بمصادرة أملاكه في البصرة. وسويت علاقاته بالعثمانيين الذين تخلوا عن الكويت واعترفوا بالأمـر الـواقـع، وأعـادوا إليه أملاكه في البصرة. وحاول مبارك بدوره مجاملة العثمانيين فتبرع لضحايا حريق استانبول عام ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م)، كما تبرع لحرب طرابلس فمنحه السلطان العثماني الوسام المجيدي، وتنازل العثمانيون عن الكويت عام ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) واعترفوا بمركز بريطانيا الممتاز فيها. كذلك اعترف ابن سعود بالوضع الجديد في الكويت. وأيد مبارك الحملة البريطانية ضد البصرة أثناء الحرب العالمية الأولى، فتعهدت بريطانيا بالاعتراف باستقلاله تحت الحماية البريطانية.

وفي عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٥ م) توفي الشيخ مبارك، وخلفه في الحكم ابنه جابر الذي حكم لمدة سنتين فقط والذي خفض الرسوم على تجارة اللؤلؤ وأعفى الناس من ضريبة العقارات، وفي عهده عقد مؤتمر الكويت لحكام الخليج لدعم ثورة

الشريف حسين. وخلفه في الحكم أخوه سالم والذي عمل على تنمية التجارة في عهده فخفض الرسوم الجمركية على الواردات إلى ٤٪، وألغى كافة الرسوم عن الصادرات، وربط الكويت بالعالم الخارجي عن طريق محطة البرق. وأقيم في عهده سور الكويت لحمايتها من الأعداء. أما سياسته الخارجية فقد تميزت بالتوتر مع بريطانيا والسعوديين، فقد رفض محاولات بريطانيا فرض حصارٍ على بلاده لمنع تصدير الأسلحة للعثمانيين في بلاد الشام، ولكنه اضطر تحت التهديدالانكليزي بوضع لجنة مراقبة انكليزية في ميناء الكويت إبان فترة الحرب. وبالنسبة لعلاقته مع السعوديين فقد ساءت بسبب مسألة الحدود بين البلدين وجرت معركة (حمض) ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) جنوبي الكـويت هزم فيها الكويتيون واضطروا إلى بناء السور، كما وقعت معركة (الجهراء) ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) والتي كاد يسيطر فيها السعوديون بقيادة فيصل الدويش لولا تدخل بريطانيا. وظلت العلاقات سيئة مع أن أهل الخير حاولوا إصلاح ذات البين بين السعوديين والكويتيين إلا أن القدر لم يمهل الشيخ سالماً ليرى نتيجة الصلح.

تولى الشيخ أحمد الجابر ١٣٤١-١٣٧٠ هـ (١٩٢٢-١٩٥٠ م) الحكم عقب وفـاة عمه الشيخ سالم، وقد شهدت البلاد نهضة في عهده فقد شكل مجلس الشـورى، ومجلس البلدية، والمعـارف، والمجلس التشريعي، وذلـك استجـابة لرغبات المواطنين بالاشتراك بالحكم إلا أن هذه التجربة فشلت لأن الشيخ أحمد الجابر لم يرد لها النجاح بسبب الخلاف بين الحكومة والمجالس. وقد عني كذلك بتشجيع الحـركـة العلمية والأدبية والفكرية في الكويت، كما أسست في عهده الدوائر الحكومية، وتدفق النفط في عهده بكميات تجارية صارت تصدر منذ عام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) ونجح الشيخ أحمد الجابر في حل مشكلاته مع السعوديين وخـاصـة مسـألـة الحـدود المسـابلة (التجارة) فقد نجحت بريطانيا بحل هذه المشكـلات بعد عقد مؤتمر العقبة ١٣٤٢ هـ (١٩٢٤ م) لحل مشكلة الحدود. وتوطدت علاقته مع السعودية ومع البلاد العربية الأخرى.

وخلفه في الحكم ابن عمه الشيخ عبدالله السالم الصباح ١٣٧٠-١٣٨٥ هـ، (١٩٥٠-١٩٦٥ م)، وقـد عمل الشيخ عبدالله على توجيه ثروة البلاد وطاقاتها وإمكاناتها لتطوير الكويت في نظم الحكم والادارة والنهوض بها في جميع الشؤون

العلمية والاجتماعية والاقتصادية. وفي عهده استقلت الكويت في عام ١٣٨١ هـ (١٩٦١ م) ودخلت الجامعة العربية، وهيئة الأمم، وفي المجال الداخلي وجد بالكويت الدستور والمجلس النيابي، وتشكلت حكومة من ١٤ وزيرا، كما تقدمت الحالة العلمية، والاجتماعية، والاقتصادية في عهده. وفي المجال الخارجي أسهمت الكويت بنصرة القضايا العربية وخاصة قضية فلسطين من بلاد الشام، كما ساهمت في تقديم العون المادي للدول العربية، وتطورت الكويت في عهده تطوراً كبيرا فاق كل التصورات.

وتابعت الكويت مسيرتها الحضارية في عهد كل من الشيخ صباح السالم الصباح ١٣٨٥ـ١٣٩٨ هـ (١٩٦٥ـ١٩٧٨ م) وحاكمها الحالي الشيخ جابر الأحمد الجابر فقد شهد عهد الشيخ صباح افتتاح جامعة الكويت، وازدياد المدارس، والمعاهد العليا الفنية، كما تقدمت كافة الخدمات الصحية والاجتماعية، واشتركت الكويت في مؤتمرات القمة العربية، والمؤتمرات الإسلامية، والمؤتمرات الدولية، ومازالت الكويت تنمو وتتطور في عهد حاكمها الحالي الشيخ جابر الأحمد الجابر.

وقد حاول الاتحاد العربي الذي تألف من العراق والأردن ضم الكويت إليها على أنها جزء من العراق، ثم حاول عبد الكريم قاسم ذلك عام ١٣٨١ هـ (١٩٦١م)، واحتلها بعدئذ صدام حسين عام ١٤١١ هـ ٢ أغسطس (١٩٩٠م) فكان ذلك سبباً في حرب الخليج، وتشتت شمل المسلمين، وذهبت ريحهم، وأجبر صدام حسين حاكم العراق على الانسحاب من الكويت.

٢ ـــ بلاد الشـــام

كانت بلاد الشام كلها جزءاً واحداً منذ أن فتحها المسلمون وقبل ذلك، وكانت ضمن أجزاء الدولة الإسلامية أيام الراشدين، ومقر الدولة الأموية، ثم تبعت العباسيين، وخضعت أجزاء منها للطولونيين في مصر، وقامت في الشمال الدولة الحمدانية، وتقاسمت بلاد الشام مع الأخشيديين في مصر، وكان صراع دائر بين الطرفين على أرضها. وقامت الدولة الفاطمية في مصر، وكان نفوذها يمتد

إلى بعض أطراف الشام التي ضعفت هيبة الحكم فيها تماماً، وجاء الصليبيون وحصلوا على بعض النصر وشكلوا إمارات في الرها، وطرابلس، وعكا، واستولوا على القدس، وقام آل زنكي يقفون في وجه الصليبيين، وقضى صلاح الدين الأيوبي على الدولة الفاطمية في مصر، واتحدت الشام ومصر تحت نفوذ الدولة الأيوبية، وأخـرج صلاح الـدين الصليبيين من القـدس عام ٥٨٢ هـ ، وقـام يقاتلهم، ولكن ضعف الأيوبيون من بعده، وإن استمر الصراع مع الصليبيين، وقامت الدولة المملوكية في مصر على أنقاض الدولة الأيوبية عام ٦٥٨ هـ .

وكانت الدولة العباسية قد سقطت على أيدي المغول عام ٦٥٦ هـ فتعرضت الشـام للغزو المغولي فسادت الفوضي وحل الدمار كما حدث أيام الصليبيين، ووقف المـماليك في وجـه المغـول وانتصروا عليهم في معـركة عين جالوت عام ٦٥٨ هـ ، كما أن هؤلاء المماليك تمكنوا من التخلص من الصليبيين نهائياً والقضاء على مراكزهم جميعا في الشام ومصر، وتوسع نفوذ المماليك، وامتدت الدولة على أرجاء واسعة، ثم اعتراها الضعف.

وجاء البرتغاليون من الجنوب وقد التفوا حول إفريقية، جاءوا يريدون تطويق المسلمين لحصارهم والقضاء عليهم، جاءوا يحملون الحقد الصليبي وقد أخرجوا المسلمين من الأندلس عام ٨٩٧ هـ واحتلوا عدن عام ٩١٩ هـ (١٥١٣ م)، كما ركزوا أنفسهم في الخليج العربي عام ٩٢١ هـ (١٥١٥ م)، وقد تساهل الصفويون حكام فارس معهم، أو لقوا شيئاً من الدعم منهم، وحاول المماليك الوقوف في وجه البرتغاليين، ولكنهم هزموا أمامهم، فساد الفزع المسلمين، وعم الخوف.

وتحرك العثمانيون من الشمال يريدون أن يقفوا في وجه البرتغاليين للدفاع عن الإسلام وأرضه. ورفض المماليك مرور العثمانيين من أرضهم خوفاً على أنفسهم منهم، وخوفاً من انتقام خصوم العثمانيين من المماليك. فما كان من العثمانيين إلا أن دخلوا الشام عنوة ثم مصر، ورحب الشعب بهم بحرارة، بل طلبوا منهم ذلك، إذ جاءوا حماةً ومنقذين، فالمماليك ضعاف وقساة من جهة، والبرتغاليون يهددون ويحملون معهم الحقد الصليبي الذي لايزال يتناقل أهل الشام مآسيه، وانضم الشاميون وقادتهم إلى العثمانيين القادمين بقيادة السلطان سليم في معركة مرج دابق شمال حلب عام ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) فهـزم المـماليك وقتل قائدهم

قانصوره الغوري. ثم دخل السلطان سليم بقية الشام دون مقاومة بل بالترحيب.

وأصبحت بلاد الشـام جزءاً من الـدولـة العثـمانية التي غدت أقوى الدول الإسلامية، ومقر الخلافة. كانت استانبول عاصمة هذه الدولة التي تقدمت في أوربا بل وصلت إلى أواسطها وحاصرت فيينا عدة مرات. وخافت أوربا ورأت في ذلك قوة للإسلام من جديد فقامت تقاتل الدولة العثمانية وتعمل على تجزئتها وتدعم كل حركةٍ تقوم فيها، وتضفي عليها صفة الاخلاص والوطنية مادامت ضد العثمانيين، وأخذنا نحن هذا بعد ذلك من الأوربيين ـ مع الأسف ـ عندما سجلنا التاريخ، وفعلاً قامت بعض الحركات من الفئات المعادية للاسلام أمثال المعنيين أمراء الدروز في لبنان ثم خلفائهم الشهابيين، كما قام بعض المتمردين من قطاع الـطرق أمثـال ضاهر العمر، وكلهم أخذوا صفةً فيما بعد أسموها الوطنية كما نعتتهم أوربا. كما قام المماليك في مصر، وتقدموا في جنوب بلاد الشام. كما تقدم الفرنسيون أثناء حملة نابليون على مصر ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م)، ولكن هزموا أمام أسوار عكا وصمود واليها. وفشلت الحركات كلها.

وقامت أوربا تدعم الطائفية في الشام، وتمد يدها للنصارى في جبال لبنان، وتؤسس المدارس لهم حتى قوي أمرهم، ولا تتمكن أوربا من ذلك إلا بسبب ضعف الدولة العثمانية، وأوجدت أوربا لهؤلاء النصارى فكرة القومية (العصبية الوطنيـة) يستترون بها، وليس لهم دعوة سواها حتى بزغ قرنها، وقوي أمرها، وانطلقت الدعوة لها. ووصلت هذه الدعوة إلى الدولة العثمانية، وسيطر الاتحاديون أنصـار الدعوة القومية على مقدرات الخلافة، فوجدت قوميتان وبدأ الصدام، واستفاد مروجوها فأثاروا العرب ضد الترك وضموها إلى جانبهم في الحرب العالمية الأولى، إذ تحرك الشريف حسين من مكة وقاد ابنه فيصل القوات المنضمة إليه ضد العثمانيين الذين هزموا أمامهم وأمام الانكليز المتقدمين من مصر ودخلوا بلاد الشام. ونتيجة الصراع بين هاتين القوميتين فقد أضفى الوطنية على كل الذين حاربوا العثمانيين مدى التاريخ سواء أكانوا حاقدين على الإسلام أم قطاع طرق، أم خونـة متصلين مع الغـرب، أم مخلصـين فعـلاً ينشدون الإصلاح والعودة بالإسلام إلى النبع الأصيل بعد أن شابت أعمال أبنائه الشوائب.

وفي الوقت نفسه فقد تفاهمت الدول الأوربية على تقسيم بلاد الشام فيما بينها،

فكان نصيب فرنسا بلاد الشام الشمالية (سوريا ولبنان)، ونصيب انكلترا بلاد الشام الجنوبية (الأردن وفلسطين)، واحتلت انكلترا فلسطين أثناء مطاردة الترك، وانسحبت من الأراضي التي دخلتها في الشمال، وتقدمت بعد ذلك إلى شرق الأردن، وانزلت فرنسا قواتها على ساحل بلاد الشام الشمالية، استقرت في لبنان ثم تقدمت نحو الداخل. وأصبح لكل جزء من هذه الأجزاء تاريخ نضال خاص. ومن المؤسف حقاً أننا قبلنا تقسيم الغرب، وتعصّبنا للانفصالية، ورسخنا جذور هذه التجزئة بجهلنا، وغدت الشام أجزاء يفاخر أبناء كل جزء بجنسيتهم التي حملوها نتيجة عمل الصليبيين المستعمرين.

أ ــ سوريـــا

الحكم العربي في سوريا ١٣٣٧ - ١٣٣٩ هـ (١٩١٨ - ١٩٢٠ م)

احتل جيش الثورة العربية بقيادة فيصل الأول دمشق في أيام عام ١٣٣٦ هـ (٢٣ ذي الحجة) ودخلت معه الجيوش البريطانية، ثم استمرت الكتائب العربية في الزحف إلى ماوراء دمشق، حتى دخلت حمص وحماه وحلب من جهة، ومن جهة أخرى استمر الزحف الساحلي الذي بدأ في حيفا وعكا إلى صور وصيدا وبيروت، وطرابلس وبذلك تم الاستيلاء على الشام.

قوبل دخول فيصل إلى الشام بحماسة كبيرة في جميع المدن الشامية التي أخذت ترفع الأعلام العربية، وتعلن انضمامها للثورة واستجابتها لأوامر القيادة العربية، قبل أن تصل اليها كتائب الجيش الظافر، إيمانا منها بأن دخول فيصل دمشق هو تحقيق لآمال رجال الحركة العربية في الاستقلال بعد ما غُذّيت بفكرة الصراع بين العرب والترك، وبعد أن أعدم جمال باشا الذين يتعاونون مع الانكليز والفرنسيين لطرد الترك من بلاد الشام إثر دخوله سفارتي هاتين الدولتين، ولم يعلم الشعب هذه العلاقات فأضفى صفة الشهداء على هؤلاء الذين أعدموا نتيجة صلاتهم مع الأجانب. وقد أيدت بريطانيا هذا الحديث، لهدف يختلف تماما عن أهداف السكان، لإيمانها بأن حكومة عربية بقاعدتها الواسعة كانت قادرة على

امتصاص حماسة وتضحيات الثوار، وجعلها مسالمة. وكان أول عمل قام به فيصل في دمشق أن شكل حكومة عسكرية برئاسة رضا باشا الركابي، تشمل صلاحياتها الشام كلها، وأرسل شكرى باشا الأيوبى إلى بيروت لتأسيس إدارة عسكرية فيها. وقـد ضمت حكومة فيصل سوريين وفلسطينيين ولبنانيين وعراقيين وحجازيين، وأخذوا يعملون يداً واحدة في مجابهة دسائس الاستعمار، ووضع أسس جديدة لدولة عربية حديثة حديثة تحمل الفكر اللاديني (العلماني) الذي ينادي به ويعمل له (ساطع الحصري) الذي كان ظل فيصل، وقد أو كل إليه توحيد التعليم في الشام.

وفي هذه الأثناء، وقبل إقرار الأوضاع شرعيا ودوليا، قسمت البلاد السورية الى ثلاث مناطق باشراف الجنرال اللنبى. وكان المنطقة الأولى الشرقية: وتشمل (سـوريا وشرق الأردن) برئاسة الأمير فيصل، والثانية المنطقة الغربية: وتشمل الساحل السورى (صور، صيدا، بيروت، طرابلس، اللاذقية، وقضائي انطاكية واسكندرونة) وهي تحت الحكم الفرنسي والمنطقة الثالثة: شملت، سهول عكا، وسارونة، ومنطقة القدسى ونابلى «فلسطين»، ووضعت تحت الحكم البريطاني.

وسرعان ماتطورت الأمور لتكشف حقيقة نوايا الدول الغربية، فقد ساورت الشكوك السكان حول هذه التقسيمات ووجدوها أنها مطابقة للمخطط الاستعمارى الذي وضعه الانكليز والفرنسيون (سايكس ـ بيكو ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) وقد عرف هذا فيصل في العقبة أثناء تحركه نحو الشمال إذ التقى بجمال باشا، وأطلعه على تفاصيل هذه الاتفاقية، وقد حصل عليها عن طريق حلفائه الألمان، ولكن لم يعلم الشريف حسين بذلك، إلى جانب الشائعات التي تناقلتها الصحف. وتحولت شكوكهم إلى يقين عندما أقدمت الجيوش الفرنسية على احتلال بيروت وسائر المدن الساحلية في بلاد الشام، وأنزلت الأعلام العربية عن المباني الرسمية، وطردت ممثل حكومة فيصل من بيروت. وأدى ذلك إلى قيام حركة تمرد في الجيش العربي، مما جعل فيصل يطلب من الجنرال اللنبى توضيح الموقف، فصدر على الإثر البيان البريطاني الفرنسي في اليوم الأول من شهر صفر عام ١٣٣٧ هـ ٢٧ تشرين الثاني (١٩١٨ م) الذي أكد للعرب أن هدف فرنسا وبريطانيا من خوض الحرب في الشرق هو تحرير الشعوب التي رزحت أجيالا طوالاً تحت مظالم الترك

تحريرا نهائيا وإقامة حكومات وإدارات وطنية تستمد سلطتها من اختيارها الأهالي الوطنيين لها اختيارا حرا. . «وقد أسكت هذا البيان الشعب» لأن قادته قد سكتوا ورضوا، بل كانوا راضين إلا أمام شعوبهم.

انتهت الحـرب العـالمية الأولى، وعقدت الهدنة في ٤ صفر عام ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م)، بين الفريقين المتحاربين الحلفاء وألمانيا، فاطمأن قادة العرب لطرد الأتراك من البلاد العربية، وباتوا ينتظرون تحقيق وعود الحلفاء. ذهب فيصل إلى باريس في أواخر ربيع الأول ١٣٣٧ هـ (١٩١٩ م) لحضور مؤتمر الصلح بصفته رئيسا للوفد الحجازي، وممثلا لوالده الشريف حسين، فواجهته صعوبات كثيرة في باريس منها: عدم اعتراف فرنسا به بحجة أن الحلفاء لم يعترفوا بعد بالحجاز دولة مستقلة، واعتراض فرنسا كذلك على تسلم فيصل رئاسة جزء من الشام، ثم جابهته اتفاقية (سايكس بيكو)، وقضية ما عُرف باسم فلسطين وما يحيط بها من ضغط صهيوني واستعماري.

اشـترك فيصل في مؤتمر الصلح بعد أن تراجعت فرنسا عن موقفها، وبذل جهودا كثيرة منهامذكرة قدمها إلى المؤتمر في شوال ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) ثم ألقى خطابا في المؤتمر مذكرا بحقوق العرب في الاستقلال الوحدة، وأشار إلى مبادىء ولسن بحق الشعوب في تقرير المصير، كما أشار إلى الدور الذي لعبه العرب في الحرب، وندّد باتفاق سايكس ـ بيكو وطالب بتحقيق وعود الحلفاء للعرب. واقترح أن يرسـل مؤتمـر الصلح لجنة تحقيق تزور سوريا وفلسطين للتأكد من رغبات السكان وحقهم في تقرير مصيرهم، ورغم كلامه عن العرب، إلا أن حديثه كان يقتصر على الشام التي مناه بها الحلفاء بشكل غير مكتوب، وقد سال لعابه على ذلك.

وقد قرر المؤتمر فصل البلدان العربية (لبنان وسوريا وفلسطين والعراق) عن تركيا على أن تكون تحت إشراف وصي يعمل باسم عصبة الأمم. ووافق المؤتمر على اقتراح فيصل بارسال لجنة دولية إلى بلاد الشام لاستفتاء الشعب. ووافق المؤتمـر على اقتراح فيصل بارسال لجنة دولية إلى بلاد الشم لاستفتاء الشعب. فرفضت بريطانيا وفـرنسا الاشتراك فيها، فتألفت اللجنة من أعضاء أمريكيين عرفت باسم لجنة كنغ ـ كراين King crane.

وإزاء هذه الأحـداث، تنـادى الزعماء العرب من أعضاء حزب الاستقلال العربي بعد عودة فيصل وبايعاز منه، إلى تشكيل مجلس وطني منتخب وعقد مؤتمر عام عرف بالمؤتمر السوري [رغم مناداته باسم العرب] وضم مندوبين عن الشام كلهـا (فلسطين وسوريا) وحالت فرنسا دون وصول ممثلي جبل لبنان. وقد تم الاجتماع بالفعل في دمشق وحضره معظم الأعضاء وعددهم ٦٩ عضوا، وكان ذلك في رمضان من عام ١٣٣٧ هـ (١٩١٩ م). واتخذ المؤتمر عدة قرارات هامة من أهمها: استقلال سوريا [بلاد الشام] ووحدتها برئاسة الأمير فيصل والاعتراف باستقلال العراق، وإلغاء اتفاقية سايكس بيكو، وإلغاء وعد بلفور، وأقر المؤتمر كذلك رفض الوصاية السياسية، وتنصيب فيصل ملكاً دستوريا على سوريا، وأن تكون الحكومة في سوريا والعراق لا مركزية. وقوبلت هذه القارات بالترحيب والحماس لدى عامة الشعب، وانطلقت المظاهرات تعبر عن فرحتها، واجتمعت الوفود لتحيي فيصلاً والمؤتمر السورى العام.

وأثنـاء انعقـاد المؤتمر السورى العام، حضرت لجنة كنغ ـ كراين الأمريكية، وقضت ستة أسابيع في زيارة الشام عدا جبل لبنان والساحل المقابل له (فلسطين ولبنان وشرق الأردن)، ومنعتها بريطانيا من الذهاب إلى العراق، وقامت بتحقيق واسع في تلك المدة، وقابلت عدداً كبيرا من الوفود، ودارت مناقشات بينها وبين الكثير منهم، وتلقت مايزيد على ١٨٠٠ عريضة، وقدم لها المؤتمر السورى مذكرة تضمنت المقررات التي أصدرها في اجتماعه السابق الذي وضع ميثاق الاستقلال، وبعد ذلك كله أجرت اللجنة استفتاء ورفعت تقريرا إلى الرئيس ولسن الذي أرسل نسخاً منه إلى حكومات الحلفاء.

كان التقرير إلى حد كبيرٍ موضوعياً، متجردا، وجاءت معظم بنوده في مصلحة السكـان مرحلياً وأبرزها، تكوين اتحاد من لبنان، وسوريا، وفلسطين، وشرق الأردن تتولى زعامته إحدى هذه الدول، وأن تكون الوصاية على هذا الاتحاد الى دولة يرغبها السكان، ويفضلون أمريكا أو بريطانيا. وأشارت اللجنة إلى الأطماع الصهيونية وحذرت من قيام دولةٍ يهودية، كما اقترحت الحد من الهجرة اليهودية، ومع ذلك فقد أهمل الحلفاء هذا التقرير ولم يعملوا به، بل ولم يطلع عليه القادة.

وكانت فرنسا قد خشيت أن يعمل الحلفاء بتقرير اللجنة ويبعدوها عن سوريا،

فشنت صحفها حملة على فيصل وحكومته، ونشرت في لبنان دعايةً واسعةً للانفصال عن سوريا وقبول الانتداب الفرنسي عن أعوانها من النصارى، ودفعت إدارة لبنان ليرفع قراراً إلى مؤتمر الصلح بذلك. كما قامت في فرنسا نفسها حملة من الاتهامات ضد بريطانيا يقودها عدد من الكتاب والسياسيين أبناء المدرسة الاستعمارية. وكان موطن الهجوم على بريطانيا أنها حاولت التخلي عن الالتزامات التي يفرضها عليها اتفاق سايكس - بيكو متذرعةً بمختلف الوسائل كتأكيد فيصل، وتشجيع العرب على مقاومة حقوق فرنسا في سوريا. وحقيقة الأمر أن بريطانيا كانت تهدف إلى إبعاد فرنسا من المنطقة، وإبقاءها تحت حكم فيصل الذي سيكون تابعا ومؤيداً لبريطانيا حسب التفاهم بين الطرفين.

ولم يكن من سبيل لإرضاء فرنسا إلا حصولها على حصتها من سوريا، وهي المنطقة التي حددها لها اتفاق سايكس بيكو. فقدم لويد جورج (رئيس الوزارة البريطانية) الى كليمانصو (رئيس الوزارة الفرنسية) اقتراحا بسحب القوات الانكليزية من المنطقة الغربية « الزرقاء »، لتحل محلها كتائب فرنسية، أما المناطق الداخلية، بدءا من العقبة وعمان حتى حلب، فتبقى في أيدي القوات العربية، مع بقاء القوات الانكليزية في فلسطين وتخلي فرنسا عن الموصل.

وافق كليمانصو مبدئيا على هذا الاقتراح، شريطة ألا تؤثر هذه الموافقة في التسوية لشؤون الانتداب وتقرير الحدود، وكان كليمانصو يعني بذلك أن الحكومة الفرنسية ترغب في مد نفوذها على سوريا الداخلية في النهاية، وأنها لاترضى أن تكون خارجة عن السيطرة الفرنسية، وقد أقر مجلس الحلفاء الأعلى في باريس هذا الاتفاق (٢٠ ذي الحجة ١٣٣٧ هـ (١٩١٩ م») المعروف باتفاق لويد جورج - كليمانصو.

أبرق لويد جورج إلى فيصل يدعوه إلى أوربا لبحث القضية العربية، فوصل فيصل إلى لندن، واتصل برئيس الوزراة البريطانية واطلع منه على ماجرى في باريس، فاعترض فيصل وقدم احتجاجا رسميا بصورة مذكرة، أبان فيها أنه حين سحب جيوشه بعد الهدنة بقليل إلى داخل سوريا، فإنه لم يفعل ذلك الإبناء على تأكيد صريح من الجنرال اللبنى بأنها خطة حربية، وبأن الحاميات الانكليزية ستظل في البلاد حتى تتم التسوية النهائية في مؤتمر الصلح. فاتفاق لويد جورج

ـ كليمانصو إنما هو نتيجة طبيعية لاتفاق سايكس ـ بيكو الذي لم يكن العرب طرفا فيه.

والتمس فيصل عقد مؤتمر من الدول الثلاث (بريطانيا، وفرنسا، والولايات المتحدة) ليبحث في مسقبل البلاد العربية [بلاد الشام] على أساس العهود التي قطعها الحلفاء والمبادئ التي أعلنوها، ولكن احتجاج فيصل واقتراحه كانا عديمي الجدوى، على الرغم من اقتناع بريطانيا بأن القضية التي عرضها فيصل في المذكرة لاتقبل جدلا. وقد أوقع بريطانيا في الحيرة اعتقادها الراسخ أن غرض الفرنسيين، في النهاية احتلال سوريا الداخلية، لذلك ضغطت على فيصل ليدخل في مفاوضات مباشرة مع كليمانصو، أملا في إنقاذها من التزاماتها المعقدة والمتناقضة، أمام العرب والفرنسيين على السواء. فذهب فيصل إلى باريس. ووقع مع كليمانصو أتفاقاً تضمن مايلي:

التزام فرنسا بمعونة سوريا وضمان استقلالها، والتزام فيصل بأن يطلب من فرنسا الخبراء والمستشارين والفنيين لتنظيم الإدارة المدنية والعسكرية، ولفرنسا حق الأولوية بالمشروعات، وحق التمثيل السياسي في الخارج لمصالح سوريا، كما يمثل سوريا في باريس مندوب سياسي، وتحترم سوريا احتلال فرنسا للبنان وسائر المناطق الساحلية شمالا حتى اسكندرونة، وأخيرا ينشر فيصل دستورا يضمن حقوق السكان وحرياتهم. وهو بهذا الاتفاق قد وافق على اقتطاع الساحل الشمالي كله لفرنسا، واقتطاع الساحل الجنوبي والقدس لانكلترا.

والواقع أن فيصلا قد عقد هذا الاتفاق لقناعته بأن فرنسا المنتصرة غير مستعدة لقبول تنازلات أكثر، وشعوره كذلك بأن انكلترا قد تخلت عنه، والملاحظ أن هذا الاتفاق يجسد اتفاقية سايكس بيكو فيما يتعلق بالشام.

وصلت أخبار الاتفاق إلى البلدان العربية وفيصل لايزال في باريس، وكان الدكتور أحمد قدرى أمين سر فيصل، قد عاد من باريس، وتخلى عن فيصل لتساهلة في القضية الوطنية أمام الفرنسيين، فاتصل بالأحزاب الوطنية، وكان من زعمائها، وأخبرها بالاتفاق الذي وقعه فيصل مع كليمانصو. كما شكا فيصلا إلى أبيه، فأرسل أبوه يحذره ويأمره بالعودة وأبرق اليه أخوه زيد (نائبه في حكومة دمشق)، يخبره أن النقمة الشعبية على الاتفاق قد اجتاحت مدن الشام، وأنه

يخشى أن تتحول تلك النقمة إلى ثورة عامة، وناشده أن يرفض أي مشروع لايحقق رغبات الشعب.

وكان الفرنسيون قد أنزلوا العلم العربي في ما أسموه لبنان، ومهدوا لحكمه لمصلحتهم، وأخذوا يحاربون الحكم العربي في ماأسموه سوريا، ويدفعون الأموال للزعماء وللصحفيين للعمل ضد فيصل، تمهيدا لاسقاط حكمه والقضاء على استقلال سوريا واحتلاها.

وأدرك الشعب في سوريا نيات الفرنسيين، وأيقن أن إخراجهم من الساحل لن يتم بالسياسة، وأنه لابد من استعمال السلاح، فبدأت قوات من الثوار تهاجم مراكز الفرنسيين في اللاذقية، وهي الثورات الأولى على الفرنسيين.

وفي ذلك الجو الثائر المكفهر، وصل فيصل إلى بيروت فدمشق، فاستقبل في دمشق بفتور ظاهر، ولمس خيبه أمل الشعب في اتفاقه مع كليمانصو. وكانت المظاهرات المنادية بالوحدة والاستقلال تمثل الاستنكار الذي عبر عنه الزعماء بصورة مادية مجسمة. وحاول اقناعهم بالموافقة على عودته إلى باريس بصحبة وفد منهم، فكان جوابهم المتكرر: لا، لأن محادثات باريس تهدف إلى تجزئة سوريا [بلاد الشام] واحتلال قوات أجنبية لأجزاء منها، وعليه فانها لا تصلح أساسا للمباحثات. وعبثا حاول إقناعهم بأن اتفاق باريس لم يكن نهائيا، وأنه عندما وافق عليه فإنما أذعن للأمر المحتوم.

وكانت الأنباء قد وصلت إلى دمشق عن انعقاد المجلس الأعلى للحلفاء، لبحث مصير البلاد السورية الطبيعية [سورية، ولبنان، وفلسطين، والأردن]، إلى جانب عدد من المشكلات التي لم يتوصل مندوبو الدول إلى حلٍ لها، ووصلت إلى فيصل دعوة من الحكومة البريطانية، ليذهب إلى المؤتمر، بصفة شخصية ويعرض قضية بلاده. وقصد من «العودة الشخصية» إقصاء الحكومة السورية الوطنية عن المؤتمر. فقرر فيصل العودة إلى باريس لعله ينجح فيما عجز عنه من قبل. إلا أن زعماء الحركة الوطنية خافوا أن يتنازل عن مبدأي الوحدة والاستقلال. فأرادوا إجراحه وتقبيده من جهة أخرى فقرروا دعوة المؤتمر السورى العام إلى الانعقاد.

اجتمـع المؤتمـر في ٢٧ جمادى الآخـرة ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م)، وقرر إعلان استقلال سوريا بحدودها الطبيعية (أي سوريا ولبنان وفلسطين والأردن) دولة ذات سيادة و ملكية دستورية على رأسه الأمير فيصل. كما انعقد في اليوم نفسه في دمشق، مؤتمر عراقي اتصل بالمؤتمر السورى وقرر إعلان استقلال العراق، واختيار أحد أبناء الحسين الأول ملكا عليه (المقصود عبدالله)، وتأييد استقلال سوريا، والاتحـاد معهـا سياسيا واقتصـاديا. وجرت في اليوم التالي حفلة مبايعة فيصل بالملكية، فاحتشد الشعب في ساحة الشهداء، وتلي عليه قرار المؤتمر السوري من شرفة البلدية المطلة على الساحة. وألفت أول وزراة دستورية برئاسة رضا باشا الركابي، ومن أعضائها فارس الخوري، وساطع الحصري. وتضمن قرار المؤتمر السورى بنداً خاصا بمنح لبنان الحكم الذاتي داخل إطار الوحدة السورية، وبندا خاصـا باستقلال العراق وإقامة اتحاد سياسي واقتصادي بينه وبين سوريا. كما أصـدر المؤتمـر بيانـاً تاريخياً ينـدد فيه بالمؤتمرات الأوروبية والصهيونية، ويفضح أساليبها ومخططاتها، وعدّ المؤتمر هذه القرارات دستورا للدولة فأقسم فيصل له يمين الولاء، وبذلك أصبح مقيدا بدستور خلافا لما كان عليه من قبل.

قوبلت مقـررات المؤتمـر السورى بحماسة عظيمة في البلدان العربية جميعها وبسخطٍ شديد في دوائر الحلفاء، لأنهم عدوها تمردا على القيادة البريطانية العليا واستباقاً لمقررات مؤتمر الصلح وخروجا على صلاحياته. حتى أن اللورد كيرزون وزير الخارجية الانكليزية، احتج على ذلك ببرقية شديدة اللهجة جاء فيها: «إن بريطانيا لاتسمح لأية هيئة في دمشق بحق التكلم عن فلسطين أو العراق» واشتد النزاع بين المملكة السورية المستقلة وبين الحلفاء الذين لم يعترفوا بفيصل ملكا، بل استمروا يعدونه أميراً هاشمياً واشتد الخلاف كذلك من جهة أخرى، بين الحكومة العربية السورية في سوريا وبين فرنسا حول قضيتين:

أولاهمـــا : تأسيس بنك سوريا ولبنان الفرنسي، وإصداره أوراقا نقدية إجبارية رفضت الحكومة السورية قبولها.

وثانيهمـــا : عدم سماح الحكومة السورية للجيوش الفرنسية بالمرور ضمن سوريا الـداخلية للوصـول إلى تركية، ومحـاربـة الأتراك الذين أخذوا يهاجمون القوات الفرنسية المرابطة على الحدود السورية التركية.

وإزاء ذلك، أسرع مجلس الحلفاء الأعلى إلى الانعقاد في «سان ريمو» بايطاليا، وقرر هذا المؤتمر في رجب من عام ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) وضع سوريا ولبنان تحت الانتـداب الفـرنسي ووضـع العـراق وشرق الأردن وفلسـطين تحت الانتـداب الانكليزي مع الالتزم بتنفيذ وعد بلفور في فلسطين. وتخلي فرنسا عن الموصل وإلحاقها بالعراق لقاء حصةٍ لفرنسا من نفط الموصل، وكان المفروض أن يكون الانتداب من نوع (أ) بحسب المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم، إذ تعد بموجبها البلاد التي يقع عليها الانتداب بلاداً مستقلة تتمتع بسيادة داخلية وخارجية، وأن لاتتعدى صلاحيات الدولة المنتدبة النصح والإرشاد، غير أن فرنسا وانكلترا ظلتا تعمـلان لدى عصبـة الأمم حتى استـطاعتا أخذ موافقة العصبة على صكوك الانتداب التي أصبحت بموجبها فرنسا وانكلترا وصيتين على هذه البلاد لامنتدبتين عليها.

أثارت هذه المقررات في البلاد مشاعر السخط والاستياء لدول الغرب، لتنكرها لأهداف الشعب المتمثلة في الاستقلال والوحدة. فعمت البلاد نقمة عامة على الدول الاستعمارية، وقامت مظاهرات صاخبة نددت بالاستعمار، وغدره بأماني السكـان وأهـدافهم، واستقالت الوزارة الأولى. وتألفت وزارة دفاعية عسكرية برئاسة هاشم الأتاسي، ومن أعضائها عبدالرحمن شهبندر، ويوسف العظمة وزير الـدفاع، بهدف منع تلك المقررات بالقوة. وسارعت الوزارة إلى اتخاذ التدابير الدفاعية الفعالة، وأعلنت الجندية الإجبارية، وشجعت الثوار على الفرنسيين في المنطقة الساحلية المحتلة.

عزم فيصل على السفر إلى أوربا رداً على التحديات. وكان الجنرال غورو قد أصبح قائداً مفوضا سامياً لفرنسا في سوريا ولبنان، فاستقدم قوات فرنسيةً جديدةً بلغت مائة ألف، للقضاء على استقلال سوريا قبل أن يشتد عودها. وأبلغ غورو فيصلا ضرورة التريث في السفر قائلا: «لدينا مطالب سنقدمها بعد عدة أيام، ولا يمكننا أن نسمح للأمير بالسفر إلى أوربا مالم يلب هذه المطالب. وإذا سافر عن طريق آخر، فان فرنسا ستمتنع بصورةٍ قطعية عن الاعتراف به، ومفاوضته بأي شكل كان».

كان فيصل نهبا موزعابين رسالة الغطرسة التي بعث بها الجنرال غورو وبين

مشاعر السخط عند المواطنين، وعلى الرغم من أن مقررات مؤتمر سان ريمو قد هزت ثقته بالحلفاء، فانه لم يفقد أمله فيهم عن طريق مؤتمر تعقده بريطانيا، وفرنسا، والولايات المتحدة. ولكن الجنرال غورو أرسل إليه في ٢٨ شوال ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) إنذاره المعروف، وفيه خمسة شروط، إن لم يستجب إليها خلال أربعة أيام، فان الحكومة الفرنسية ستكون حرة التصرف في العمل وفق ماتراه مناسبا ويحقق مصالحها. وهذه هي شروط الإنذار:

١ ــ تسليم سكة حديد رياق ـ حلب إلى السطة العسكرية الفرنسية.
٢ ــ إلغاء الجندية الإجبارية وتسريح الجيش.
٣ ــ قبول الانتداب الفرنسي قبولا غير مشروط.
٤ ــ قبول العملة التي أصدرتها الإدارة الفرنسية.
٥ ــ معاقبة الثائرين على فرنسا والذين قاموا ضدها بأعمال عدائية.

أثار هذا الإنذار الجماهير الشعبية وعدته ذروة الاستخفاف بكرامة البلاد فرفضه المؤتمر السورى، وقرر المجابهة والدفاع عسكريا عن البلاد، وعهد بالمهمة إلى يوسف العظمة وزير الحربية. وكان فيصل قد استشار «اللنبي» فنصحة بالاستسلام، وأرسل اليه اللورد «كرزون» وزير الخارجية الانكليزي، برقية تحمل النصيحة نفسها. فاجتمعت الوزارة السورية وقررت قبول الإنذار، وأبلغت المعتمد الفرنسي بدمشق ذلك القبول، فأبرق به إلى غورو الذي طلب تأييداً خطيا لقرار الوزارة.

ومع ذلك، فقد بدأت الحكومة بتنفيذ شروط الإنذار مخالفة قرار المؤتمر السوري، فسرحت الجيش، وألغت التجنيد الإجباري، وأجلت المؤتمر السورى لمدة شهرين، وأجابت خطيا بقبول الإنذار في وقت بلغت فيه المظاهرات الشعبية ذروتها وهي تطالب بحمل السلاح والدفاع عن البلاد.

احتج الجنرال غورو بأن جواب الوزارة الخطي قد تأخر وصوله نصف ساعة عن صدور الأوامر بزحف الجيش الفرنسي على دمشق وعلمت دمشق بتقدم جيش فرنسا إليها لاحتلالها دون أن يكون لديها قوات تدافع وتحمى البلاد، بسبب تسريح الجيش السوري، فثار الشعب واضطرب الملك وحكومته، وسارع يوسف العظمة إلى تجهيز قواتٍ للدفاع عن دمشق، وتوقفت عمليات التسريح التي كانت

جارية، وأذاع الملك فيصل بيانا يدعو فيه الشعب لصد الغزاة. فتقدم قرابة ثلاثة ألاف متطوع لشد أزر يوسف العظمة وتجمعوا في ميسلون. وعندما جرت المعركة كان فيها ستون جنديا نظامياً فقط، أما بقية المحاربين فكانوا من المتطوعين الذين قدمتهم الأحـزاب الـوطنية، ومن جماهير الشعب المتحمس لصد العدوان دون نظام، وبأسلحة قد لاتتفق مع الذخيرة الموجودة. وفي صباح السبت ٨ ذي القعدة ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م)، التقى الفريقان في ربي ميسلون، وفي خلال ساعات، حصدت مدافع الفرنسين وطائراتهم الجنود والمجاهدين السوريين، وسقط يوسف العظمة صريعاً إذ لم تنجح التمثيلية الحكومية التي أسرع لإحباك آخر فصولها رصاص المقاتلين وقد اختلط الأمر. وفي اليوم التالي دخل الفرنسيون دمشق، وقلوب المواطنين تمتلىء بالحقد والألم. وهكذا زالت في ساعات الدولة التي عاشت أقل من سنتين.

أصـدر الجنرال غورو أمره إلى الملك فيصل بمغادرة البلاد، فاحتج فيصل وأبرق بذلك إلى الدولة الحليفة بريطانيا ثم ذهب إلى درعا، والتف حوله الناس وتأملوا أن يتوجه إلى إقليم عجلون بشرق الأردن ليقود من هناك الحركة الوطنية ضد الفرنسيين، فأنذره الفرنسيون بمغادرة المنطقة أو قصفها إلى أوروبا في ١٠ ذي القعدة ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م).

وبعـد دخول القوات الفرنسية إلى دمشق، توجه الجنرال غورو إلى ضريح صلاح الدين الأيوبي وخطب أمامه قائلا «هانحن عدنا ياصلاح الدين». وكان بذلك يرد على قول صلاح الدين للصليبيين: «إنكم خرجتم من الشرق ولن تعودوا إليه». قد سبق للجنرال اللنبى هو الآخر، أن قال مثل هذا القول عندما دخـل مدينة القدس : «الآن انتهت الحروب الصليبية». وهكذا يتبين لنا أن القوى الاستعمارية كانت تقوم بدورها في محاربة العالم الاسلامي وبسط سيطرتها عليه بروح صليبية، ولكن باسم جديد هو الاستعمار أو الانتداب والوصاية. ومن المؤسف أن بعض القادة انجرفوا في تيار الاستعمار وساندوه واعتمدوا عليه حتى آخر لحظة بل ربطوا مصيرهم به ليحصلوا على الحكم أو ليبقى لهم.

ومهـما يكن من أمر، فإن الظروف التي رافقت الحكم الوطني كانت ظروفاً صعبة حملت معها كل ألوان الغدر والتآمر الأجنبي على البلاد. لقد حقق الشعب

استقلاله بجهوده وتمتع بالاستقلال في غمرةٍ من حماسةٍ الجماهير وأفراحهم الوطنية، ومارس حق السيادة على أراضيه وعلى الرغم من قصر مدة الحكم الوطني، وافتقار المسؤولين إلى الخبرة في الإدارة والتنظيم، إلا أن هذا الحكم حقق بعض المنجزات العامة في ميدان التجربة والتاريخ.

الحكم الفرنسي والثورات الوطنية ١٣٣٧ - ١٣٦٤هـ ١٩١٩ - ١٩٤٦م:

بدخول الجيوش الفرنسية إلى سوريا، قضى على سيادة الدولة المستقلة وعلى مظاهر الحكم الوطني بها. فقد أنزل الفرنسيون العلم العربي، ورفعوا مكانه العلم الفرنسي، وفرضوا الحكم العسكري على البلاد، وتم إعدام جماعة من الوطنيين، وقامت السلطات الفرنسية بنزع السلاح من بقايا الجيش العربي وتسليم معداته إلى الجيش الفـرنسي، كما طلبـوا تسليم المدنيين الثوار، ونزع سلاح الأهالي، وفرضوا على كل مدينة أن تقدم كميةً من الأسلحة، فعلى دمشق وحدها فرضوا عشرة آلاف بندقية، وفرضوا جزية مقدارها ١٠ ملايين فرنك، (٢٠٠ ألف ليرة) وألغوا جميع القوانين التي صدرت في العهد الوطني.

نفذت فرنسا وصايتها على سوريا قبل صدور صك الانتداب بسنتين: فألغت صلاحيات الحكـومة السورية، وسيطرت على الجيش، والأمن العام، والجمارك والشركات، وخط حديد الحجاز، وحكمت بالتشريع (غير الديني) واخضعت الأوقاف لسلطتها المباشرة، وفرضت اللغة والثقافة الفرنسية في الإدارات والمحاكم وأهملت شأن اللغة العربية، وعملت على إثارة التفرقة العنصرية بين الطوائف الـدينية، والمجمـوعـات العنصرية، وتشجيع الخـلافـات المـذهبية بين السكان واستغلالها، وتجنيد بعضها ضد بعض، كما عملت على ربط الاقتصاد السوري بالاقتصاد الفرنسي، وربط العملة السورية بالعملة الفرنسية، إضافة إلى استخدام جميع وسائل القمع والإرهاب، والسجن، والنفي، والتعذيب، وتدمير القرى لمنع كل حركة مقاومة تقوم في البلاد. ورسخت فكرة التجزئة تحت اسم الوطنية، والحماسة لها، والعاطفة، فقبل العامة لجهلهم هذا فحلت فكرة «السورية» محل الإسلام، وغدت «السورية» فكرة وكانها تختلف عن بقية بلاد الشام. وأعلنت كذلـك تجزئـة سوريا ولبنـان إلى دولتـين منفصلتين، وقسّمت سوريا إلى أربع

محافظات أو دول: دمشق، حلب، العلويين، جبل الدروز، ووضعت للواء الاسكندرونة نظاماً خاصاً، وأنشأت دولة لبنان الكبير في مطلع عام ١٣٣٩ هـ بعد أن ضمت اليه بيروت، وصور، وصيدا، وطرابلس ثم ألحقوا به بعلبك، والبقاع، وراشيا، وحاصبيا، وقسما من عكا وقسما من حصن الأكراد بعد فصلهما عن سوريا. وقد جرى ذلك على الرغم من المؤتمرات الكثيرة التي عقدت لهذه الغاية.

وحكم البلاد المفوض السامي حكما مطلقا ففرض الأحكام العرفية التي ظلت سارية إلى عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م)، واحتل الفرنسيون الإدارات والوظائف، وأثاروا النعرات الإقليمية، والطائفية، وخنقوا الحريات، وضيقوا على الرجال الأحرار فزجوا بهم في السجون، ولاقوا صنوف التعذيب، وتأخرت الحالة الاقتصادية بسبب التجزئة وماتبعها من حدود وجمارك وضرائب، وحوربت الصناعات الوطنية، بينما شجعت فرنسا صناعاتها ومنتجاتها.

لم يستسلم الشعب العربي في سوريا لهذه التدابير، فقامت هنا وهناك بعض الحركات المسلحة إيذانا بذلك الرفض، وتعبيرا عن سخط الشعب على السياسة الفرنسية الغاشمة، وكانت انكلترا تغذى هذه الحركات نتيجة التنافس بين الدولتين، والهجوم الذي لقيته انكلترا من فرنسا بسبب المراوغة الانكليزية في المفاوضات أو المرونة والظهور بمظهر اللين والتفهم للواقع. فقامت ثورة حوران في مطلع عام ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) والتي قامت بقتل بعض الجنود الفرنسيين مع بعض الوزراء السوريين [الدروبي واليوسف] الذين قدموا لإقناعهم بقبول الانتداب الفرنسي، وعطلوا السكة الحديدية، وقطعوا المواصلات الهاتفية، فأرسلت فرنسا حملة عسكرية استطاعت أن تخمد الثورة بالقوة وبعد أن دمرت القرى بالطائرات. وتلا ذلك حادثة القنيطرة ١٣٤١ هـ (١٩٢٣ م) والتي هاجم الثوار فيها الجنرال غورو وحقي العظم حاكم دمشق وأصابوهما بجراح، فأرسل الفرنسيون حملةً دمرت عدة قرى. كما قامت ثورة أخرى بقيادة الشيخ صالح العلي ١٣٣٨ - ١٣٤٠ هـ (١٩١٩-١٩٢١ م) في جبل العلويين، وكبدت الفرنسيين خسائر فادحة ولم تستطع فرنسا تصفية الثورة إلا بعد أن حشدت قوات كبيرة ضدها، وكانت هذه الثورة قد قامت منذ أن احتل الفرنسيون الساحل، وبرز

الشيخ صالح العلي إثرها وارتفع اسمه لغايةٍ أرادها الطرفان. وفي الوقت نفسه قامت ثورة أخرى في جبل الزاوية وأطرافه بزعامة إبراهيم هنانو الذي عرف بالتمرد على السلطة من قبل، واتصل بالشيخ صالح العلي وشجعه على المثابرة في ثورته، وأخيرا عززت فرنسا قواتها، وحاصرته فانسحب إلى حمص ومنها إلى عمان فالقدس حيث السيطرة الانكليزية. وقـامت حركـات أخرى في الفرات، وحماة، ومعرة النعمان، وغيرها وجرت اضطرابات في دمشق عندما زارها المستر كراين Crane (رئيس لجنة الاستفتاء الأمريكية) في رمضان عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م)، فتظاهر الشعب السـوري، وخـطبوا أمامه منددين بالسياسة الفرنسية، ومنادين بالحرية والاستقـــلال. فقبضت السلطات الفـــرنسية على بعض الـــوطنيين (من بينهم عبـدالـرحمن الشهبنـدر)، وسجنت بعضهم، ونفت آخـرين إلى جزيرة أرواد، وأضربت دمشق عدة أيام، وأيدتها المدن السورية الأخرى بالمظاهرات، فأعلنت الأحكـام العـرفية، وسقط عدد من القتـلى، واشـتركت نسّـاء دمشق في هذه المظاهرات، وهاجمن المصفحات، وهتفن بالاستقلال والحرية.

ونظر المقاومة الشعب السوري لسياسة الانتداب الفرنسي والتجزئة، صدر في شوال ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م) قرار بانشاء اتحاد بين دمشق، وحلب، واللاذقية، ولكن بقيت الحكـومـات الثـلاث منفصلة في شؤونها الداخلية جميعها. فاحتج الوطنيون إلى عصبة الأمم يستنكرون أساليب الحكم الفرنسي الذي لايتقيد حتى بنظام الانتداب، حينئذ قرر غورو إنشاء مجلس تمثيلي لكل دولة، فقاطعت دمشق انتخاب مجلسها، وأضربت عشرة أيام، فعين المفوض السامي أعضاءه تعييناً. واستدعت فرنسا غورو، وبعثت بالجنرال «ويغان» مفوضاً سامياً جديدا، فأعلن عن تأليف «دولة سوريا» من دمشق، وحلب وعهد برئاستها إلى صبحي بركات.

وعـلى الـرغم من هذه الإجـراءات، فإن الشعب السـوري لم يستسلم ولم يستكن، بل واصل ثوراته ضد الفرنسيين وتابع مسيرة كفاحة ونضاله بعد الثورات التي أشرنـا اليهـا والتي مهـدت للثـورة السـورية الكـبرى ١٣٤٤ - ١٣٤٦ هـ (١٩٢٥-١٩٢٧ م) التي استمرت سنتين، وشملت مناطق كثيّرة من سورية، وقد حدثت هذه الثورة بعد أن تراجعت فرنسا عن قرارها الذي يقضي بأن يكون حاكم الجبل درزيا، فعينت حاكما فرنسيا لجبل العرب والذي أساء معاملة سكان

الجبـل، الذين رفضوا قبول الأوامر وعدّوها مهينة لهم، وقرروا مقابلة الجنرال «سراى» خليفة ويغان لتنفيذ الاتفاق السابق أو تبديل الضابط الفرنسي كارتييه) حاكم الجبـل. فلم يحسن سراى استقبالهم وواجههم بعنف ورفض مطالبهم، فاتصلوا به مرة أخرى في بيروت فأصر على رفضه وأمر بنفي بعض وجهائهم إلى تدمر والحسكة، فكانت الشرارة التي اندلعت منها نيران الثورة، وحرضت انكلترا أنصـارهـا الدروز على هذه الثورة، وتعهدت بحماية كل من يلتجىء إليها في الأردن، وبالفعل كانت الأردن وجهة المنهزمين أو الفارين من وجه الحكم الفرنسي في سورية.

انطلقت شرارة الثورة من جبل العرب، واتجهت شمالا وعمت سوريا غربا حتى جبـال لبنان، وشمالاً حتى حماه، وشرقاً حتى الجزيرة. واذا كان السبب المباشر لهذه الثورة خلاف الدروز والفرنسيين حول تعيين حاكم الجبل، وتحريض الانكليز إلا أن الشيء الذي قالة قادة الثورة أن أهدافها الحقيقة كانت أبعد وأعمق بكثير، ومن هذه الأهداف: توحيد أجزاء سوريا الطبيعية وقيام دولة واحدة مستقلة، ووضـع دستور للبلاد، وتأليف جيش وطني قوي يقوم بحماية الوطن والمطالبة بجلاء القوات الأجنبية عن البلاد.

وقد انضوي تحت لواء هذه الثورة الجمعيات العاملة في ذلك الوقت كجمعية العهد، وجمعية العربية الفتاة، وحزب الاستقلال، والعاملين في السياسة جميعهم، وأفراد الشعب، كما أيدها الكثير في العراق، ومصر. وبقيت أجزاء بلاد الشام (فلسطين ولبنان والأردن).

نشبت معارك ضارية في أماكن متعددةً من البلاد كمعركة المزرعة في جبل الدروز، والمسيفرة في حوران، والمعارك التي حدثت في الغوطة، وانحصر نفوذ الفرنسيين في بعض أحياء دمشق فقط في حين تمردت الأحياء الأخرى وشاركت في الكفاح، فما كان من الفرنسيين إلا أن أصلوا مدينة دمشق ناراً حامية من مدافعهم وقنـابلهم التي أحرقت البيوت بمن فيها دون سابق إنذار، وشهدت المدينة فظاعةً وقسوة، وقصفت مرتين، ولعل اسم حي الحريقة في دمشق اليوم خير شاهـد ودليل على تلك الـوحشية، إذ استخـدم الفرنسيون منتهى القسوة والوحشية لمجابهة الثورة، من إلقاء القنابل على المدن والقرى دون تمييز، إلى جموع

القرويين، وإبادتهم جماعات دون تحقيق أو محاكمة، إلى اقتلاع الأشجار، وقطع المياه عن الناس. وقد شهدت سوريا على يد القوات الفرنسية من الفظائع مالم تشهده من قبل.

أثارت أعمال القمع الفرنسية ضد السوريين استياءً ظاهرياً في العالم، وهزّت الضمير العالمي الحر، فانهالت على عصبة الأمم ولجنة الانتدابات الاحتجاجات عن فظائـع الفرنسيين. فعملت فرنسا على تهدئة الخواطر، واستدعت المفوض السامي العسكري (سراي)، وعينت مكانه مفوضاً ساميا مدنيا هو «دوجوفنيل» أو كلت إليه أمر التفاوض مع الوطنيين وإنهاء الثورة. وقد وصل المفوض الجديد إلى سوريا والثورة في ذروتها، وقابل عدداً من الزعماء السوريين الذين قدّموا إليه مطالب الشعب لإنهاء الثورة وهي إعلان الاستقلال، والوحدة والجلاء. فدعا الشعب إلى انتخابـات نيابيةٍ تنبثق عنهـا حكومة وطنية تفاوض فرنسا، ولكن الانتخابـات قوطعت لتـدخـل الفرنسيين، وقامت المظاهرات والاضطرابات في المدن، وحاول دوجوفنيل إرضاء السكان، فألف حكومةً جديدةً دخل فيها بعض الوطنيين على أساس إنهاء الثورة وتحقيق الأماني الوطنية. ثم سافر إلى باريس ليحصل على موافقة حكومته على تحقيق برنامجه، فأخفق واستقال.

أدرك الوطنيون سياسة فرنسا في المماطلة، لكسب الوقت وقمع الثورة، فاستقال الوزراء الوطنيون، فاعتقلتهم السلطات الفرنسية. وشددت ضرباتها على الثوار، فاحتلت السويداء وهاجمت مرارا حي الميدان أغني أحياء دمشق فهدّمته، وقضت على الحياة الاقتصـادية، وضاعفت حملاتها على دمشق حتى قضت على الثورة بقسوة ووحشيةٍ.

بعد استقالة دوجوفنيل، عينت فرنسا «هنري بونسو» مفوضا ساميا على سوريا ولبنان معاً، فأعلن عن إجراء انتخابات من أجل جمعيةٍ تأسيسيةٍ تضع دستورا للبلاد، وألغى الأحكام العرفية، وأصدر عفوا عن بعض الوطنيين المبعدين، وعين حكومة مؤقتةً برئاسة الشيخ تاج الدين الحسنى للإشراف على الانتخابات، وقبل الوطنيون أن يشتركوا في تلك الانتخابات، وفازوا فيها.

وافتتحت الجمعية التـأسيسية أولى جلسـاتهـا في ١٩ ذي الحجة ١٣٤٦ هـ (١٩٢٨ م) برئاسة هاشم الأتاسي، وانتخبت لجنة لإعداد الدستور برئاسة ابراهيم

هنانو، فأتمت هذه اللجنة صياغته، فجاء مؤلفا من (١١٥) مادة، تنص على أن سوريا وحدة لا تتجزأ، وأن نظام الحكم فيها جمهوري نيابي، وتتكون السلطة التشريعية فيهـا من مجلس واحد، والسلطة التنفيذية في يد رئيس الجمهورية، ويساعده مجلس الوزراء والوزارة مسؤولة أمام المجلس النيابي، ولكن فرنسا لم تقبل بهذه المواد. ووجه المفوض السامي إلى الجمعية التأسيسية كتاباً يطلب فيه إلغاء ست موادٍ من الدستور، وهي المواد المتعلقة بالوحدة السورية، والتمثيل الخارجي، وتنـظيم الجيش، وسلطات رئيس الجمهورية، فرفضت الجمعية طلب المفوض السـامي، فأصدر قراره بتعطيل الجمعية ثلاثة أشهر ثم تعطيلها إلى أجل غير مسمى. وفي الأيام الأخيرة من عام ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م) أعلن بونسو عن دستورٍ جديد هو دستور الجمعية التأسيسية نفسه مع إضافة مادةٍ أخيرةٍ إليه، تنص على وقف تنفيذ المواد التي تمسّ صلاحيات الدولة المنتدبة والتزاماتها.

وقد قوبل نشر هذا الدستور بالاستنكار والاحتجاج، وأضربت البلاد إضراباً عاما شاملا، وقامت المظاهرات الصاخبة في كل مكان، وعقد الوطنيون اجتماعا عاما في حلب، قرروا فيه رفض الدستور الجديد، وأطلقوا على أنفسهم اسم «الكتلة الوطنية» التي تزعمت حركة المقاومة ضد الفرنسيين.

بقيت الأمور معلقة أربع سنوات مشحونة بالاضرابات والاحتجاجات والمقاومة حتى عام ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م) وبقى الشيخ تاج في الحكم، وأخـيراً اضطر المفـوض السـامي إلى إقامة حكومة الشيخ تاج وتألفت حكومة انتقالية برئاسة (سـولومياك) مندوب المفوض السامي بدمشق للإشراف على الانتخابات حيث جرت الانتخابات، واجتمع المجلس النيابي ١٠ صفر ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م)، وانتخب محمد على العابد رئيسا للجمهورية، وألّف حقي العظم الوزارة التي دخل فيها عضوان من الكتلة الوطنية لإجراء المفاوضات مع فرنسا، ثم استقالا بسبب مماطلة بونسو في حل القضية الوطنية.

عينت الحكـومـة الفـرنسية (الكونت دومارتيل) مفوضاً سامياً جديداً، فقدّم مشروع معاهدةٍ لاتحقق آمال الشعب في الجلاء والوحدة. وعرضت هذه المعاهدة على المجلس النيابي لإقـرارهـا، فرفضت في جلسـةٍ صاخبةٍ وقد رفضها رئيس المجلس صبحى بركات أيضاً، كما رفضها أحد الوزراء، كما أريقت الدماء في

الشوارع بين المتظاهرين والجنود، وأقيل حقي العظم، وعين الشيخ تاج مرةً أخرى رئيساً للوزراء.

عادت الاضطرابات الدامية الى البلاد في عهد الشيخ تاج الذي عرف بسياسة اللين في عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) انفجر بركان الاضطرابات والمظاهرات حتى شمل المدن جميعها، فقامت القوات الفرنسية باعتقال عدد من الزعماء الوطنيين (الكتلة الوطنية) وأغلقت مكاتب الكتلة، فأعلن الشعب الإضراب العام الذي شمل المدن السورية كلها، واستمر الإضراب مدة شهرين في دمشق، وعرف باضراب الستين يوماً، وحوالي شهر ونصف في معظم المدن.

واضطرت السلطات الفرنسية إلى عزل الشيخ تاج، وأعلنت عن استعدادها لإطلاق سراح المعتقلين، وإصدار عفوٍ عامٍ اذا قبل الوطنيون إنهاء الإضراب، والـدخـول في مفاوضات لعقد معاهدةٍ على أساس الاعتراف باستقلال سوريا ووحدتها. وبناءً على ذلك انهى الإضراب، وتقرر إرسال وفد سوري - برئاسة هاشم الأتـاسي وعضـوية فارس الخـوري، وجميل مردم، وسعد الله الجابري، ومصطفى الشهابي وغيرهم - إلى باريس ليفاوض حكومتها على عقد معاهدةٍ تكون على غرار معاهدة العراق. وأدت تلك المفاوضات التي تعثرت فاستمرت ستة أشهر - بسبب إجـراء انتخـابـات نيابية في فرنســا وفوز الجبهة الشعبية والاشتراكيين الفرنسيين - إلى عقد المعاهدة بين البلدين والتي تنص على اعتراف فرنسا باستقلال سوريا، وتشاورهما في الشؤون الخارجية، ومدة المعاهدة ٢٥ سنة، ومنح قواعد عسكـرية خلال مدة التحـالف، وحـددت مدة الانتقال بثلاث سنوات توضع المعاهدة في نهايتها موضع التنفيذ.

استقبل الشعب السوري المعاهـدة بالرضا لا باعتبارها تمثل أماني الشعب، ولكن لأنها أول اعترافٍ رسمي فرنسي باستقلال سوريا وسيادتها ووحدتها. وأعلن المفوض السامي ضم مقاطعتي اللاذقية وجبل الدروز إلى سوريا، ودُعي الشعب لانتخاب مجلس نيابي جديد فاز معظم أعضائه من الكتلة الوطنية، وقام المجلس الجديد بانتخاب هاشم الأتاسي رئيساً للجمهورية بعد استقالة محمد علي العابد، وتألفت وزارة جديدة برئاسة جميل مردم، وضمت شكري القوتلي، وسعد الله الجـابري، وعبدالرحمن الكيالي، وقدمت هذه الوزارة المعاهدة للمجلس النيابي

فصـدق عليهـا. وأخـذت الوزارة الوطنية تتابع مفاوضاتها لتتسلم سلطاتها من الفـرنسيين تنفيذا للمعـاهـدة، وشرعت في تعيين المحـافـظين وموظفي السلك السياسي، ومارست حقوق السيادة. ولكن المجلس النيابي الفرنسي الذي يضم أكثرية اشتراكية لم يصدق على المعاهدة، وأخذت فرنسا تماطل وتسوف كعادتها، وتثـير الصعـاب والعقبـات في وجه الحكومة الجديدة، وذلك عن طريق رفض الموظفين الفرنسيين تسليم سلطاتهم إلى الحومة الوطنية، وكذلك عن طريق إثارة الحـركـات الإقليمية، والـطائفية في الـلاذقية، وجبل الدروز. وفي غمرة هذه الأحداث قامت فرنسا بضرب الحكم الوطني ضربة قاضية في لواء اسكندرونة.

استغلت تركيا الأوضاع الدولية، واحتجت على معاهدة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) بحجة أنها أعلنت توحيد البلاد، فوجدت فرنسا الفرصة سانحة للاستغلال بهدف زعزعة الحكم الوطني فدخلت مع تركيا في مفاوضات بشأن لواء الاسكندرونة ـ الذي وعدت فرنسا تركيا بشأنه عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) بعدم دمجه مع سوريا ـ فوافقت فرنسا وكذلك بريطانيا على سلخ الاسكندرونة من سوريا وإعطائها لتركيا مقـابل وقوف تركيا إلى جانب الحلفاء في الحرب المتوقعة إذ كانت أوربا مشحونة، وسحب الحرب تؤذن بالانفجار لأهميتها الاستراتيجية، وأرادت الدولتان إخراج الموضوع بشكل شرعي فقررتا إجراء استفتاء شعبي. ولكن فرنسا أعلنت أنه كان لصالح تركيا ودعتها لتسلم اللواء مخالفة بذلك صك الانتداب نفسه. ودخلت الجيوش التركية إلى الاسكندرونة في ربيع الثاني قبيل ثلاثة أشهر فقط من اندلاع الحرب العالمية الثانية. وكانت الحكومة الفرنسية قد سحبت المقيم الفرنسي (دومار تيل) وعينت بدلا منه (غبريل بيو)، فأعلن أن حكومته عدلت عن سياسة المعاهدة وعادت إلى سياسة الانتداب، عندئذ استقالت الوزارة الوطنية واستقـال رئيس الجمهورية، وعادت الاضطرابات إلى البلاد، وسادها جو من الإرهاب وخنق الحريات. وفي هذه المدة اندلعت نيران الحرب العالمية الثانية.

وعنـدما قامت الحرب العالمية الثانية، كانت البلاد العربية معظمها خاضع للحلفاء، وكان الشعب العربي ناقماً على الاستعمار وأعوانه، ومتعاطفاً مع دول المحور، ويود أن تنتصر إذ وعدته بالاستقلال، ليستطيع القضاء على الاستعمار والصهيونية، مع العلم أن ايطاليا إحدى هذه الدول كانت تستعمر ليبيا واريتريا

وجزءاً من الصومال.

وخلال الحرب العالمية الثانية هاجم الألمان فرنسا هجوما ساحقا حطم قواتها وأجبرها على الاستسلام بعد ثلاثة أسابيع من بدء المعارك، فدخلت الجيوش الألمانية باريس ربيع الثاني ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م) وألف المارشال (بيتان) حكومة فيشي الموالية للألمان، ووقع الهدنة معهم ومع الطليان غير أن بعض الضباط رفضوا مهادنة الألمان، وألّفوا حكومة فرنسا الحرة في لندن برئاسة الجنرال ديغول. وخضعت مستعمرات فرنسا لحكومة فيشي الموالية للألمان والتي طبقت شروط الهدنة على سوريا ولبنان، وعينت الحكومة الفرنسية الجديدة مقيماً عاماً في سوريا هو (الجنرال دانتز) وطالبه الشعب بالاستقلال فرفض. واستغلت دول المحور (ألمانيا وايطاليا) هزيمة فرنسا لتمد نفوذها إلى الشرق فاستخدمت المطارات السورية، وأثار ذلك مخاوف بريطانيا وحلفائها سيما بعد قيام ثورة الكيلاني في العراق، فقررت انتزاع سوريا من أيدي حكومة فيشي الموالية للألمان، واتفقت بريطانيا مع ديغول زعيم الفرنسيين الأحرار على احتلال سوريا، وتم ذلك بالفعل في صيف عام ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م) عندما احتلت القوات الانجليزية والفرنسية الحرة سوريا دون مقاومة تذكر، وأذاعت حكومة فرنسا الحرة على لسان الجنرال (كاترو) باسم الجنرال ديغول بياناً وعد فيه السوريين واللبنانيين بالاستقلال وكان هدف الحلفاء من وراء هذا البيان هو جذب السكان ليقفوا إلى جانبهم أثناء زحفهم لاحتلال البلاد.

وقد علق الوطنيون على هذه الأحداث الآمال، ولكن كاترو أبطأ في تحقيق وعده، غير أن الضغط الشعبي اضطره بأن يذيع بياناً أعلن فيه إلغاء الانتداب واستقلال سوريا حرة موحدة. ثم تألفت وزارة جديدة، وعين الشيخ تاج الدين الحسني رئيساً للجمهورية واعترف الحلفاء باستقلال سوريا، وأعلن كاترو من جديد ضمّ محافظتي اللاذقية وجبل الدروز إلى سوريا (مع مطلع عام ١٣٦١ هـ (١٩٤١ م) ولكن الشعب طالب بإعادة الحياة الدستورية الصحيحة وتأليف حكومة تنبثق عن إرادته لتحقيق الأماني الوطنية.

وتوفي رئيس الجمهورية الشيخ تاج الدين في أواخر عام ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م)، وطالب الوطنيون بإنشاء حكومة دستورية، فأجريت الانتخابات

الوطنية التي فاز بها الوطنيون بأغلبيةٍ ساحقةٍ، وانتخب السيد شكري القوتلي رئيسا للجمهــورية في ٤ شعبــان ١٣٦٢ هـ (١٩٤٣ م)، وألّف الــوزارة سعـد الله الجابري. وفي خلال هذه المدة بدأ النفوذ الانكليزي، اذ توجد في البلاد وحدات من الجيش الانكليزي دخلت في أثناء طرد حكومة فيشي، كما أن انكلترا كانت تدعم الوطنيين لتوطد نفوذها مكان الفرنسيين المستعمرين الذين يكرههم الشعب، وفي الوقت نفسه كان الوطنيون يجدون في انكلترا ليونة أكثر من فرنسا، ويلجأون إلى مناطق نفوذهم إذا دعتهم الحاجة وتستقبلم وتدعمهم.

أظهرت الحكومة الوطنية إرادةً قويةً ووعياً تاما في التمسك بحقوقها كحكومة مستقلة، فعينت الممثلين السياسيين لدى الدول الصديقة، وساهمت في تأسيس الجـامعـة العربية، كما أعلنت الحرب على دول المحور لتستفيد من معاهدات الصلح، وأسهم وفدها برئاسة فارس الخوري في مؤتمر سان فرنسيسكو بتأسيس الأمم المتحـدة. ثم طالبت فرنســا بتسليم الجيش والجـلاء عن البلاد، ولكن الفرنسيين رفضوا ذلك محاولين فرض معاهدة مع سوريا تعطيهم حق استخدام القواعد الجوية والبحرية في البلاد، وعندما رفض الشعب السوري هذه المطالب الفرنسية استخدمت فرنسا القوة، إذ قامت القوات الفرنسية في ١٥ جمادي الثانية بقصف مدينـة دمشق بالمـدفعية والطائرات لمدة أربع وعشرين ساعة ونصف، ومثلث أبشـع تمثيل بحامية المجلس النابي، ففقأت الأعين، وقطعت الأعضاء عضوا عضوا، ودفنت بعض الجنود أحياء، فدب الهلع في نفوس السكان، حتى أن المرضى تركوا مستشفياتهم بحثا عن ملجأٍ لهم، وأحرقت الأحياء والمتجر، فكان لذلـك كله صدى علمي سيء، فاحتجت الـدولـة على هذا التصرف وخاصة بريطانيا حيث أنذر تشرشل رئيس الحكومة البريطانية فرنسا بوقف إطلاق النار فورا، خشيةً أن تفقد بريطانيا صداقة العرب إلى الأبد، فاستجابت فرنسا للأنذار البريطاني. وبعد ذلك عرضت المشكلة السورية على مجلس الأمن الذي قرر جلاء القـوات الفـرنسية عن سوريا، وتم الجلاء التام بالفعل في ١٥ جمادي الأولى ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م)، وكان ذلك بداية عهد الاستقلال.

وحقيقـة الأمـر أن بريطانيا أيدت سوريا في مطالبهـا بالجـلاء الفرنسي عن أراضيها، خدمة لمصالحها وتحقيقاً لأهدافها الاستراتيجية في المنطقة، وذلك لأن

بريطانيا كات تعمل على تعزيز نفوذها في سوريا ولبنان بعد طرد النفوذ الفرنسي، وإخضاع المنطقة العربية كاملةً لنفوذها.

عهـد الاستقـلال

تسلمت الحكومة الوطنية زمام الأمور، وكان عليها مسؤوليات جسام، وكان أول ما بدأت به إصلاح نظام التعليم الذي هو بحق عصب الحياة ومنطلقها، فكان على الحكومة الوطنية أن تعمل على استبعاد الأثر الفرنسي الذي كان مسيطرا على التعليم من حيث الغلو في تدريس اللغة الفرنسية، فكان على سوريا أن تحارب الاستعمار الثقافي الفرنسي بعد أن تخلصت من الاستعمار السياسي. واتجهت كذلـك الى تعزيز الحياة الاقتصادية وخاصة الزراعية منها، كما اهتمت بتقوية الجيش الوطني وتسليحه إضافةً إلى اهتمامها بالنهضة العمرانية والفنية. وفي عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) أجريت انتخابات جديدة وأعيد انتخاب شكري القوتلي. رئيساً للجمهورية بعد تعديل الدستور.

وبينما كانت الحكومة السورية جادةً في إصلاح ماأفسده وخربه الاستعمار طيلة عدة قرون واجهت مشكـلات خارجية منهـا: حرب فلسـطين عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) والتي اشترك الجيش السوري فيها وهزم كغيره من الجيوش العربية، ونتج عن ذلك كارثة فلسطين وقيام دولة لليهود فيها، وبعد الحرب العالمية الثانية أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية زعيمة الكتلة الغربية فأرادت أن تحل محل نفوذ أصدقائها فرنسا وانكلترا، وأن يكون نفوذاً واحداً للغرب بزعامة الولايات المتحدة بدلاً من التنافس الاستعماري القائم، وكي يقف الغرب كتلة واحدةً أمام كتلة الشيوعية، وقد عمدت إلى الانقلابات العسكرية لتحقيق هذا إن عجزت عن النفوذ الاقتصادي.

وأدى ذلك كله إلى قيام سلسلة من الانقلابات العسكرية في سوريا، وذلك إثر حصول الأزمة الوزارية ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) واحتدام النقاش في المجلس النيابي بين السياسيين والعسكـريين حول ميزانية الـدفـاع، واتهـام السياسيين للعسكريين بالتقصير في حرب فلسطين. فقام الانقلاب العسكري الأول بقيادة الزعيم حسني الزعيم في مطلع جمادي الثانية ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م).

استـولى الجيش على السلطة في البـلاد، واعتقـل رئيس الجمهورية شكري القوتلي ورئيس الوزراء خالد العظم، وحل المجلس النيابي، وأعلن حسني الزعيم نفسه رئيساً للوزراء ثم أعلن نفسه رئيساً للجمهورية ورئيسا للوزراء، وأجرى استفتاء صوريا مؤيدا ه، وكلف محسن البرازي بعد ذلك بتشكيل الوزارة واعترفت مصر والسعـودية بالنـظام الجـديد، وتوقف العراق، وجاء رئيس وزرائه نوري السعيد الى دمشق ليستطلع الأحوال، ولكن حسني الزعيم فاجأ الناس بزيارة الى القاهرة، وحلّ النفوذ الأمكريكي محل الانكليزي هذه المدة.

وبعد أربعة أشهر من الانقلاب الأول، حصل انقلاب آخر بزعامة الفريق سامي الحنـاوي رئيس أركان الجيش السوري حينذاك، وكان من نتيجته قتل حسني الزعيم ومحسن البرازي وزرائه بعد ساعة من نجاح الانقلاب، وكانت سياسة هذا الانقلاب الخارجية تميل إلى الاتحاد مع العراق الذي يمثل النفوذ الانكليزي، وقد تعاون الحناوى مع المدنيين وسلمهم السلطة وسيطر هو وجماعته على الجيش. غير أن انقلابا عسكرياً ثالثاً وقع في ٢٦ صفر ١٣٦٩ هـ (١٩٤٩ م) بزعامة الزعيم فوزي سلو والعقيد أديب الشيشكلي لإبطال مشروع الاتحاد مع العراق، ومع هذا فقد تابعت الجمعية التأسيسية التي انتخبت أعمالها وانتخب هاشم الأتـاسي رئيسا للجمهورية، وشكل ناظم القدسي الوزارة، ثم تطورت الأمور إلى أن استقل الشيشكلي بالأمر وقام بعد عامين بانقلاب آخر، وأعلن الشيشكلي دستورا جديدا لسوريا، وأصبح هو بموجبه رئيسا للجمهورية، كما انتخب مجلس نيابي جديد، ولكن اضطهاد الشيشكلي لجميع الأحزاب وابتعادة في الوقت نفسه عن الجيش أوقعه في انقلاب عسكري، وغادر سوريا والتجأ إلى الأرجنتـين ولكنـه لقي مصرعه بعد خمس سنوات من مغادرته على أيدي أحد الدروز، الذين حاول الشيشكلي إخضاع جبلهم.

أعيد كل ماكان قبل الشيشكلي إلى سابق عهده فالأتاسي رئيساً للجمهورية، وقدم معروف الدواليبي الذي كان مكلفاً بتشكيل الوزارة استقالته، ثم استؤنفت الحياة الـدستـورية في البلاد ثم انتهى الأمر بانتخابات نيابيةً، واختير شكري القـوتـلي رئيسـا للجمهـورية بعد انهاء هاشم الأتاسي في ٢٨ ذي الحجة عام ١٣٧٤ هـ (١٦/٨/١٩٥٥ م). وكان الحكم النيابي ضعيفا لأنه يدين للجيش

بوجـوده، وعــادت الأحزاب التقليدية إلى الحكم، وظهر بجانبها حزب البعث العـربي الاشـتراكي والحزب الشيوعي، ولكنها كانت ضعيفة أيضا أمام الجيش وضبـاطه الشباب، وقد زاد في ضعفها أنها لم تستطع التصرف تجاه العواصف السياسية والمؤامرات الدولية بدءاً بخلف بغداد، ومحاولات العراق لاحتلال سوريا وزيادة النفوذ الشيوعي. وإزاء ذلك اضطرت سوريا الى أن تتقرب من مصر وتعقد معها معاهدة الدفاع المشترك، ولما كثرت المؤامرات عليها وبلغ التوتر السياسي بين الجيش والحكم حده الأقصى، رأي ضباط الجيش أن أحسن حل للأزمة في البلاد هو في اتحاد سوريا مع مصر. فذهب وفد من الضباط إلى مصر يطلب من رئيسها جمال عبد الناصر وحدة سوريا مع بلاده فقبل عبد الناصر تحت إلحاحهم، وطلبوا من الحكومة السورية اتخاذ الخطوات الفورية للوحدة، فتوجت المحادثات بتوقيع اتفاقية الوحدة في ١٦ رجب عام ١٣٧٧ هـ (١٩٥٨ م) ثم جرى استفتاء عليها في ٨ شعبــان، وأعلن عن قيام الجمهـورية العـربية المتحدة برئاسة جمال عبد الناصر، وتنازل شكري القوتلي، وأعطي لقب المواطن العربي الأول، وسميت سوريا بالاقليم الشمالي بينما سميت مصر الاقليم الجنوبي.

كانت الوحدة تحقيقا لأماني الشعب العربي، وكانت أول تجربة وحدوية في العصر الحـديث، ولكن التنافس الاستعماري، إذ ضعف النفوذ الانكليزي في خلال هذه المدة لصالح النفوذ الأمريكي ونقمت بعض القطاعات الاقتصادية على القرارات الاشتراكية، ووقوع بعض الأخطاء في طريقة الحكم في سوريا ومنها التسلط المصري، كل ذلك أدى إلى قيام انقلاب عسكري أطاح بالوحدة في ١٨ ربيع الثاني ١٣٨١ هـ (٢٨ أيلول ١٩٦١ م) بعد ٤٤ شهرا من قيامها، وأعلن عن انفصال سوريا عن مصر، وأيد حركة الانفصال حزب البعث الذي طالب بالوحدة. بل كانت شعاره، وقد قوي شانه أثناء الوحدة إرضاء لقادته العسكريين و الشعبيين. وشكل مأمون الكزبري أول وزارة ثم تلتها وزارة عزت النص التي أشرفت على الانتخابات فقامت حكومة دستورية برئاسة الدكتور معروف الدواليبي إثر انتخابات نيابية، وانتخب الدكتور ناظم القدسي رئيسا للجمهورية وظهرت قوة البعثـين والإخـوان المسلمـين في هذه الانتخـابـات، وفي شوال ١٣٨١ هـ (١٩٦٢ م) حصل انقلاب عسكري أطاح بالدكتور القدسي رئيس الجمهورية،

وبالدكتور الدواليبي رئيس الوزراء، وتولى الجيش مهام الأمور وتخلص من بعض العسكريين الذين قاموا بالانفصال وهما عبد الكريم النحلاوي ومهيب الهندي اللذان أخرجا من البلاد. إلى أن تم تشكيل حكومة انتقالية. وبعد خمسة عشر يوماً عاد الدكتور ناظم القدسي إلى رئاسة الجمهورية بدعوة من القائد العام، ثم عهد الدكتور القدسي الى الدكتور بشير العظمة بتشكيل حكومة انتقالية تضم أعضاء من اليمين ومن اليسار المعتدلين، وبعض رجال ممن كانوا في حزب البعث العربي الاشتراكي، وفي ربيع الأول من عام ١٣٣٨٢ هـ استقالت حكومة العظم بسبب هجوم عصام العطار زعيم الإخوان المسلمين عليها لعدم استقامتها في الطريق السليم. وعهد رئيس الجمهورية الى الدكتور ناظم القدسي بالاتفاق مع الجيش إلى خالد العظم برئاسة الحكومة الجديدة التي استمرت في الحكم حتى قيام انقلاب جديد في منتصف شهر شوال ١٣٨٢ هـ (١٩٦٣ م) برئاسة لؤي الأتاسي، ومحمد الصوفي، وزياد الحريري قائد الجبهة، فأسندت رئاسة مجلس الثورة إلى لؤي الأتاسي ورئاسة الوزارة إلى صلاح الدين البيطار الزعيم البعثي الذي واكب الخط الوحدوي مرحلياً وكان هذا الانقلاب هو بداية تسلم حزب البعث للحكم إذ انفرد بالسلطة وطرد أصدقاء الأمس وسار في خط انفصالي بعد أن كان شعاره العودة الى الوحدة.

وبعد أن قام بدور تمثيلي في محاولة إقامة وحدة مع مصر، والعراق، وسوريا ولكن فشلت المحادثات ورفض عبدالناصر جميع محاولات حزب البعث وحدثت ثورة في حماه في شوال عام ١٣٨٤ هـ (١٩٦٤ م) ثم في دمشق بعد عام، وظهر في تهدئة الأوضاع الحقد على الإسلام بشكل واضح، ثم حصلت انشقاقات في حزب البعث حسب تكوينه الطائفي فتخلص النصيريون من الدروز الذين كان يمثلهم سليم حاطوم، ثم من الاسماعيلية الذين كان يجمعهم عبد الكريم الجندي، ورغم أنه من أهل السنة لكنه من بلدة السلمية، وهو عدو لدود للإسلام، ثم من أهل السنة الذين كان منهم أمين الحافظ رئيس الدولة ورئيس الوزراء صلاح البيطار، وبقي النصيريون يحكمون برئاسة صلاح جديدة من وراء واجهة من أهل السنة على رأسها نور الدين الأتاسي، وواجهت هذه القيادة هزيمة حرب ٢٧ صفر ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م) وضياع الجولان بعد اعتقالات واسعة بين

صفـوف المسلمـين، كما يحدث قبل كل حرب خارجية وفي شعبان ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م) قامت حركة في سوريا بقيادة الفريق حافظ الأسد وزير الدفاع، وقائد السـلاح الجوى، ونجح في الاستيلاء على السلطة بانقلاب أبيض تصدر فيها النصيريون الحكم، وبدأ حقدهم على الإسلام يظهر بشكل سافر ثم مالبث أن أعلن عن سياسته التي كانت أبرز ملامحها الانفتاح على العالم العربي بصورة أوسع تغطية للوضع الداخلي، ومن مظاهر هذا الانفتاح الانضمام إلى ميثاق طرابلس، الذي يضم اتحادا رباعيا بين مصر والسودان، وليبيا، وسوريا. ثم دخلت في اتحاد مصر، وليبيا بعد عام. ولكنه اتحاد شكلي فقط، ولم يلبث أن فصمت عراه لأنها كانت واهية من الأساس، إذ لم يكن صانعوه جادين فيه. وتحسنت علاقة سوريا مع لبنان، والسعودية. وبعد أقل من سنة اختير حافظ الاسد رئيسا للجمهورية ولازال حتى الآن.

ومن أبـرز مظاهـر السياسـة السـورية في عهده توثيق العلاقات مع الدول العربية، واشتراكها بحرب رمضان ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) وقد استطاع ارجاع جزء من الجولان بعد مفاوضات أجرتها مع العدو بواسطة كيسنجر ولازالت أراضيها محتلة، وشاركت في قوة حفظ الامن في لبنان بعد الثورة الأهلية التي قامت فيه ١٣٩٥ ـ ١٣٩٧ هـ ، وقام الضباط السوريون وجنودهم وخاصةً النصيريين منهم بأعمال يندى لها الجبين حتى لقي اللبنانيون منهم الأمرين ورأوا في إسرائيل منقذاً لهم من السوريين وتصرفاتهم، وهي رؤية الشعب السوري نفسها لما عاني من حكامه، وهذا كل مايريده اليهود، ويريدون أن يصلو إليه.

وتدعو الحكومة السورية بالتوجه نحو الاتحاد السوفيتي في حين ترتبط بالولايات المتحدة.

ب ــ لبنـــان

فتح العرب المسلمون لبنان عندما تقدموا في بلاد الشام، وبقيت جماعات من النصارى التي تعود في أصولها إلى المردة في المرتفعات، وأهملها المسلمون لضآلة شأنها، ورغبةً في إسلامها مع الزمن، ومع أنها عاشت بأمن، واستقرارٍ، وراحة،

وحرية، إلا أنها كانت على صلةٍ مستمرةٍ بالرومان نتيجة صلة العقيدة معهم، ومع هذا فقد كان المسلمون يعفون عنهم في كل مرة من باب الرحمة وإعطائهم درساً في الحرية.

ثم انتشر مذهب الدروز في مطلع القرن الخامس في وادي التيم ، ثم توسع وانتشر، ومع ذلك فقد بقي لبنان جزءاً من بلاد الشام، وتاريخه جزءاً من تاريخها، وجاء العثمانيون وخضع لهم لبنان كبقية مناطق الشام. وكان نفوذ الدروز قد زاد وتسلم فخر الدين المعني إمارة لبنان. . . أثناء دخول العثمانيين فساعدهم رغبة في زيادة نفوذه، ولكن عندما ظهرت أطماعه عزل، وعزل ابنه قرقماس، ثم قام فخر الدين المعني الثاني في النصل الأول من القرن الحادي عشر (السابع عشر الميلادي) وبدأ يتصل بالإمارات الايطالية، ويقوّي نفوذه، ولما اشتد ساعده ثار ضد العثمانيين، واستطاع ضم أجزاء مما جاوره إلى إمارته فجرد العثمانيون إليه حملة هزمته للمرة الأولى ففر إلى ايطاليا ثم عفت الدولة عنه فعاد إلى سيرته الأولى فهزم ثانيةً، وقبض عليه وقتل عام ١٠٤٥ هـ (١٦٣٥ م). . . . ويُعّد في نظر الأوربيين عظيماً لأنه كان على صلةٍ معهم ضد العثمانيين المسلمين، وعن الأوربيين نقل التاريخ ثم زاد التركيز على هذا الرجل مع نشوء فكرة القومية، والتـ ادم مع الفكرتين القوميتين المتجاورتين، ومن الصعب التعايش بين القوميات نتيـ التعصب، وهو درزي، ضد المسلمين وليس من أمر يرفعه القومية حيث كان درزياً ضد المسلمين، وعلى صلةٍ مع الطليان وهذا ينافي مايسمى بالوطنية.

وبعد المعنيين برز اسم الشهابيين في لبنان وهم من الدروز أيضاً، وتسلموا إمارة المنطقة، وظهر بشير الشهابي فجمع الدروز إليه وجلبهم من مناطق في شمال سوريا. وقوي أمره، وحكم لبنان، وساعد أحمد باشا الجزار ضد بعض خصومه وتسلم مكانهم ومنهم ابن عمه يوسف الشهابي بعد قتله. وتوقف عند قدوم نابليون إلى عكا عن مساعدة الجزار، وعندما فشل نابليون في دخول عكا ورجع عنها بدأ الجزار يضايق الشهابي حتى أجبره على الفرار من لبنان، ثم تدخلت انكلترا ومحمد على لدى الجزار فأعيد الشهابي إلى إمارته، وقال: ان هذا التدخل كان بداية الصلة بين الدروز وانكلترا والتي امتدت إلى الآن.

ثم انضم الشهابي إلى والي عكا الجديد عبد الله الخازندار في نزاعه مع

السلطان، وعندما هزم عام ١٢٣٨ هـ (١٨٢٣ م) فر الشهابي إلى مصر، فتوسط محمد علي باشا لدى السلطان وعاد الشهابي إلى لبنان.

وانضم الشهابي إلى جيوش إبراهيم باشا عندما دخلت بلاد الشام. . . ولما كانت لبنـان تضم جماعات من النصارى وأخرى من الدروز فقد انتقل بشير الشهـابي إلى النصرانية المارونية ليكسب تأييدهم مادام ضامناً جماعته الدروز، ومـات عام ١٢٥٦ هـ (١٨٤٠ م) بعـد صدامـاته مع النصيرية، وطردهم الى الشمال.

وضعفت الدولة العثمانية، وبدأت الدول الأوربية تتصل بالأقليات، وخاصة في لبنان وتحرضهم ضد العثمانيين، وكانت فرنسا قد وطدت علاقاتها مع الموارنة، ووثقت انكلترا صلاتها مع الدروز، ومع التنافس الاستعماري بين فرنسا وانكلترا امتد الخلاف إلى أصدقائهم، ونتيجة هذا الخلاف فقد اضطرت الدولة العثمانية عام ١٢٥٨ هـ (١٨٤٢ م) إلى تقسيم جبل لبنان إلى قسمين شمالي وعينت عليه حاكماً نصرانياً مارونياً، وجنوبي وعينت عليه حاكماً درزياً، ومع ذلك فقد وقعت الاضطرابات والحوادث الدموية عام ١٢٦١ هـ (١٨٤٥ م) فأوجدت الدولة مجلساً منتخباً بجانب كل حاكم، ثم تجددت الاضطرابات عام ١٢٧٧ هـ (١٨٦٠ م)، وتدخلت الدول الأوربية صاحبة النفوذ وأرسلت فرنسا حملة مؤلفة من ستة آلاف جنـدي، إلا أن الـدولـة العثـمانية قد أسرعت وحلت المـوضوع بشكل يرضي النصارى. . . فعندما وصلت الحملة الفرنسية وجدت الأمر منتهياً فاضطرت إلى الانسحاب بعد أن قدمت الهدايا لأنصارها.

وجاءت لجنة من الدول الأوربية إلى استانبول، واتفقت مع السلطان العثماني على منح جبل لبنان نظاماً إدارياً خاصاً، حيث يصبح متصرفية مستقلة استقلالاً إدارياً يديرهـا نصراني من خارج لبنـان، يقـترحه السلطان وتوافق عليه الدول الأوربية ويتصـل مباشرة بالسطان دون الرجوع إلى ولاة دمشق، ويساعد هذا الحاكم مجلس يمثل الطوائف جميعا، وكانت هذه المتصرفية لاتشمل سوى الجبل، وبقي هذا الوضع قائماً حتى الحرب العالمية الأولى.

وعندما تم الاتفاق بين انكلترا وفرنسا على تقسيم المناطق التي كانت خاضعة للدولة العثمانية (اتفاقية سايكس. بيكو) كانت منطقة لبنان ضمن مناطق النفوذ

الفرنسية. وعندما انسحب العثمانيون من بلاد الشام، ودخلتها القوات العربية والانكليزية، أنزلت فرنسا قوات لها على الساحل وبقيت مرابطةً هناك باسم الخطة الحربية، واستمرت بعد وقف الحرب وإعلان الهدنة، ثم قرر الحلفاء في سان ريمو الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان. وجاء المندوب السامي الجنرال غورو إلى لبنان، ومنها تقدّم، وخل دمشق، كما رأينا.

وفي ١٦ ذي الحجة ١٣٣٩ هـ (١٩٢١ م) أصدر غورو قراراً نص على إيجاد دولة لبنان الكبير تتألف من متصرفية جبل لبنان، ولواء بيروت الذي يضم صيدا، وصور، ومرجعيون، وكذلك من منطقة طرابلس التي تضم قضاء عكا، ثم أربعة أقضية هي بعلبك، والبقاع، وحاصبيا، وراشيا وقد أخذت من ولاية دمشق، وعّين على هذه الدولة الجديدة حاكماً فرنسياً، وجعل اللغة الفرنسية لغة التعليم بدلاً من اللغة العربية، ولم يبق بين هذه الدولة ودمشق من صلة سوى مصلحة الجمارك، بعد أن كانت جزءاً من بلاد الشام في العصور التاريخية جميعها.

وفي عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٧ م) أصدر المندوب السامي دستوراً أصبح بموجبه لبنان جمهورية، وعين شارل دباس أول رئيس جمهورية في لبنان، ثم علق المندوب السامي الدستور عام ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م) وأصدر للجمهورية نظاماً موقتاً وعين بموجبه حبيب باشا السعد رئيساً للجمهورية عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) لمدة عام وجدد له عاماً آخر.

وفي عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) عقد مجلس النواب جلسة وانتخب فيها أميل آدة رئيساً للجمهـورية وبعد عام أصدر المندوب السامي قراراً جعل فيه مدة الرئاسة ست سنوات والفترة واحدة. ويمكن إعادة انتخاب رئيس الجمهورية ثانية بعد مرور ست سنوات على تركة الرئاسة أول مرة.

وعقدت فرنسا معاهدة مع لبنان عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) على نمط المعاهدة الفـرنسية السـورية التي تم عقـدها في ذلك العام، وتضمنت السماح للقوات الفرنسية بالبقاء في لبنان دون تحديد زمن لذلك البقاء.

قامت الحرب العالمية الثانية، وهزمت فرنسا أمام ألمانيا، وتشكلت حكومة فيشي المـوالية للألمان، وتبعتها أكثر المستعمرات ومناطق النفوذ، ومنها سوريا ولبنان،

وأرسلت لها مندوباً سامياً هو الجنرال دانتز، ثم لم تلبث أن دخلت بلاد الشام قوات فرنسا الحرة بقيادة الجنرال ديغول مع القوات الانكليزية، وأصبح الجنرال (كاترو) المندوب السامي الجديد، وأراد التقرب من الشعب فأعلن أنه قادم لإنهاء الانتداب واستقلال البلاد، وعندما أراد الإبطاء في وعده بدأت مطالبة الشعب فاضطر إلى إعلان الاستقلال عام ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م) بعد إعلانه استقلال سورياً بشهرين.

استقال رئيس الدولة أيوب ثابت ورئيس الحكومة سامي الصلح، وتشكلت حكـومـة برئـاسـة الفـرد ثابت، أشرفت على انتخـابـات نيابية عام ١٣٦٢ هـ (١٩٤٣ م)، وانتخبت بشارة الخوري رئيساً للجمهورية فكلف رياض الصلح بتشكيل الوزارة، وعندما ألقى رئيس الوزارة بيانه الوزاري الذي عرف بوثيقة الاستقلال، وأصبح العرف هو الذي يحكم به لبنان فيتألف المجلس النيابي من ٩٩ نائباً ينتخبون على أسس طائفية لمدة أربع سنوات، فيمثل النصارى ٥٤ نائباً والمسلمون بالطوائف المتعددة التي تدعي الانتساب إلى الاسلام بـ ٤٥ نائباً.

عدد النواب	النصارى	عدد النواب	المسلمون
٣٠	موارنـة	٢٠	من المسلمين «السنة»
١١	أرثوذكس يونان	١٩	من المسلمين «الشيعة»
٦	كاثوليك يونان	٦	الدروز.
٤	أرثوذكس أرمن.		
١	كاثوليك أرمن		
١	بروتستانت		
٥٣		٤٥	

* ١ للطوائف الأخـرى

وبمقتضى هذا العـرف يكون رئيس الجمهورية من النصارى الموارنة، وهو رئيس السلطة التنفيذية، والـوزير الأول الـذي يطلق عليه رئيس الوزراء من المسلمين السنة، ورئيس المجلس النيابي من المسلمين الشيعة، كما يكون قائد الجيش من النصارى أيضاً. ويكون نائب رئيس المجلس النيابي من النصارى الأرثوذكس. ومع أن هذا التقسيم لايعتمد على إحصاءات دقيقة إذ أن نسبة المسلمين في لبنان تزيد على ٥٧٪ إلا أن هذا العرف بقي هو المعمول به، ويصرّ عليه النصارى.

إلا أن المندوب الفرنسي الجديد «هيلو» قام يوم ١٣ ذي القعدة ١٣٦٢ هـ (١٩٤٣ م) باعتقال رئيس الجمهورية ورئيس الوزارة، وبعض أعضاء الحكومة، ونـائب طرابلس عبـد الحميد كرامي، وزجهم في قلعة راشيا سجناء، وأصدر مرســومـاً بحـل المجلس النيابي، وإلغـاء الـدستـور، وتعيين أميل آدة رئيسـاً للجمهـورية، فحدثت الاضطرابات وعمت الفوضى، وجاء الجنرال كاترو إلى بيروت، واضـطرت الحكـومـة الفرنسية بعد أحد عشر يوماً إلى إعادة الحكومة الشرعية، ورئيس الجمهورية.

أجـليت الجيوش الفـرنسية عن لبنـان في ٥ ذي القعـدة عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) أي بعد جلائها عن سوريا بخمسة أشهر ونصف.

ومنذ عام ١٣٧٢ هـ (١٩٥٢ م) بدأ نفوذ الولايات المتحدة يزداد في لبنان، وعندما أراد كميل شمعون تجديد انتخابه لرئاسة الجمهورية للمرة الثانية حدثت اضـطرابـات، وبـدأت بوادر الحـرب الأهلية، وتقّدم الأسطول الأمريكي نحو سواحـل لبنـان، فتنـازل شمعون كرهاً عن رأيه، وانتخب فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية في غرة عام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م)، وغادرت القوات الأمريكية لبنان بعد شهرين.

ثم انتخب شارل الحلو لرئـاسـة الجمهـورية، وحـدثت عام ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م) مصـادمـات بين الجيش اللبنـاني والفدائيين الفلسطينيين، وفي عام ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م) انتخب سليمان فرنجية رئيساً للجمهورية وفي عهده حدثت الحرب الأهلية ١٣٥٩-١٣٩٧ هـ ، وتلاه إلياس سركيس، ودخلت قوات الردع

لبنان، وحدثت فوضى شديدة، وحاول الموارية الاستقلال في جزء من البلاد حتى قسمت العاصمة بيروت إلى قسمين: شرقية بيد الكتائب أكبر أحزاب الموازنة، وغربية بيد المسلمين.

ولم ينته الأمر حتى حدثت انتخابات رئاسة الجمهورية، لكن اليهود احتلوا لبنان وحاصروا بيروت الغربية، ولم يتمكنوا من دخولها حتى خرجت منها المقاومة الفلسطينية برأيها حرصاً على المدينة.

وارتكب اليهود جرائم نكراء بحق الفلسطينيين بعد خروج المقاومة إذ ذبحوا ستة آلاف نفس بين طفل، وامرأة، وشيخ، وأعزل في مخيمي صابرا، وشاتيلا.

وكان قد انتخب رئيس ميليشيات الكتائب بشير الجميل رئيساً للجمهورية، ولكنه قتل بحادث، إذ نسف البناء الذي يلقي فيه خطاباً، ويبدو أن لليهود يدا في الأمر لإثارة الفتنة بين المسلمين والنصارى، وبالفعل فقد أعقب ذلك جريمة صبرا وشاتيلا.

واختبر أمين الجميل خلفاً لأخيه المقتول، ولم يخرج اليهود بعد من لبنان، ووقعت حوادث بين النصارى والدروز بتحريض من اليهود الذين يدعمون تارة الدروز وأخرى النصارى.

ولبنان له وضعه الخاص إذ يتركز المسلمون في طرابلس وعكار، والساحل، ويزداد الشيعة في الجنوب، وبعلبك، ويكثر الدروز في الشوف والمتن، ويتركز النصارى في بقية الجبل شمال طريق دمشق - بيروت.

وأخيراً توقفت الحرب الأهلية، وانتخب الياس هزوي رئيساً للجمهورية، ولا يزال لسوريا دورها في لبنان.

ج ـ فلسطين

قضية فلسطين اليوم هي قضية كل مسلم، والخطر الصهيوني فيها هو الخطر الاستعماري الداهم الذي لايهدد فقط إقليم فلسطين وسكانه، بل ويهدد أراضي واسعة من بلاد المسلمين حولها بالغزو والاحتلال ويهدد ثرواتهم بالنهب، وجهودهم

للتنمية بالاستنزاف كما يهدد وجودهم ومستقبل أجيالهم، وكذلك يؤثر على عقيدتهم باحتلال مقدساتهم وتوجيه أبنائهم توجيهاً ضالا وفاسداً، ولكن هذه المشكلة أصبحت مشكلة دولية بعد أن تذخلت فيها الدول الكبرى التي تلعب بالقضية وتتدخل بشؤون المسلمين بصور شتى، ولابد في فهمها من الرجوع إلى الجذور التاريخية الأولى للقضية الفلسطينية.

تقوم أطماع الصهيونية في إقليم فلسطين على إدعاء مزيف باطل مؤداه أن هذه البلاد بلادهم منذ أقدم العصور، وأنهم أخرجوا منها كرها، فهم يعودون إلى بلادهم لينشئوا لهم فيها دولة هي دولة إسرائيل.

فاليهودية دين اليهود وليسوا من جنس واحدٍ كما يدعون، إذ انتشرت اليهودية بين القبائل الخزرية، وتنتسب جماعات من اليهود حالياً إلى تلك القبائل خضعوا في إقليم فلسطين من بلاد الشام للإبادة والترحيل على يد بختنصر والرومان، ولم يبق في فلسطين منهم إلا أعداد قليلة حماهم المسلمون، وقد عاشوا في ذمة المسلمين عيشةٍ هنيئة، ومع ذلك فقد قاموا ـ كعادتهم ـ بأعمال غير طيبة مما جعل المسلمين لايقبلون منهم أن يتجمعوا في القدس وماحولها.

ولم يكن عدد اليهود عند صدور وعد بلفوريزيد على أحد عشر بالمائة (٨٣ ألف نسمة فقط) على حين كان عدد السكان المسلمين ٦٩٧٫٠٠٠، على حين أن عدد النصارى يساوى ٦٠ ألفاً وتعادل نسبتهم ٨٪.

أما في أواخر العهد العثماني فكانت النسب على الشكل التالي:

المسلمون ٩٠٪ من السكان
النصارى ٨٪ من السكان
اليهود ٢٪ من السكان

الصهيونية والاستعمار:

الحركة الصهيونية حركة عنصرية دينية سياسية استعمارية، ترمي إلى «جمع شتات اليهود وإعادتهم الى فلسطين لتأسيس دولة لهم تحمي مشردى اليهود الذين تشردهم مختلف أمم الأرض وشعوبها لأعمالهم الإجرامية وغير الأخلاقية. وقد اشتق أقطاب اليهودية العالمية اسم هذه الحركة من جيل «صهيون» أحد جبال

القدس والذي تردد ذكره في التوراة والانجيل، وكان غرضهم من اختيار ذلك الاسم هو إثارة الشعور الديني في بلاد العالم واكتساب تأييد العناصر النصرانية الغربية وعطفها، ولا يخفي أن هذه الحركة الصهيونية توسعية عدوانية، ليس فقط بالنسبة لفلسطين، بل وبالنسبة للبلدان العربية المجاورة لفلسطين وينهض دليلا على ذلك «الوطن الصهيوني» في نظر غلاة الصهيونيين هو تلك المنطقة من الشرق العربي التي تمتد من وادي النيل إلى الفرات. كوحدة اللغة، ووحدة التاريخ، ووحدة الأرض، ووحدة الحياة الاقتصادية المشتركة ووحدة التكوين النفسي المشترك، فاليهود في القرن الثالث عشر كانوا موزعين في أقطار مختلفة من العالم ولايجمع بينهم سوى أمل القدوم إلى فلسطين التي فيها بعض الأماكن المقدسة بالنسبة لهم، واليهود جميعاً يؤيدون ذلك باطناً، وإن أخفي بعضهم ظاهراً، ذلك لأسباب سياسية يستفيد من ورائها اليهود، واتخذها بعض الساسة خطة سياسية أو قالوا بها جهلاً بواقع ملموس.

ولقد نشأت الحركة الصهيونية في أواخر القرن الثالث عشر (التاسع عشر الميلادي) في أعقاب الاضطهادات التي نزلت باليهود في أجزاء متفرقة من العالم ولاسيما في روسيا، وبولونيا، ورومانيا ووقعت الاضطهادات ضد اليهود بسبب عدم ولائهم للبلاد التي يعيشون فيها كمواطنين وبسبب سيطرتهم على الرأسمالية الكبيرة وتفوقهم في مجالات المال والاقتصاد والأعمال اللاأخلاقية التي يلجأون إليها لتحقيق أغراضهم والجرائم التي يرتكبها بعض عناصرهم لأخذ الدماء غير اليهودية لعمل فطير صهيون أيام أعيادهم، لذا فقد نظرت الشعوب الأوروبية إلى اليهود نظرة ضيق وتبرم، كما أشارت اليهم أصابع الاتهام كلما أصيبت الدولة بهزيمةٍ عسكريةٍ أو نكسةٍ ماليةٍ، وأدت تلك الاضطهادات إلى أن يقوم اليهود بتكوين منظمة «محبي صهيون» في روسيا وتأسيس أول مستعمرات صهيونية في فلسطين عام ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م)، كما حفزت هذه الاضطهادات أحد الزعماء الصهيونيين (ليون بنسكر) إلى تأليف كتاب أسماه التحرير الذاتي قال فيه: إن العلاج ناجح لحل المشكلة اليهودية هو انتقالهم إلى بقعة واحدةٍ من الأرض يكون لهم فيها وطن ودولة، فكان المكان الأول الذي اختاره أعضاء منظمة «محبي صهيون» هو إقليم فلسطين لما تأصل في اعتقادهم الديني من فكرة العودة إلى أرض الميعاد بزعامة زعمائهم.

ولقد كانت العزلة العنصرية التي فرضها اليهود على أنفسهم طوال عصور التاريخ وبتأثير بعض ماتضمنته تعاليم التوراة المحرفة والتلمود من تكريس للعنصرية، ومن تمجيد لليهود على أنهم شعب الله المختار السبب الرئيسي في محاولة السيطرة عن طريق المال، لأن هذه الطريق هي الوسيلة الوحيدة التي تلجأ إليها الأقليات التي تريد لنفسها هذا الوضع الاجتماعي في محاولة إثبات وجودها، والدفاع عن مصالحها، وتحاول عن طريق السيطرة الاقتصادية التعويض عن أوضاعها كأقليات منعزلة في سائر المجتمعات العالمية للوصول إلى السيطرة السياسية الخفية على مقدرات الأمور في البلاد التي تحقق سلطانها الاقتصادي، ولعل الوسيلة غير الأخلاقية كانت تلعب دوراً كبيراً لدى اليهود للتمكن من الحصول على المال والسيطرة الاقتصادية، هذا بالإضافة إلى الأعمال الربوية والاستغلال.

وعقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال بسويسرا عام ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م) بدعوة من تيودور هرتزل زعيم الصهيونية الأول وقد حضر المؤتمر ٢٠٤ من مفكري اليهود من مختلف أنحاء العالم.

وكان هرتزل قد كتب كتاب «الدولة اليهودية» حاول فيه أن يقيم الدليل على أن اليهود يمثلون أمةً متميزة، وفي السنة نفسها أسس هرتزل مجلة أسبوعية أسماها «العالم» التي أصبحت ناطقة بلسان الحركة الصهيونية، واتخذ هذا المؤتمر قراره المشهور بإنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين، كمرحلة لبناء دولة إسرائيل الكبرى، التي تمتد من الفرات الى النيل، مع تأكيد الوسائل اللازمة لتحقيق هذا الهدف كإنشاء المنظمة الصهيونية العالمية التي تتولى تمويل الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ولقد انتخبت المنظمة الصهيونية هرتزل رئيساً لها، ومنذ ذلك الوقت أخذت المنظمة الصهيونية العالمية تسعى للحصول على ترخيص من الدولة العثمانية بتأسيس شركة تكون مهمتها تهجير اليهود إلى فلسطين، وقد عرضت أوغندة لتكون مكان اليهود، كما اقترحت ليبيا لكنهم رفضوا ذلك.

وأدى نشوب الحرب العالمية الأولى إلى تحول مركز ثقل الحركة الصهيونية من أوروبا إلى بريطانيا حيث كان يقيم الدكتور (حاييم وايزمان) الذي أصبح من زعماء المنظمة الصهيونية البارزين، وكان يعمل أستاذاً للكيمياء في جامعة

مانشستر، وقد أتاحت فرصة اشتغال (وايزمان) بالتدريس في جامعة مانشستر مجالاً طيبا له للقيام بنشاط سياسي كبير هناك، وللتعرف على عدد من رجالات الانكليز السياسيين، وكان من بينهم (آرثر جيمس بلفور) وزير خارجية بريطانيا آنذاك. وقد بذل (وايزمان) جهودا كبيرة لدى المسؤولين في انكلترا لحملهم على إصـدار تصريح بإنشـاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وكلف رئيس الوزراء الـبريطاني (لـويد جورج) سير (مـارك سايكس) بالـدخـول في مفـاوضات مع الصهيونية، وفي شوال ١٣٣٥ هـ (١٩١٧ م) قدم الدكتور حاييم وايزمان إلى سير مارك سايكس مذكرة بعنوان «خلاصة برنامج لإعادة الاستعمار اليهودي لفلسطين يتفق وأماني الحركة الصهيونية».

وقد تناولت المادة الأولى من هذا البرنامج الصهيوني أهمية الاعتراف بالكيان اليهودي في فلسطين نظريا، واستهدفت المادة الثانية الحصول على اعتراف بالكيان اليهـودي في فلسطين من الناحية العملية، وتناولت المادة الثالثة والوسائل التي يمكنبهـا إقـامـة الـدولة اليهودية في فلسطين، في حين تناولت المادتان الرابعة والخامسة البحث في تطور الحكم الذاتي في فلسطين، وفي تقدم المؤسسات التي أوجدها اليهود في فلسطين.

وعقد أول مؤتمر بين الجانبين البريطاني والصهيوني في لندن في ذي القعدة ١٣٣٥ هـ (١٩١٧ م) وقد الصهيونيون لسايكس تأكيدا رسمياً بأنهم يعترضون بشدة على إقامة إدارة دولية في البلاد المقدسة، مهما كان نوعها حتى ولو كانت إدارة مشتركة بين بريطانيا وفرنسا وحدهما، وأنهم سيعملون من الآن فصاعدا على وضع فلسطين تحت الحماية البريطانية إذ أيدتهم بريطانيا في تحقيق أمانيهم القومية، وهذا هو أساس الصفقة التي أدت إلى إصدار وعد بلفور بعد تسعة شهور حين ذاع بين الناس أن لويد جورج وزملاءه قدموا للعالم دليلاً جديداً على المثل العليا الإنسانية التي يعتنقوها بتبنيهم قضية اليهود المضطهدين بجرأة.

والواقع أنه بحلول عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٧ م) عندما كان جيش اللنبى يقف أمام مدينة القدس كانت الوزارة البريطانية مستعدة للوصول إلى قرار بشأن أحلام الصهيونية ومطامعها في إقليم فلسطين العربي، فبدلا من جعل فلسطين «دولة يهودية» كانت الفكرة تتخذ شكل وطن قومي يهودي في فلسطين «ويقول هربرت

صموئيل: إن مشروع نص الوعد البريطاني وضع بخط يد لورد ملنر Milner وأرسل إلى عدد من كبار زعماء الصهيونية فأدخلت عدة تعديلات على المشروع. ومما يجدر ذكره أن بعض الصهيونيين كانوا يطالبون بريطانيا «بالاعتراف بفلسطين كوطن قومي للشعب اليهودي» ولكن حكومة لندن لم تشأ أن تلزم نفسها بتعهد متطرف إلى هذا الحد، ورفضت أن تعد بشيء أكثر من النظر بعين الارتياح «الى إنشاء وطن قومي في فلسطين» ووطن قومي غير محدود، والفارق بين الفكرتين هو الفارق بين وطن قومي يهودي محدود في فلسطين ووطن قومي غير محدود وأخيراً قبل الصهيونيون الأمر الواقع ووافقوا على صيغة التصريح النهائية، وكانت قد عرضت على ا لرئيس الأمريكي ويلسون، وحظيت بموافقته.

تلك كانت الظروف التي صدر فيها وعد أو تصريح بلفور في ١٥ محرم ١٣٣٦ هـ (٢ تشرين الثاني ١٩١٧ م).

تصريح بلفور (١٥ حرم ١٣٣٦ هـ):

وكان تصريح بلفور عبارة عن خطاب موجه من وزير خارجية بريطانيا لورد آرثر جيمس بلفور إلى اللورد روتشيلد (أحد أركان الصهيونية في بريطانيا) ونصه: إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية على أن يفهم جليا أنه لن يؤتي بعمل من شأنه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التي تمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين، ولا بالحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى».

والذي يجدر ذكره أن هذا التصريح يطابق تماما نص المذكرة التي قدمتها المنظمة الصهيونية العالمية الى الحكومة البريطانية، والتي سبق الإشارة إليها بتاريخ ٢٨ رمضان ١٣٣٥ هـ (١٩١٧ م) كذلك مما يجدره ذكره أنه قد ثبت أن تصريح بلفور هذا كان قد عرض قبل إعلانه على الرئيس الأمريكي ويلسن، وحظى بموافقته في آخر يوم من أيام عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٧ م)، كما أيدته الحكومة الفرنسية في ربيع الثاني ١٣٣٦ هـ (١٩١٨ م) تأييداً علنياً ثم تلتها الحكومة الإيطالية فأيدته ولكن ما هي العوامل التي دفعت بريطانيا إلى إصدار هذا الوعد.

لقـد ذكـر المعـاصرون والمؤرخون أسباباً متعددةً لصدور وعد بلفور، فعزاه بعضهم إلى رغبة الحلفاء في كسب الحركة الصهيونية إلى جانبهم حتى تقوم بدور المخرب في ألمانيا والدول المتحالفة معها. وعزاه بعضهم الآخر إلى رغبه انكلترا في دفع الولايات المتحدة الأمريكية الى الدخول في الحرب الى جانبها سيما وأن اليهود يسيطرون على الرأى العام الأمريكي، وقبل أيضاً ان الحكومة البريطانية أعطت وعد بلفور رغبة منها في مكافأة وإيزمان على استنباطه مادة الأستون التي تدخـل في صنـاعة الذخائر والمتفجرات الأمر الذي ساعد بريطانيا على كسب الحرب العالمية الأولى.

وواقع الأمر أن العوامل التي دفعت بريطانيا إلى احتضان الحركة الصهيونية وإصدار وعد بلفور يمكن ردها الى ثلاثة أصول:

أولا :ـ محاولـة إبقـاء روسيا في الحـرب بعد قيام الثورة الشيوعية فيها وسقوط القيصر، لأن اليهود كانوا يسيطرون على الصناعة في روسيا ولاسيما الصناعات الحربية، ولهم دور قيادي واضح في الثورة الشيوعية.

ثانيـا :ـ الـرغبة في سيطرة بريطانيا على فلسطين لحماية مركز بريطانيا في مصر ولتأمين طرق مواصلاتها البرية في الشرق، سيما وأن فلسطين غدت ذات قيمة استراتيجية لبريطانيا خلال الحرب.

ثالثا :ـ إفادة بريطانيا من وجود اليهود في فلسطين حيث يقول ونستون تشرشل في مذاكراته «وإذا أتيح لنا في حياتنا وهو ماسيقع حتماً أن نشهد مولد دولة يهودية لا في فلسطين وحدها بل على ضفتي الأردن معا تقوم تحت حماية التاج البريطاني، وتضم نحواً من ثلاثة أو أربعة ملايين من اليهود فإننا سنشهد وقوع حادث يتفق تمام الاتفاق مع المصالح الحقيقية للامبراطورية البريطانية».

ولقد تأكد هذا المعنى الذي صدر عن تشرشل في حديث لوايزمان مع لورد بلفور وقال فيه وايزمان: «وقد بينت للورد أن إقامة مجتمع يضم أربعة أو خمسة ملايين من اليهود في فلسطين سيكون قاعدة اقتصادية كافية يستطيع اليهود منها أن ينتقلوا بطريق الإشعاع إلى الأجزاء الباقية من الشرق الأدنى.... لكن هذا العمل يتطلب تنمية الوطن القومي اليهودي في فلسطين تنميةً حرة وغير مقيدة

بحيث نتمكن من إسكان أربعة ملايين أوخمسة ملايين من اليهود في فلسطين في غضون جيل واحد، ويجعل من فلسطين بلاداً يهودية في ظل التاج البريطاني، قد اقنعت اللورد بأن مايسمى بالاستعمار ليس إلا الصيهونية بعينها، وقال أحد الصهاينة أيضا: لقد أيدنا الثورة التركية على ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) بالمال والتنظيم، ولكننا من الآن فصاعداً قد نفضنا أيدينا من الأتراك فلم يضمن لنا الجو الذي نستطيع فيه أن نجلب رؤوس أموال أمريكية ويهودية إلى فلسطين إلا حكومة أوربية، ويبدو واضحا أن مثلهم الأعلى هو فلسطين انكليزية أو فلسطين أمريكية، وهم يفضلون فلسطين انكليزية نظرا لعلاقات بريطانية التجارية مع مصر ومركز برطانيا لدى العرب.

رابعاً :ـ الحقد الصليبي على المسلمين والذي أثار الأوروبيين قروناً طويلة لسيطرة النصارى على القدس. وإن وجود دولة لليهود وسط العالم الإسلامي بل في مركزه ليساعد على إفساد المسلمين وإضعافهم بابعادهم عن عقيدتهم نتيجة الأخلاق اليهودية.

ويتضح إذن أن الصهيونية كانت تعد بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية بأن تحول فلسطين من أرض مسلمة إلى قطعة من الغرب بما يضمن للدول الاستعمارية بوجه عام وبريطانيا بوجه خاص وجوداً مستديماً في العالم الإسلامي ومما يؤكد هذه الحقيقة أن الحركة الصهيونية قد تحالفت بادىء ذي بدء مع الاستعمار البريطاني، وعن طريق هذا التحالف كانت بريطانيا تتطلع للوصول إلى فلسطين، وقد قال أحد الانكليز «إن الصهيونية كانت منذ البداية حركة انكليزية وليست حركة يهودية فحسب».

وهنا ملاحظات عامة حول وعهد بلفور : ـ

أولا :ـ ليس من حق بريطانيا أن تصدر وعداً تمنح بموجبه بلاداً لاتملكها ولاتسيطر عليها ولم يكن لها سلطان للتصرف في أراضيها.

ثانيا :ـ جاء في تصريح بلفور «ينشأ في فلسطين» أي أن انكلترا لم تتعهد بأن تكون فلسطين كاملة وطناً قومياً لليهود، فإن عبارة وطن قومي تعنى الملجأ أو المأوى الذي يستطيع اليهود أن يفروا إليه من الاضطهادات التي تعرضوا اليها في أوروبا.

ثالثا :ـ وجاء في تصريح بلفور عبارة أن «لايسمح بإجراء شيء» يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين الآن «وهذه العبارة مضللة وغريبة فقد عدت بريطانيا مسلمى فلسطين ـ ويمثلون ٩٠٪ من السكان بينما لايمثل اليهود سوى ٢٪ وحتى لو كانوا ٧٪ بعد مجيء دفعات من اليهود ـ طوائف غير يهودية، وبذلك جعلت فلسطين كأنها بلاد يهودية وسائر السكان من غير اليهود دخلاء أو أقليات ضئيلة، والحقيقة أن المسلمين في فلسطين هم الذين يشكلون غالبية السكان ٩٠٠٪ ويملكون ٩٥٪ من الأراضى، ويعيشون في فلسطين بلا انقطاع منذ أكثر من ١٣٩٠ سنة.

رابعاً :ـ ونص التصريح على المحـافظة على الحقوق التي يتمتع بها اليهود في البلدان الأخرى وبمركزهـم السياسي فيها، ويلاحظ أن اليهود انفسهم هم الذين طلبوا ذلك لأن عدداً كبيراً في أمريكا وفي غيرها من دول أوروبا، ممن تجنسوا بجنسية البلاد التي يقيمون بها يخشون من أن إنشاء الدولة اليهودية قد يحرمهم من جنسيتهم التي يحملونها ونشاطهم الاقتصادي الذي يزاولونه.

أما موقف المسلمين من تصريح بلفور فقد أثار هذا التصريح حيرةً وفزعاً في العـالم الإسـلامي، إذ رأي فيه المسلمـون اعتـداء على جزء من أراضيهم هو فلسـطين، وسلب حقوق أهله وتسليمه لليهود، وبذلت بريطانيا جهودا طائلةً لتبديد مخاوف المسلمين حتى لاتتوقف مساعدتهم للحلفاء والحرب لاتزال دائرة، فأرسلت بريطانيا مبعوثاً خاصا هو «غارث» لمقابلة الشريف حسين بن علي وطمأنته على حسن نوايا الحكومة البريطانية وأقنعته بأن التعاون بين المسلمين واليهود يحقق الخير لهم جميعا.

والواقع أنه في هذا العالم المادي لاحق إلا للقوة التي يجب أن يسعى إليها المسلمون، ويعدوا العدة لها.

وكـان تصريح بلفـور هو بداية مشكلة فلسطين، إذ سعي اليهود في مؤتمر الصلح وفي مؤتمر سان ريمو ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) لوضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، وتضمين صك الانتداب بنودا تهدف إلى تحقيق وعد بلفور.

الانتداب البريطاني في فلسطين :

حتى عام ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) كانت فلسـطين بمفهومنا الحالي جزءا من الدولة العثمانية، وتتألف من ثلاث متصرفيات منها: متصرفيتا عكا ونابلس وهما تابعتان لولاية بيروت، ثم متصرفية القدس الشريف وهي متصرفية مستقلة تتبع مباشرة استانبول، وتضم أربعة أقضية هي يافا، وغزة، وبئر السبع، والخليل.

وفي أثناء الحرب العالمية الأولى استولت الجملة البريطانية بقيادة الجنرال اللنبى على فلسـطين في ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) وخضعت فلسـطين للإدارة العسكـرية البريطانية ١٣٣٦-١٣٣٩ هـ (١٩١٧-١٩٢٠ م) على اعتبار أنها جزء من أراضي العدو المحتلة، وتقرر انتداب بريطانيا عليها في مؤتمر سان ريمو، وتضمنت بنود صك الانتـداب شروط إنشـاء وطن قومي لليهود، وإقامة وكالةٍ يهودية تقديم النصح والمعونة للإدارة الفلسطينية في النواحي الاقتصادية والاجتماعية التي تتصل باقامة الوطن القومي لليهود، «كما نص صك الانتداب على تسهيل هجرة اليهود وإقامتهم، دون إضرار بحقوق ووضع العناصر الأخرى من السكان».

وهكذا جاء صك الانتداب من الأصل منافياً للهدف الذي توخته العصبة من وراء نظام الانتـداب، وهـو مساعدة الشعوب غير المتطورة على الحكم الذاتي بواسطة دولةٍ كبيرةٍ متقدمةٍ، بل إن صك الانتداب على هذا النحو قد وضع أساس إباده سكان فلسطين الذين لم يشر إليهم في صك الانتداب بكلمةٍ واحدة مع انهم الأغلبية الساحقة هناك حينذاك. والواقع أن عصبة الأمم لم تكن لتتجه إلى جانب إلا والحقد الصليبي هدفها، وإن الدول الكبرى يعني النصرانية التي تحمل الصليبية بين جوانحها وإن ادعت تحت العلمانية، وكذلك هي جمعية الأمم الآن.

شرعت بريطانيا في تهويد فلسطين فعينت السير هربرت صموئيل مندوباً سامياً لفلسطين، وهو يهودي متحمس للصهيونية، وقد رشحته الحركة الصهيونية وأقام صموئيل إدارة إستعمارية صهيونية كاملة فاختار (بنتويش) نائباً له، وهو صهيوني، ورفع عدد الموظفين اليهود في إدارة الى أربعة أضعاف عدد الموظفين المسلمين، وعين مديرى الهجرة، والجنسية، والتجارية من الصهيونيين، وأخذت تلك الإدارة تصـدر القـرارات والقـوانـين التي تهدف إلى صبـغ فلسـطين بالصبغة اليهودية

الصهيونية، فعـدت اللغة العبرية لغة رسميةً إلى جانب اللغة العربية وظهرت طوابع البريد، وقطع النقود تحمل كلمة «أرض اسرائيل بالعبرية» ترجمة لكلمة فلسطين بالعربية، وعملت الإدارة البريطانية على السماح لأكبر عدد من اليهود بالهجرة إلى فلسطين وتمليكهم أكبر مساحةٍ من الأرض، كما سمحت للوكالة اليهود بتمثيل اليهود في فلسطين وجعلتها دولةً في داخل دولة، ولاتقرّ بريطانيا أمراً في فلسـطين إلا بالاتفـاق معها، وتركت لها حرية إقامة المدارس، والمستعمرات، والتشكيلات العسكـرية، وتحـديد أعـداد المهـاجرين ومنح الجنسية، والتصرف الاقتصادي، وبينما كانت عملية تهريب السلاح مقبولة لليهود كان المسلم الذي يضبط معه مسدس يحكم عليه بالسجن مدة خمس عشرة سنة وأحيانا بالإعدام.

وهكذا تكون بريطانيا قد أوفت بالتزامها نحو الصليبية وتعهدها نحو اليهود بوضع وعد بلفور موضعاً عملياً وتطبيقه فعلا، ونجحت السياسة الانكليزية خلال الانتداب في زيادة عدد اليهود في فلسطين، وزيادة تملكهم الأراضي في فلسطين، وإقامة قوتهم العسكرية.

أدرك سكان فلسطين مايدبر لهم، وانفجر الشعور الوطني منذ الانتداب وحتى قيام الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ في مظاهرات، واضطرابات، وثورات دامية عبروا فيهـا عن سخـطهم على السياسـة البريطانية وحليفتها الصهيونية، وتحملوا عبء الكفاح ضد الصهيونية والاستعمار، قاموا بتوحيد القوى الوطنية في فلسطين إثر إعلان وعد بلفور في ١٥ محرم ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م)، فقد عقدوا مؤتمراً في القدس سنة ١٣٣٨ هـ أعلن فيه المؤتمرون عن رغبتهم في الاستقلال الكامل، والوحدة مع سوريا، ورفض وعد بلفور، وأجمعوا على قراراتهم هذه أمام لجنة (كنغ ـ كرين) التي جاءت للتحقيق في السنة نفسها كما اشتركوا مع المؤتمر السوري بدمشق سنة ١٣٣٩ هـ، وأجمعوا قراراتهم مع قراراته، وأعلنوا استقلال سوريا بما فيها فلسطين، وتتويج فيصل ملكاً عليها.

وتبلور البرنامج الفلسطيني في الأهداف الرئيسية التالية وهي :ـ إلغاء وعد بلفور ـ رفض الانتداب البريطاني، استقلال فلسطين ـ تشكيل حكومة فلسطينية نيابية ـ حق سوريا ولنبان وفلسطين في قيام وحدة بينهم والاستقلال، فهم منطقة طبيعية واحدة.

وفي عام ١٣٣٩ نشبت الاضطرابات في فلسطين، وهاجم السكان اليهود، فقد رفض الزعماء في فلسطين أن يعترفوا بشرعية الانتداب، أو بحق البريطانيين في تنفيذ وعد بلفور، وطالبوا بالاستقلال، وكانوا في البداية يوجهون عداءهم نحو اليهود وحدهم، ولكن مع مرور الزمن تغيّر هذا الاتجاه، وتبلور استياء السكان من الإدارة البريطانية في فلسطين، واتخذ شكل العمل ضد الحكومة وحاولت الحكومة البريطانية تهدئة العرب، وتحويل الحركة الوطنية عن غاياتها الرئيسية، فكانت تشكل لجاناً للتحقيق تارة، وتدعو زعماء العرب إلى المؤتمر تارةً أخرى، ثم تصدر كتباً بيضاء تبين فيها سياستها، ولكن دون جدوى، بل بالعكس فقد زاد سخط السكان على السياسة البريطانية المتحالفة مع الصهيونية طالما بقي وعد بلفور قائماً تحميه الحراب البريطانية، وقد انفجرت تلك الاضطرابات نتيجة لخيبة الأمل في عدم تحقيق وعود الاستقلال التي بذلت لهم في أثناء الحرب، والاعتقاد بأن تصريح بلفور قد انطوى على إنكار لحق تقرير المصير، ولخوفهم من أن تقضي الهجرة اليهودية إلى إخضاع المسلمين اقتصاديا وسياسيا لليهود.

وعلى العموم فقد كان التعارض بين أغراض الانتداب وبين مطالب العرب المشروعة منشأ كل الاضطرابات التي وصمت عهد الانتداب البريطاني في البلاد، وباءت المحاولات البريطانية جميعها لتسوية المشكلة بالفشل.

أما المسلمون في بقية الأمصار فيها فكانوا في غفلة وجهل ، وظلم وضغط من المتسلطين عليهم من المستعمرين وأعوانهم، وهم يعيشون في حالة لاتمكنهم من رؤية أو معرفة أو التفكير في شيء أكثر مما يعانونه.

ففي عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) قامت اضطرابات خطيرة في فلسطين، وشكلت لجنة للتحقيق، ثم دعي زعماء العرب الفلسطينيين إلى لندن لمفاوضة الحكومة البريطانية في موضوع تأسيس حكومة فلسطينية، وأصر العرب على ضرورة البدء بالغاء تصريح بلفور ووقف الهجرة اليهودية، ولكن الحكومة البريطانية أصدرت الكتاب الأبيض الأول ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م)والذي ينص على استمرار الهجرة اليهودية في حدود الطاقة الاستيعابية، كما وعد بانشاء مجلس تشريعي ينتخب أكثر أعضائه، وقد رفضه السكان وقبله اليهود.

وتدفق المهاجرون اليهود على فلسطين حتى دخلها في السنوات العشر

(١٣٣٩-١٣٤٩ هـ) ٧٦٫٦٠٠ مهاجر، كما زادت مساحة الأراضي التي كانوا يمتلكونها بتشجيع من السلطات البريطانية. وسبّب ذلك أزمةً، وضاقت سبل المعيشة أمام السكان بينما كان اليهود يتلقون المساعدات المالية من الهيئات الصهيونية بالخارج، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية.

وبحدوث الاضطرابات في فلسطين في عام ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩ م) بسبب حادث البراق (حائط المبكى)، وذلك لأن اليهود أقاموا ستارا على الحائط ورفضوا إزالته فثارت ثائرة المسلمين، وقام اليهود بمظاهرات صاخبة واصطدموا بالمسلمين، وسقط مئات من القتلى والجرحى، فشكلت بريطانيا لجنة للتحقيق (لجنة شو) فأوصت بتحديد الهجرة اليهودية، وفرض قيود على انتقال الأراضي من العرب إلى اليهود، كما أوصت باستئناف المباحثات لوضع دستور للحكم الذاتي، وعلى الرغم من ذلك فقد أصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض الثاني في عام ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) تمسكت فيه بتصريح بلفور، والانتداب، وأعلنت عن تشكيل مجلس تشريعي، وتحديد الهجرة اليهودية، ووقف انتقال الأراضي من العرب الى اليهود، وعلى الرغم من أن تلك القرارات لاتحقق الأهداف الرئيسية للسكان إلا أن اليهود شنّوا عليها حملةً شعواء حتى اضطرت الحكومة البريطانية الى التراجع فأصدرت كتابا آخر (١٣٥٠ هـ) ـ دعاه العرب بالكتاب الأسود ـ تعهدت فيه الحكومة البريطانية بتسهيل الهجرة اليهودية، وشرائهم أراضي العرب، وعلى إثر ذلك عمت فلسطين المظاهرات للاحتجاج ضد الحكومة، وعقد مؤتمر شعبي في نابلس دعا إلى عدم التفاهم مع الانكليز إلا على أساس المطالبة بالاستقلال ضمن وحدة بلاد الشام.

وكان السبب الرئيسي في ازدياد هجرة اليهود في الفترة مابين ١٣٥٢-١٣٦٥هـ هو اضطهاد النازية الألمانية لليهود بعد أن تولى هتلر الحكم فأخذ اليهود يهاجرون من ألمانيا فراراً من الاضطهاد النازي، وشهدت فلسطين ـ ابتداءً من عام ١٣٥٢ هـ سيلا من المهاجرين اليهود فوق ماتحتمله طاقة البلاد على نحو مايوضحه الإحصاء الآتي الذي يبين تعداد اليهود في فلسطين في سنوات مختلفة :ـ

سنة ١٣٤١	٨٣,٧٠٠	من مجموع سكان فلسطين	٦٤٩,٠٤٨
سنة ١٣٥٠هـ /١٩٢٢م	١٧٤,٦٠٦	من مجموع سكان فلسطين	٩٦٦,٧٦١

سنة ١٣٥٤ / ١٩٣٠م	٣٥٥,١٥٧	من مجموع سكان فلسطين	١,٢٤١,٥٥٩
سنة ١٣٥٩ /١٩٣٥م	٤٦٣,٥٣٥	من مجموع سكان فلسطين	١,٤٧٧,٩٧٧
سنة ١٣٦٥ /١٩٤٦م	٦٠٨,٢٣٠	من مجموع سكان فلسطين	١,٨٤٥,٥٦٠

وباطراد هجرة اليهود ازدادت المقاومة وفي رجب ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤م قام العرب بإضراب عام بعد أن عقدوا مؤتمراً في القدس في ذي القعدة ١٣٥١ هـ وقرروا فيه منع الهجرة، ومنع بيع الأراضي لليهود، ورفض التعاون مع بريطانيا، ونشبت الاضطرابات وعمت المظاهرات في أنحاء البلاد احتجاجا على السياسة الانكليزية، وتلا ذلك ثورة الشيخ عز الدين القسام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٦ م) كما قدمت الأحزاب الفلسطينية مذكرة إلى الحكومة البريطانية ضمنتها مطالب الحركة الوطنية الفلسطينية الخاصة بتشكيل حكومة نيابية، ووقف الهجرة، وعدم بيع الأراضي، فأجابت انكلترا بتكوين مجلس تشريعي، ورفضت موضوع وقف الهجرة، ووقف بيع الأراضي، ولم يجد المسلمون مناصاً من إعلان الثورة على بريطانيا.

وفي أواخر عام ١٣٤٥ هـ قامت ثورة عنيفة لم تخمد حتى قامت الحرب العالمية الثانية ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) وبدأت الثورة بإعلان الإضراب العام في البلاد الذي استمر ستة شهور حتى شلّت حياة البلاد الاقتصادية، واتحدت الأحزاب العربية المختلفة في هيئة واحدة باسم «الهيئة العربية العليا» وقطعت خطوط المواصلات والبرق، وهو جمت المعسكرات البريطانية، واشتدت السلطات البريطانية في أعمال القمع من سفك الدماء، وحرق القرى، والسجن، والنفي، والتعذيب.

وكان للثورة الفلسطينية صداها القوي في سائر العالم الإسلامي رغم ضعف وسائل الإعلام يومذاك إذ اعتقد السكان جميعا أن قضية فلسطين لم تعد قضية أهلها وحدهم، وإنما غدت قضية المسلمين جميعا فقامت في العواصم العربية مظاهرات الاحتجاج على السياسة البريطانية وتوافد المتطوعون من جهات متعددة لنصرة إخوانهم الفلسطينيين.

ولم يقف الإضراب، وتهدأ الثورة إلا بعد أن تدخل رؤساء الدول العربية وتوسطوا بين حكومة بريطانيا والثوار والفلسطينيين فتوقف الإضراب في رجب

١٣٥٥ هـ ، وأفقد ذلك التدخل الحركة العربية في فلسطين جانباً كبيراً من قوتها واندفاعها فجاء وقف الثورة في صالح الأطماع الاستعمارية.

وعادت بريطانيا إلى سياسة اللجان فشكلت لجنةً بيل لدراسة أسباب الاضطراب الأخير في فلسطين، واقترحت اللجنة إنهاء الانتداب، وتقسيم فلسطين إلى دولة عربية، ودولة يهوديةٍ وبقاء الأماكن المقدسة تحت سيطرة الدولة المنتدبة، ورفض كل من المسلمين واليهود تقرير (بيل) واستؤنفت الثورة في عام ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) واشتدت في عام ١٣٥٧ هـ بل لم تنقطع الاضطرابات، والثورة حتى قيام الحرب العالمية الثانية ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) أي أن الثورة الفلسطينية قد استمرت ثلاث سنوات وخمسة أشهر، من ذي الحجة ١٣٥٤ إلى رجب ١٣٥٨ هـ . وقد كتب المجاهدون الفلسطينيون خاصة والشعب الفلسطيني عامة في ثورتهم هذه أروع آيات البسالة والفداء.

لقد كان مسلمو فلسطين الذين يتجاوز عددهم مليوناً ونصف مليون نسمة يقارعون في ثورتهم هذه الامبراطورية البريطانية والصهيونية العالمية معا، بكل ماتملك هاتان القوتان من جنود وحشود وأموال ووسائل عسكرية وسياسية واقتصادية وكانوا يقارعون تلك القوى العالمية وهم قلة لاتكاد تذكر في العدد والسلاح والمال، وفي كل وسائل الحروب والقتال، وكان إيمانهم ويقينهم هو الذي يدفعهم للاستماتة في سبيل غايتهم المثلي وهدفهم الأسمى.

وشهد العالم بأسره على بطولة الشعب الفلسطيني في تلك الثورة، واخذت صحف العالم وإذاعاته تردد صدى هذه الثورة الفريدة ووقائعها البارزة بما لم يسبق له مثيل من العناية والاهتمام، كما اضطرت الصحف البريطانية نفسها للاعتراف ببطولة الثوار الفلسطينيين الذين قاموا بمقاومة تبهر العالم بما فيها من بأس واستماتة، وتثير الحماسة بين المسلمين من سكان الأمصار العربية بحكم الجوار والقرب، واعترف وزير المستعمرات البريطانية كذلك بخطورة الثورة وقوتها وشجاعة الثوار الذين تدفعهم عقيدتهم لركوب الأخطار، وأشاد هتلر بالشعب الفلسطيني، وببطولته الخارقة في تلك الثورة التي قارعت الاستعمار والصهيونية معا.

وأدركت بريطانيا استحالة تقسيم فلسطين وأن أضمن قاعدة للسلام والتقدم

في فلسطين هي التفاهم بين المسلمين واليهود، ودعت إلى عقد مؤتمر مائدة مستديرة في لندن في الوقت الذي كانت فيه الثورة الفلسطينية لاتزال محتدمة، وقد وجهت الدعوات لحضور هذا المؤتمر في لندن إلى كل من مصر، والعراق، والسعودية، واليمن، وشرق الأردن، بالإضافة إلى عرب فلسطين، والوكالة اليهودية، واجتمع المؤتمر في الأيام الأخيرة من عام ١٣٥٧ هـ ولكن ما إن بدأت اجتماعاته حتى انقسم الى قسمين، لأن عرب فلسطين رفضوا أن يجلسوا على المائدة التي جلس عليها المندوبون اليهود، وقد انفض المؤتمر في مطلع ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) دون أن يصل إلى أي اتفاق.

في ٢٧ صفر ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) أصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض الثالث الذي يشتمل على المقترحات الجديدة، التي تهدف إلى إنشاء دولة فلسطينية مستقلة، خلال عشر سنوات على أن تحدد علاقاتها مع بريطانيا بمعاهدة تكفل لكل من الدولتين احتياجاتها التجارية والاستراتيجية في المستقبل، ولم توضح بالضبط صيغة الدستور الجديد، ولن ذكر بشكل مهم أن «إنشاء دولة مستقلة والتخلي تماما عن إشراف الانتداب على فلسطين يستلزمان قيام علاقات بين العرب[٤٦] واليهود تجعل في حيز الإمكان قيام حكومة صالحة» وكان البريطانيون بعد مرور ثلاث سنوات على الثورة الفلسطينية الكبرى لايزالون يأملون في التوفيق بين الطرفين. أما فيما يتعلق بالهجرة فقد ذكر الكتاب الأبيض ضرورة تحديدها بإضافة ٧٥٫٠٠٠ خلال السنوات الخمس التالية، وقد قوبل الكتاب الأبيض بالرفض من قبل الجانبيين العربي الفلسطيني واليهودي، كما رفض توصيات الكتاب الأبيض الثالث مندوبو الدول العربية عدا مندوب حكومة شرق الأردن.

ووجدت الحكومة البريطانية نفسها في موقف صعب مليء بالتناقضات والأخطار حقيقة أن المصالح الامبراطورية قد أملت عليها ضرورة مواصلة إقامة علاقات

---

(٤٦) كان المستعمرون يستعملون كلمة «عرب» بدلاً من «مسلمين» رغم أن كلمة «عرب» تدل على جنس، وكلمة يهود تدل على دين، وذلك خوفاً من إثارة الجانب الدينى وإعلان الجهاد والحرب المقدسة هذا من جانب، ومن جانب آخر حتى يدخلوا بين المسلمين بعض النصارىٰ فكانوا عيوناً لهم على المسلمين، ويرتكزون عليهم في مصالحهم.

حسنة مع العرب، إلا أن ضغط الساسة العرب على بريطانيا لم يكن فعالا، وكان من الطبيعي أن تكون الحكومة البريطانية أكثر عطفا على المطالب العربية، وبخاصة مالم يهدد منها السيطرة البريطانية على فلسطين. ومما يجدر ذكره أن سيطرة بريطانيا على الأراضي المتاخمة لقناة السويس من جهة الشمال كانت تحتل مكانا هاماً في خطتها الخاصة بوجود وطن قومي لليهود في فلسطين، وبدا هذا واضحا حين ازدادت الملاحة والمواصلات الجوية، وفي الوقت نفسه ازداد النقد العلني في بريطانيا لمنح تنازلات على حساب اليهود في الوقت الذي نظم فيه اليهود الهجرة غير المشروعة على مدى أوسع من ذي قبل إلى أن نشبت الحرب العالمية الثانية.

وبنشوب الحرب العالمية الثانية دخلت قضية فلسطين في دور جديد وأجل الزعماء اليهود والعرب نزاعهم مع بريطانيا، وظلت فلسطين هادئة نسبيا حتى عام ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م) وحين انحسرت الحرب عن البلدان العربية شددّ اليهود نضالهم ضد تنفيذ سياسة الكتاب الأبيض، وركّز الصهاينة الجانب الأكبر من دعايتهم في الولايات المتحدة مستغلين ما يتمتع به اليهود من نفوذ كبير في عالم المال والاقتصاد والصحافة والاعلام، فعقدوا في (بلتيمور) في خلال عام ١٣٦١ ه (١٩٤٢ م) مؤتمراً كبيراً للبحث في مستقبل الخطط الصهيونية، وقرر المؤتمر فتح باب الهجرة غير المحدودة على أن تشرف عليها الوكالة اليهودية، وأن ينشأ في فلسطين اتحاد يهودي، وأن يشكل جيش يهودي، ونظم اليهود في فلسطين حملة منظمة ضد الحكومة البريطانية، وكثرت حوادث الإرهاب، ورغم أن الوكالة اليهودية قد وعدت بالتعاون ضد الإرهابيين إلا أنها لم تفعل شيئا يذكر.

حينئذ انتقل مركز ثقل الحركة الصهيونية من انكلترا إلى الولايات المتحدة، وبدا أن الرأي العام الأمريكي يميل إلى العطف على الحركة الصهيونية بتأثير العدد الكبير من اليهود الذين يتمتعون بنفوذٍ كبير وبخاصة في نيويورك، واتخذ الكونغرس الأمريكي قرارا يعضد إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، فأصدر في محرم ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م) قراراً بتشجيع الهجرة اليهودية غير المحددة، وتأسيس دولةٍ يهوديةٍ، وكان هذا الاتجاه يجد تعضيداً من جانب المستر ترومان رئيس الولايات المتحدة الذي يعطف على أماني الصهيونية، ومن جانب الحزبين الرئيسيين في الولايا المتحدة وهما الحزب الجمهوري، والحزب الديمقراطي وبتأثير

اليهود طالب ترومان ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م) بفتح أبواب فلسطين لقبول مائة ألف مهاجر يهودي دفعة واحدة كحل لمسألة اليهود المشردين في أوروبا وألح في ذلك كثيرا وإزاء ذلك قررت الحكومة البريطانية أن تدعو الحكومة الأمريكية للتعاون معها لتشكيل لجنة تحقيق مشتركة.

بدأت اللجنة عملها فطافت ببلاد كثيرة في أوروبا، وفي فلسطين، والبلاد العربية ثم أصدرت تقريرها في عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) وقد جاء وثيقة متناهية في ظلم المسلمين والإجحاف بحقوقهم، وقد سلمت اللجنة بأن فلسطين وحدها لاتستطيع أن تحل مشكلة هجرة اليهود من ضحايا الاضطهاد النازي والفاشي، ومع ذلك فقد أوصت اللجنة بالسماح لمائة ألف يهودي بالدخول الى فلسطين دون إبطاء خلال عام ١٣٥٦ هـ (١٩٤٦ م). أما بخصوص فلسطين فقد رأت اللجنة ألا تتحول سواء إلى دولة يهودية أو الى دولةٍ عربية بل أن تبقى تحت الوصاية لمدة غير محدودة. وأما التوصيات الأخرى فقد شملت فتح باب الهجرة أمام اليهود دون قيد أو شرط، وإلغاء قوانين عام ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م) الخاصة بالأراضى، وزيادة، التسهيلات المقدمة لنشر التعليم والتقدم الاقتصادي، واستمر الرئيس ترومان يزاول ضغطه بقصد السماح بادخال ١٠٠٫٠٠٠ يهودي إلى فلسطين في الحال، وقامت بريطانيا بمجهود آخر لحل القضية الفلسطينية فدعت العرب واليهود الى مؤتمر بلندن عقد في ذي القعدة ١٣٥٦ هـ ومحرم ١٣٦٦ هـ ولكن رفضه الجانبان، وباءت محاولات بريطانيا بالفشل.

وفي خلال عامي ١٩٤٤ و ١٩٤٥ م ازدادت هجمات الارهابيين اليهود اتساعا فنسفت الجسور، ودّمرت السكك الحديدية، وبثت الألغام في مراكز الشرطة والمصارف المالية، ومحطات السكك الحديدية، وهوجمت معسكرات الاعتقال، وأطلق سراح المهاجرين اليهود غير الشرعيين الذين اشتدت الحملة بسببهم لإدخالهم الى فلسطين، ولجأوا الى الاغتيال السياسي، فنسفوا فندق الملك داود بالقدس، وكانتتشغله أمانة سر حكومة فلسطين، واغتالوا لورد موين وزير الدولة البريطانية في القاهرة، وحاولوا اغتيال المندوب السامي البريطاني في فلسطين.

ولما تبينت بريطانيا استحالة الوصول إلى حل يوافق عليه العرب واليهود قررت رفع المشكلة إلى الأمم المتحدة للفصل فيها فقد كان العرب يرغبون في إقامة دولة

عربية مستقلة على حين كانت الوكالة اليهودية تطالب بهجرة غير محدودة حتى تصبح لليهود أغلبية عددية تمكنهم من إنشاء دولة يهودية مستقلة.

الأمم المتحدة وتقسيم فلسطين سنة ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م)

وبـذلـك انتقلت مشكلة فلسـطين إلى المنظمة الدولية التي خصصت بضع جلسات (رجب عام ١٣٦٦ هـ وذي الحجة ١٣٦٦ هـ) فقررت تعيين لجنة فرعية خاصة للتحقيق، وانتهت اللجنة الخاصة من وضع تقريرها في شوال ١٣٦٦ هـ وعرضته على الجمعية العامة للأمم المتحدة، وتضمن التقرير اثنتي عشرة توصية تقضي بإنهاء الانتداب ومنح فلسطين الاستقلال، وإقامة نظام دستوري ديمقراطي يتمشي مع حقوق الانسان، وحقوق الأقليات مع إلغاء الامتيازات، والمحافظة على الوحدة الاقتصادية لفلسطين، على أن تتوقف أعمال العنف فوراً وأن تحل هيئة الأمم المتحدة عى الفور مشكلة المشردين اليهود في أوروبا.

ولكن اختلفت اللجنة حول الخطة التي يجب أن تنفذ بها هذه التنوصيات، وظهـر مشروعـات أحدهما للأكثرية والثاني للأقلية، ودعا مشروع الأكثرية إلى تقسيم فلسطين إلى دولتين مستقلتين:-

١ ــ دولة يهودية تبلغ مساحتها ٥٦٪ من مجموع مساحة فلسطين بينما كانت مساحة الأراضي التي كان يملكها اليهود ضمن فلسطين كلها لاتزيد على ٧٪ فقط هذا ويلاحظ ايضا أن عدد اليهود في هذه الدولة اليهود كان لايكاد يصل إلى نصف مليون نسمة بينما كان عدد المسلمين فيها نحو ٨٠٠ ألف نسمة.

٢ ــ دولة عربية تمثل ٤٣٪ من مجموع المساحة، وقدر عدد العرب فيها بـ ٧٢٥ ألفا، أما تعداد اليهود فلا يزيد على عشرة آلاف.

٣ ــ قطاع دولي يشمل مدينة القدس وما يحيط بها.

واشترط التقرير على أن تستقل كل من الدولتين العربية واليهودية بعد سنتين وأن تدير انكلترا شؤون فلسطين خلال مدة الانتقال هذا، على حين أن مشروع الأقلية اقـترح إنشـاء دولة مستقلة اتحادية وقد رفض العرب مشروعي الأكثرية والأقلية بينما رحبت الدوائر اليهودية بمشروع الأكثرية آملة أن تسعى بعد ذلك

توسيع الرقعة التي خصها المشروع للدولة اليهودية.

وفي ١٤ ذي الحجة ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) عرض المشروع على الجمعية العامة للأمم المتحدة ففاز قرار التقسيم بأغلبية ٣٣ صوتاً ضد ١٣ صوتاً وأعلن وزير خارجية بريطانيا بأن بلاده ستنسحب من فلسطين، وستنهي انتدابها يوم أوائل جمادي الآخرة ١٣٦٧ هـ وبما يجدر ذكره أن مشروع التقسيم دار جدل عنيف حوله، وطالت المناقشات بشأنه، وكافح ممثلو الدول العربية كفاحا مريرا للاحتفاظ بوحدة فلسطين، ولكن الضغط ا لأمريكي والصهيوني استخدم شتى الوسائل حتى يجيىء التصويت إلى جانب مشروع التقسيم وتعرض مندوبو بعض الدول إلى صنوف الإرهاب والابتزاز حتى يوافقوا على المشروع مثلما حدث مع مندوبي ليبريا وهايتى والفليبين، وذلك لتوافر أغلبية ثلثي أعضاء الجمعية العامة للحصول على الموافقة على المشروع.

حرب عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م)

رفض الفلسطينيون والعرب جميعا قرار التقسيم واحتدمت الاضطرابات المسلحة بين العرب واليهود وانفجرت ثورة الشعب الفلسطيني فوقعت الاصطدامات بين العرب واليهود، قتل فيها عدد كبير من الجانبيين، وأخذت السلطات اليهودية تستورد السلاح بكميات كبيرة، وتفتح الاعتمادات لانشاء جيش كبير، وحينئذ اقترحت الولايات المتحدة وقف تنفيذ قرار التقسيم، وفرض الوصاية على فلسطين تأجيلا للحل النهائي دون أن تبدى استعدادها لقبول هذه الوصاية لأنها لم تكن ترغب في إرسال قوات مسلحة إلى فلسطين بعد أن استنزفت قواتها خلال الحرب العالمية الثانية، ورفض اليهود ذلك، كما رفضت انكلترا والاتحاد السوفيتي الاقتراح الأمريكي.

وكون العرب «جيش الإنقاذ» وأخذ المتطوعون المسلمون من البلاد العربية المجاورة يجتازون الحدود لنصرة إخوانهم في فلسطين، وارتكب اليهود فظائع تقشعر لها الأبدان، ومنها مذبحة ديرياسين، وذلك لبث الإرهاب كي يترك الناس أوطانهم وينسحبوا منها، كما أسرع اليهود في احتلال بعض المدن العربية تساعدهم حكومة بريطانيا المتدبة بالألحة، بينما تحرم على المسلمين حمل السلاح، ونتج عن العنف والمذابح هجرة عدد من سكان فلسطين إلى الخارج.

وما إن أعلنت بريطانيا إنهاء الانتداب البريطاني حتى أسرع اليهود بإعلان قيام دولتهم «إسرائيل» وكانت حكومة الولايات المتحدة أول من اعترف بها وتلاها الاتحاد السوفيتي وبقية الدول الأخرى.

وإزاء ذلك الوضع المتردى قررت الدول العربية التدخل العسكري في فلسطين، لإنقاذ أهلها ومساعدتهم على إقامة حكومةٍ وطنيةٍ موحدة في فلسطين، كما أدخل رجالات الحركة الإسلامية السجون، لأنه من المحتمل أن يقوموا بحركات لاتتفق مع ماهو مرسوم، وقد تكرر هذا قبل كل حرب جرت بين العرب واليهود. وعلى الرغم من أن الجيوش العربية قد تدخلت عسكريا دون سابق استعداد مما أظهر نقصا فاحشا في التسليح والتدريب والتنظيم إلا أنها أحرزت بعض الانتصارات على أرض فلسطين في الأسبوع الأول من الحرب، وفي الوقت نفسه كان لهذا الدخول أثر سلبي إذ طلبت من السكان الخروج من مدنهم كي لايتأثروا بدخول الجيوش العربية، ولم يتجاوز بعضها حدود فلسطين التي رسمت بعد الحرب العالمية الأولى وذلك ضعفا أو حسب خطة مرسومة ـ الله أعلم ـ لأن قادة العرب يعرفون النتيجة. وقدم المندوب الأمريكي بإيعاز من دولة اليهود اقتراحا إلى مجلس الأمن لوقف القتال لمدة شهر فوافق العرب شريطة أن تتوقف شحنات الأسلحة الى اليهود ويتوقف أيضا سيل المهاجرين الجدد، ولكن مجلس الأمن أوقف القتال وحرم على الطرفين جلب الأسلحة مع السماح للمهاجرين اليهود بالقدوم على ألا يشتركوا في القتال خلال الهدنة وهكذا فرضت الهدنة الأولى في فلسطين ابتداء من شعبان ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م)، ولاشك أن هذه الهدنة، قد أعطت لليهود فسحة من الوقت لتنظيم قواتهم وجلب السلاح الذي كان يعوزهم، وخاصة سلاح الطيران، والمدفعية والمدرعات الثقيلة على الرغم من مخالفة ذلك لشروط الهدنة هذا في الوقت الذي بقي فيه العرب على حالهم من فقر في السلاح والمعدات، وانقسام في الخطط العسكرية، إلى جانب الخلافات السياسية، حتى اذا تجدد القتال في رمضان بدأ رجحان كفة اليهود في فلسطين في مختلف الجبهات، وعاد مجلس الأمن فأوقف القتال بعد عشرة أيام وفرض الهدنة الثانية، وقد كسب اليهود في خلال هذه الأيام العشرة مزيدا من أرض فلسطين بلغ ثلاثة أضعاف ماكسبوه في الجولة الأولى، واستطاعت دولة اليهود أن تحقق مزيدا من الانتصارات وكسبا الأراضي بسبب خلافات الدول العربية، وفشلت

الدول العربية في تحرير فلسطين، وفي عام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) عقدت معظم الدول العربية اتفاقيات هدنة دائمة مع دولة اليهود.

ونتج عن حرب فلسطين لعام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) قيام دولة اليهود، وبقي في يد العرب منطقتان: الضفة الغربية، وقد ضمت للأردن، وقطاع غزة وقد بقي تحت الإدارة المصرية، وتشريد ثلاثة أرباع مليون لاجىء فلسطيني لجأوا الى البلاد العربية المجاورة.

القضية الفلسطينية بعد عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م)

وبعد ثمانية أعوام من الحرب الأولى ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) بين العرب واليهود، حدث العدوان الثلاثي (انكلترا ـ فرنسا ـ إسرائيل) على مصر، وأخذ قطاع غزة من أيدي القوات المصرية، وقد سبق هذا ضرب للحركة الإسلامية في مصر، فعند العدوان كانت المهيضة الجناح لاتستطيع أن تفعل شيئاً، وهي التي فعلت الكثير ضد اليهود عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م)، وضد الانكليز في القناة عام ١٣٧٠ هـ . وبعد ثلاثة أيام من العدوان تدخلت الولايات المتحدة فتوقف القتال.

إن مشكلة اللاجئين العرب تشكل مأساة من مآسي الانسانية الكبرى، وقد تفاقمت نتيجة لحرب ٢٥ صفر ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م) واستيلاء اليهود على سائر الأراضي الفلسطينية إضافة إلى سيناء في مصر، والجولان في سورية، إذ أن حكومة اليهود ضربت دولة دولة، فبدأت بمصر فالأردن وسورية، بحيث كانت كل دولة تنتظر دورها حتى يتم نقل الجنود اليهود من جبهة وأخرى، كأن الخطة مرسومة أو تمثيلية هادفة، وسبق هذه الحرب ما سبق غيرها من زج أصحاب الحركات الاسلامية في السجون، وخاصة في مصر وسورية. ورفضت إسرائيل عودة اللاجئين إلى ديارهم، وقد تحولت قضية فلسطين منذ قيام اسرائيل عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) إلى مشكلة دولية عالمية، فأصبحت الولايات المتحدة تقدم الدعم المادى والعسكرى لدولة اليهود، بينما تحولت الدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي عن تأييد دولة اليهود بعد أن تبين لها أن هذه الدولة ليست الا امتداداً للقوى الاستعمارية في المنطقة وأنها تستعمل أداة بيد الدول الغربية، فتوقف الدعم العسكري، وإن كانت تزودها بالعقول البشرية التي تهاجر باستمرار من الاتحاد السوفيتي إلى دولة اليهود، إضافة إلى أن الدول الاشتراكية لم تكن لتحرك ساكناً

وقت الأزمات، ويعتريها الصمت.

وأمعنت الدول الغربية الكبرى في تأييدها لدولة اليهود، فأصدرت دول الغرب الكبرى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا في رجب ١٣٦٩ هـ مايو ١٩٥٠م تصريحا مشتركا أعلنت فيه عزمها على المحافظة على السلام والاستقرار في هذه المنطقة، ومعارضتها الأكيدة لاستخدام أية دولة في هذه المنطقة القوة أو التهديد بالقوة، كما أعلنت أنها ستعمل بكل مافي وسعها لمنع أية دولة من نقض الهدنة أو تعديل خطوطها، وكذلك عبرت الدول الثلاث في هذا التصريح عن معارضتها لأي سباق للتسلح بين الدول العربية واسرائيل وهكذا حرص الغرب على سلامة اسرائيل وضمان حدودها حتى لقد امتنع عن تزويد الدول العربية بالسلاح، بينمامضت اسرائيل تتزود بالسلاح من الولايات المتحدة الأمريكية.

وبفضل مساندة الدول الغربية الكبرى لليهود فقد أمعنت دولتهم في نقص الهدنة كلما استطاعت إلى ذلك سبيلا، وخاصة عام ١٣٧٤ هـ حين قامت بعدوان غادر على قطاع غزة، وقامت بعدوانها على مصر عام ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م) بالاشتراك مع انكلترا وفرنسا، وقد استخدم الاستعمار اليهود كمخلب قط واتخذ دولتهم قاعدة للعدوان في العالم الإسلامي يزودها باستمرار بالمساعدات السياسية والعسكرية والمالية والفنية، وقامت دولة اليهود أيضا بعدوان في صفر ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م) واحتلت بقية فلسطين والجولان وسيناء، ورفضت الانصياع لقرارات مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة بالانسحاب وعودة اللاجئين إلى ديارهم، ونتج عن حرب ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م) قيام الثورة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية التي اعترف بها العالم بأسره ممثلا للشعب الفلسطيني.

فقام العرب بشن حرب ١٠ رمضان ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) وأحرزوا انتصارات عسكرية وسياسية محدودة من جهة، وأحرز اليهود انتصارات أيضاً بعد الأيام الأولى التي انتصر فيها العرب وجاءت صفارة الحكم لوقف القتال والعمل للحل السلمي.

وبدأ عمل الفدائيين الفلسطينيين الذين تجمعوا في لبنان، وسدت في وجههم بقية الحدود، وظهر أثرهم على لبنان، كما ظهر في فلسطين على اليهود.
وقامت الحرب الأهلية في لبنان ١٣٩٥ ـ ١٣٩٧هـ .... (١٩٧٥ ـ ١٩٧٧م).

وتدخلت بعض الدول العربية ونال الفلسطينيون قسطا من الضرب والقتال وخاصة في تل الزغتر .

واشتركت بعض الدول العربية في إرسال قوات من جيوشها كقوة للردع للمعتدي في لبنان، وبعد مدة بقيت القوة السورية وحدها، ثم دخل اليهود لبنان من الجنوب، وحاصروا بيروت الغربية، ولم يتمكنوا من دخولها مادامت فيها مقاومة فلسطينية، ثم انسحبت هذه المقاومة حمايةً للمدينة وبعثر الفدائيون الفلسطينيون في سوريا، والعراق، والأردن، واليمن، ومصر، والسودان، وتونس، و. . . .

ثم إن اليهود قد أقدموا على ارتكاب جريمة بشعة ونكراء، إذ دخلوا على مخيمي صابرا وشاتيلا، وذبحوا عدة آلاف من الفلسطينيين، ولم يخرج اليهود بعد من لبنان.

ح ـ المملكة الأردنية الهاشمية

كانت المناطق في شرق الأردن قطعةً من بادية الشام تتبع في أيام الحكم العثماني ولاية دمشق، ولم يكن حتى في المشروعات الاستعمارية مشروع لجعلها دولةً خاصةً لفقر المنطقة وقلة سكانها، ومعظمهم من البدو.

وقد فتحتها القوى العربية أثناء الحرب العالمية الأولى، وهي في الطريق الى دمشق، وكانت قطعة من مملكة فيصل التي أقيمت في سوريا عام **١٣٣٩** هـ (**١٩٢٠** م) ولم بيد الانكليز الذين كانوا يحتلون فلسطين أي اهتمام بشأنها، فلما كان تقسيم الانتداب بينهم وبين فرنسا في مؤتمر سان ريمو، وكان جنوب الشام من حصتهم، لم يسرعوا لاحتلالها بل وعدوها بالاستقلال إثر دخول الفرنسيين دمشق، وتركوها تخضع لأربع حكومات محلية منفصلة بعضها عن بعض في اربد، وعجلون، وعمان، والكرك تحت إدارة المندوب السامي في القدس.

وحين رأوا الأمير عبد الله بن الحسين يجمع في جنوب هذه المنطقة قوي بدوية يريد بها الثأر لملك أخيه فيصل الذي أخرجه الفرنسيون من دمشق، رأوا أن يجعلوا من شرقى الأردن منطقة فاصلة ويستفيدوا من موقعها ذى الأهمية الخاصة

بمراقبة الشرق العربي كلها منها، سواء سوريا وفلسطين من جهة أو العراق والسعودية من جهة أخرى. كما رأى الانكليز أيضا أن هذه البقعة الموات تهيء لهم مع العراق فرصة التعويض عن عهودهم المنكوثة مع الحسين بن علي الهاشمي، وتكفيهم مؤونة التفكير بدفع أي هجمة قد يقوم بها الهاشميون في الحجاز لإقلاق انتدابهم في الشام.

وهكذا أرضى الانجليز الملك فيصل بعرش العراق، واقتنعوا معه بارضاء أخيه الأمير عبدالله الذي كان ثائرا يحمل علم الثورة العربية في منطقة معان بجعل شرق الأردن إمارة له.

وقد قصد تشرشل وزير المستعمرات القاهرة، ثم القدس في عام ١٣٣٩ هـ (١٩٢١ م) وبعث إلى الأمير عبدالله فاجتمع به، واتفق معه اتفاقا لم يغب عنه الفرنسيون على أن يقوم في شرق الأردن حكومة تتمتع بالاستقلال الاداري، وتسترشد برأي المفوض السامي في القدس وعلى رأسها الأمير عبدالله الذي يتعهد بالمحافظة على فلسطين وسوريا من كل اعتداء. وكان المقصود بهذا الشرط قطع الطريق على أي مطالبة هاشمية بأرض الشام، وفي مقابل ذلك تدفع انجلترا معونة مالية سنوية لتأمين مصاريف الدولة. وحين أقرَّ صك الانتداب في صفر عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٣ م) عينت حدود الإمارة، وبعثت إليها بمعتمد بريطاني على رأس كتلة من المستشارين وأهمهم (غلوب) باشا الذي تسلم قوي البدو. ومع كل ذلك فان بريطانيا لم تعترف رسميا بقيام هذه الإمارة إلا في تصريح عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٣ م) خلال زيارة المندوب السامي لعمان.

وكان التصريح واضح الإشارة إلى التبعية الاستعمارية، فقاومة الشعب بشدة، وثاروا ضده، فوجهت بريطانيا إنذاراً إلى الأمير بتسليم الثوار، وكذلك تسليم مالية الدولة للانجليز، وتأليف حكومة يتولى ثلاثة من الانجليز وزاراتها الأساسية. وعملت بريطانيا على تمكين سيطرتها وسلطتها في الأردن وإخماد كل حركة مقاومة مناوئة للاستعمار والحكم، وضم قوة الشرطة إليها. فأثار ذلك سخط الشعب، مما اضطر الامير لتحقيق رغبات الشعب، واشترك ممثلوه في وضع أسس التشريع والإدارة. وألفت لجنة من ممثلي الشعب برئاسة ناظر العدلية، ووضعت قانون الانتخاب لمجلس نيابي سليم، وأقرته الحكومة وذلك عام ١٣٤٢ هـ

(١٩٢٤ م). وحاولت بريطانيا نسف ذلك المشروع بوضع قانون جديد للانتحاب، وألغت القانون السابق. كان هذا دافعاً لانفجار الشعب وإجماعه على المعارضة فاجتمع أحرار الشعب الأردني، وبعثوا بمذكرة إلى عصبة الأمم جاء فيها: باسم الحضارة والإنسانية نلفت نظر عصبة الأمم إلى جميع الحقائق المؤلة التي يوقعها ممثلو بريطانيا العظمى، ونرجو إيفاد لجنة حيادية نزيهة للنظر في تحقيق المطالب الوطنية في الأردن.

وقد وسع الأمير عبدالله إمارته على حساب مملكة أبيه إذا أقنعه بالتنازل له شخصيا عن منطقتى معان والعقبة سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٥ م) وكانتا تتبعان مملكة الحجاز فلما انهارت هذه المملكة في السنة التالية ألحقها عبد الله رسميا ببلاده في مطلع عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م) واعترفت الدولة السعودية بذلك في عام ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م) إثر توقيع معاهدة جدة بين بريطانيا والسعودية.

كان أحرار العرب يلقبون الأمير عبدالله بمنقذ سوريا. فلما قام بهذه الإمارة خاصموه، وانفضوا من حوله فأصدر ضدهم عدداً من القوانين التي تقمع كل حركة في شرقى الأردن، ثم نسج على منوال أخيه فيصل فعقد في أواخر عام ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م) معاهدة مع انكلترا احتفظت فيها بريطانيا بالشؤون الخارجية والرقابة الاقتصادية والقضائية وبقوات عسكرية للدفاع عن البلاد. فعارض الشعب هذه المعاهدة واشتعلت الثورة في البلاد ضد المعاهدة فأخمدها الانكليز بقوة السلاح، ولكن الشعب لم ييأس ولم يستسلم بل استمر في نضاله ضد الاستعمار.

وكان من نتيجة المعاهدة نشر الدستور الأردني في شوال ١٣٤٦ هـ (١٩٢٨ م) وهو من وضع الانكليز فلم يكن للأمير ولا للشعب فيه من حقوق تذكر. ولكنه ينظم السلطات التشريعية في مجلس تشريعي، ويعطى للأمير حق تعيين مجلس المدن أو القبائل. وعقد زعماء الشعب مؤتمراً في عمان رفض الدستور، وقاوم الانتخابات التي تبعته، ولكن السلطات البريطانية مضت في طريقها الاستعماري دون أن تأبه للمعارضة.

استمر الشعب الأردنى في كفاحة فحمل ذلك الحكومة على المطالبة بإلحاح لتعديل المعاهدة، مما اضطر انكلترا في مطلع ربيع الأول ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م)

لتلبية مطالب الأردنيين، فأبرمت اتفاقاً آخر مكملاً لمعاهدة ١٣٤٧ هـ يجعل للأمير حق تعيين ممثلين قنصليين لإمارته لدى الدول العربية، ولكن هذا الاتفاق أبقى الجيش تحت سيطرة انكلترا، كما قضى بتقديم انكلترا المعونة المالية للأردن والتي بلغت في الأربعينات (٢ مليون جنيه) مما أفسح المجال لتدخل بريطانيا بشؤون الأردن الحساسة. وقد أحدث هذا الاتفاق هزة وطنيةً في الأردن وسائر الأقطار العربية، يعود الفضل فيها إلى الشباب الواعى.

وكان من أهم مظاهر التطور في إمارة شرق الأردن، تأسيس الفيلق العربي الذي أنشيء عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م) من فرقة صغيرة تبلغ ألف رجل، ثم أخذ ينمو تدريجيا من ناحية العدد والأهمية، وقد أشرف على تنظيمه قواد انكلترا من أشهرهم غلوب باشا، وكان الالتحاق مسموحا لكل القادرين من العرب، ولذا ضم الفيلق إلى جانب الأردنيين جنوداً عراقيين، وحجازيين، وفلسطينيين، وسوريين وغيرهم ومعظمهم من البدو. ولقد كان من المملكن أن يصبح الفيلق نواة حقيقة للجيش العربي الخالص في شرق الأردن، لولا أن خضوعه للقادة البريطانيين جعله أداة لتحقيق اتجاهات السياسة البريطانية في الشرق الأوسط.

وإلى جانب الفيلق العربي، وجدت بإمارة شرق الأردن قوة عسكرية عرفت بفرقة الحدود الأردنية التي تألفت بعد إبرام المعاهدة البريطانية الأردنية عام ١٣٤٧ هـ وكانت مهمة هذه الفرقة تنحصر في الدفاع عن الحدود، كما كانت قوة عسكرية بريطانية تحت قيادة المندوب السامي البريطاني في فلسطين.

وفي أواسط عام ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) وافقت الحكومة البريطانية على أن يحل محل المجلس التنفيذي مجلس للوزراء يكون مسؤولاً أمام الأمير. وتشكل مجلس الوزراء برئاسة توفيق أبو الهدى الذي شغل منصب كبير الوزراء منذ ١٣٤٧ هـ، وقد شهدت إمارة شرق الأردن تطوراً آخر هو إنشاء طريق حيفا ـ بغداد بين سنتى ١٣٥٧ـ١٣٦٠ هـ الذي بلغ طوله ١٠٨٠ كيلو مترا، امتد بأراضى شرق الأردن منها ٣٤٠ كيلومتراً. ولما كان هذا الطريق يمثل معبراً بريطانياً، بالإضافة إلى استخدامه أثناء الحرب في نقل مواد حربية ضخمة، فقد ضاعف من أهمية شرق الأردن الاستراتيجية بالنسبة لبريطانيا.

وفي خلال الحرب العالمية الثانية وقف الأردن إلى جانب الحلفاء، كما شاركت

القوات الحربية الأردنية القوات البريطانية في المجهود الحربي. واستخدمت بريطانيا إمارة شرقي الأردن كموقع هام لمواصلاتها الشرقية، وضربت بريطانيا بواسطة الفيلق العربي الأردني وقوة الحدود الأردنية المسلحتين بالأسلحة الحديثة حركة رشيد عالي الكيلاني في العراق عام ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م) وأخمدتها، كما اشترك الفيلق العربي وقوة الحدود الأردنية تحت القيادة الانكليزية في الغزو البريطاني لسوريا في الحرب العالمية الثانية بعد ذلك مباشرة والواقع أن الدور الذي لعبه الفيلق العربي في الشرق الأوسط في خدمة المصالح البريطانية، هو الذي أقنع بريطانيا إبان الحرب العالمية الثانية وبعدها بزيادة مساعداتها لشرق الأردن. ومن ناحية أخرى، كان الفيلق العربي الذي يشكل قوة عسكرية لاتتناسب على الإطلاق مع مساحة شرق الأردن وفقرها هو العامل الرئيسي الذي مكن الأمير عبدالله من أن يلعب دورا رئيسيا في تطور الموقف بعد الحرب العالمية الثانية في فلسطين بوجه خاص، وفي العالم العربي بوجه عام.

كما اتجه الأمير عبدالله خلال الحرب العالمية الثانية نحو طلب الاستقلال والتعاون مع بريطانيا وأراد تحقيق أحلامه السياسية، خاصةً وأنه كان يأمل في إقامة مملكة تشمل سوريا الطبيعية (بلاد الشام) وقدم مذكرة إلى بريطانيا بهذا الخصوص إلا أن بريطانيا لم تأبه بهذا الطلب وأهملته، واستبدلت به مشروع جامعة الدول العربية. غير أن الأمير عبدالله استمر في محاولاته لتحقيق مشروعة دون جدوى.

وتبودلت المذاكرات في عامي ١٣٦٢، ١٣٦٣ هـ ١٩٦٣ و ١٩٤٣ م بين بريطانيا والأردن حول منح الأردن استقلاله وقد كللت هذه المساعى بالنجاح، فوقعت بريطانيا معاهدة مع الأردن بتاريخ عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) وهي قريبة الشبه بالمعاهدة العراقية البريطانية عام ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) وبموجب هذه المعاهدة اعترفت بريطانيا رسميا بشرق الأردن دولة مستقلة، ووافقت على تبادل التمثيل السياسي معها، وعلى الاستمرار في تقديم المساعدات المالية للفيلق العربي. كما تعهدت بريطانيا بالدفاع عن الإمارة ضد أي عدوان خارجي. وفي مقابل ذلك، حصلت بريطانيا على حق السماح لقواتها بالمرابطة في شرق الأردن، وتعهدت الحكومة الأردنية بتقديم كل التسهيلات الضرورية لها.

وكان بعد إبرام المعاهدة أن أعلن الأمير عبدالله ملكاً على شرق الأردن وقامت الحكومة البريطانية بتعيين وزير مفوض لها في المملكة الجديدة. بيد أن الدوائر الوطنية في شرق الأردن لم تكن راضية عن المعاهدة، ولما كانت بريطانيا قد أقدمت في أعقاب الحرب العالمية الثانية على الدخول في مفاوضات مع مصر، والعراق لإعـادة النـظر في معـاهـدتي ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) (مـع مصر) و ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) (مع العراق) فقد وافقت بريطانيا على الدخول في مفاوضات مع شرق الأردن من جديد في عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م)، وهي المفاوضات التي انتهت بعقد معاهدة بريطانية أردنية جديدة في عمان ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م). وقد نصت المعاهدة الجديدة على الدفاع المشترك بين البلدين في حالة الحرب وعلى الاحتفاظ بوحـدات من سلاح الطيران الملكى في عمان، والمفرق، وإنشاء مجلس للدفاع المشترك الانكليزي الأردنى.

ومع أن المعاهدة البريطانية الأردنية الجديدة قد خفضت بعض الشىء من قبضة بريطانيا على شرق الأردن، إلا أن النفوذ البريطاني قد ظل قوياً في البلاد، بفضـل القيود التي احتفظت بها في تلك المعاهدة، والتي ربطت شرق الأردن بعجلة الاستعـمار البريطاني، الأمر الذي أقلق الدوائر الأردنية الوطنية والتي لم تستطع القيام بكفاح مسلح ضد الانكليز بسبب شدة ضغطهم عليه، وتمكن قبضتهم منه من جهة واندماج عاهل الأردن في سياستهم وجنوحة إلى سياسة التهدئة من جهة أخرى.

على أن دراسة التطور السياسي في شرق الأردن تتطلب ولاشك الإلمام بدور الملك عبدالله بن الحسين في فلسطين. والواقع أن دور عبدالله كصديق لبريطانيا ظلّ وتوثّق خلال الزمن التالي، إذ تسلّم القائد العام للقوات العربية، وذلك بجهود أصدقائه أو رغبتهم في ذلك، وكان يرغب في ضم أجزاء من فلسطين إلى مملكته وخاصةً القدس لوضعها الديني المعروف، وكان حسب رأي أصدقائه رجلا متزن التفكير واقعي الاتجاه، إذ أنه الزعيم العربي الوحيد الذي ينظر نظرة واقعية إلى الصهيونية، وكان يدرك استحالة إزالة الوطن القومي اليهودي. ولذا أراد أن يوفق سياساته مع واقعه، ودخل الجيش الأردنى إلى فلسطين في الحرب الفلسطينية ليحتل القسم المخصص للعرب بموجب مشروع التقسيم، ولم يتمكن من مهاجـ

المناطق المخصصة لليهود حسب الأوامر التي أعطيت له.

وأسفرت اللقاءات السرية عن حلقات متوالية من المؤامرات ضد فلسطين تمثلت في ضياع مدينتى اللد والرملة وتسليمهما إلى اليهود، وضياع المثلث العربي الذي يمثل أخصب بقعة في فلسطين في معاهدة رووس بين اليهود وبعض الدول العربية، وضياع صحراء النقب، كما أن المناورات السياسية والعسكرية قد سمحت لليهود بمهاجمة الجيش المصري بعد كشف ميمنته وتسليم مناطق البوتاس في البحر الميت مقابل مبالغ معينة بالإضافة.

وفي أواخر عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) أعلن الملك عبدالله ضم الأراضى الفلسطينية إلى الأردن ووافق المجلس النيابي الأردنى على هذا الضم، وأطلق على الدولة اسم المملكة الأردنية الهاشمية.

وفي عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ م) قتل الملك عبد الله أثناء تأديته صلاة الجمعة فخلفه ابنه طلال وهو من المناوئين لسياسته، وكذلك من المعارضين للاستعمار البريطاني.

فقد مكث طلال في الحكم حوالي ثلاثة شهور قام خلالها بأعمال جليلة للشعب، فقد أطلق حرية الشعب، واعتبر الشعب مصدر السلطة والقوة، فقيد بذلك حرية الملك في الوقت الذي أقرفية للشعب بحريته، ممثله في مجلس الأعيان الجديد. كما نص الدستور الجديد الذي وضعه الملك طلال على هذه القضايا والتي أحدثت شبه انقلاب في النظم والتقاليد الأردنية آنذاك، كما كانت هذه الخطوط العريضة أيضا لسياسة الملك طلال تتجلى في رغبته وإيمانه بالتعاون العربي في سبيل قضاياهم، إلى جانب اهتمامه بالقضية الفلسطينية وحقوق اللاجئين. غير أن هذه المساعي وتلك الأماني التي كان قد قام بها الملك خلال حكمه القصير لم يتيسر لها أن تبلغ نهايتها وتمامها، ذلك أنه استبعد عن العرش بزعم أنه مصاب بمرض نفسي، ونفي إلى استانبول، وبقى هناك حتى وافته المنية عام ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م). وكانت بريطانيا وراء عزله والاتيان بابنه الحسين مكانه.

وقد عهد إلى مجلس وصاية لتولى شؤون البلاد، وتم تنصيب الحسين بن طلال ملكا قبل أن يبلغ العشرين من عمره، وتسلم سلطاته الدستورية في ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م).

ومن أبرز ملامح عهد الملك حسين قبول الأردن عضوا في الأمم المتحدة عام ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م) واتباعه سياسة وطنية في مطلع عهده، كان من ملامحها طرد غلوب باشـا القـائـد الانكليزي، وإلغـاء المعاهـدة مع انجلترا ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م)، وجلاء الجيوش الانكليزية عن المملكة، والاشتراك مع سوريا ومصر والسعودية في القيادة العربية المشتركة، والوقوف مع مصر ضد العدوان الثلاثي، كما قام حكم وطني في الأردن. وفي عام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م) أعلن اتحاد العراق والأردن، ولم يدم سوى خمسة شهور تقريبا ثم انهار بقيام الثورة العراقية.

وشـارك الأردن في مؤتمـرات القمـة العـربية، كما اشـترك في حرب حزيران ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م) ولكنـه خسر الضفـة الغـربية شأنه شأن الدول العربية الأخرى التي خسرت كل منها جزءاً من بلادها.

٣ ـــ العـــراق

العـراق هو أحد الأقطار العربية الكبرى، يرجع تاريخه إلى أقدم العصور، ويسمى ببلاد الرافدين (دجلة وفرات). وتبلغ مساحته حوالي ٤٤٨٫٧٤٢ كم[٢] وعـدد سكـانه حوالى ثلاثة عشر مليون نسمة ونيف. ويشكل العراق النصف الشرقي من الهلال الخصيب، أما النصف الغربي فهو بلاد الشام.

نشأت في العراق حضارات ومدنيات قديمة ترجع إلى الألف الثالث ق.م وتعاقبت على أرضه عدة امبراطوريات، لعبت دورا هاما في عصور التاريخ، نظرا لموقعه الجغرافي المتوسط بين الشرق والغرب، ولوفرة الأاضي الخصبة وغزارة المياه، وكذلك لوجود معادن هامة في أراضية. ومن أهم هذه الامبراطوريات الآكادية، والبابلية، والأشورية، والكدانية. وبضعف الكلدانيين احتل الفرس العراق عام ٥٣٩ق.م وظل الفرس يحكمون العراق مدة ألف سنة إلى أن هزمهم المسلمون عام ١٤هـ . وخضعت العراق بذلك للحكم الإسلامي، وظلت العراق تتلألأ وتزدهر تحت الحكم العربي الإسلامي إلى زمن آخر خلفة عباسي وهو المستعصم بالله، الذي سقطت بغداد في زمنه على يد المغول سنة ٦٥٦ هـ ، والتي دك هولاكو عرضها وأنزل بها الخراب والتدمير.

منذ سقوط الدولة الإسلامية العباسية. عاش العراق عدة قرون في ظل عدة حكـومـات، المغـولية، الإيلخـانية، والجـلائـرية، والقـرة قونيلو، والآق قونيلو الصفوية، ووجه العراق صوب الشرق حتى استولى عليه العثمانيون على دفعات ٩٢٠/٩٥٢ هـ (١٥١٤ـ١٥٤٥ م)، وتنازعت الدوتان العثمانية والفارسية فيما بينهما على العراق، فكانت الجيوش الإيرانية تحتاج العراق من وقت إلى آخر، ولا تلبث أنْ تطردها الجيوش العثمانية. ولكن مدة الوجود الفارسي في العراق كانت قليلة جدا إذا قيسـت بالحـكـم العـثـماني الـذي امتـد من ٩٤٠/١٣٣٧ هـ (١٥٢٣ـ١٩١٩ م)، حيث وقع العراق، في قبضة الانكليز والذين ظلوا يسيطرون عيه بطرق شتى إلى أن تحرر في عام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م). ولقد كان في العراق نظام حكم مملوكي بدأ عهده منذ منتصف القرن الثاني عشر الهجري. ولم يستطع مماليك العراق أن يفرضوا أنفسهم بقوة على البلاد كلها، وإنما تحكموا فقط في المـدن العـراقية، مع أن الغـالبية العظمى من التشكيل البشرى كانت قبلية، متصارعة فيما بينها، أو ثائرة ضد حكومة المماليك، حتى أن تاريخ المماليك كان عبارة عن سلسلة متواصلة من قتال بينهم وبين القبائل العربية، أو الكردية أو صراعات بين الأكراد بعضهم مع بعض أو بين العشائر نفسها، أو بين العشائر العربية والعشائر الكردية. فكان أن أصيب العراق بتدهور اقتصادي متواصل، في الوقت الذي كان فيه نشاط شركة الهند الشرقية البريطانية في الخليج العربي وفي العراق يتصاعد سنة بعد أخرى، على حساب اقتصاديات وتجارة المنطقة.

ويرجع اهتمام بريطانيا بالعراق والخليج العربي وتطلعها إلى السيطرة عليهما منذ القرن الحادي عشر الهجري، وذلك لموقعهما الجغرافي وأهميته الاستراتيجية، لوقوعه على طريق مواصلاتها على طريق الهند (درة التاج البريطاني) هذا فضلا عن أهميته الاقتصادية، ووجود النفط في أرضه، وقربه من حقول النفط البريطانية في إيران، وأهميته كمجالٍ حيوي لاستيطان عدد كبير من السكان الذين يزيدون على قابلية الهند.

بدأ تسرب النفـوذ الانكليزي إلى العراق عن طريق دخول التجار والرحالة الانكليز إلى ربوعه منذ أواخر القرن العاشر الهجري، ثم عن طريق شركة الهند الشرقية الـبريطانية التي أنشـأت أول وكـالـة لها في البصرة سنـة ١٠٥٣ هـ

(١٦٤٣ م)، ثم أصبح لوكيل الشركة مهمة سياسية، إضافة لعمله فيها، عندما أصبح قنصلا لدولته، وقد عينت قنصلا في بغداد ونائب قنصل لها في الموصل سنة ١١٦٩ هـ (١٦٥٥ م)، وإثر قدوم الحملة الفرنسية إلى مصر عززت انكلترا نفوذها في العراق. ومنذ أوائل القرن الثالث عشر الهجري أصبح العراق طريقا للبريد البريطاني إلى الهند عبر الشواطىء السورية ومدينة حلب.

غير أن النفوذ الانكليزي لم يلبث أن واجه منافسة خطيرة من قبل روسيا التي احتلت شمالي إيران، في محاولةٍ منها للوصول إلى الخليج العربي فالمحيط الهندي، وتحويل تجارة إيران والهند وآسيا الوسطى لمصلحة روسيا. فلجأت بريطانيا إلى تشكيل شركـة ملاحية وهي شركة «لنش Lunch» للملاحة والتجارة في دجلة والفرات، وكانت لها سفن وبواخر كثيرة، كما اتسعت أعمالها وازدادت مالا ونفوذا. وكانت الحكومة البريطانية تدعمها، لأن الشركة المذكورة كانت تعمل على تقوية النفوذ البريطاني في العراق حتى تفاقم وأصبح خطرا على كيانه، ولا سيمابعد أن أصبح الانكليز يشرفون على الملاحة في شط العرب وعلى عملية إرشاد السفن فيه، الأمر الذي حدا بنواب العراق في مجلس المبعوثان (النيابي) العثماني سنة ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) لإثارة البحث حول وضع الشركة. وقد أدى عدم اهتمام المسؤولين في دولة الاتحاديين آنذاك بهذا الخطر إلى استياء العرب.

ومازالت انكلترا تعزز نفوذها السياسي في العراق سواء عن طريق التجارة أم خطوط البريد والبرق وإرسـال البعثات للكشف عن آثـار العراق، أو إقامة مشروعات وتحرص على جعل هذه الأمور محصورة فيها دون غيرها من الدول، حتى واجهت المشروع الألماني الخاص بسكة حديد بغداد، فأوقفت المشروع ببسط نفـوذها على الكويت عام ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م)، وظلت تقاوم كل المحاولات الدولية الرامية للسيطرة على الخليج والعراق حتى قيام الحرب العالمية الأولى.

اغتنمت بريطانيا فرصة الحرب العالمية الأولى، ودخول تركيا الحرب إلى جانب ألمـانيا، فقامت بإرسال حملة بحرية لتحتل العراق بالقوة وتحقيق ماكان التجار والبحارة والسياسيون والسياح والخبراء قد مهدوا له ووضعوا أسسه خلال ثلاثة قرون. فتحـركت الحملةمن بومباى في أواخر عام ١٣٣٢هـ (١٩١٤م) بقيادة ديلامين W.S. Delamain واتجهت نحو البحرين ورابطت فيها، وفي ١٣ ذي الحجة

من العام نفسه (١٣٣٢ هـ) أطلقت الباخرة البريطانية قنابلها على حصن الفاو القريب من ضفاف شط العرب، وكانت بريطانيا قد أصدرت منشورا تحرض فيه القبائل على تركيا وتحاول استمالتهم.

نزلت القوات البريطانية إلى البر على شط العرب في البصرة. وقد صاحب الحملة السير بيرسي كوكس أول رئيس للحكام السياسيين في الخليج والذي أصدر منشورا لام فيه الأتراك على دخولهم الحرب، كما حاول استمالة العرب المقيمين علي الشط، وطمأنهم على أموالهم وأنفسهم إن أيدوا بريطانيا.

دافع الأتراك عن مراكزهم وخطوطهم ببسالة إلا أن البريطانيين أخذوا يتقدمون إلى أن دخلوا البصرة وهي ميناء العراق الوحيد، ثم واصلوا الزحف واحتلوا القرنة والعمارة، فضمنوا مصالحهم النفطية بعد أن طردوا الأتراك واستمالوا معظم الشيوخ. وكانت هذه المرحلة الأولى من الاحتلال. وتبدأ المرحلة الثانية بفكرة الزحف الى بغداد، إذ هاجم الانكليز الأتراك بالقرب من سلمان باك، فردهم الأتراك وانسحب الانكليز إلى الكوت، وتعقبهم الأتراك وحاصروهم فيها ـ بمساعدة أحد القواد الألمان ـ حصاراً محكما لمدة خمسة أشهر تقريباً، مما أجبر الانكليز على الاستسلام في منتصف عام ١٣٣٤ ه (١٩١٦ م) فكان لهذه الهزيمة أثر بالغ في نفوس الانكليز، غير أنم لم يتنازلوا عن فتح بغداد لأنهم رأوا من الضروري أن يتمسكوا بالعراق ويسيطروا عليها نظرا لأن الخطر الروسي بدأ يلوح من الشمال عن طريق الموصل، وقدعمل بعض ساسة الانكليز على إبعاد الأتراك عن مناطق النفوذ بتعاون الشريف حسين مع الحلفاء مقابل وعود بريطانية له وللعرب بالحرية والاستقلال، فكان بعد ذلك للاتفاقات والمعاهدات المعقودة بين الدول أثر في تحقيق تلك الفكرة، خاصة اتفاقية سايكس ـ بيكو السرية التي نصت على توزيع مناطق النفوذ بين انكلترا وفرنسا.

وإزاء ذلك، قامت بريطانيا بتجهيز حملة قوية بقيادة الجنرال مود، فهاجمت القوات التركية في ربيع الأول ١٣٣٥ هـ (١٩١٧ م) ثم تعقبتهم إلى سلمان باك (المدائن) فاضطر الأتراك إلى الانسحاب من بغداد، فدخلها الانكليز في جمادى الأول ١٣٣٥ هـ (١٩١٧ م). وأصدر الجنرال مود منشورا تاريخيا محاولا التقرب من أهل العراق قائلا: «إننا لم ندخل بلادكم أعداء فاتحين وإنما دخلناها

محررين»، وذكّرهم بما حاق بهم من ظلم واستبداد منذ أيام هولاكو إلى أيام الحكم التركي. ومما قاله أيضا إنها ليست أمنية جلالة ملكي بمفرده بل أنها أمنيات الحكومات المتحالفة مع جلالته أيضا أن تفلحوا كالسابق، حينما كانت أراضيكم خصبة وكان العالم يتغذى من ألبان آداب أجداد كم وعلومهم وحرفهم يوم كانت بغداد «إحدى عجائب الدنيا». ثم تابع الجيش البريطاني زحفه على الجهات الأخرى بقيادة الجنرال مارشال الذي خلف مود، فاحتل سامراء، ثم الرمادي وقرى أخرى، كما توجهت الجيوش الغازية إلى الموصل فوقفت عند النقطة التي تبعد ١٢ ميلا عن الموصل إلى أن أعلنت الهدنة في ٥ صفر ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م)، لأن الموصل كانت قد وضعت ضمن النفوذ الفرنسي في معاهدة سايكس بيكو السرية، بينما وضعت بغداد والبصرة ضمن النفوذ البريطاني، غير أن بريطانيا ظلت مصممة على نقل الموصل إلى نفوذها فاحتلتها مع النقطة التابعة لها على أن تأخذ فرنسا مقابل ذلك حصة من النفط، وهكذا أصبح العراق كله تابعا لبريطانيا.

كان الاحتلال تحقيقا لجزء من الاتفاقية السرية (اتفاقية سايكس ـ بيكو)، التي اقتسم بها الانكليز مع الفرنسيين مناطق النفوذ والسيطرة الاستعمارية في الشام والعراق. ولكن العراقيين كانوا قد تسامعوا من جهة أخرى نجاح الثورة العربية في الحجاز واشترك قسم منهم فيها، وسمعوا بوعود الحلفاء للعرب فلم يقدموا أي مساعدة للأتراك في انتظار مايأتي به النصر. وكان الانكليز قد أعطوا أنفسهم ثوب المحررين فأعلنوا حين احتلالهم بغداد رغبة الحلفاء في النهوض بالعنصر العربي ليأخذ مكانه بين الأمم، وفي التدرج نحو الاتحاد لتحقيق تلك الغاية.

ولهذا فوجىء العراقيون غداة النصر بإنشاء إدارة استعمارية في العراق على نمط الإدارة في الهند وشعر الانكليز بضرورة تنظيم الإدارة في العراق على شكل يحقق مطالب الجيش الفاتح من جهة، ويؤمن السلام العام للأهلين، ويوفر نوعا من الرخاء الاقتصادى والنشاط التجارى يحبب العهد الجديد إلى أكبر عددٍ من السكان، ويصرفهم عن المقاومة الجدية، والحنين إلى العهد التركي السالف أو الرغبة في الاستقلال التام من جهة أخرى.

ولكن بريطانيا لم تحاول شيئا من ذلك بل عمدت إلى تأمين مقتضيات

الاحتلال ومتطلباته قبل كل شيء، والعمل على «تهنيد» العراق وخاصة القسم الجنوبي منه، وذلك باشاعة النظم والقوانين والمبادىء الإدارية الهندية تمهيدا لضم جنـوب العـراق الى الهنـد، كما عملت على الاهتـمام بالعشائر لخدمة المصالح البريطانية فاتفقت مع شيوخ العشائر وزودتهم بالمال والسلاح ومنحتهم إقطاعات كبـيرة من الأرض. وكـان الانكليز يعـاملون الأهلين معـاملة العدو المغلوب، واستـولـوا على جميع الوظائف في الدولة، وجندوا الفلاحين للعمل الإجباري، وحظروا تجارة المواد الغذائية إلا بعد تأمين حاجة الجيش، ونفوا زعماء العشائر والضباط العرب الذين اشتركوا في الثورة العربية إلى الهند وسيلان ومصر.

وتحول الشعور بالدهشة والاستغراب والمفاجأة من هذه الأعمال إلى نقمة ثورية حين سمع العراقيون بإقامة حكومة عربية في دمشق، وبمبادىء ويلسون الأربعة عشر وخاصة مبدأ حق تقرير المصير للشعوب، لهذا بادروا إلى تكوين جمعيات تطالب بالاستقلال مثل (حرس الاستقلال)، وجمعية «العهد»، وتشجع بعض الضباط العراقيين، فأرسلوا مذكرة إلى الحكومة البريطانية تطالب بإقامة حكومة وطنية في العراق. ولكن الرد البريطاني كان مخيبا للآمال لأنه قال: إن أي محاولة لإجـراء تجارب دستورية في العراق تعد سابقة لأوانها مالم يصدر مؤتمر الصلح قراراته. والحقيقة أن الرأي البريطاني فيما يتعلق بتقرير المصير للعراق لم يكن متفقا على خطة معينة. فبينما كان بعض البريطانيين يرون أن لاتعطى البلاد أكثر من الحكم المحلي، كان بعضهم الآخر يرى تقسيمهما إلى دولتين في الشمال والجنوب، وجماعة ثالثة ترى تنصيب ملكٍ عليها من بعض الأمراء العثمانيين أو من الأشراف وإقامة نظام جمهوري ولكن تحت النفوذ البريطاني دوما.

وأراد حزب العهد في العراق إحراج الاحتلال الانكليزي، فأعلن اختيار الأمير عبد الله بن الحسين ملكا على العراق يوم تتويج أخيه فيصل في دمشق في رجب ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م). لكن الحلفاء من جهتم كانوا يدبرون مصيرا آخر أعلنوه بعد شهر ونصف الشهر في مقررات سان ريمو التي اتفقوا فيها على وضع اتفاقية سايكس بيكو موضع التنفيذ وفرض الانتداب على العراق، فلم يبق شك عند أحد في نوايا الحلفاء الاستعمارية وفي ضرورة الكفاح المرير للخلاص من الاحتلال الجديد.

تجمعت عدة عوامل لثورة العراقيين ضد الانكليز منها انتشار الروح الوطنية واصطدام الأماني العراقية بمقررات سان ريمو، وسقوط حكومة فيصل بدمشق، وسوء معاملة الانكليز للشعب العراقي، والتأثر بثورة مصر ١٣٣٧ التي عمل لها سعد زغلول. وكان السبب المباشر لثورة العراق ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) هو قيام الحـاكم الانكليزي في الرميثة (على الفرات الأوسط) بالقبض على أحد شيوخ العشائر، فدخل رجاله عنوة إلى سراى الحكومة، وأطلقوا سراح شيخهم وقتلوا الحراس، وقلعوا السكة الحديد شمال الرميثة وجنوبها.

وهكذا اندلعت الثورة وامتدت الى النجف، وكربلاء، والديوانية، والسماوة، ودياب، وقامت الاضطرابات في البصرة، والموصل، واربيل، وأصبحت بغداد مهددة، فاضطر الانكليز لجلب إمدادات كبيرة من الهند لتعزيز قواتهم في العراق بحيث تستطيع إخماد الثورة، كما أن أسلحة الثورة قد قلت، فتمكنت بريطانيا بعد أن حشدت قواتها الضخمة، وبعد أن استعانت بطائراتها من القضاء على الثورة والتي استمرت حوالي ستة شهور.

وكانت خسائر البريطانيين ٤٢٦ قتيلا و ١٢٢٨ جريحا و ٦١٥ مفقودا في حين بلغت الخسـائـر المـادية ٢٠ مليون جنيه استرليني. أما خسائر العراقيين فتشير المصادر البريطانية إلى أنها كثيرة وقد بلغت (٨٠٠٠) قتيل. ولا شك أن خسائر العراقيين كانت أكثر لتفوق البريطانيين بالسلاح، ومع ذلك فقد استطاع الثوار أن يعبّروا عن سخطهم بصـورة فعلية جذبت انتباه حكومة لندن والعالم إلى قضيتهم، كما أظهـروا من الشجـاعـة والبطولة ماهو جدير بالإعجاب والتقدير العظيمين.

ومما يجدر ذكره أن الثورة كشفت عن عدة أمور مهمة منها: وحدة الشعور والتضـامن بين العـراقيين على اختـلاف فئـاتهم، والنضـج السياسي، والقابلية العسكرية. غير أن نقطة الضعف التي كشفت عنها الثورة هي عدم استطاعة العراقيين في مختلف أنحاء العراق القيام بالثورة في آن واحد. بل وعدم مشاركة بعض أنحاء العراق، وبعض عشائره في القيام بواجبها في هذه الثورة الوطنية، هذا فضلا عن وقوع أخطاء فردية، وعدم وجود قيادة عامة، وعدم وجود دولة تساند الثورة.

وقد أظهرت هذه الثورة صعوبة استمرار الحكم البريطاني المباشر للعراق، مما اضطر الانكليز إلى إعادة النظر في سياستهم تجاه العراق، وأن الخسائر البشرية والمادية التي منيت بها بريطانيا أثارت جدلا عنيفا في المجلس النيابي والصحافة الانكليزية، حتى طالب بعض السياسيين بانسحـاب الحكـومـة من العـراق والاحتفاظ بولاية البصرة فقط، وطالب بعضهم بالجلاء عن العراق بأجمعه لأن احتلاله يكلف دافع الضريبة البريطاني كثيرا. فرأت الحكومة البريطانية أن تحكم العراق بصورة غير مباشرة وذلك بإقامة حكومةٍ وطنيةٍ فيه.

وأسرعت الحكومةِ البريطانية إلى تأليف أول حكومة وطنية مؤقتة برئاسة نقيب الأشراف عبد الرحمن الكيلاني، وروعي في توزيع كراسي الوزارة التمثيل الديني والـطائفي والعشائرى للبلاد، ووضع بجانب كل وزير مستشار انكليزي، كما كانت الحال في سوريا. وأعلنت بريطانيا رغبتها باقامة ملكية عراقية رشح لها عدد من العراقيين أمثال طالب النقيب، والملك فيصل بعد خروجه من سوريا على أثر موقعة ميسلون وذهابة إلى لندن.

قدم فيصـل إلى العراق بعد إعلان ترشيحه، ونظمت السلطات الانكليزية والحكومة المؤقتة الدعاية له فزار فيصل مدن العراق وتعرف إلى رجالاتها، ووصل بغداد في شوال ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م) وبعد إجراء استفتاء شعبي، كانت نتيجته ٩٦٪ تأييداً لفيصل، وتوج فيصل في ١٨ ذي الحجة ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م) ملكا على العراق.

بعد تتويج فيصل، ألف عبدالرحمن الكيلاني وزارة وطنية، إلا أن فيصلاً واجه مشكلات داخلية وخارجية معا، أما المشكلات الداخلية فكانت كثيرة، وأهمها المشكلات المتعلقة بالقبائل والأقليات ـ كالأكراد والآشوريين ـ والانقسام الطائفي بين السنة والشيعة. إذ أن العراق لم يكن مجتمعا واحدا منصهرا في القرن الرابع عشر، وظل يعاني من فقدان التجانس الاجتماعي هذا أمدا طويلاً، ولعل أعظم مشكلاته تكمن في هذا الوضع الغريب.

وقـد عمـل فيصـل على تأسيس الجيش العـراقي الحـديث، وإنشاء الكلية العسكرية ١٣٤٣ هـ (١٩٢٥ م) وتقدم التعليم، وإرسال البعثات العلمية إلى الخارج، واستقدام المدرسين والمهندسين والفنيين من مصر، وإنشاء عدة كليات

كانت نواة لجامعة بغداد، كما عمل على توسيع الزراعة عن طريق مشروعات الري الحديثة، وقيام الصناعات النسيجية الآلية، واستغلال آبار النفط. وعقد كذلك معاهدات صداقة وحسن جوار مع كل من المملكة العربية السعودية، والأردن، وتــركــيا في عام ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م) وإيران في عام ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م) وأنهى الخلافات القديمة بينه وبين هذه الدول وحل مشكلات الحدود.

كما سمح بإنشاء الأحزاب السياسية على النمط الأوربي الغربي لكى تساعد على نمو تطور الديموقراطية في البلاد، فبعد اعتلاء فيصل عرش البلاد، وفي عهد وزارة عبد الرحمن الكيلاني تشكلت ثلاثة أحزاب، كان اثنان منها يمثلان المعارضة هما الحزب الوطني العراقي، وحزب النهضة، بينما يؤيد الحزب الثالث وهو الحزب الحر العـراقي الحكومة وقد أغلق المندوب السامي البريطاني حزبى المعارضة، وتشكلت كذلك أحزاب أخرى هي: حزب الأمة ١٣٤٣ هـ، ويهدف إلى تأييد الاستقلال التام، ونشأت في الموصل أحزاب ثلاثة أهمها حزب الاستقلال، وجمعية الدفاع الوطني العراقي، وكانت تدافع عن قضية الموصل، وتطالب بأن تكون هذه الولاية ضمن حدود العراق، كما تشكل حزبان آخران في بغداد هما حزب التقدم، وحزب الشعب، وفي عام ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) شكل نورى السعيد حزب العهد الموالي لبريطانيا. وفي الخمسينـات ظهرت أحزاب وطنية هي الحزب الوطنى، وحزب الإخاء، واندمجا معا في حزب واحد هو حزب الإخاء الوطنى، وكذلك جماعة الأهالى، والحزب الشيوعي العراقي، وأخذت هذه الأحزاب على عاتقها قيادة الحركة الوطنية في البلاد بما يحقق للعراق استقلاله التام وسيادته الوطنية ومعارضة النفوذ البريطاني والمطالبة بتعديل المعاهدة البريطانية في عام ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م).

أما في مجال السياسة الخارجية فكانت أهم مشكلات العراق الخارجية تتمثل في علاقاته مع بريطانيا، إذ أن العلاقات بين العراق وبريطانيا في عهد فيصل دارت حول الـوضع الذي أراده العراقيون لبلادهم وهو الاستقلال. هذا بينما كانت بريطانيا التي تقـدر قيمـة العراق الاستراتيجية والاقتصادية، تحرص على استمـرار سيطرتهـا هنـاك بطريقـة أو بأخـرى ولكن بريطانية تعلمت من ثورة

١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) أن تعالج المسألة العراقية بحذر تام، ومن هنا فقد رفضت بريطانيا أن تطلب من عصبة الأمم المتحدة إقرار انتدابها على العراق رسميا، ورأت أن تستبدل بالانتداب تنظيم علاقاتها مع العراق على أساس معاهدة تحالف أبرمت بالفعل في منتصف صفر ١٣٤١ هـ (١٠/١٠/١٩٢٢ م)، وكانت صورة مستورة لصك الانتداب الذي يمقته الشعب العراق.

وهكذا فإن مجيء فيصل إلى العراق لم يحمل إليه الاستقلال الكامل العاجل كما كان يتوقع هو والعراقيون، فمعاهدة ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) التي وعد تشرشل فيصلا بأن تحل محل الانتداب، تضمنت كل شروط الانتداب دون شكله، وقد أعرب فيصل في ساعة من ساعات اليأس عن عدم رضاه على المعاهدة قائلا: «ليست هذه هي المعاهدة التي وعدني تشرشل بها في لندن».

غير أن تجربة فيصل المريرة في سوريا قد لقنته درسا في عدم الاصطدام بدولة عظمى في العراق، وكذلك عدم الاستجابة لنصائح الوطنيين المتطرفين، ومن ثم، فقد اتبع سياسة «خذ وطالب» التي كانت تعنى السير بالبلاد في طريق الاستقلال خطوة بعد أخرى، تلك السياسة التي كانت تلائم نمط السياسة البريطانية الاستعمارية، التي سمحت للمستعمرات بالتطور نحو الحكم الذاتي بطريقة بطيئة وسلمية.

ومن الجدير بالذكر أن فيصلا كان يعتقد أن المصالح البريطانية والمصالح العراقية غير متعارضة، وكان هذا الاعتقاد وارتباطاته مع بريطانيا من أهم نقط ضعف مركزه في العراق. ومع ذلك، فان فيصلا كان متأكدا من أن مساعدة بريطانيا وعطفها أمر ان ضروريان لحمايته من جيرانه المعادين من جهة، ولإنهاء نظام الانتداب من جهة أخرى. وهذا يفسر إرغامه وزراءه على التوقيع على معاهدة ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) رغم عدم رضاه عليها.

وعلى كل حال، فان معاهدة ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) قد علمت كلا من فيصل وبريطانيا أنها لا يمكن أن تكون الأساس لصداقة انكليزية عراقية دائمة، والواقع أن الوطنيين العراقيين لم يكونوا مستعدين لقبول أي مشروع يخلو من الاستقلال التام وإنهاء الانتداب. ولذا عدلت معاهدة ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) باتفاق ربيع الثاني ١٣٤٢ هـ (١٩٢٢ م) الذي أنقص مدة المعاهدة من عشرين سنة إلى أربع

سنوات فقط، ثم استبدل بها عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) (معاهدة أخرى من أجل قضية الموصل)، كما عقدت معاهدة عام ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م) أدت إلى تقليل الرقابة والإشراف البريطاني في العراق على الشؤون العسكرية والمالية، كما تضمنت ضمان المعاهدة وعداً من جانب بريطانيا بتأييد ترشيح العراق لعضوية عصبة الأمم في عام ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م)، وعلى العموم فرغم أن معاهدتي ١٣٤٥، ١٣٤٦ لم تحققا للعراق استقلاله التام إلا أنهما كشفتا بوضوح أن بريطانيا على استعداد لمنح العراق استقلاله شيئا فشيئا.

وفي عام ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) أمكن التوصل إلى تسوية نهائية بين بريطانيا والعراق، فقد قررت معاهدة غرة صفر ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) التي وقعها المعتمد البريطاني فرنسيس همفريز، ونورى السعيد بوصفه وزيرا للخارجية، إنشاء محالفة عراقية بريطانية لمدة خمس وعشرين سنة، وأكدت بريطانيا فيها عزمها على تأييد ترشيح العراق لدخول عصبة الأمم في عام ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م)، ثم إعلان استقلال العراق وانتهاء الالتزامات التي كانت على بريطانيا بحكم الانتداب الذي كان لها، وذلك يوم دخول العراق عصبة الأمم.

وقد نصت المعاهدة على التعاون في السياسة الخارجية والحرب، اذ تعهدت بريطانيا بالدفاع عن العراق في مقابل تقديم التسهيلات كافة لبريطانيا، كما نصت على إنشاء قواعد حربية جوية في البصرة، والحبانية مع منح القوات البريطانية حق المرور، من الأراضي العراقية، وتعهدت بريطانيا بتدريب الجيش العراقي، وتزويده بالأسلحة.

وقد قوبلت المعاهدة بأراء مختلفة، فقد وجد فيها فيصل ونورى السعيد خطوة أولية موفقة نحو الاستقلال التام مع حفظ بَعض المصالح البريطانية، هذا بينما عدّها المتطرفون العراقيون صكا انتدابيا مغلفا، ووسيلة لتدعيم النفوذ البريطاني في بلاد الرافدين.

ومما تجدر الإشارة إليه أن معاهدة ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) العراقية البريطانية قد غدت نموذجا لمعاهدات أخرى مع الدول العربية الأخرى مثل معاهدة مصر مع بريطانيا ١٣٥٥، ومعاهدة فرنسا مع سوريا ولبنان في العام نفسه.

وقد أدت هذه المعاهدة إلى انقسام السياسيين العراقيين إلى فئتين: فئة تؤيد

التحالف البريطاني، وفئة أخرى تعارض هذا التحالف، وترأس المجموعة الأولى نورى السعيد وأعـوانـه، على حين ضمت المجمـوعة الثانية ياسين الهاشمي، وحكمت سليمان، ورشيد عالى الكيلاني، وكـامـل الجـادرجي، وكـانت هذه المجموعة تعارض معاهدة ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) على أنها لم تحقق أماني العراق. وظلت هذه المعـاهـدة محور الصراع بين القـوى الوطنية في العراق من جهة، وبريطانيا وأعوانها من العراق من جهة أخرى. واستمر هذا الصراع حتى نجحت هذه القوى في الإطاحة بالحكم في ثورة [٢٦ ذي الحجة ١٣٧٧ هـ (١٩٥٨ م)] قبل انتهاء العام بأربعة أيام وإلغاء المعاهدة.

ومع ذلك فإن هذه المعاهدة قد حققت للعراق استقلاله الذاتي، ودخل عصبة الأمم عام ١٣٥١، وكان أول بلد عربي مستقل دخل عصبة الأمم، وباستقلال العراق نظر العرب إليه نظرة أمل في أن يسهم بنصيب كبير في مساعدة البلدان العربية الأخرى لنيل استقلالها وتحررها. وكان مما زاد في الأمال وأنعشها أن تدفق النفط في الأربعينات من أرضه، ورأى العرب فيه غداً مشرقا يحول النفط الأسود ذلهم إلى ازدهار. وأصبح العراق في مطلع الخمسينات يملك أضخم ثروة معدنية في المنطقة العربية.

وساعدت هذه الظروف على أن يكون العراق ملجأ للعرب الذين فروا من التنكيل والملاحقة من سلطات الانتداب، أو السلطات المحلية في كل بلاد الشام وتجمع العشرات منهم ليشكلوا تيارا وطنيا ينادى بتحرير البلدان العربية ومقارعة الانتداب، ويدعو فيصلاً إلى الخروج عن عزلته وقيادة حرب التحرير العامة، لإقامة دولة واحدة من العراق وبلاد الشام تحت العرش الفيصلي.

وتصوّر بعضهم أن العراق يمكن أ يلعب دوراً أساسياً في الاتحاد العربي، ونظر هؤلاء إلى بريطانيا فوجـدوها تكيد للبلاد، ولاتعمل شيئا يدعم التعاون الذي نصت عليه معاهدة ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) العراقية البريطانية، ورأوا أن النظام القـائم في العـراق، ماهو الإبناء اصطناعي، أوجدته بريطانيا ليلائم مصالحها وأغراضها الامبراطورية، وهو لذلك لايستحق الحياة والبقاء، وإنما الجدير بالبقاء والحياة هو النظام الذي يشكل فيه العراق جزءا من الدولة العربية الموحدة، ولم يكن منح بريطانيا الاستقلال للعراق ليرضى النزعة الوطنية لأن معظمهم كان

يتطلع إلى تحرير البلدان العربية واندماجها في وحدة شاملة، وذلك بسبب ارتفاع مد الحركة العربية في العراق، ونفوذها إلى أذهان الجيل الجديد فيه.

ولقد أصبح العراق مركز الثقل في الحركة العربية في المدة مابين الحربين العالميتين، كنتيجة للمرارة التي تركزت في نفوس العرب، لغدر الانكليز بأمانيهم في التحرر والوحدة إبان الحرب العالمية الأولى، تلك المرارة التي زادتها اشتعالا في الخمسينات الهجرة اليهودية الى فلسطين وعدم منح سوريا استقلالها، مما ساعد على ظهور الحركة العربية في العراق. وكانت هذه الحركة تصب فيها روافد القضايا العربية الأخرى أكثر مما كانت تتحكم فيها ظروف العراق الخاصة.

وتأسيسا على ماتقدم أنشئت منظمات وطنية من أهمها نادى المثني، ومنظمة الفتوة، كما أن أعمال الحكومة كانت تنسجم مع هذا الاتجاه الوطني إلى حد كبير، فالعلم كان عربيا منذ البداية، وكذلك نظم الادارة وأناشيد الطلبة وبرامج التعليم. وأراد فيصل أن يجعل من بغداد مركزاً عربياً قوياً، فأقام حكومة العراق العربية، وكان يميل دائما إلى اتحاد بين سوريا والعراق، وليجعل لبلاده واجهة بحرية تساعدة على تقوية البلدين وتنمية مرافقها الاقتصادية، وسعى إلى توثيق علاقاته مع الدول العربية الأخرى. وسار على نهجه ابنه غازى الذي خلفه، وقطعت الحركة العربية مراحل أبعد بكثير مما كان متصورا. وأسهمت الصحافة العراقية في تنوير الرأى العام عن القضايا العربية، وآزرت الحركة الوطنية في العراق، ودافعت عن قضية فلسطين، وهاجمت فرنسا، وأشادت بوطنية سوريا وجدارتها بالاستقلال. وشارك عدد من العراقيين في ثورات فلسطين ١٣٥٥ ، (١٩٣٦ م)، وشجب الملك غازي الاستعمار بأشكاله كافة في سوريا وفلسطين، وكان الوطنيون العرب يذيعون بيانات تندد بالاستعمار من إذاعة خاصة أعدها غازي لهم في قصر الزهور ببغداد حيث يقيم الملك نفسه.

وعلى العموم، فان العراق قد تقدم وتطور خلال حكم الملك فيصل ١٣٤٠-١٣٥٢ هـ ونتيجة لمواقف الملك فيصل الرائدة في المجالات الداخلية والعربية والدولية، فانه قد حظى بحب الجماهير وتأييدها، إلا أن الأجل لم يمهله لمتابعة مسيره الكفاح والنضال فتوفي عام ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م)، خلفه ابنه غازى الذي حكم في المدة (١٣٥٢- ١٣٥٨).

وفي عهده شهدت البلاد كثرة تغير الوزارات، وفساد الحياة النيابية، وعجز التنظيمات السياسية الحزبية عن المعارضة الكلامية السلمية داخل المجلس النيابي أو على صفحات صحفها، أدى ذلك كله إلى التجاء المعارضة للعشائر العراقية، وخاصة في منطقة الفرات الأوسط - لممارستها العمل السياسي واستغلال قواها في إسقاط الوزارات، وتسلم زمام السلطة، كما حدث بالنسبة لوزارة علي جودت الأيوبي **١٣٥٣** هـ ووزارة جميل المدفعي الثالث **١٣٥٤** هـ حيث تسلم ياسين الهاشمي الحكم بتأييد الجيش الذي كان أخوه طه الهاشمي يتولى رئاسة أركانه. وبذا فتحت صفحة جديدة في السيطرة على الحكم كوسيلة للتغيير وتسلم السلطة بدلاً من العشائر.

ولقد أصبح الجيش العراقي قوة وطنية ضاربة خاصة وأن الحكومة العراقية بعد الاستقلال اهتمت بتكوين نواة جيش يتفق مع الوضع الجديد واحتياجات الدولة. وبدأ بعد عام **١٣٤٩** هـ (١٩٣٠ م) التوسع في الجيش فأدخل نظام التجنيد الإجباري في عام **١٣٥٣** هـ (١٩٣٤ م) وأخذ الكثيرون من أبناء الشعب يلتحقون بالكلية الحربية، ويصلون إلى صفوف الضباط الصغار، وبذلك أصبح الجيش العراقي يشمل قطاعا وطنياً عريضاً. ولاننسى أن طبيعة القوة العسكرية في البلاد المستعمرة تختلف اختلافا بينا عن طببيعة ووظيفة الجيش في البلاد صاحبة الامبراطوريات، فبينما في الثانية كانت وظيفتها أولا بناء الامبراطورية الاستعمارية ثم الدفاع عن هذه الامبراطورية الاستعمارية، كانت القوة العسكرية في المستعمرات - رغم استخدامها أحيانا في قمع الحركات الوطنية - تنتمي في حقيقة الأمر إلى هذا القوة الوطنية، فهي لم تبن امبراطورية ولم تدافع عن امبراطورية، بل كان ينتابها دائما الإحساس بضرورة مساندة الحركة الوطنية.

ولقد حدث في تاريخ الجيش العراقي ماساعد على بلورة هذه الحقيقة أي تحول الجيش إلى قوة وطنية تحمي مصالح العراق، ويتمثل ذلك في إخماد الجيش العراقى لفتنة الأشوريين عام **١٣٥٢** هـ (١٩٣٣ م)، وكذلك إخماد ثورات الفرات الأوسط (الرميثة وسوق الشيوخ والمنتفق) عام **١٣٥٤** هـ (١٩٣٥ م)، ثم قمعة لحركة بارزان والزيدية في الشمال خلال عامى **١٣٥٤** هـ و **١٣٥٥** هـ. وقد اندلعت هذه الثورات والانتفاضات بإيعاز من رجال السياسة في بغداد أو بسبب معارضة

القبائل لقانون التجنيد الإجباري.

وعلى العموم فقد قام الجيش بأول انقلاب عسكري في العراق بقيادة بكر صدقي للإطاحة بوزارة ياسين الهاشمي، غير أن ضباط الجيش أطاحوا به بعد عشرة أشهر فقط وذلك لأنهم كانوا يريدون إنهاء مظاهر التدخل الأجنبي، ووضع نظام سياسي سليم مستقر، وتحرير الدول العربية الشقيقة التي كانت تسعى للحرية والوحدة. وظل الجيش - بعد مقتل بكر صدقي في أول جمادى الأولى ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) القوة المحركة للسياسة العراقية من وراء ستار، وصار هو الذي يقر تشكيل وإسقاط معظم الوزارات بين عامي ١٣٥٦-١٣٦٠ هـ عن طريق الانقلابات العسكرية.

وشهدت هذه الفترة توقيع العراق على اتفاق ميثاق سعد أباد ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) بين كل من العراق وتركيا وأفغانستان وإيران، وكذلك توقيع معاهدة تقسيم شط العرب بين إيران والعراق، وتوقيع معاهدة الإخاء والتحالف بين العراق والسعودية وبين العراق واليمن ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م).

ونظراً لأن الملك غازي كان يولي القضايا الوطنية جل اهتمامه، حيث تبنى مهاجمة الاستعمار وخصص إذاعة خاصة من قصرة لتذيع البيانات الوطنية ضد الاستعمار الانكليزي والفرنسي، فقد عمد الاستعمار إلى ا لتخلص منه، وقد قتل في حادث سيارة غامض ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م). وهاج الشعب العراقي وماج وندد بالاستعمار البريطاني وهجم المتظاهرون على مبني القنصلية البريطانية في الموصل، وقتلوا القنصل البريطاني هناك. ونودي بابنه فيصل الثاني ملكا على البلاد، وكان عمره أربعة أعوام، وعيّن خاله الأمير عبد الإله وصياً على العرش، والذي ظل يحكم البلاد بالتعاون مع نوري السعيد منفذاً مصالح بريطانيا في العراق.

بعد قيام الحرب العالمية الثانية ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) قطعت الحكومة العراقية علاقاتها السياسية مع ألمانيا، وحجزت الرعايا الألمان وأملاكهم في العراق. وفي ربيع عام ١٣٥٩ هـ استقالت وزارة نوري السعيد، وتألفت وزارة جديدة برئاسة رشيد عالي الكيلاني، والتي مالت في البداية إلى التفاهم مع بريطانيا شريطة أن تتعهد بريطانيا بمنح فلسطين استقلالها، وتعديل الكتاب الأبيض الخاص بفلسطين، تساعد على استقلال سوريا مقابل أن يقوم العراق من جانبه باعلان

الحرب على المحور، والانضمام إلى الحلفاء وإرسال فرقتين عسكريتين من العراق إلى الجبهة الليبية. ولكن الحكومة البريطانية رفضت ذلك. فتأزمت العلاقات بين الحكومة العراقية الوطنية، وبين الحكومة البريطانية.

فوجىء الزعماء العرب بموقف بريطانيا، وكان العراق يعج في هذا الوقت بالزعماء السوريين والفلسطينيين والمصريين الهاربين من اضطهاد الانكليز والفرنسيين، وكان لوجودهم أثر على إذكاء الشعور الوطني في البلاد، فتأثر نتيجة لذلك معظم العراقيين، بينهم سياسيون ووزراء، ولعبت الدعاية النازية دورا في تحريك مشاعر الشعب ضد الانكليز، وحقيقة الأمر أن قضية فلسطين كانت أهم عامل يثير حفيظة العرب ضد بريطانيا.

ونتيجة لموقف بريطانيا السلبي بشأن قضية فلسطين، حدث انقسام في الوزارة العراقية، واتسعت الهوة بين أنصار بريطانيا بزعامة نورى السعيد، وبين الوطنيين بزعامة رشيد عالي الكيلاني والذي ازداد نفوذه حينذاك. وفي هذه الأثناء جرت اتصالات سرية بين الوطنيين وألمانيا لمعرفة موقف الأخيرة فيما لو قامت ثورة ضد بريطانيا وفرنسا، وطلب الوطنيون أن تصدر ألمانيا بيانا يبين نوايا هما نحو البلدان العربية.

وبالفعل أصدرت الحكومة الألمانية بياناً رسمياً، أعلنت فيه عطفها وتأييدها للقضايا العربية في المستقبل، وذكر البيان أن ألمانيا بإعطائها هذا التصريح على اتفاق تام مع حليفتها إيطاليا أيضاً، وكررت محطة برلين إذاعة هذا التصريح عدة مرات. ولكن البيان الألماني كان عاما غامضاً، ولم يتضمن إجابة صريحة ودقيقة على المطالب العربية.

وشعر العرب أن ألمانيا تريدهم أن يبدأوا الثورة على بريطانيا في فلسطين، وأن تقوم العراق بعمل ما ضدها قبل مد العراق بالمعونة العسكرية، كأن يمنع استخدام القوات البريطانية لأراضيه وهذا يعني نقض المعاهدة العراقية الانكليزية، دون أن يكون العراق مستعدا لمواجهة مايترتب على توريط العراق في صدام مسلح مع الانكليز.

وقد عرف الانكليز وأنصارهم كل هذه الأمور، فعملوا على إسقاط وزارة الكيلاني وإقامة وزارة موالية لهم، وبالفعل أطيح بوزارة الكيلاني وتشكلت وزراة

أخـرى برئاسة طه الهاشمي التي قررت إقصاء الضباط الأحرار والذين سماهم الاستعمار بـ (المربع الذهبي) وهم صلاح الدين الصباغ، ومحمود سليمان، وفهمي سعيد، وكامل شبيب. فرفض الضباط أوامر الوزارة وقرروا العمل،د وتحركت قواتهم في ١/٣/١٣٦٠/ هـ (١٩٤١ م) فأرغمت رئيس الوزراء (الهاشمي) على الاستقالة وإعادة الكيلاني الذي يتمتع بثقة الشعب إلى رئاسة الوزارة، وفر الوصي عبد الإله إلى قاعدة الحبانية ومنها إلى البصرة حيث حاول أن يثير البصرة ضد بغـداد ولكنـه فشل، ومنها سافر على متن طائرة بريطانيةٍ إلى عمان، وانتخب المجلس النيابي (الشريف شرف) وصيا على العرش بدلاً من الأمير عبد الإله.

صعقت بريطانيا لهذا الانقلاب ورأت فيه تهديدا لأمنها ومصالحها، فلم تعترف بالحكـومـة الجـديدة وعـدتهـا مواليةً لألمـانيا. وفي ١٧ ربيع الأول ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م) أحاط السفير البريطاني الحكومة العراقية علماً بقدوم فرقةٍ بريطانيةٍ من الهند إلى البصرة، فوافقت الحكومة العراقية على نزولها على ألا تنزل قوات جديدة قبل مغادرة القوة الأولى. وكان نص المعاهدة يقضى بأن تستخدم بريطانيا أراضي العراق لمرور قواتها أثناء الحرب وأن تقوم الحكومة العراقية بتقديم كافة التسهيلات لذلك. فالمعاهدة تنص على مرور القوات دون إقامتها أما الإقامة فتعني الاحتلال العسكري وهذا مارفضته الحكومة العراقية.

وفي ٢٨ ربيع الأول ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م) طلب السفير البريطاني من الحكومة العـراقية الموافقة على نزول قوة جديدة تصل في اليوم التالي، فقررت الحكومة العراقية عدم السماح للقوة الجديدة بالنزول قبل رحيل القوة الأولى، ولكن السفارة الـبريطانية تجاهلت ذلك، ونزلت القوات في البصرة، وحينئذ طلب قائد القوة العراقية الآلية المحيطة بقاعدة الحبانية منع الطائرات البريطانية من التحليق في الجو، فرد القائد البريطاني طالباً سحب القوات العراقية المرابطة قرب الحبانية قبل أن يضطر الى قصفها من الجو.

وفي ٢ مايو ١٩٤١م فتح الانكليز النار على العراقيين من قاعدة الحبانية، ونشب القتال بين الطرفين.، وأبرقت وزارة الخارجية العراقية إلى سفيرها في تركيا أن يبلغ السفير الألماني في أنقرة قرار العراق بإعادة العلاقات السياسية مع ألمانيا، ورغبتـه الشديدة في معونتها. وأعلن العراق قطع علاقاته مع بريطانيا واشترك

متطوعون عرب إلى جانب الجيش العراقي في حربه مع بريطانيا، لأن هذه الحرب كانت حرب مصير. وتأمل العراقيون أن تصلهم نجدات وأسلحة وطائرات من ألمانيا، إلا أن مساعدات ألمانيا لم تصل بسرعة بسبب ظروف الحرب ولمنع تركيا مرور الأسلحة من أراضيها إلى العراق. ولكن وصول النجدات الانكليزية قد توالت إلى العراق، عن طريق البصرة وفلسطين والأردن، والمساعدة الألمانية لم تصل بعد، فانتصر الجيش الانكليزي بعد حرب دامت شهراً كاملاً، وساعده في ذلك فرقة من الجيش الأردني بقيادة الجنرال جون كلوب باشا وفصيل يهودي أيضاً. وعاد الوصي السابق عبد الإله من عمان، وهرب الكيلاني وأنصاره إلى المانيا. وتشكلت حكومة جديدة بزعامة نوري السعيد. الذي عمل على تصفية العناصر الوطنية، فأعدم الكثيرين من الشباب والضباط دون محاكمة. وخضع العراق لوطأة احتلال شديدة وأصبحت أراضيه كلها مفتوحة للجيوش الانكليزية. وكانت سنوات الحرب كلها سنوات إرهاب وظلم على الشعب العراقي فزج بالأحرار إلى السجون، وكان كل من أيد الثورة أو تعاطف معها يلقى في السجن دون محاكمة، وقد بقوا في السجن مدة الحرب. وأصبحت البلاد كلها خاضعة للنفوذ الانكليزي. وقضى على الضباط الأحرار. وبرز أنصار بريطانيا وعملاؤها في العراق وتحكموا في مقدرات البلاد التي أخضعوها للنفوذ الانكليزي.

والحقيقة أن ثورة رشيد عالي الكيلاني كانت حركة وطنهية تهدف إلى تخليص العراق من براثن الاستعمار البريطاني وتعمل على استقلاله.

شهد العراق بعد الحرب العالمية الثانية توالي عددٍ من الوزارات على الحكم، وكانت هذه الوزارات تتألف في الغالب من جماعة من الساسة المحترفين، ومن أصحاب الأراضي الواسعة وكبار التجار. ولم تكن الحكومة في معظم الأحيان خاضعة لسيطرة مجلس النواب، بل كانت الحكومة على العكس من ذلك هي التي «تصنع» مجلس النواب، إذ تعمل الترشيحات لعضوية المجلس بحيث تشمل أسماء رؤساء الوزارات السابقين جميعهم، الوزراء الذين تولوا الوزاراة أكثر من مرتين جميعاً، وأصحاب الحرف الحرة ورؤساء القبائل، وتبلغ نسبة هؤلاء في المجالس النيابية ٦٠٪ من أعضائها. أما باقي الأعضاء فيتوقف أمرهم في الغالب على إدارة الوزارة الموجودة في الحكم. ولكن هذا الوضع لم يمنع الراغبين في شق

طريقهم إلى المجلس من ترشيح أنفسهم، كما أنه ليس من عائق في وجه تكوين الأحزاب السياسية واشتراك بعض ممثليها في الانتخابات.

وعلى العموم فمنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية وانتصار الحلفاء، رأت بريطانيا والوصي عبد الإله بأن يخفف من القسوة على الشعب، ويمنحه نوعا من الحرية بعد مدة قاسية من الكبت، فأعلن الوصي عبد الإله عن عزم الحكومة العراقية على إطـلاق الحريات العامة والسماح بتأليف الأحزاب، والجميعات السياسية، والسير بسياسة البلاد على أسس ديمقراطيةٍ صحيحةٍ وعلى الأثر ظهرت بعض الأحزاب الجديدة من أهمها: حزب الاستقلال، وحزب الأحرار، والحزب الوطني الديمقراطي، وحزب الشعب، حزب الاتحاد الوطني، ودعا معظمها إلى الوحدة في شكل اتحاد عربي، واتفقت معظمها في التأكيد على ضرورة الاصلاح الزراعي، والعمالي، والاجتماعي. وكان بعضها ضد الشيوعية (الاستقلال والأحرار). وكانت هناك أحزاب أخرى ممنوعة (حزب التحرير الوطني) وهو حزب شيوعى، وحزب البعث الاشتراكي. ولكن هذه الأحزاب جميعها ذابت أمام طريقة الحكم العراقي الذي يسيطر عليه الوصي عبد الإله، ونورى السعيد في معظم الأحيان.

وشـارك العـراق في تأسيس الجامعة العربية، وأصبح عضوا فيها، كما عقد معاهدةً مع الأردن ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) رغم اعتراض الشعب عليها ممثلا في الأحزاب، وأصبحت هذه المعاهدة نواة الاتحاد الهاشمي الذي أسس فيما بعد، كما عقد معاهدة صداقة مع تركيا في العام نفسه انتقدتها القوى الوطنية. وأخيرا ونظرا لاستقلال سوريا ولبنان وتحررهما من التبعية الأجنبية رغب العراق في تعديل المعاهـدة بينـه وبـين بريطانيا فجـرت مفـاوضـات بينهـما منذ عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م)، واستمرت في العام الذي تلا ذلك وانتهت بتوقيع معاهدة بورتسموث ٢ في ذي الحجة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨م، والتي تنص على التحالف الدواعي إذا تعرضت إحداهما إلى الخطر، وتلغي المعاهدات السابقة جميعا، ويوافق العراق فيها على تقديم التسهيلات للجيوش البريطانية على أرضه، وعلى اقامة قواعد جوية تساعد على الدفاع وعلى حفظ الأمن الدولي، وتكون نفقة القوات التي تحمي قاعـدتي الحبانية والشعيبة الجويتين على عاتق الحكومة العراقية. ومدة المعاهدة عشرون سنة. وتسمى أحيانا معاهدة صالح (جبر - بيفن).

وقـد هب الشعب العراقي كافةً عندما تلقى الخبر بتوقيع المعاهدة، فقامت المظاهرات، واصطدم الشعب بالشرطة، ووقع الكثير من القتلى والجرحى، مما اضطر الوصي أن يصدر بياناً بإلغاء المعاهدة، وأنه لن يبرم أي اتفاق إلا بعد عرضـه على ممثـلى الشعب، واضطر رئيس الوزراة صالح جبر الذي وقع على المعـاهـدة إلى الاستقـالـة. وشكـل محمـد الصدر وزارة جديد ألغت المعاهدة ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م)، وظلت معاهدة ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) سارية المفعول.

وازدادت نقمة الشعب وغليانه بشأن حرب فلسطين والتي اشترك فيها الجيش العراقي، وكثرت المعارضة لدور الجيش العراقي ومؤازرته للجيش الأردني فعمدت الحكومة إلى حل الأحزاب وإغلاق مكاتبها، وكانت الطريقة في الحكم قاسية تسحق الحريات والمعارضة، ومع ذلك استمر الشعب في القيام بدوره في معارضة الحكومة، واغتنام كل فرصة سانحة للتعبير عن شعوره، فهب الشعب العراقي في انتفاضته العارمة ١٣٧١ هـ (١٩٥١ م) متأثرا بالأحداث الدولية (حركة مصدق وتأميم النفط في إيران)، وكانت مطالبة الشعب بهدفٍ تعديل قانون الانتخاب، وإصلاح أحوال الشعب، والسير على أسس ديمقراطية صحيحة في الحكم. ولكن الحكومة استخدمت الجيش لأول مرة للقضاء على هذه الانتفاضه وزجت بالأحرار في السجون.

وفي عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م) توج فيصل الثاني ملكاً على البلاد، فلم تستفد البلاد شيئا من التغير السياسي لأن خاله الوصى عبد الإله ونورى السعيد ظلا يحركان الأحداث ويوجهانها كما كانا من قبل، فلم يكن للملك فيصل أي دور للتأثير أو لاحداث تغيير سياسي وفق أهداف ومتطلبات الشعب.

ولجأ رئيس الوزراء نورى السعيد في عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م) إلى التضييق على الحريات مرة أخرى، فأغلق الأحزاب والجمعيات والنوادى السياسية وكمم الأفواه، وزاد من قبضته على الشعب تمهيدا لعقد حلف بغداد، ونجح بالفعل في توقيع حلف بغداد عام ١٣٧٤ هـ (١٩٥٥ م) والذي وقعته كل من تركيا، والعراق، وإيران، وبريطانيا، وكانت الولايات المتحدة عضواً مراقباً، وهي التي عملت على تكـوينـه في سلسلة الأحـلاف التي يطوق بها الغرب دولة الاتحاد السوفيتى. ورفضت بقية الدول العربية الدخول في الحلف. وكان الحلف يهدف

في الـواقع إلى حماية المصالح الغربية في منطقة الخليج العربي. واستغل نورى السعيد هذا الحلف في القضاء على خصومه السياسيين وقمع الحركة الوطنية في العراق تحت ستار مكافحة الشيوعية.

وإزاء موقف نورى السعيد المتخاذل والمعادى لمصر إبان العدوان الثلاثى في عام ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م)، اتحـدت الأحزاب العراقية جميعها في جبهة وطنية (حـزب الاستقـلال، الحـزب الـوطنى الـديمقراطي، الجبهة الشعبية، الحزب الشيوعي، حزب البعث العربي الاشتراكي) وقررت اتباع نظام العمل السري. كما أخذت النقمة تزداد في الجيش وفي صفوف الضباط الوطنيين، ولاسيما بعد نكبة فلسطين، فبدأت نواة اللجان الثورية تتكون في الجيش منذ عام ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م). وقد كان لهذه اللجان صلة بالجبهة الوطنية. وكان تطور الأحداث في الشرق العربي يقيم الكثير من التناقض بين سياسة الحكام في العراق وبين حكام باقي دول المنطقة.

وقد بلغت نقمة الشعب أوجها في عام ١٣٧٨ هـ (١٥٩٨ م) إثر قيام الوحدة بين مصر وسوريا وتكوين دولة الجمهورية العربية المتحدة، فحاولت حكومة نورى السعيد امتصاص نقمة الشعب العراقي وتطويق ذلك الحدث، وتخفيف أثره بايجاد اتحاد بين العراق والأردن، إلا أن هذه المناورة في امتصاص النقمة المتزايدة أخذت تتزايد يوما بعد يوم حتى انفجرت في ثورة ٢٧ ذي الحجة ١٣٧٧ هـ (١٤ تموز ١٩٥٨ م) عندما تحرك الجيش العراقي لنجدة الأردن بسبب أحداث لبنان في ذلك العام، فاتجهت قوات الجيش إلى بغداد واستولت على دار الإذاعة وهب الشعب كافـة للقضاء على أعوان نورى السعيد، فانهت هذه الثورة الحكم الملكي في العراق، وقتل الملك والوصى ونورى السعيد وعدد آخر من الوزراء وقادة الجيش. وأعلن عن قيام النظام الجمهوري. وأصبح عبد الكريم قاسم رئيسا للحكومة وقائدا عاما للجيش وعين نائبه عبد السلام عارف وزيرا للداخلية.

وتحـرر العـراق من آخر روابطه مع انكلترا ومع الغرب والقواعد العسكرية وحلف بغداد. وعمل قادة العهد الجمهوري على الاتصال بالجمهورية العربية المتحدة لاقامة حلف دفاعى معها، والاشتراك في دولة الوحدة. ولكن عبد الكريم قاسم كان يعمل على الانفراد بالسلطة، وقد استطاع إبعاد زميله عبد السلام

عارف عن الحكم، وبقى يحكم البلاد خمس سنوات حكماً فردياً مطلقا تميزت أيام حكمه بالأعمال العمرانية، وتطبيق الإصلاح الزراعي وضرب كبار الملاك، وبعدم الاعتماد على جماعة معينةٍ فبعد أن اعتمد على الشيوعيين عاد فتنكر لهم ثم نكل بالذين ينادون، وسمح للأحزاب بالنشاط، ثم منعها حسب أهوائه، كما كان مترددا في سياسته مع الأكراد فبعد أن أعطاهم الامتيازات عاد فاصطدم بهم مما أدى إلى قيام الثورة الكردية منذ عام ١٣٨١ هـ (١٩٦١ م).

وتميزت سياسته الخارجية بعد أزمات مع الدولة العربية خاصة، كان من بينها الأزمة التي أثارها مع الكويت عند استقلاله، فقد اعترف بهذ الاستقلال في ٤ محرم ١٣٨١ هـ، ثم عاد بعد خمسة أيام فطالب بضم الكويت للعراق فورا، وإلحاقه بلواء البصرة وهدد باحتلاله. وقد أثار ذلك أزمة دوليةً رفعت إلى مجلس الأمن واستدعت نزول القوات البريطانية في الكويت، ولكن مجلس الجامعة العربية قرر بعد أسبوعين (٢٥ محرم ١٣٨١ - يوليو ١٩٦١م) بالمطالبة بسحب القوات البريطانية وإحلال دعم عسكري عربي محلها ومطالبة العراق باتباع الطرق السلمية في علاقته مع الكويت، وتأييد عضويته للجامعة العربية وللأمم المتحدة. وقد عزلت هذه الأزمة العراق عن باقى الدول العربية، خاصة بعد انسحاب عبد الكريم قاسم من الجامعة العربية.

أدت هذه العزلة الخارجية مع اتباع الدكتاتورية في الداخل إلى قيام انقلاب أطاح بعبد الكريم قاسم في ١٤ رمضان ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م). وتسلم الحكم من بعده زميله عبد السلام عارف بالتعاون مع حزب البعث العربي الاشتراكي، ولكنه مالبث أن تخلص من هذا الحزب بعد ثمانية أشهر من الحكم واستمر في الرئاسة حتى سقطت به الطائرة في البصرة في ذي الحجة من عام ١٣٨٥، فتسلم رئاسة الجمهورية أخوه عبدالرحمن عارف الذي استمر في الحكم حتى قام ضده عبدالرزاق النايف لمدة أحد عشر يوماً فقط، ثم استطاع حزب البعث العربي الاشتراكي أن يقوم بانقلاب عسكري عليه منتصف عام ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م)، وتسلم الحزب حكم البلاد وصارت رئاسة الجمهورية للفريق أحمد حسن البكر، وفي عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) تنازل عن رئاسة الجمهورية وخلفه الرئيس صدام حسين. ويسير العراق في خطة تنميةٍ متكاملة للسير بالبلاد نحو طريق أفضل حسب رأي الحزب الحاكم.

وأهم المشكلات التي واجهت العراق في هذه الآونة هي المشكلة الكردية. وهذه المشكلة قديمة ثارت أكثر من مرة في العهد الملكي، وأخمدت حركاتها. وأصحابهاهم أكراد مسلمون سنيون يبلغون ١٦٪ من سكان العراق، وعددهم أكثر من مليونين بقليل، ويسكنون المنطقة الجبلية الشمالية الشرقية، ويرغبون في تحقيق نوع من الاستقلال الذاتي. وكان الانكليز هم الذين استقدموا أعدادا منهم من تركيا بعد ضربهم هناك فزاد عددهم، وبرز بينهم الملا مصطفى البرزاني. وقد ثار الأكراد في عهد عبد الكريم قاسم بقيادة الملا مصطفي البرزاني، واستنزفت الأعمال العسكرية بين الأكراد والجيش العراق الكثير من الضحايا والنفقات، وقد انتهت الثورة باتفاق في اليوم الثاني من مطلع عام ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م)، وقد أعطى هذا الأتفاق الأكراد عدداً من المناصب الوزارية ونائبا لرئيس الجمهورية، وإدارة ذاتية في مناطقهم، الا أن الأكراد عادوا إلى الثورة مع زيادة الدعوة إلى العربية إذ يرون فيها تهديداً لهم وإذابة لشخصيتهم الأمر الذي دعاهم إلى إظهار شخصيتهم ومحـاولـة التأكيد عليها، وقد استغلت الدول الأجنبية هذا الجانب فكانت تحركهم ضد إيران من العراق ومن العراق ضد ايران وهكذا. وعندما التقى الـرئيس صدام حسين مع الشاه رضا بهلوي في الجزائر عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) اتفقا على حل مشكلة شط العرب، وتنازل العراق عن بعض مطالبه مقابل كف إيران عن مساعدتها للأكراد لإضعاف شأن حركتهم. وبالفعل فقد توقفت الثورة نهائيا وخرج الملا مصطفى البرزاني وذهب إلى أمريكا وظل هناك حتى توفي في عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م). وواجه العراق في عهد الرئيس صدام حسين أزمات كثيرة منها حرب إيران التي استمرت ثماني سنوات واحتلال الكويت في عام ١٩٩٠/٨/٢م وما نتج عنها من حرب الخليج وفرض عقوبات اقتصادية وسياسية وعسكرية على العراق.

٤ ـــ تركيـــا

تمتد في شمال بلاد الشام شبه جزيرة الأناضول التي تقع بين البحر الأبيض المتوسط وبحر إيجه والبحر الأسود من جهات الجنوب الغربي والغرب والشمال، وتتصل بالعراق من الجنوب الشرقي، وبإيران وأرمينيا وجورجيا من جهة الشرق.

وهي منطقة تزيد مساحتها على ٧٥٦٫٩٥٣ كيلو متراً مربعاً، كما يرتبط بها جزء من البر الأوربى يعرف باسم «تراقيا»، تبلغ مساحته ٢٣٫٦٢٣ كيلو متراً، بذا تكون مساحة تركيا ٧٨٠٫٥٧٦ كيلو متراً مربعاً. ويفصل بين الجزأين مضائق تعد ذات أهمية بالغة، وهي البوسفور الذي تقع عليه مدينة «استانبول»، ويبلغ عرضه في أضيق نقـطة منـه (١٠٠٠ م)، وبحر مرمرة، ومضيق الدردنيل، وهو أكثر امتداداً من البوسفور وأكثر عرضاً.

تتألف شبه جزيرة الأناضول من هضبة يصل معدل ارتفاعها إلى ١٠٠٠م تحيط بها سلاسل جبلية مرتفعة، ففي الشمال جبال «البونت» التي ترتفع كلما اتجهنا شرقاً، ويصل ارتفاعها إلى ٣٩١٠ م، وتميل بشدة نحو البحر الأسود، وفي الغرب المرتفعات الإيجية التي تصل إلى ارتفاع ٢٣١٢ م، وفي الجنوب جبال طوروس التي ترتفع كجدارٍ عالٍ يمتد وراء ساحل البحر الأبيض المتوسط، ويصل ارتفاعها إلى ٣٩١٦ م، وتأخذ اتجاهاً شمالياً شرقياً، وتشكل في الشرق عقدة جبلية هي هضبة أرمينيا وترتفع جبال أرارات إلى ٥٠٦٥م، وتوجد في الهضبة بحيرات كثيرة تختلف في اتساعها وارتفاعها، بعضها عذب وبعضها الآخر مالح.

تكون المنطقة الجنوبية الغربية من البلاد متوسطية المناخ فصيفها حار جاف، وشتـاؤها دافىء مطير، وتقوم فيها زراعة الحبوب والعنب والزيتون والحمضيات والقطن. أما المنطقة الشمالية فهي معتدلة المناخ وتهطل فيها الأمطار شتاء، ولكن صيفها لايخلو من مطر بسبب وجود البحر الأسود، وتعد من أشهر مناطق إنتاج التبـغ. أمـا داخل البلاد فقاري جاف قبيل الأمطار، ويشتد البرد في المناطق الشرقية وتكسو الثلوج المرتفعات التي تغذى الأنهار عند ذوبانها في مطلع الصيف. وتنحدر الأنهار من الجبال نحو البحار، ومن المنطقة الشرقية تجرى مياه دجلة والفرات.

ونتيجة لطبيعة البلاد فإن مدنها المهمة هي التي تشرف على البحار، مثل: استانبول أكبر المدن وأشهرها وأعرقها، كانت العاصمة عشرات القرون. وأزمير، وصامسون وغيرها، أما مدن الداخل فهي قلاع حصينة تحف بها المرتفعات، أو تقع على ذراها أرضروم، وديار بكر، وأنقرة، وما كان منها مفتوحاً، ويقع في منطقة منبسطة فهي محصنة بأسوار وقلاع مثل قونية.

لمحــة تاريخيــة :

لقـد قامت مدنيات على أرض تركية من القـديم، ومنهـا ماأشـاده الحثيون ٢٢٢٢-١٨٢٢ قبل الهجرة، وكانت عاصمتهم مدينة «كركميش» على نهر الفرات قرب الحدود السورية اليوم، قريباً من مدينة «طرابلس» السورية، وانتقلوا إليها من حاضرتهم الأولى بالقرب من موقع «أنقرة» لأن خصومهم كانوا في الجنوب، وهم المصريون الذين وقعوا في صراع معهم على الأرض السورية، ثم ضعف أمـرهم، وانقسمت دولتهم، وغـزا اليونـانيون البلاد، ثم تقدم الإيرانيون عام ١١٦٨ قبل الهجرة، ثم جاء الأغريق بقيادة الاسكندر الكبير المقدوني عام ٩٥٦ قبل الهجرة، وبعد ذلك قامت الدولة الرومانية فجرت الحروب الكثيرة بين الرومان والفـرس. وفي عام ٢٩٢ قبـل الهجرة اتخذ قسطنطين عاصمة على البوسفور، وحملت هذه المدينة الجديدة اسم «قسطنطينية» وغدت حاضرة الروم البيزنطيين بعد أن انقسمت الـدولـة الـرومانية إلى غربية وشرقية، وتجزأت الديانة النصرانية، وأصبحت القسطنطينية مركز النصارى الأرثوذكس. واستمر الصراع بين البيزنطيين والفرس، وكانت الحروب بين مدٍ وجزر تارة ينتصر البيزنطيون ويتقدمون نحو الشرق، ثم لاتلبث أن تعود القوة للفرس ويدحرون البيزنطيين نحو الغرب. وكانت النصرانية قد أخذت الطريق نحو الرومان فاعتنقها الامبراطور، وفرضها على الشعب بالقوة فأخذها اسماً، وبقيت كل العادات وثنية، فحملت العقيدة الجديدة اسم النصرانية ولكنها ظلت في الواقع وثنية. وعندما انتشر الإسلام في جزيرة العرب كان الفرس في حالة انتصار، ثم لم يلبث أن عاد النصر إلى جانب البيزنطيين، وهزم الفرس.

وتحركت جيوش الإسلام نحو الشمال، وفتحت بلاد الشام بإمرة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، وكانت من قبل تتبع البيزنطيين، وكان الصراع بين الطرفين في البر والبحر ففي البر استولى المسلمون على القسم الشرقي من الأناضول، وغـدت جبـال طوروس حداً فاصـلا بين الجانبين، وفي البحر غزا المسلمون القسطنطينية أيام الأمويين عدة مرات، وفتحوا قبرص وكريت ورودوس، وبقي الوضع في هذه الجبهة على هذا الشكل مدة طويلة من الزمن.

وفي العصر العباسي وطّن الخلفـاء أقسـامـاً من جيش خراسان في المناطق

الأناضولية الخاضعة لهم، وكان الخليفة المهدي يستقدم الأتراك من فرغانة [٤٧] وبلخ[٤٨] ويسكنهم في الثغور الواقعة على جبال طوروس أو عند أقدامها مثل: طرســوس، وأضنة، ومرعش، وملاطية، وآمد، وخلاط، وقاليقاد، والمصيصة، وعين زربة، وزاد عدد الترك في هذه المناطق في عهد المأمون والمعتصم، وأصبح الترك في عهد المتوكل يتولون إمرة هذه الثغور وحمايتها.

وفي عهد الدويلات التي انفصلت عن الدولة العباسية غدت هذه الثغور تحت حمايتها مثل الطولونيين والحمدانيين، وكانت الحروب سجالاً بين الطرفين، وإن بدا الضعف يظهـر على الحمدانيين أيام سيف الدولة فكان الروم يصلون الى حلب، ويحاصرون الحمدانيين في قلعتها على غير ماترويه الكتب التاريخية التي تعطي هؤلاء الحمدانيين الشيعة صورة أكبر من واقعهم بكثير. ومع ضعف الدولة العباسية التي عادت حماية الثغور على كاهلها بعد زوال دولة الحمدانيين الشيعة ضعفت جيوش الثغور، واندحر المسلمون قليلاً، إلا أنه في هذا الوقت كانت جموع من الترك «الطوغوز أوغوز» تصل إلى الأناضول بعد أن تعتنق الإسلام وتجابه البيزنطيين وهم في عنفوان انتصاراتهم فتهزمهم، وقد استطاعت الانتصار عليهم عام ٤٦٣ هـ في معركة «ملازكرت» الشهيرة، ثم دحرتهم من آسيا الصغرى كلها، وأصبحت سادة جنوب غربي آسيا، ثم سيطرت على الدولة العباسية، وقد عرف هؤلاء الـترك باسم السلاجقة، وإذا استطاع الروم أن يسترجعوا المناطق الساحلية إلا أن أقدام السلاجقة قد توطدت في الداخل، وكانت مدينة (قونية) حاضرتهم، وعرف هذا القسم من السلاجقة باسم سلاجقة الروم، وكانت تفدهم قبائل تركية بين مدة وأخرى.

كانت أوربا توجه عنايتها الكبرى لضرب المسلمين في الأندلس، وتعتقد أن البيزنطيين يكفونها الجبهة الشرقية إلا أن أوربا قد خاب أملها إذ هزم النصارى الأسبان في الأندلس أمام يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين الذي انتقل من البر الإفريقي إلى الأندلس لمساعدة المسلمين هناك، وذلك عام ٤٧٩ هـ وذلك في

---

(٤٧) فرغانة: من بلاد ماوراء النهر، وهى اليوم في جمهورية قيرغيزيا التي تخضع للسيارة الروسية.

(٤٨) بلخ: مدينة من بلاد خراسان وتقع اليوم في دولة أفغانستان.

معركة (الزلاقة) الشهيرة، وفي الوقت نفسه هزم الروم أمام السلاجقة المسلمين عام ٤٦٣ هـ .

ادعى نصارى أوربا أن السلاجقة يسيئون معاملة النصارى الذي يفدون الى المشرق لزيارة بيت المقدس، واتجه الصليبيون إلى المشرق، وفي طريقهم احتلوا أجـزاء من سواحـل الأنـاضـول، كما قامت دولة في كيليكيا يحكمها النصارى الأرمن، إلا أن غزو الصليبيين لمدينة القسطنطينية جعل النصارى ينقسمون إلى لاتين واغريق، ويقع الخلاف بين الطرفين، وأخيراً طرد الصليبيون من المشرق.

كان عدد الأتراك يزداد باستمرار في الأناضول على حين يتناقص عدد النصارى وخاصة في الريف، وأجلى السلاجقة النصارى من المناطق الداخلية إلى السواحل إذ لاحظوا تعاوناً كبيراً بين الروم النصارى والصليبيين أثناء هجومهم. وانقسم السـلاجقة إلى عدة إمارات تجاهد البيزنطيين، كما توجد إمارات غير سلجوقية ولكنها تحت حمايتهم تقوم بالمهمة نفسها.

وفـرت قبـائل تركية وثنية أمام التقدم المغولي، واستوطنت بلاد الأناضول، واعتنقت الإسلام، وشكل دولة بني عثمان التي تعود إلى أميرها عثمان بن أرطغول الذي اتخاذ مدينة (قرة حصار) قاعدة له، واستقل بعد مداهمة المغول للسلاجقة، وأصبح ملاذاً للكثير من المسلمين الذين يفرون من وجه التتار، وخاصةً أنه أول من اعتنق الإسلام من أمراء قومه، ولهذا انتسب إليه الخلفاء من بعده دلالة على ارتباطهم بالإسلام وليس بالعصبية، وتوفي عام ٧٢٧ هـ ، وكان خلفاؤه من بعده قد أخـذوا على عاتقهم جهاد البيزنطيين، وانتقلوا إلى أوربا عن طريق مضيق الدردنيل وغيّروا بذلك طريق الغزوات السابقة التي كانت تتخذ طريق البوسفور والقسطنطينية فتتوقف لحصانة المدينة ومتانة أسوارها.

وتقدم العثمانيون في أوربا وفتحوا مناطق واسعة، ثم هُزموا أمام تيمورلنك، وأسر سلطانهم (بايزيد)، وكادت الريح تعصف بدولتهم إلا أن محمد الأول بن بايزيد قد تمكن من إعادة توحيد البلاد، وأخيراً تمكّن حفيده محمد الثاني من فتح مدينة القسطنطينية عام ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣م، وغدا اسمها (إسلام بول) ويطلق عليها (استانبول) أي مدينة الإسلام، وكان لهذا الفتح أثر عظيم حتى عدّ نهاية العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة، ومن هذه المرحلة تدخل دراستنا لتركيا

بشكل مفصل إلا أن دراسة الدولة العثمانية قد جاءت مفصلة وفيها الكثير من الإطناب لذا نفضل إعطاء لمحة فقط عنها حتى زوال دولة بني عثمان.

وتمكّن السلطان سليم حفيد محمد الفاتح من دخول البلاد العربية، والوقوف في وجه البرتغاليين الذي أرادوا حرباً صليبية واضحة، وتقدموا من جهة الجنوب، فدحلوا عدن، واحتلوا مناطق الخليج العربي، كما استطاعوا بمساعدة الأحباش دخول البحر الأحمر، كمـا استطـاع العثمانيون من دحر الفرس الشيعة الذين اتخذهم البرتغاليون مطيةً لهم، وتعاونوا معغهم مستغلين الخلاف بين العثمانيين السنـة والفـرس الشيعة، وماقام به السلطان سليم الأول أكمله ابنه السلطان سليمان الذي وقف بعنف أمام البرتغاليين، ودعم سلطان المسلمين في الهند الذي غزاهم البرتغاليون أيضاً، وأتم ضم البلاد العربية إلى دولته وذلك بغية توحيد المسلمين في دولةٍ واحدةٍ قويةٍ، تقف في وجه الاستعمار الصليبي الجديد، إلا أن الصليبيين الأسبان والبرتغاليين قد تمكنوا من طرد المسلمين في الأندلس وقاموا يلاحقونهم في مختلف الجهات، وظهر الاستعمار الصليبي، ولم يشتد ساعد بني عثمان بعد، إذ خرج المسلمون من الأندلس قبل تولي السلطان سليم الحكم بعشرين عاما تقريباً، وإذا كان الهجوم الصليبي قد حمل اسم الاستعمار بسبب المنافسة الاقتصادية إلا أن الوجه الصليبي لم يختف أبداً.

كانت أوربا النصرانية بدولها المختلفة تقف في وجه الدولة العثمانية المسلمة، وتحرص على إخراجها من أوربا الشرقية واقتطاع أجزائها، وإذا كانت دول أوربا تختلف فيما بينها ويتنافس بعضها مع بعض في سبيل امتداد نفوذها، واقتطاع أجزاء من الدولة العثمانية، وأخذها الخيرات والأسلاب، إلا أنها كانت تتفق في وقوفها في وجه العثمانيين، ولو أنها تبدو في منافساتها أن بعضها يدعم العثمانيين، وتلتقي أيضاً دول أوربا الغربية بعضها مع بعض ضد مصالح روسيا التي تنافس أوربا، وتحرص أن تصل إلى المياه الحرة لتنازع الدول الغربية في الحصول على المستعمرات، ومدّ النفوذ واستغلال الأراضي والسكان، ولكن روسيا لايمكن أن ينتهي صراعها مع العثمانيين أبداً مادامو يحملون العقيدة الإسلامية، وإن كانت ترى مرحلياً أنها تريد العودة إلى القسطنطينية، وإعادة مقر الكنيسة الأرثوذكسية إليهـا، والذي انتقل إلى موسكو بعد فتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح،

والسيطرة على المضائق للوصول إلى المياه الحرة، ومن ناحية ثالثة ترى تحطيم القوة العثمانية العسكـرية التي تدعم الشراكسة في ققفاسيا والتتار في القرم وحوض الفولغا، إذ كان التتار يحكمون روسيا وهم من المسلمين، وهم والعثمانيون أبناء عمومة فكلاهما إخوة سواء من حيث العقيدة أو الجنس، وكان أحدهما يحكم روسيا فالثاني يتحمل الوزر ويجب النيل منه. ولم تتغير سياسة روسيا على مدى التاريخ سواء أكان حكامها من القياصرة أم من الشيوعيين. وإن الخلاف الذي كان بين روسيا ودول أوربـا الغربية هو الذي مدّ بعمر الدولة العثمانية بعض الزمن.

ويضـطر سلاطين بني عثمان إلى أن يوقعوا بعض المعاهدات مع أعدائهم ويتنازلوا فيها عن بعض أجزاء من بلادهم، ويوافقوا على أن يكون للنصارى وضع خاص يختلف عن المسلمين، وسمح لهم بالتقاضي أمام محاكم خاصة غالباً ماتكون قاعاتها داخل سفارات الدول الأجنبية، ويسمح لهم أيضاً بفتح مدارس خاصة تدرس مناهج خاصة وكثيراً ماتكون موجهةً ضد الدولة العثمانية، وإظهار الدول الأجنبية بمظهر القوة والعدالة والحضارة والانسانية، وكانت هذه المدارس تعد مراكز للتخريب ومعاهد لتخريج المتفرنجين وأصحاب الأفكار المعادية.

وفي الوقت نفسه استطاعت الدول الأجنبية الاتصال برجالات من الشعب، وحرضتهم علـى الثورة ضد العثمانيين والعمل ضد المسلمين، وخاصة الأقليات الـدينية مثـل النصيرية والنصارى والدروز، وكذلك أصحاب الزعامات وقطاع الـطرق وذوو المصـالح والأهواء، وأمدتهم بكل عوامل القوة، وحركتهم للقيام بأعمال التخريب والثوارت ووصفتهم بأنهم قاموا على الفساد والتأخر والرجعية، ونعتتهم برجال الوطن ومخلصيه لأنهم اتصلوا بالغرب وعملوا على إنهاض بلادهم وتحريرها، ولايزال هذا النعت قائماً إلى اليوم على الرغم من تغير الظروف وتبدّل الأوضاع وإنتشار الوعي، ففخر الدين المعني لاتزال الكتب المدرسية تأخذ مما كتب عنه الغرب، وتعطيه صفات الوطنية والرجولة لابصفته الدرزية واتصاله بايطالية وعمالته لها فقط، ولكن لهذه الصفات دون ذكرها لأنه وقف ضد الدولة العثمانية، واستطاع السيطرة على لبنان مدة من الزمن ليست بالقصيرة، وكذلك بشير الشهابي الذي لايختلف عن الأول من ناحية العقيدة والارتباط والعمل ضد المسلمين،

وظاهر العمر الذي حكم شمال فلسطين بماله من قوة وأنصار من قطاع الطرق وعمـل ضد العثـمانيين، وهؤلاء وأمثالهم يفخر بهم دعاة القومية ويعدونهم من رجالات الحركة الوطنية.

وفي أواخر عهد الدولة العثمانية زاد ضعفها، إذ بدأت الدول الأوربية تدعم الحركات التي تقوم ضد العثمانيين علناً، وبدأت الفكرة القومية تبرز في كل مكان تحت تأثير النصارى الذين لادعوة لهم سواها وسط المجتمع الإسلامي، وليكون لهم دور في البيئة التي يعيشون فيها حسب المخطط الذي رسم لهم، واستفاد النصارى من دعوتهم هذه فضمنوا إليها الأقليات التي كانت تتحرك باشارات الدول الأجنبية، ولعل ذلك اتضح منذ حرب الأماكن المقدسة عام ١٢٧٤ هـ (١٨٥٦ م) وماتلاها من أحداث عام ١٢٧٨ هـ (١٨٦٠ م) التي جرت في بقية أجـزاء بلاد الشام، واستغلت هذه الأقليات كل الوسائل لكسب الشباب من أبنائها، وحتى من المسلمين فاتخذت الجنس والمال والمركز وسيلة في سبيل تحقيق أهدافها.

وجاء دور اليهود في التهديم، واتفق هذا مع دور النصارى، فاليهود أرادوا أن يجمعـوا أشتـاتهم من مختلف أمـاكن الأرض لتكـون لهم دولة ذات شأن، ويتخلصوا من احتقار الأمم لهم لما عرف عنهم من مؤامرات واتخاذ كافة السبل في سبيل ابتزاز أموال الناس، وأنه ليس عليهم في الأميين من سبيل، كما كانوا يذبحون غير اليهود ليكون دمهم مادة يعجن بها طعامهم في أعيادهم، وكانت وجهتهم فلسـطين ويحلمـون بذلك، وكانت فلسطين تتبع الدولة العثمانية، ولم يرضـوا بغـيرهـا سواء ليبيا أم أوغنـدا اللتين عرضتا عليهم، وبذلوا إمكاناتهم الضخمة في سبيل تحقيق مآربهم، إلا أن السلطان العثماني عبدالحميد الثاني قد رفض مطالبهم وردّ إغراءاتهم، فوجهوا سهامهم غليه فادعوا أنه كان سفاكاً للدماء حتى أطلقوا عليه إسم السلطان الأحمر، كما أدعوا أن الشركسيات السبايا كانت تملأ قصوره، وأن رجالات مخابراته قد ملأت كل مكان، وأن أبناءه كانوا يترنمون برنين الذهب الذي يلقونه في مياه البوسفور، فراجت هذه الشائعات، وعملت الدوائر الأجنبية على نشرها، ولاتزال تردد، مع العلم أن الدولة العثمانية هي التي قبلت اليهود في أراضيها عندما طردوا من الأندلس مع المسلمين، وانتقل قسم

منهم إلى البلقان وأظهر عدد منهم الإسلام، وبقوا حقيقة على دينهم، يعملون ضد الدولة في الخفاء، وأطلق على هؤلاء اليهود اسم الدونمة أي المرتدون، وكان لهم دور في الحركات القومية، ومع العسكريين الذين حكموا تركيا بعد السلطان عبد الحميد الثاني.

وتمكنت القوي القومية من الانتصار على السلطان نتيجة الدعايات ضده، والعمل اليهودي بما يملك من إمكانات ضخمة ووسائل غير شريفة، والدعم الصليبي الأوربي، والحركات التي قامت في أرجاء الدولة، وكان مركز هذه القوى مدينة سالونيك في اليونان، وتحركت قوة من الجيش، واستولت على الحكم، واضطر السلطان للرضوخ لمطالبهم، وأظهر الرضا ريثما يجد الوقت المناسب، واستدار العام، وظهر للعسكريين أن السلطان ينتظر الفرصة المناسبة فاستبدلوه، وأصبح الخلفاء من بعده أداة طيعة بأيدي العسكريين ودعاة القومية ويهود الدونمة، ومن هذه المدة نستطيع أن نقول: إن الدولة أصبحت قومية تركية بعد أن كانت عثمانية إسلامية، إذ أصبح الحكم قومياً وإن بقي على رأس السلطة رجل ينتمي إلى بني عثمان يحمل اسم خليفة، ولم يكن في الواقع سوى صورة تُسيّر الأمور من ورائه ويضطر للتوقيع عليها.

تركيا الحديثـــة

اندلعت نار الحرب العالمية الأولى، ووقف الأتراك بجانب الألمان، وكان عليهم أن يجنبوا بلاددهم الحرب بسبب الأوضاع التي كانت تعيشها، الا أن تأثير الضباط الألمان الذين يعملون في الجيش التركي، وكذا المستشارون في الحكم. حال دون ذلك ومع دخول تركيا الحرب تحركت العناصر المتعددة التي منها الأقليات، وقد كانت حركتها باسم القومية ولاشك فإن مقرها بلاد الشام التي تتجمع فيها الأقليات بشكل مكثف، ومنها الفئات المعتدلة التي تريد التغيير، وكان قيامها باسم الإصلاح، وتعاونت هذه العناصر بعضها مع بعض وشكلت جبهةً واحدةً، وكان اتصالها بالحلفاء وخاصة انكلترا وفرنسا صاحبتي النفوذ في بلاد الشام لما لهما من عناصر من الأقليات، سواءً أكانت النصرانية منها التي ترغب في فرنسا أم الدرزية التي كانت على صلة بانكلترا، وذلك منذ أحداث ١٢٧٨ هـ (١٨٦٠ م) وما سبقها من اتصالات أثناء حرب الأماكن المقدسة وماتلاها فيما بعد. ولما تكن

بلاد الرافدين بعيدة التأثر والتأثير في بلاد الشام.

أما في جزيرة العرب فقد كثّفت انكلترا اتصالاتها، واقنعت الشريف حسين حاكم بلاد الحجاز بالحركة ضد الأتراك، ومنته بما كان يطمع من زيادة في النفوذ، وبخاصة أنه كان في صراعات مع ماحوله في المنطقة من زعماء، فأرسل ابنه فيصلاً ليتدخل في أمر الذين انكشف أمرهم في بلاد الشام وقدموا للمحاكمة، وهو يعلم نتيجة أمرهم، كما يعلم ماستؤدى اليه الوساطة، وذلك ليتخذ من هذا الأمر ذريعة لقيام حركته، وخدث ماكان متوقعاً، وانطلقت الشرارة الأولى لحركته في صيف ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م)، وسكت عنه خصومه في الجزيرة وتوقفت العداءات إذ أن أكثرهم واقع في الأمر نفسه، أو أن الجياد المتسابق عليها قد توقفت كلها بأمر صاحبها ليتولى أمر واحد منها مرحلياً.

أمـا بقية البلدان الإسـلامية فكـانت تخضـع بأغلبيتها للنفوذ الانكليزي أو الفرنسي أو الروسي أو الايطالي أو الهولندي، أي أنها كانت تحت سيطرة الحلفاء، وما كان متحرراً نسبياً من ذلك النفوذ فكان ذا دور ضئيل مثل افغانستان أو إيران التي تغلغل فيها آنذاك النفوذ الروسي من الشمال والانكليزي من الجنوب، ومثل اليمن التي احتل الانكليز سواحلها، وعندما وقف نجاشي الحبشة (اياسو) بجانب الأتراك، وأعلن إسلامه، قامت الكنيسة ضده، وأخيراً عزل، وألقي في السجن، ثم لقي مصرعه.

أعلن الشريـف الحسيـن بن علي الجهاد ضد الأتراك الذين كانوا قد أعلنوا الجهاد ضد الحلفاء باسم الخليفة فضاع معنى الجهاد، وانقسم المسلمون بين (أي الجهـادين)، يتبعـون، وهـذا ماأراده الحلفـاء، وتحركت الفصائل العربية نحو الشمال، وتقدمت في بلاد الشام الداخلية على حين تقدم الانكليز على المناطق الساحلية، ونزل الفرنسيون على سواحل لبنان، وتراجع الأتراك وانسحبوا من بلاد الشـام، وتوقف تقدم الحلفاء عند ذلك حسب خطة موضوعة وحسب اتفاقية سايكس ـ بيكو.

كان الحلفاء يخشون نقطتين أولاهما بقاء دولة تركية قوية والإبقاء على الخلافة التي هي عنوان تجمع المسلمين، لذا لابدّ من تحطيم ذلك بالسيطرة على أقسام من البلاد، لهذا تقدم الفرنسيون في منطقة (أضنة)، والطليان في منطقة (انطاكيا)

وكلاهما في الجنوب، واحتل اليونان منطقة (أزمير) في الغرب، وأصبحت مدينة (استانبول) وماحولها والمضايق بيد قوة من الحلفاء، وهذا الاحتلال سيبقى حتى يؤمن الحلفاء حكماً عسكرياً يستطيع أن ينفذ رغباتهم ويسير حسب مخططاتهم، وهذا ماتم على يد مصطفى كمال الذي أعلن العلمانية، وألغى الخلافة، وبدل الأبجـدية، اذ استعمـل اللاتينية عوضا عن العربية لينقطع حاضر الأمة عن ماضيها، وجعل العطلة الأسبوعية يوم الأحد عوضا عن يوم الجمعة وأمبر بلباس القبعة، وحذف المادة التي تنص على أن الدين الرسمي للدولة هو الإسلام، وأخذ بالقـانـون السـويسرى بديلاً عن مجلة الأحكـام الشرعية، ومنع الأذان باللغة العربية، ونفي آل عثمان من البلاد. وعندما خرج الحلفاء من المناطق التي كانوا يسيطرون عليها، أظهر مصطفى كمال بالمظهر الوطنى والمنقذ للبلاد، وعقدت معـاهـدة جديدة معـه هي معاهدة لوزان عام ١٣٤٢ هـ (١٩٢٤م) بدلاً من المعـاهدة السابقة التي هي معاهدة سيفر، التي أجبرت تركيا على توقيعها بعد هزيمتها عام ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) ومعاهدة أنقرة ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م). أما المنطقة الثانية التي كان الحلفاء يخشونها فهي ضعف تركيا الذي يؤدي بروسيا إلى الضغط عليها وانتهاز الفرصة للسيطرة على المضائق والوصول إلى المياه الحرة، ومنافسة الدول الغربية في هذا المجال، ولكن قيام الثورة الشيوعية في روسيا عام ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م)، وتفكك روسيا نتيجة ذلك، وقيام الثورات في وجهها كثير من المناطق واستقلال كثير من الأجزاء، كل هذا جعل الفرصة سانحة أمام الغرب ليدبر وضعه في تركيا بالشكل الذي يراه ولا يخشي القوة الروسية أبداً، وما استعاد الجيش الأحمر قوته، واستعاد الأجزاء المستقلة إلا وكان الغرب قد حلّ مشكلاته في تركيا، ومكن الوضع لمصطفى كمال، وهو الذي سحب جيشه من فلسطين وسمح للانكليز بالتقدم هناك، وسحب قواته إلى شمال حلب حسب مخطط متفق عليه.

على الرغم من هوية هذه الحركة القومية التركية الجديدة التي قادها مصطفى كمال والتي كانت معروفة باتجاها الغربي وتأثرها بالحضارة المادية الغربية، وسيرها بالخط العلماني الواضح أو المحارب للإسلام أشد الحرب، ودعم الدول الصليبية الغربية ذلك أشد الدعم، إلا أنها في الوقت نفسه كات تخشى عودته إلى الدول الإسلامية متأثراً بالحركات التي قامت في كثير من أجزاء العالم الإسلامي والتي

تؤيد عودة الخلافة، وتؤهله لزعامة العالم الإسلامي لما أصبح له من دعاية كبيرة هيئتها له دول غربي أوربا، ومع هذا كله كانت تخشاه رغم فجره وفسوقه وانحلاله فأبقت نقاط خلاف بينه وبين الدول الإسلامية المجاورة، فبقيت الموصل نقطة خلاف مع العراق ثم حلت لمصلحته العراق عام ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩ م)، وبقيت اسكنـدرونة نقطة خلاف مع سورية، ثم حلت لمصلحة تركيا عام ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) على الرغم من أن سكانها أكثريتهم من العرب، ويعدّ السوريون أصلاً منطقة كيليكيا ومزعش، وماردين، ودياربكر مناطق عربية، ويقولون: إن ذرا جبـال طوروس هي الحد الفاصل بين العرب والترك، وهي منطقة الثغور القديمة.

الحياة السياسيـــة

صرح الحلفاء ساعة إعلان الهدنة بينهم وبين تركيا أنهم غير مستعدين للتفاوض مع أنور وطلعت اللذين كانت السلطة بأيديهما، نظراً لأنهما مسؤولون عن دخول الحرب، ولكنهم يقبلون المفاوضة مع عزت باشا إذا ما عين رئيساً للوزارة، وقد ألح مصطفى كمال على تعيين عزت باشا بهذاالمنصب، وتم الأمر وفاوض الانكليز نيابة عن الحلفاء، ثم عاد الانكليز وطلبوا من السلطان عزل عزت باشا من رئاسة الوزارة إذ انتهى الغرض منه، ومضى دوره، وأتى دور غيره فتم ذلك، وعين توفيق باشا رئيسا للوزارة وهو ذو صلة وثيقة مع الانكليز. وحلّ بعد ذلك المجلس النيابي بصفته عثمانياً وليس تركياً وأنه المسؤول عن الحرب.

ثم عزل توفيق باشا من رئاسة الوزارة، وحلّ محله (الداماد) فريد باشا، وكان الخليفة كل هذه المدة سجيناً في قصره، والانكليز هم أصحاب النفوذ حيث كان المندوب السامي والقائد العام لقوات الحلفاء الجنرال (هارنغتون) هما كل شيء في تركيا. وانتقل مصطفى كمال إلى الأناضول، وكان يتظاهر بولائه للخليفة، وطلب منه الانتقال إلى قلب الأناضول، ونقل القيادة إلى هناك، وتغيير حكومة فريد باشـا. ولقـد مكنت بريطانيا اليونـان في هذه الآونـة من احتـلال أزمير ومنطقتها.

ووضعت هالـة حول مصطفى كمال، إذ نجح في إثارة مظاهرات تأييدية، وحروب وهمية سواء في (سامسون) ضد الانكليز، أم في ازمير ضد اليونان، وأخيراً

سقطت حكومة فريد باشا، وتسلم رئاسة الوزارة الجديدة علي رضا باشا وزير الحرب السابق.

وجـرت انتخـابـات نيابية، ونجـح مصطفى كمال عن أنقرة، وعقد اجتماع المجلس النيابي في استانبول، ولكن تخلف عن اللقاء نواب انقرة الذين حضروا وحدهم هناك، وجرت اضطرابات، وأجبر علي رضا على الاستقالة، وجاء لرئاسة الوزارة صالح باشا.

اعتقل الحلفاء بعض أنصار مصطفى كمال في استانبول لمدة يوم واحد، وفرضوا سيطرتهم على الخليفة والمدينة معاً، وأجبر السلطان على إظهار الطاعة، وفي الوقت نفسه انسحب الحلفاء من مناطق الأناضول تحت اسم معارك وهمية دون أن يحدث أدنى اشتباكات، وهكذا خلا قلب الأناضول من أية قوة أجنبية، وكان هناك مصطفى كمال الذي بدأ للناس عدواً لدوداً للحلفاء عامة وللانكليز خاصة، في حين بدا السلطان مؤيداً لهم، وقد حل المجلس النيابي، واستقال صالح باشا، وألف الداماد (فريد باشا) وزارة جديدة.

أجرى مصطفى كمال انتخابات جديدة في الأناضول، وأضحت أنقرة مقراً للمجلس، ونقل الموظفين والضباط وأجهزة الدولة إليها، وبدأ بإنشاء جيش جديد ودولـة تقوم على أسس جمهورية، فسيّر الخليفة حملة إلى الأناضول وأخرى إلى كردستان، وكاد يسقط مصطفى كمال إلا أن إذاعة شروط الصلح (معاهدة سيفر) واضطرار السلطان على توقيعها ورئيس الوزراء فريد باشا قد قلب رأي الناس، وأصبحوا ضد الخليفة ورئيس الوزراء، إذ كانت تجبر حكومة استانبول على التوقيع وتتحمل وزر كل شيء، وتلصق بها كل مسؤولية، وتقطف الثمرة حكومة أنقرة بادعائها المعارضة والرفض، فهزم جيش الخليفة، وانتصرت أنقرة.

دعت انكلترا لعقد مؤتمر في لندن للنظر في معاهدة سيفر، ومثل تركيا وفدان أحدهما يمثل الخليفة والثاني مصطفى كمال، وعلى الرغم من أن مصطفى كمال يبدو معارضاً لكل شيء، ولم يكن قد هزم في حرب، ولكن أصرت انكلترا على حضوره، وتكلم وفده باسم الوفدين، ولكن قرارات المؤتمر قد رفضها مصطفى كمال، وبدت الدول تريد إرضاءه فعقد مفاوضات مع فرنسا، واتفق معها على تعيين الحـدود بين تركيا وسـورية، وانسحبت فرنسا نتيجة ذلك من كيليكيا،

وتنازلت ايطاليا عن (أضاليا)، كما تنازل لروسيا عن باطوم. وجرت حرب مع اليونان انتصر فيها اليونان في البداية ثم انسحبوا فجأة فارتفعت اسهم مصطفى كمال في البلاد، وبدا أنه المنقذ الوحيد، وكان يتلقى الدعم من روسيا عبر خطوط الانكليز.

أما حكومة استانبول فلم تكن لتستطيع فعل شيء فالمدينة بيد الحلفاء، وهم يظهرون حيادهم، وتابع مصطفى كمال تقدمه في تراقيا عبر خطوط الانكليز، ثم انسحب اليونـان فجأة، وهكذا ذاع صيت مصطفى كمال، وغدا رجل البلاد الوحيد، وعقد هدنة مع اليونان في صيف ١٣٤٠ هـ . ولم يبق في البلاد سوى الانكليز.

دعيت حكـومـة استانبول وحكومة أنقرة لعقد مؤتمر في لوزان (سويسرا) في خريف عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م) من أجل عقد معاهدة صلح، ورأي مصطفى كمال الوقت مناسباً فأعلن فصل السلطة عن الخلافة، ولما لم يوافقه المجلس، أذاع الموافقة على ذلك بالإجماع من نفسه، وهدد بقتل من يعلن رفضه. وبعد خمسة أيام جرى انقلاب في استانبول بموافقة قائد قوات الحلفاء هناك، وأبعد السلطان وحيد الدين، ونودي بابن عمه عبد المجيد خليفة للمسلمين، وبعد ثلاثة أيام عقـد مؤتمـر لوزان، وحضره وفـد أنقـرة فقط، ووضـع (كرزون) رئيس الوفد الانكليزي أربعة شروط للاعتراف باستقلال تركيا وهي:

١ ــ إلغاء الخلافة الإسلامية إلغاء تاماً.
٢ ــ طرد الخليفة خارج الحدود.
٣ ــ مصادرة أموالـه.
٤ ــ إعلان علمانية الدولة[٤٩].

وعُلق نجـاح المؤتمـر على تحقيق هذه الشروط، ولكن الـوفد التركي برئاسة عصمت اينونو قد رفض ذلك وعاد، وأيده المجلس الوطني في تركيا بهذا الرفض، ولكن مصطفى كمال قرر تنفيذ ذلك، فحلّ المجلس، فاستقالت الوزارة وحدثت أزمة وزارية، وفي اليوم التالي أعلن مصطفى كمال الجمهورية التركية، وشكل

---

(٤٩) الدولة العثمانية: د. علي حسون ـ المكتب الإسلامي ـ دمشق ـ ١٤٠٠هـ.

بنفسه الوزارة بناءً على تكليف الجمعية له. وبإعلان الجمهورية انتخب مصطفى كمال رئيساً لها.

وفي ربيع ١٣٤٢ هـ دعا المجلس الوطني للاجتماع، وعرض عليه مرسوماً بطرد الخليفة، وإلغاء الخلافة، وفصل الدين عن الدولة، فاستمر النقاش عدة أيام، وفي اليوم الثالث أذيع نبأ إلغاء الخلافة والسطنة وفصل الدين عن الدولة، وفي الوقت نفسه صدر أمر إلى السلطان عبد المجيد بمغادرة البلاد، وتلا ذلك إلغاء الوظائف الدينية. وأصبحت الأوقاف ملكاً للدولة، وكان هذا كله مفاجأة للناس والنواب إذ تم برأى مصطفى كمال وحده، وهكذا حقق ماطلبه الانكليز لنجاح مؤتمر لوزان، ولم يمض سوى شهر ونصف على ذلك حتى دعي الى مؤتمر لوزان، وبعد ثلاثة أشهر وقعت المعاهدة، ونسخت معاهدة سيفر، واعترفت الدول باستقلال تركيا، وغادر الانكليز مدينة استانبول.

تفرّد مصطفى كمال بحكم البلاد بعد الغاء الخلافة الإسلامية، إذ لم يعد هناك مايقيده من شرع أو مثل، فألغى القانون الإسلامي، والأحرف العربية، وتبنى التقويم النصراني إلى جانب التقويم الهجري الإسلامي، ثم ألغى الأخير منهما وأكتفى بالأول، وترجم القرآن للتركية، وعدّة قرآناً وليس ترجمة، ومنع الحجاب، وفرض السفور، واللباس الأجنبي، وقضى على كل ماكان قديماً أو تقليدياً أو له صفة دينية، وجعل لباس العلماء خاصاً بالمساجد أما خارجها فلباسهم اللباس الأجنبي، وتبنى يوم الأحد عيداً وعطلة أسبوعية تشبهاً بالنصارى، وفرض على خطباء المساجد كيل المدح له، وتخصص الخطب للثناء على أعماله ومشروعاته، ثم أخلى جامع (أيا صوفيا) ومسجد (الفاتح)، وجعلهما متحفين، وكانت مبادىء حزبه (حزب الشعب الجمهوري) ستة هي: (القومية ـ الجمهورية ـ الشعبية ـ العلمانية ـ الثورية ـ سلطة الدولة)، وكان كل من يخالفه يختفي بصورة أو بأخرى، وحرص على أن يتخلص من الجماعات ذات الاتجاه الإسلامي، سواء أكان سلبياً أم غير ذلك من الصوفيين، فقادت الحركة النقشبندية المعارضة ضد الكماليين، وقامت بثورة عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م) في المنطقة الجنوبية الشرقية من البلاد، ثم انطلقت ثورتها الثانية عام ١٣٤٩ ه (١٩٣٠ م)، كما ظهرت الحركة التيجانية والنورية، ولكنهما لم تحملا السلاح، وإنما تبنت المعارضة بالدعوة،

وتنتمي الحركة النورية إلى بديع الزمان سعيد النورسي الذي أصدر عدداً من الكتب تحت عنوان (رسائل النور)، واستقطب حوله الكثير من الشباب، وألف (الاتحاد المحمدي)، ونصح المسؤولين والحكام ومنهم مصطفى كمال نفسه، وقد حاول مصطفى كمال استمالة النورسى والتأثير عليه فلم يفلح، فأمر بنفيه، ثم اتهمه بمؤامره لقلب نظام الحكم فأودع السجن ثم نفي ثانية، إلا أن كتبه كانت منتشرة في الأمـاكن جميعهـا، وتعـد بالنسخ باليد، ولمـاعـظم أمره، استدعي للمحاكمة ولكنها برأت ساحته، وفي عام ١٣٦٧ هـ / (١٩٤٨م) تراخت الدولة قليلاً في هجـومهـا على الحـركـات الإسـلامية، وسمحت بطباعة رسائل النور فانـتشرت بسرعـة فألـقـي الـقـبض عليه وأحـيل للمحكمـة عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٩ م)، وحكم عليه بالسجن مدة عشرين شهـراً، وفرضت عليه الإقامة الجبرية حتى توفي عام ١٣٧٩ هـ / (١٩٥٩ م).

أما من ناحية السياسة الدولية فقد رسمت حدود تركيا مع اليونان على محاذاة نهر (مـارتيزا)، وأعيدت بعض جزر بحـر إيجـه إلى اليونان، وجرى تبادل في السكـان، فغادر تركيا ١٫٣٠٠٫٠٠٠ نصراني اتجهوا إلى اليونان، وعاد بالمقابل ٤٠٠٫٠٠٠ مسلم.

أما مع العراق فقد ضمت الموصل إلى العراق عام ١٣٤٣ هـ (١٩٢٥ م)، وكانت من قبل موضع خلاف بين الدولتين، إذ انسحب منها الترك بعد وقف إطلاق النار في الحرب العالمية الأولى بين الأتراك والانكليز الذين دخلوا العراق.

ومع سورية ضم لواء اسكندرونة إلى تركيا عام ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) بعد سلخة من سورية، ودخلته القوات التركية في العام التالي ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م)، وذلك حسب اتفاق مع فرنسا التي كانت دولة منتدبة على سورية.

وبحثت الحكـومـات المتعـاقبة عن حلفاء لها مع الدول الصغرى، فوقعت معاهدة البلقان، ثم عقدت ميثاق سعد أباد مع أفغانستان وإيران والعراق.

ومـات مصطفى كمال عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م)، وانتخب مكانه مساعده

عصمت اينونو[٥٠] وكانت الحرب العالمية الثانية على الأبواب.

بدأت الحرب العالمية الثانية، ووقفت تركيا على الحياد رغم وجود عناصر رغبت في الاشتراك فيها إلى جانب الألمان، وخاصة بعد الانتصارات الألمانية التي وقعت في بداية الحرب، وعندما بدت هزيمة دول المحور وقفت تركيا بجانب الحلفاء لتحصل على بعض المنافع، إلا أن مطالب روسيا الشديدة في ضم أجزاء لها من تركيا الشرقية قد دفـع تركيا إلى الاتجـاه نحـو الغرب، فتلقت مساعدات من الولايات المتحدة عام ١٣٦٧، وجهزت أراضيها بالقواعد الأمريكية، ودعم الجيش التركي.

أعطت الحكومة شيئاً من الحرية في أعقاب الحرب العالمية الثانية فتشكل الحزب الـديمقـراطي عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) نتيجـة انشقاق حدث داخل صفوف الحزب الوحيد الحاكم (حزب الشعب الجمهوري)، وحصل الديمقراطيون على بعض النجاح في الانتخابات على الرغم من تدخل الحكومة لمصلحة مرشيحها، ونال على إثرها الديمقراطيون اضطهاداً من قبل الحكومة، فتدخل في الأمر رئيس الجمهـورية عصمت اينونو، الأمر الذي أدى إلى استقالة وزارة (رجب بكر)، وشكل (حسن سقا) وزارة جديدة، وكان أميل إلى إعطاء الحرية، وكذا الذي خلفه في الوزارة وهو (شمس الدين غونالتايا) حيث أعطى مزيداً من الحرية، فتشكل حزب آخر عام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) وهو الحزب القومي المحافظ، ولكن الحركات الشيوعية والاشتراكية قد أخمدت.

نجح الحزب الديمقراطي في الانتخابات عام ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) بسبب السياسـة العلمانية والاقتصـادية التي انتهجها حزب الشعب الجمهوري، وبعد

---

(٥٠) عصمت اينـونـو: ولد في أزمير عام ١٣٠٢هـ، وعمل ضابطاً في الجيش، وخدم في اليمن، وقاد الجيش الرابع في سورية أثناء الحرب العالمية الأولى، والضم إلى مصطفى كمال بعد الحرب، وانتخب نائباً عام ١٣٣٩هـ، ثم عين رئساً لأركان مصطفى كمال، ثم وزيراً للخارجية عام ١٣٤٠، ثم تسلم رئاسة الوزارة، وكان زعيم المعارضة مدة حكم الحـزب الـديمقـراطي ١٣٧٠-١٣٨٠، وشكـل حكـومات إئتلافية، بعد ذلك ١٣٨١-١٣٨٥، وخلفه بولاند اجاويد فيزعامة الحزب عام ١٣٩٢، وتوفي عصمت اينونو عام ١٣٩٣هـ.

الانتخـابات نجح في تسلم رئاسة الجمهورية السيد (جلال بايار[٥١])، وتسلم عدنـان منـدريس رئاسة الوزارة التي غدت في عهد الحزب الديمقراطي ذات صلاحيات واسعة، تبنىّ الديمقراطيون السياسة الأمريكية، وحصلوا على الدعم من الـولايات المتحـدة، ولكن التـدهـور الاقتصـادي أصبح واضحاً، فقويت المعارضة، وقامت الحكومة بإلغاء حزب الشعب الجمهوري، واعتقال أعضائه، ومصادرة أملاكه ومؤسساته، وفي الوقت نفسه حرصت على التقرب من المسلمين الناقمين على السياسة الكمالية سياسة حزب الشعب الجمهوري، وانحازت تركيا في هذه الأونة إلى حلف شمالي الأطلسي عام ١٣٧١ هـ (١٩٥١ م)، وعقدت اتفاقيات صداقة من كل من اليونان ويوغوسلافيا عام ١٣٦٣ هـ (١٩٥٣ م) ثم تحولت هذه الاتفـاقيات إلى حلف البلقـان عام ١٣٧٤ هـ (١٩٥٤ م)، كما انضمت إلى حلف بغداد عام ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥م).

تأسس حزب الحرية عام ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م)، والحزب القومي الجمهوري وهو حزب الشعب الجمهوري الملغى، واندمج الحزبان عام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م) مع حزب الفلاحين الجمهوري. وأدت حوادث القمع إلى خسارة الديمقراطيين في انتخابات ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م)، فادعت الحكومة أن هناك مؤامرة من تسعة ضباط وذلك عام ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م)، وزجت عدداً من الأبرياء في السجون، واضطر الحزب كما اضطر سابقه إلى التراجع عن عدائه للإسلام، إذ سمح بتلاوة القرآن الكريم في الاذاعة، وافتتاح بعض المدارس الشرعية، وأنشأ كلية الدين الإسلامي في أنقرة.

وفي ربيع عام ١٣٧٩ هـ (١٩٦٠ م) منع عصمت اينونو زعيم المعارضة من

(٥١) جلال بايار: ولد عام ١٣٠٤هـ في ضاحية من ضواحي مدينة (بورصة)، ودرس المالية والاقتصاد في مدرسة يهودية فرنسية، وعمل في مصرف الشرق الألماني، وخدم جمعية الاتحاد والترقي، وأصبح أمين عام فرع أزمير لتلك الجمعية، وبعد الحرب العالمية الأولى انضم الى حركة مصطفى كمال، وانتخب عضواً في المجلس النيابي التركي عام ١٣٣٩هـ عن مدينة أزمير، وتسلم وزارة الأعمال ١٣٤٠هـ ثم استقال من منصبه عام ١٣٤٣هـ، ثم تسلم وزارة الاقتصاد، ثم رئاسة الوزارة عام ١٣٥٦، وبعد موت مصطفى كمال انشق عن الحزب الجمهوري، وشكل الحزب الديمقراطي عام ١٣٦٦، وفاز برئاسة الجمهورية عام ١٣٧٠هـ.

دعايته الانتخابية، ولم يمض عدة أسابيع على ذلك إلا وتدخل الجيش في الأمر، ثم قلب الوضع برئاسة الجنرال (جمال غورسيل[٥٢])، وأعدم عدنان مندريس رئيس الوزراء مع وزيرين آخرين من وزرائه، وخفف حكم الإعدام عن جلال بايار لكبر سنه إلى السجن مدى الحياة، ولقد كان الجيش الأداة المنفذة لضرب النشاط الإسلامي قبل أن ينمو بسبب الخوف من العودة إلى الإسلام.

لقد وضع خمسة أشخاص مسودة دستور لتركيا، وقدمت إلى الجمعية التأسيسية فصدقت عليها في صيف ١٣٨١ هـ (١٩٦١ م) باستفتاء، ونص الدستور على تشكيل مجلسين أحدهما للشيوخ والثاني للنواب، وإجراء انتخابات بالتمثيل النسبي، وينتخب رئيس الجمهورية من قبل المجلسين. وجرت الانتخابات عام ١٣٨١ هـ (١٩٦١ م)، وانسحب الجيش من الحلبة السياسية. ونتيجة الانتخابات حصل حزب العدالة الجديد على ٣٥٪ من الأصوات ونال ١٥٨ مقعداً، وكان بزعامة الجنرال المتقاعد (راغب جومو سبالا)، وقد تأسس إثر الانقلاب العسكري عام ١٣٧٩ هـ. كما نال حزب الشعب الجمهوري ١٧٣ مقعداً وافتتح المجلس النيابي، وانتقلت السلطة إلى المدنيين، وانتخب جمال غورسيل رئيسا للجمهورية، وكان المرشح الوحيد، وكلفت عصمت اينونو زعيم حزب الشعب الجمهوري بتشكيل وزارة ائتلافية.

جرت انتخابات تكميلية عام ١٣٧٣ هـ (١٩٦٣ م) فاز فيها حزب العدالة بعدد إضافي من المقاعد فانفض الائتلاف الحكومي، وشكل عصمت اينونو حكومة أقلية من حزبه، ولكنها استقالت عام ١٣٨٤ هـ (١٩٥٦ م)، وألف بعده سعاد خيري أولغو بللو) المستقل حكومة ائتلافية من كافة الأحزاب، ولكنها لم تحكم سوى مدة قصيرة.

جرت الانتخابات العامة عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) ففاز فيها حزب العدالة، وشكل زعيم الحزب الجديد (سليمان ديميريل) حكومة حزبية، ونظراً لسوء حالة رئيس الجمهورية الصحية لذا فقد انتخب (جودت صوناي) رئيساً للجمهورية

---

(٥٢) جمال غورسيل: من ضباط مصطفى كمال القدماء، وقاتل معه في غالبيولي، ثم تسلم رئاسة الأركان أيام الحزب الديمقراطي، قام بحركته، وتسلم رئاسة الجمهورية عام ١٣٨١، وتوفي عام ١٣٩١هـ.

عام ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م). وحـاولت تركيا في هذه المـدة حل مشكـلاتها مع روسيا، ووسعت علاقـاتهـا مع بقية الدول الشيوعية، وفي الوقت نفسه وقفت بجانب الدول العربية وبدأت العلاقات بين الجانبين تسير نحو الأحسن إذ أغلق المكـتب السياحي الاسرائيلي في تركيا عام ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م)، كما ألغيت الاتفاقية التجارية التي كانت قد وقعت بين الطرفين عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م).

جرت الانتخابات العامة عام ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م) وفاز حزب العدالة فيها مرة أخرى، وعاد سليمان ديميريل إلى الوزارة من جديد إلا أن الجيش تدخل من جديد، وأقال رئيس الوزارة من منصبه مدعياً مخالفة تعليمات العسكريين، ولعـل هذا التـدخـل كان بسبب تصرفـات رئيس الوزارة مع اسرائيل والدول الشيوعية والبلدان العربية وما سبق أن ذكرنا، ومحاولته أيضاً الإفادة من القوة الإسلامية التي تعد ضربة كبيرة إلى الكماليين والأجانب الذين لايرضون عن هذه الإفادة خشية ازدياد النفوذ الإسلامي، وقد هدد الجيش حزب العدالة بحصر حق التصويت بالمتعلمين فقط، وهذا مايؤدي الى فشل الحزب الذي يلقي التأييد من المناطق الشرقية ذات النسبة المتعلمة الضئيلة وذات العاطفة الإسلامية، وقد كان هذا التهديد عام ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م).

تشكلت حكومة مستقلة برئاسة (نهاد ايريم) اشترك فيها عدد من الأحزاب منها العدالة، والجمهوري، والديمقراطي الذي أعيد تشكيله بعد انشقاق عدد من أعضاء حزب العدالة عنه إذ نقموا على زعيمه (سليمان ديميريل) بسبب إبعاد عدد من الوزراء من حكومته السابقة، وكان من هؤلاء المنشقين (فروح بوزبايلي) رئيس المجلس النيابي، ونجل عدنان مندريس، وابنة جلال بايار. ولم يلبث أن سحب حزب العدالة وزراءه فسقطت الحكومة.

انتهت مدة جودت صوناي من رئاسة الجمهورية، وحدثت أزمه في انتخاب رئيس جديد إذ رشح الجيش (فخري كورتورك)[٥٣]، ورشح حزب العدالة (تاكين

(٥٣) فخري كورتورك: رئيس الأركان التركي، زوج شقيقة عقيلة الرئيس السابق جودت صوناي، قدم استقالته من رئاسة الأركان بعد ترشيح الجيش له لرئاسة الجمهورية، وفي الـوقت نفسه قدم وزير الدفاع استقالته من منصبه ومن عضويته في مجلس الشيوخ ليفسح المجال أمام الرئيس التركي لتعيين كورتورك في مجلس الشيوخ لإمكانية ترشيحه للرئاسة لأن الدستور التركي ينص على انتخاب الرئيس من مجلس الشيوخ فقط.

اربيون)[٥٤] وجرى الانتخاب، ونجح فخري كورتورك.

جرت الانتخابـات العامة عام ١٣٩٢ هـ، ودخلها حزب جديد هو حزب السلام الوطني، وهو ذوميول إسلامية، وقد حصل على تسعة وأربعين مقعداً، بزعامة (نجم الدين أربكان)[٥٥] على حين حصل حزب الشعب الجمهوري على ١٨٩ مقعداً وحصل حزب العدالة على ١٤١ مقعدا، ونال حزب الثقة الجمهوري ١٢ مقعـدا. ولم يتمكن حزب وحده من تشكيل حكومة فحدثت أزمة وزارية استمـرت مائـة يوم، ثم تشكلت وزراة ضمت عناصر إسلامية برئاسة بولاند أجاويد زعيم حزب الشعب الجمهوري، واشترك فيها حزب السلام الوطنى وكان زعيمه نجم الدين أربكان نائب رئيس الحكومة، ويبدو أن الاتفاق قد تم بينهما بعد لقاءات أعلن الأول فيها تنازله عن الوقوف في وجه الإسلام.

وأنزلت تركيا قواتها عام ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) في جزيرة قبرص، واحتلت ثلث الجزيرة، نتيجة العداء المستحكم فيها بين المسلمين الأتراك والنصارى اليونان، وحصلت الحكـومة نتيجة ذلك الإنزال على تأييد شعبي كبير، ورغب كل من الحزبين الإفادة من هذا التأييد، والإعلان أن الإنزال كان برأيه، وهذا مادعا إلى فرط عقد الائتلاف إذ ظهر أن نجم الدين أربكان كان هو وراء الإنزال وهذا ما دعا إلى إبعاده عن الحكم إذ أناب رئيس الوزراء مكانه أحد وزراء الدولة عندما ذهب إلى مهمة والأصل أن يتولى الأمر من يتولى منصب نائب الرئيس، وهذا ما جعل نجم الدين أربكان يقدم استقالته الأمر الذي دعا إلى استقالة الحكومة كلها.

---

(٥٤) تاكين اريبورن: قائد سلاح الطيران عام ١٣٨٠هـ، لم يشترك في الانقلاب الذي وقع يومذاك فجرد من منصبه العسكرى، وقدم للمحاكمة فسجن ستة أشهر، كما سجنت عقليته مدة سنتين ونصف إذ كانت عضواً في المجلس النيابي آنذاك، وكان رئيس مجلس الشيوخ، وسيتولى رئاسة الجمهورية بحكم القانون إذا لم يتوصل المجلس إلى انتخاب رئيس جديد.

(٥٥) نجم الـدين أربكان: مهندس ميكانيكي، حصل على الدكتوراه من جامعات ألمانيا وعمـل في جامعة استانبول، انتخب رئيساً للغرف التجارية والصناعية في تركيا عام ١٣٨٨، فقطع العلاقات التجارية مع اسرائيل، فأقالته الحكومة من منصبه لذلك التصرف.

شكل (سعدي إيرماك) الوزارة ولكنه لم يلبث غير مدة قصيرة حتى استقالت حكومته، ورفض بولاند أجاويد تشكيل وزارة بغية إيجاد أزمة حكومية يضطر معها رئيس الجمهورية إل حلّ المجلس النيابي، وإجراء انتخابات جديدة يتوقع أجاويد فوز حزبه فيها بعد ما كسب من تأييد إثر الإنزال التركي في قبرص، إلا أن رئيس الجمهـورية قد كلف سليمان ديميريل زعيم الحزب الثاني في المجلس بتشكيل حكـومة إئتلافية من حزب العدالة(٥٦) والسلام الوطني(٥٧)، والعمل الوطني(٥٨) الذي يرأسه (ألب اسلان توركيش)، والثقة الجمهوري الذي يرأسه (تورهان فايز أوغلو)، وقـامت المعـارضـة من حزب الشعب الجمهـوري(٥٩) برئـاسة (بولاند أجـاويد)، والحـزب الـديمقـراطي(٦٠) بزعامة (فروح بوز بايلي؛، وتمكنت هذه الحكومة من إقامة عدد من المصانع أربكت أصحاب رؤوس الأموال، كما يوجد من الأحزاب الأخرى(٦١).

حصلت الانتخابات العامة عام ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م)، ولم يفز أحد الأحزاب الرئيسية بأكثرية مطلقة، وضعفت مقاعد حزب السلام الوطني إذ تضاءلت إلى ٢٤ مقعداً، وألف سليمان ديميريل الحكومة، وبدأت أعمال عنف في البلاد بين

---

(٥٦) حزب العدالة: شعاره: الحصان الأبيض.

(٥٧) حزب السلام الوطني: وشعاره: سبابة متجهة إلى أعلى وترمز إلى (الله واحد).

(٥٨) حزب العمل الوطني: وشعاره: ثلاثة أهلة.

(٥٩) حزب الشعب الجمهوري: وشعاره: ستة أسهم وتعني (الوطنية - الجمهورية - العلمانية - الثورية - التقدمية - الشعبية).

(٦٠) الحزب الديمقراطي: شعاره: كف ممدودة وتعني أن كل الكلام للشعب.

(٦١) من الأحـزاب الأخرى الموجودة: حزب الوحدة التركي: وشعاره الأسد محاط بنجوم وبرأسه مصطفي تميسي. والحزب الاشتراكي العمالي: وقد تأسس حديثاً ويرأسه الدكتور (أويا بيدر).

وهناك أحزاب غير مرخص لها بالعمل مثل:

أ - حزب العمل التركي: وهو ذو ميول شيوعية وترأسه السيدة بهيجة بوران، ويرى إعطاء الأكراد والأرمن حقوقهم القومية حسب رأيهم، والانسحاب من الأحلاف العسكرية.

ب - حزب الشباب الإصلاحي.

جـ - الحزب الشيعوي: ويرأسه (ي. دمير) ومركز الحزب شرقي تركيا.

المتطرفين من القوميين والشيوعيين، وكان عدد القتلى يزداد يوماً بعد يوم، ويبدو أن حزب العمل الوطني كان وراء بعض الحوادث والشيوعيون وراء بعضها الآخر، هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن جزب السلام الوطني قد زاد من نشاطه ولقى نجاحاً، الأمر الذي أخاف العسكريين، وأخافهم عودة الإسلام ونجاحه دون علمهم، كما خشوا أن يقوى ساعد الشيوعيين. وبينما كانت الأحداث تقع يقوم العسكريون بانقلابهم بإمرة الجنرال (كنعان افرين)، ويبو أنه لقي تأييداً كبيراً من الولايات المتحدة، وقد وضع قادة الأحزاب في السجن ثم أفرج عنهم باستثناء نجم الدين أربكان الذي اعتقل معه عدد من قادة حزبه، كما اضطهد مؤيدوه، وتوقف المد الإسلامي ولعل هذه غاية الانقلاب العسكري ومهمته الأولى.

الحيـاة الاجتماعيـة

اختلفت الحياة الاجتماعية في تركيا اختلافاً بيناً بين أيام الدولة العثمانية وأيام الدولة التركية الحديثة العلمانية. لقد كانت الحياة إسلامية بخطها العريض، وإن كانت تبتعد عن هذا الخط تدريجيا مع مرور الزمن، كما تختلف من سلطان لآخر فربما جاء متأخراً بأفضل من سلفه، إذ شغل السلاطين الأوائل بالجهاد والفتوحات فبقوا على فطرته السليمة وطبيعتهم الأولية أصحاب عاطفة إسلامية بل زادهم الجهاد قوةً معنويةً فلم تستذلهم الدنيا ونعيمها، ولم يركنوا إلى الأرض وزخرفها، ورغم ضعف الدولة فيما بعد وتوقف الجيوش عن التقدم، ومتابعة القتال، وفتور الهمة، وضعف السلاطين إلا أن العاطفة الإسلامية قد بقيت هي السائدة فلم يكن لينخرط في الجيش غير المسلمين، إذ لم يسمح لغيرهم أبداً ما دام القتال جهاداً، وكان لكل قطعة موجهها وإمامها، ومن أعفى لحيته أعفى من الجندية. ولم تكن هنـاك مخالفات شرعية فالخمر محرم، والدعارة محرمة وممنوعة، والمجلة الشرعية هي القـانون الذي يعمل به، والدعوة قائمة، والأقليات غير المسلمة تحارب فيما إذا رغبت في إظهار عقائدها المنحرفة أو ظهر منها فساد في الأرض، أو اتصال مع الأجانب، وهذا لم يكن ليمنع وجود مخالفات بل إن هذه العاطفة المشـوبة بالجهل كثيراً ماكانت حرباً على الإسلام، فقد اعتصمت الأقليات في الجبال الحصينة نتيجة حربها أو اضطهادها وعاشت حياة بئيسة الأمر الذي جعلها تزداد حقداً وحنقاً على المسلمين وتنتهز الفرصة للإيقاع بهم، وهذا ما كان له الأثر

البالغ فيها بعد، وكان على العثمانيين أن يوزعوا هذه الأقليات في أرجاء العالم الإسلامي الواسع لتذوب فيه وينتهي أمرها إلى الأبد. والحياة البسيطة والفقر حملا بعض المسلمين الجهلة ليسلكوا طريق الزهد، وهذا ما ساعد على انتشار الطرق الصوفية حتى إن الدولة قد حمت هذه الطرق، بل إن بعض السلاطين كانوا من أتباعها، وهذا ماكان له أثره السيىء في إماتة الجهاد، وإفقار البلاد، والبقاء في حالة من الجهل وإدخال إلى الإسلام ماليس منه. وإن الفقر الذي كان يسود البلاد أدى في الوقت نفسه إلى الأكتفاء بالقليل والقناعة بالموجود فكانت الحياة بسيطة لاتعقيد فيها. وإن ضعف السلطة في نهاية الدولة أدى إلى اختلال نظام الأمن، فساد الخوف، وقلت الزراعة، وزاد الفقر، وسطا اللصوص على الناس، وانتشر قطاع الطرق، وسيطر رجال القبائل، ووجهاء القرى والأحياء، فكان النفوذ للقوة، ويسط الزعماء نفوذهم ووضعوا أيديهم على أراضي جوارهم فانتشرت الملكية الواسعة، واستغل هذا كله الصليبيون ونشروا الدعاية ضد العثمانيين ولا تزال هذه الدعايات قائمة على الرغم مما بذلوه من توحيد البلاد الإسلامية والوقوف في وجه الصليبيين منذ أيام البرتغاليين حتى الحرب العالمية الأولى وقاتلوا أعوانهم من الأقليات، وفتحوا البلاد، وتقدموا في أوربا، ونشروا الإسلام في قفقاسيا بين الشراكس حتى اعتنقوه بأغلبيتهم، وكذا في أوروبا وإفريقية، ولا تزال القلاع العثمانية ماثلة في تشاد وغيرها وكانت مراكز للدعوة ومنطلقا لها.

أما في عهد تركيا الحديثة فقد زالت معالم الحياة الإسلامية تقريباً إذ أصبحت القبعة هي الشائعة، وسفرت النساء بعد أن أجبرت على رفع الحجاب وترك لباس الحشمة وانتشر الاختلاط، وغدا النداء للصلاة بالتركية، وانتشر الخمر، وكان مصطفى كمال أكبر المدمنين عليه، وعمت الدعارة وكان رئيس الجمهورية أكثر الرجال وقوعاً في حمأة الرذيلة وأكثرهم تهتكاً، وفقدت الأسرة الإسلامية كثيراً من مقوماتها، وابتعد عدد من الناس عن الحياة الاجتماعية واعتزلوا في مناطقهم، الأمر الذي زاد البلاد فقراً وخاصة في المناطق الشرقية، وبدأ الفرق كبيراً بين الأغنياء والفقراء بسبب تعقيد الحياة وانتشار الصناعات الحديثة والتي غدت حاجات أساسية عندما تتأمن الأموال اللازمة لثمنها، وبذا أصبح المجتمع طبقات، وانصرف الناس إلى الحياة المادية، وغدت الوسائل كلها مسموح بها في سبيل الحصول على المال، وهكذا تبدلت الحياة الاجتماعية كلياً، وأصبحت أقرب

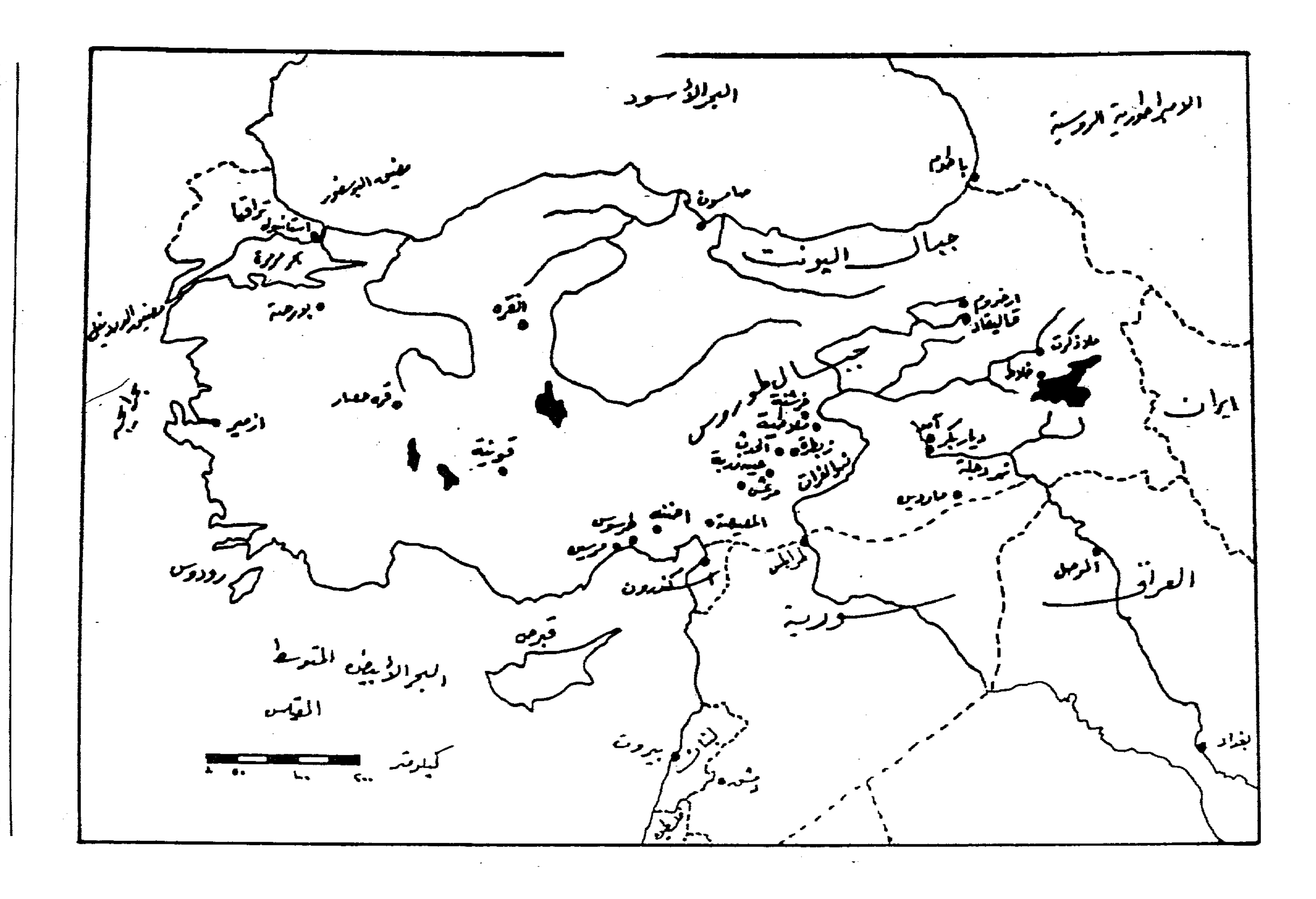
مايكون إلى الحياة في أوربا، وأضحت فكرة القومية التركية هي السائدة وكان للأقليات وللعنـاصر المتطرفة أثرها الكبير، فانتشرت كتب وقصائد، نامق كمال وضياء كوك ألب، وبقيت العاطفة الإسلامية تملأ كثيراً من القلوب، وهي تنتظر الدعوة للإسلام لتنخرط فيها لتنقد المجتمع مما علق فيه، ولكن ما إن تسنح لها الفرصة، وتعطى حرية العمل، وتبدأ بالنشاط حتى يقوم انقلاب عسكري أو تحدث حركة في الجيش تقف في وجه هذا الاتحاد وتحد من امتداده وتوسع رقعته.

٥ ــ إيــران (فــارس)

لإيران تاريخ قديم، وبعد أن انتشر فيها الإسلام، أصبحت قوة حضارية كبيرة ساعدت على انتشاره.

وكلمة إيران مشتقة من اسم الشعوب الآرية التي هاجرت إليها في التاريخ القديم، ومعناها (موطن الآريين)، ولم يستخدم هذا الاسم في العهد الإسلامي وإنما استخدمت كلمة (فارس) للدلالة على إيران القديمة. ويجب أن نفرق بين فارس ككل، وإقليم فارس الواقع إلى الشرق من الخليج العربي. وهذا الإقليم هو الذي فرض اسمه على كل الهضبة الإيرانية. وظل مستخدما في الدوائر المحلية والعالمية حتى عام ١٣٥٤ هـ عندما عمم الشاه رضا بهلوي اسم إيران تأكيدا للفكر الإيراني الذي تزعمه هذه الشاه.

وإيران بصفة عامة، عبارة عن هضبة مرتفعة، تتعدد فيها سلاسل الجبال، أهمها سلاسل جبال الزاغروس والبرز، وجبال زاغروس هي التي توازى الحدود العراقية وتمتد إلى ساحل الخليج العربي، وكأنها حائط هائل تتخلله بعض الممرات على مسافات متباينة، وتميل الهضبة نحو جهة الشرق انحداراً وئيداً حتى تصبح مجرد صحراء ممتدة إلى أفغانستان وباكستان. كما توجد منطقة سهلية نهرية خصبة في قمة الخليج العربي، هي خوزستان (عربستان) وهي في الحقيقة امتداد طبعي للسهل ا لعراقى سواء من ناحية السطح أم من ناحية التشكيل البشرى حيث يعيش العرب ـ من آل كعب وغيرها من القبائل العربية ـ منذ أزمنة بعيدة في


البحر الأسود
الامبراطورية الروسية
باطوم
سامسون
جبال البونت
مضيق البسفور
استانبول
تراقيا
بحر مرمرة
بورصة
أنقرة
مضيق الدردنيل
ازمير
قره حصار
قونية
جبال طوروس
ارضروم
قاليقلا
ملازكرد
خلاط
ديار بكر
آمد
ماردين
المصيصة
أذنة
طرسوس
اسكندرون
سورية
العراق
الموصل
بغداد
إيران
رودوس
قبرص
البحر الأبيض المتوسط
المقياس
كيلومتر
بيروت
لبنان
دمشق

هذه المنطقة (خوزستان) التي يجرى فيها نهر قارون الذي يصب في شط العرب، ويعد من أهم منافذ فارس إلى البحار.

وتـطل إيران على بحـرين أحدهما مغلق هو بحر قزوين والثاني مفتوح على المحيط الهنـدى، وهو بحر العرب، وخليج عمان والخليج العربي الذي كانت حكومة طهران تصر على تسميته خليج فارس لاعتبارات توسعية في المنطقة، بدأت تخف حدتها منذ اعتراف إيران بحق البحرين في الاستقلال خلال عم ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م). هذا مع أن السواحل الشرقية للخليج العربي، وهي سواحل إيرانية، كانت تسكنها ولاتزال عشائر عربية، لها تاريخ طويل يكاد يكون مستقلا عن الحكومة الفارسية المركزية في طهران.

أما بحر قزوين، فهو أكبر البحار المغلقة، وينكمش تدريجيا منذ عدة قرون مضت، وكانت البلاد القوقازية الواقعة بين هذا البحر والبحر الأسود محل صراع بين القوى الأخرى المطلة على المنطقة روسيا وتركيا إضافة إلى إيران.

ويقدر تعداد سكان إيران بما يزيد على الأربعين مليوناً، ثلثاهم على المذهب الشيعى الأثنى عشري، والباقي على مذهب السنة والجماعة. وفي السكان حوالي أربعـة ملايين نسمة من القبائل، والباقي مستقرون في المدن والقرى والوديان الزراعية. أما في القرون السابقة فقد كان التشكيل القبلي هو السائد في معظم أنحاء فارس،ولعل ذلك يرجع أساسا إلى النقص الشديد في مساحات الأرض الصـالحـة للزراعة، ولوجود الصحراوات الواسعة فيها مثل صحراء دشت لوط (الصحراء الخالية) ودشت كوير (الصحراء المالحة).

فقد توالت على إيران في القرون القديمة هجرات عديدة إلا أن أهمها هجرة آرية (أندو - أوروبية) استوطنت إيران وعمرت فيها القرى والمدن ومن بين هذه العشائر الآرية من لعب دورا كبيرا في التاريخ، بل وأسس امبراطوريات ذائعة الصيت (مثل الميديين، والفرس، والبارتيين، والعيلاميين، وغيرهم).

ولمعت في تاريخ فارس القـديم أسـماء: كورش مؤسس أكبر امبراطورية في الشرق في القرن السادس قبل الميلاد، وابنه قمبيز، ثم دارا الذي بعث بجيوشه حتى قبل اليونان، وزرادشت الذي وضع القواعد الفلسفية عى أساس أن هناك

صراعا أزليا بين الخير والشر، والتي أصبحت عقيدةً يدين بها سكان تلك الجهات قبل ظهور الإسلام.

وتعرضت إيران ـ مثل بقية أجزاء الشرق الأدنى ـ لغزو الإسكندر الأكبر، وما تبع ذلك من ظهور دولة يونانية في فارس والعراق وبلاد الشام (الدولة السلوقية) وأخرى في مصر (الدولة البطلمية). وعلى أنقاض الدولة السلوقية ظهرت الدولة البارتية في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد. وكان البارتيون يتكلمون لغة فارسية، ويدينون بالمزدكية (المجوسية)، ومن بعد هذه الدولة المجوسية جاءت آخر الدول الإيرانية قبل الإسلام، وهي الدولة الساسانية التي تغلب عليها المسلمون، وانتشر الإسلام بسرعة في فارس، وازدهرت فيها الحضارة الإسلامية إلى مرتبات عالية من التفوق.

وبضعف الخلفاء العباسيين أصيبت الدولة بعدة انقسامات سياسية وظهرت عدة أسر شبه مستقلة في مختلف أرجاء العالم الإسلامي: كالأسرة الطاهرية، والصفارية، والسامانية، والبويهية، والسلجوقية، وأخيرا دهم فارس غزو خطير شنه المغول. فاستولوا عليها، ثم لم يلبثوا أن استولوا على بغداد نفسها ٦٥٦ هـ لتنتقل الخلافة العباسية بعد ذلك إلى القاهرة[٦٢].

وإذا كان المغول قد فتحوا فارس بالسيف، فقد أخضعت الحضارة الإسلامية هؤلاء الغزاة لها حتى أسلم الملك المغولي أحمد تكودار بن هولاكو الذي قتله ابن أخيه أرغون، وتولى مكانه، واضطهد المسلمين، وتحالف مع الصليبيين والأرمن ضد المسلمين، ثم خلفه كيخاتو، ثم غازان بن أرغون الذي اعتنق الإسلام ولكنه بقي يقاتل المسلمين، وهو الذي دخل دمشق وكان ابن تيمية من الذين وقفوا في وجهه في معركة (شقحب) جنوب دمشق عام ٧٠١ هـ (١٣٠١ م)، ثم قابله وحذّره ووعظه. وقام بعد غازان عام ٧٠٤ أخوه أولجايتو الذي عرف باسم محمد خدابنده، وهو الذي اتخذ المذهب الشيعي مذهباً رسمياً للدولة وأجبر الناس عليه، . وكانت إيران من قبل أهل السنة.

وظهر أيام المغول من العلماء نصير الدين الطوسي الذي أقام له هولاكو مرصدا

---

(٦٢) ستستمر بها حتى عام ٩٢٣هـ ثم تخفت اصواتها ليدعى من بعد العثمانيون أنهم ورثة الخلافة العباسية الشرعيون.

مشهورا بمراغه، كما كان من بين مشاهير المؤرخين عطا ملك الجوينى صاحب تاريخ جلها نكشاى، وهو أهم وأوفى مرجع في تاريخ المغول، وتاريخ سلاطين خوارزم، وتاريخ فرقة الاسماعيلية. ثم رشيد الدين فضل الله صاحب كتاب جامع التواريخ، وشهاب الدين عبدالله بن فضل الله الشيرازي صاحب تاريخ وصاف وغيرهم، وجميع هذه الكتب التاريخية تعد من أهم مصادر التاريخ الإسلامي في تلك الحقبة وقد كتبت بالفارسية. وعلى العموم فقد شهدت إيران نهضة ثقافية كبيرة في عهد الإيلخانيين في مختلف فنون المعرفة حتى سارعت أوروبا في عصر النهضة إلى نقل قدر من هذه المؤلفات الى اللاتينية لغة العلم والثقافة عندهم إذ ذاك. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه إلى النهضة العمرانية في بلاد فارس، وازدهرت كذلك صناعة النسيج والبسط وفنون الزخارف عندهم حتى تهافت الأوروبيون وغيرهم على اقتنائها.

ومما هو جدير بالملاحظة أن المغول الهمج وغيرهم من بدو آسيا الوسطى ومعهم الترك كذلك، برغم حبهم للقتال والنهب والتخريب، فانهم بعد أن زاد اتصالهم بالمسلمين، واطلعوا على ماعندهم من أسباب الحضارة والمدنية، انقلبوا من بعد ذلك يساهمون في بناء الحضارة والثقافة ويرعون أصحابها رعاية كريمة.، وقوى من ذلك كله بداهة دخول فريق منهم في دين الله. وهكذا نرى الغالبين ـ بفضل الإسلام عقيدة ومدنية وحضارة ـ يدخلون في دين المغلوبين، وهي ظاهرة لم يعرف لها التاريخ نظيرا أو مثيلا من قبل.

تعرضت إيران لموجة مغولية جديدة على يد تيمور لنك الذي استولى على فارس في أواخر القرن الثامن الهجري، وأسس دولته بالسيف والنار.

ولم تلبث امبراطورية تيمور لنك أن تفككت بسرعة بعد موته ٨٠٧ هـ (١٤٠٤ م)، فأفادت قبائل (القرة قوينلو) الخروف الأسود من هذه الفرصة، واستولت على أذربيجان، وانحدروا إلى أصفهان والعراق وظلوا يحكمون فارس والعراق حتى قضت عليهم قوة قبيلة أخرى هي «الآق قوينلو» الخروف الأبيض في ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م، بينما كان القسم الشرقي من إيران تحت حكم شاه رخ بن تيمورلنك، وكانت عاصمته في هراة وأخيرا استطاع إسماعيل الصفوي أن يصفي الموقف كله في فارس لمصلحته مؤسسا الأسرة الصفوية ٩٠٦ هـ (١٥٠٠ م)

التي تعد بدايتها بداية لتاريخ فارس الحديث.

ظهور الأسرة الصفوية :

ففي الوقت الذي أصبحت فيه فارس، خلال حكم أسرة الآق قوينلو، مرتعا للحـروب بين المطالبين بالعرش بالولايات، كانت تنمو في الشمال، في منطقة (أردبيل) أسرة تركية تخصصت في الوعظ على أساس الفكر الشيعي، وعرفت باسم الأسرة الصفـوية التي يقـال أن نسبهـا يرتفع إلى الأمام الشيعي موسى الكاظم. وتنتسب الأسرة الصفوية إلى رجل شيعي وهو صفي الدين المتوفي عام ٧٢٩ هـ (١٣٢٨ م)(وكان ابنه ـ صدر الدين ـ لايقل عنه نشاطا من أجل نشر المذهب الشيعي وتعاليمه. ولقد حظى خوجا على (حفيد صفي الدين) بمقابلة تيمور لنك، واستطاع الشيخ أن يحصل منه على عفو عن الأسرى الأتراك الذين كانوا لديه[٦٣]. فلم يلبث هؤلاء الأسرى بعد إطلاق سراحهم أن أعلنوا انتماءهم إلى صدر الدين. ومن نسل هؤلاء الأسرى من لعب أدوارا في تأسيس الدولة الصفوية وتثبيت أركانها.

وتوالي بعد ظهورهما عدد من رجال الدين من الأسرة الصفوية اتصفوا بالقدرة على المشاركة في الأحداث السياسية في المناطق التي يقيمون فيها، وبالقيام أعمال تخلد ذكراهم، ولكن كان نشاط جنيد ه الممهد لتأسيس أسرة صفوية حاكمة.

كان جنيد يسعى إلى تكوين عصبية مذهبية مرتبطة به، فاجتذب عدداً من الأتباع، وأصبح يشكل قوة محلية قادرة على العمل ـ عندما تسنح لها الفرصة ـ ضد الحكومة القائمة حينذاك الأمر الذي أقلق أمير القره قوينلو حتى أمر بنفيه خارج البلاد.

وحينذاك كانت هناك منافسة محتدمة بين قوة القرة قوينلو ـ التي كانت تعانى آخر أيامها ـ والقوة الصاعدة على حسابها (الآق قوينلو). فذهب حيدر بن جنيد إلى أوزون حسن (حسن الطويل) زعيم الآق قوينلو في دياربكر، فرحب به الرجل على اعتبـار أنـه معـول هدم للقـره قوينلو. وأقـام لديه حوالي ثلاث سنـوات

(٦٣) انتصر تيمور لنك خلال عملياته الاجتياحية على السلطان العثمانى بايزيد الأول في موقعة انقرة وحبسه في قفص عام ٨٠٥هـ.

(٨٦١ هـ - ٨٦٤ هـ) وزوجه من أخته، واتصل جنيد كذلك بالسلطان العثماني، ولكنه لم يلبث أن توفي.

وتابع حيدر نشاط أبيه جنيد وتزوج من ابنة حسن الطويل في منفاه، بل شارك في أحداث المنطقة وجمع حوله أعوانا من التركمان، ولم يلبث أن لقى مصرعه في بعض الصدامات التي وقعت في منطقة شيروان عام ٨٩٤ هـ (١٤٨٨ م).

وبدأت سلسلة من الاضطهادات للأسرة خرج منها إسماعيل بن حيدر، وقد صقلته التجارب وجعلته قادرا على الانتقال من مجال الحركات المحلية إلى مجال الحركات العامة. وبذلك اعتلى الشاه إسماعيل عرش البلاد، وكان يدبر أموره على أساس أن القوة السياسية يجب أن تعتمد على قوة عسكرية مخلصة تربطها به وشائج عقيدية متينة تجعلها مستعدة للاستماتة في الدفاع عن قائدها وعن متعقداتها.

وكانت هناك قوى محيطة بفارس عند مطلع حكم الشاه إسماعيل، فمن الغرب كان يوجد العراق الذي لاذبه مراد بن يعقوب آخر أمراء الآق اقوينلو، وإلى الشمال كانت توجد إمارة تابعة أيضا للآق قوينلو يطمع فيها الشاه إسماعيل وهي إمارة البستان وكان عليها علاء الدولة. ومن جهة الشمال والغرب كان الأناضول بلاداً عثمانية سنية مجاهدة في البلقان ضد الدول الأوربية، وفي مياه الخليج العربي ظهر البرتغاليون، ومن الشمال الشرقي كانت توجد قبائل الأوزبك بزعامة محمد الشيباني الشديد البأس. وكان يسيطر على أجزاء من شمال شرقي فارس. وإلى الشرق توجد القبائل الأفغانية.

تمكن الشاه إسماعيل الصفوي من إخضاع بلاد الفرس كلها لحكمه، ولم يبق أمامه من عدو غير العثمانيين في الغرب والأوزبك في الشرق. وقد أعلن عزمه على إعلاء شأن مذهب الشيعة حتى راح يحمل الناس قسراً على الدخول في هذا المذهب، ولا يتردد في إفناء مدن بأسرها والقضاء على العلماء والأعلام زرافات ووحدانا حين يرفضون الاستجابة لدعوته مستمسكين بالإسلام.

وأدى بشاه فارس تعصبه الشديد لإرغام الناس على التشيع قسرا - حتى لامه مؤرخو الفرس أنفسهم في ذلك - أن دخل في حروب متواصلة مع العثمانيين - ...

الحدود الغربية من بلاده، ومع الأوزبك عند الحدود الشمالية الشرقية لإيران. وكان هؤلاء الأوزبك يحكمون في بلاد ماوراء النهر التي تضم فيما تضم التركستان.

أما العثمانيون والمماليك فقد هالهم ميل الشاه إسماعيل الصفوي إلى ملوك الفرنجة ومراسلاته معهم بهدف اقتسام دولة المماليك فتكون مصر من نصيب الفرنجة والشام من نصيبه هو، في الوقت الذي كان البرتغاليون يهددون دولة المماليك والشرق، ولم تستطع تلك الدولة صد الخطر الأجنبي، فلم يكن أمام المسلمين، إلا الاستنجاد بالأتراك العثمانيين لإنقاذهم من اضطهادات الشاه إسماعيل، ومن سيف البرتغاليين.

لقد أصبحت مهمة العثمانيين عالمية وليست محلية، وكان عليهم أن يقوموا بدورهم في إنقاذ العالم الإسلامي من البرتغاليين وإنقاذ أنفسهم من الضغط الصفوي الشيعي المتواصل في الأناضول قلب الدولة العثمانية، فبدأ السلطان سليم الأول بإبادة الشيعة في الأناضول ثم شن حربا شاملة ضد الشاه في فارس نفسها، وانتصر عليه انتصارا كبيرا في موقعة جالديران في عام ٩٢٠ هـ وأجبره على عقد صلح مع العثمانيين. وأدى هذا الانتصار إلى زعزعة مكانة الحكم الفارسي في العراق. فقد أعلن حاكم بغداد ولاءه للسلطان العثماني سليم الأول، وأصدر السطان العثماني مرسوما بذلك. ولم يستطع الشه إسماعيل الصفوي أن يقوم بعمل جدى إزاء العراق حتى توفي ٩٣١ هـ.

أما حروب الشاه إسماعيل مع الأوزبك (حكام ماوراء النهر) فلم تكن على الأرض فقط وإنما كانت صراعا عقائديا، كل منهما يعتقد أنه الذي يسير على الحق. وأخذ محمد شيباني زعيم الأوزبك يدعو الشاه إسماعيل إلى العودة إلى الإسلام مهددا إياه بحرب ضروس في قلب إيران ذاتها. ودارت الحرب بين الطرفين فانتصر الشاه إسماعيل في بادىء الأمر غير أن الأوزبك استطاعوا استعادة نفوذهم ومناطقهم وتعاونوا مع الأتراك ضد الشاه إسماعيل الذي تعاون مع البرتغاليين ضدهم. وظل النزاع بين الفرس والعثمانيين والأوزبك في عهد خلفائه من بعده.

خلف طهماسب أباه إسماعيل، وحفلت مدة حكمة بالحروب المتصلة ضد أعدائه الأوزبك في الشرق والعثمانيين في الغرب. وقد رفض طهماسب الاعتراف

بالسلطان العثماني خليفة على المسلمين متأسيا في ذلك بوالده من قبله. وحدث أن عامل بغداد الفارسي، (من قبل طهماسب) انحاز إلى سليمان فجهز الشاه حملة ضده وأخضعه، فاتخذ سليمان هذه الحملة ذريعة لإعلان الحرب على فارس. فلما كان صيف عام ٩٤١ هـ (١٥٣٤ م) دخل العراق بجيش قوي، واضطر الشاه إلى التراجع في وجه القوات العثمانية وصار في ميسور سليمان أن يتقدم إلى عاصمة الفرس، تبريز، وأن يستولي على بغداد، من غير ما عناء، وأقر سليمان العثماني الأمن والنظام في هذه الولايات الواقعة على الحدود والتي كان يعتزم الاحتفاظ بها.

ومن أبرز حكام الأسرة الصفوية الذين خلفوا طهماسب الشاه عباس الكبير، الذي عقد صلحاً مع العثمانيين في مطلع حكمه، وتنازل للعثمانيين عن أذربيجان وجورجيا ولورستان، وبعث بابن عمه حيدر ميرزا رهينة إلى استانبول. وفرغ بعد ذلك لإقرار الأمن في داخل مملكته ووقايتها من عدوان الأوزبك. وعقد معاهدة مع الانكليز وتمكن بموجبها وبمساعدة الأسطول الانكليزي من الاستيلاء على هرمز وبغداد واسترداد تبريز، ومكن للسلطة الفارسية من تعزيز الحدود في الشرق، وأنشأ قاعدة تجارية خلع عليها اسم بندر عباس.

ونقـل عاصمته إلى أصفهان، وازدهرت البلاد في حكمه، وجاءت البعثات السياسية إلى مركـز حكمه في أصفهان، كما تأسست مراكز تجارية أوربية على سواحل الخليج العربي. وقد ضل بالعمل في تحويل الحج من مكة إلى مشهد. وقـد عنى بالفلسفـة والعلوم والفقـة، وازدهر في عصره الشعر والموسيقي، كما شهدت بلاد فارس نهضة عظيمة في صناعة السجاد والقيشاني، وضعفت الأسرة الصفوية بعد الشاه عباس لضعف حكامها وأدى ذلك لزوالها.

ومهما يكن من أمر، فان الحروب التي دارت سجالا بين شاهات الفرس من جانب والأوزبك والعثمانيين من جانب آخر قد أنهكت قوى هذه الدول الإسلامية القوية التي كان يحسب الأوربيون حسابها. فمهد ذلك لظهور روسيا قوية على مسرح الحوادث، ثم تدخلها هي والدول الأوربية من بعد ذلك في شؤون أمصار العالم الإسلامي، والاستيلاء على كثير من أراضيه.

وكان من أخطاء الصفويين كذلك استجابتهم للأوربيين الذين عملوا على دفعهم لحرب العثـمانيين الـذين كانت في حوزتهم مساحات كبيرة من الأراضى الأوروبية.

نادر شاه الأفشـاري :

وحين هان شأن الصفويين رقى العرش عام ١١٤٩ هـ (١٧٣٦ م) قائد من قوادهم يدعى نادر شاه، وكان على مقدرة حربية فائقة. واستطاع فارس الجديد هذا أن ينتصر على العثمانيين في عدة مواقع، كما حمل الروس على الجلاء عن إقليمي جيلان ومازندران، وكانوا قد استولوا عليهما أيام الصفويين.

واجتاح نادر شاه من بعد ذلك إقليمي بخارى وخيوة، وغزا أفغانستان وتوغل إلى الهند، وهاجم الدولة المغولية فيها، وخرب عاصمة الدولة (دهلي) واستولى على أموال طائلة بها، كما استحوذ على عرش الطاووس بها وانتزعه من أصحابه سلاطين الدولة المغولية هناك، وكانوا من سلالة تيمورلنك. وكانت الكنوز الهندية التي استـولى عليهـا نادر شاه هناك من الضخامة ما جعله يتغاضى عن جمع الضرائب من سكان بلاده لعدة سنوات. وعمل نادر شاه على الحد من الخلافات المذهبية بين الشيعة والسنة، ودعا في هذا السبيل إلى عقد مؤتمر للتقريب بينهم في بغداد ولكنه لم يوفق في ذلك إذ كان يرغب في إعادة السنة إلى إيران.

ولم يدم حكمـه طويلا إذ قتله بعض أتباعه من القاجاريين في جيشه عام ١١٦٣ هـ (١٧٥٠ م)، فتجزأت الدولة التي أسسها إذ استقلت بلاد الأفغان، بعد أن عادت الفرق الأفغانية التي كانت ضمن قوات فارس إلى بلادها، ونادت بقائدها أميرا على بلاده. وظلت أفغانستان منذ ذلك الوقت قلعة وسط آسيا ترد عنها كل مستعمر، وفيهم البريطانيون والروس، في تصميم وضراوة وعنف. كما أعلنت جورجيا استقلالها أيضا، وأخذت الدولة العثمانية جزءاً من أذربيجان، وسيطرت روسيا على تركستان.

وبعد مقتل نادر شاه جاءت فترة من الاضطرابات والفوضى، وتنازع العرش رجال من القبائل المختلفة ثم استقر الحكم في القبيلة القاجارية.

القاجاريون ١١٩٣ - ١٣٤٤هـ (١٧٧٨ - ١٩٢٦ م)

كان القاجاريون أعظم القبائل الإيرانية التركية التي ساندت الدولة الصفوية طوال حكمها الذي استمر أكثر من قرنين. وما إن قضوا على نادر شاه غيلة حتى دخل زعيمهم أقا محمد خان العاصمة طهران عام ١١٩٣ هـ ، ثم انطلق بقواته

فأخضـع القبـائـل الإيرانية الأخـرى لسلطانـه، ومنهم الـزنـديون في الجنـوب والأفشاريون في الشمال.

وفي أيام خلفه فتح علي شاه صارت بلاد الفرس مسرحا للصراع بين كل من فرنسا، وروسيا، وبريطانيا. ففرنسا أيام نابليون بونابرت كانت تريد أن تتخذ من إيران جسرا تنفذ منه إلى الهند لتقضي على كل نفوذ البريطانيين هناك، أما بريطانيا فكانت ترى أنها بسيطرتها على شواطىء إيران التي تطل على بحر العرب تصل إلى تأمين طرق مواصلاتها إلى الهند الغنية بثرواتها وخيراتها، فيما إذ تعطل طريق مصر لسبب من الأسباب، في حين كانت روسيا تطمع في شق طريق لها إلى إيران.

وتم للروس بالفعل الاستيلاء على قدر من الأراضي الإيرانية في الشمال. وإزاء ذلـك حاول فتح على شاه أن يخلص البلاد من النفوذ الأجنبي فعقد معاهدة تلست مع نابليون عام ١٢٢٢ هـ/ ١٨٠٧ م لاستـيراد الأسلحـة من فرنسـا والحصول على التدريب العسكرى منها في سبيل استرداد جورجيا. ولكن نابليون خدعـة ـواتفق مع الـروس، ونتيجة لذلك هزم الإيرانيون هزيمة ساحقة أثناء هجومهم على روسيا واضطرت إيران لتوقيع معاهدة عام ١٢٢٨ هـ/ ١٨١٤ م تنازلت فيها إيران عن عدة مناطق لروسيا وأقرت لهم بامتيازات سياسية، ومنها حق محاكمة رعايا القيصر أمام محاكم روسيا فقط. وقبل شاه فارس قدوم بعثة بريطانية إلى بلاده لتنظيم جيشه. وظلت بريطانيا تمارس ضغطها على إيران إيمانا منها بأنها الطريق المؤدية إلى استعمار الهند، وبالفعل نجحت هذه الضغوط بتوقيع معاهدة طهران عام ١٢٢٩ هـ/ ١٨١٥ م تعهدت انكلترا بموجبها بتقديم الحبوب والمعونات المالية في حالة وقوع اعتداء أو تحريض بالاعتداء على إيران. ولكن عندما نشبت الحرب الروسية الإيرانية عام ١٢٤٠ هـ/ ١٨٢٥ م لم تفعل بريطانيا شيئا سوى تظاهرها بالسعى بين الطرفين للصلح والسلام. وانتهت الحرب بتوقيع معاهدة تركمان خاى عام ١٢٤٣ هـ/ ١٨٢٨ م تنازلت فيها إيران عن منطقة أرمينية ودفعت فيها غرامة حربية وتعويضات، وأعطت روسيا حق الأولوية في المعاملات التجارية معها.

وتم للروس بالفعل الاستيلاء على قدر من الأراضي الإيرانية في الشمال. وإزاء

ذلـك حاول فتح على شاه أن يخلص البلاد من النفوذ الأجنبي فعقد معاهدة تلست مع نابليون عام ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧ م) لاستـيراد الأسلحـة من فرنسـا والحصول على التدريب العسكرى منها في سبيل استرداد جورجيا. ولكن نابليون خدعـة واتفق مع الـروس، ونتيجة لذلك هزم الإيرانيون هزيمة ساحقة أثناء هجومهم على روسيا واضطرت إيران لتوقيع معاهدة عام ١٢٢٨ هـ (١٨١٤ م) تنازلت فيها إيران عن عدة مناطق لروسيا وأقرت لهم بامتيازات سياسية، ومنها حق محاكمة رعايا القيصر أمام محاكم روسيا فقط. وقبل شاه فارس قدوم بعثة بريطانية إلى بلاده لتنظيم جيشه. وظلت بريطانيا تمارس ضغطها على إيران إيهانا منها بأنها الطريق المؤدية إلى استعمار الهند، وبالفعل نجحت هذه الضغوط بتوقيع معاهدة طهران عام ١٢٢٩ هـ (١٨١٥ م) تعهدت انكلترا بموجبها بتقديم الحبوب والمعونات المالية في حالة وقوع اعتداء أو تحريض بالاعتداء على إيران. ولكن عندما نشبت الحرب الروسية الإيرانية عام ١٢٤٠ هـ (١٨٢٥ م) لم تفعل بريطانيا شيئا سوى تظاهرها بالسعى بين الطرفين للصلح والسلام. وانتهت الحرب بتوقيع معاهدة (تركهان خاى عام ١٢٤٣ هـ (١٨٢٨ م) تنازلت فيها إيران عن منطقة أرمينية ودفعت فيها غرامة حربية وتعويضات، وأعطت روسيا حق الأولوية في المعاملات التجارية معها.

وفي عهد ناصر الدين شاه (١٢٦٠ - ١٣٠٨ هـ) حصل البريطانيون على مزيد من الامتيازات التجـارية ومنهـا احتكار الدخان. غير أن العلماء عارضوا هذا الاتفاق الأخير، وساندوا الشعب في ثورته عليه حتى عدلت الدولة عنه. هذا كما تخطف الانكليز كذلك بعض الأراضي التي تجاور مستعمراتهم مثل بلوخستان شرقي إيران التي ضموها إلى الهند، في حين سقط الروس على مساحات أخرى جديدة، وكان هؤلاء قد انطلقوا في زحفهم إلى آسيا يتوغلون في تركستان.

وفي عهد هذا الشاه اشتد نشاط حركة البابية. وزعيم هذا المذهب وهو ميرزا على محمد رضا الشيرازي الذي كان يلقب بالباب، إشارة إلى أنه الباب إلى الحياة الروحية الخالصة بزعمه. وهي دعوة لاتعترف بدين من الأديان بل تزعم أنها ترمي إلى توحيد أصحاب العقائد جميعا تحت رايتها. وقضى على هذه الدعوة وصاحبها عام ١٢٦٧ هـ (١٨٥٠ م) وقتل عدد من أتباعها هناك من بينهم الباب ميرزا علي

محمد رضا الشيرازي وقرة العين (فاطمة علي القزويني).

وأدعى بعده حسين علي المازندراني أنه الموعود الحقيقي والمسيح المنتظر، وأن الباب لم يكن إلا مبشراً به، فسجن وتدخلت سفارات روسيا وبريطانيا لإخراجه فخرج ونفي إلى بغداد، ثم إلى تركيا ثم إلى عكا، وادعي أنه بهاء الله وعرفت دعوته بالبهائية، ولها بعض الأتباع في طهران وبعضهم خارج إيران.

وكان ناصر الدين هذا هو أول حاكم فارسي يزور الدول الأوربية، وقد أغرته مظاهر الحضارة الأوربية المادية ومال إلى اقتباس بلاده بقدرٍ منها، لكنه تردد في إرسال البعوث من طلاب فارس إلى هناك، كما عارض الحركة التحررية التي قام يدعو إليها ببلاده، وببلاد الشرق كله فيما بعد، جمال الدين الأفغاني الذي أرغم على مغادرة فارس، كما حصل نزاع في عهده بين إيران وأفغانستان بشأن منطقة هراة، واضطرت إيران إلى أن تتنازل عن هراة للأفغان بضغط من انكلترا. كما احتلت انكلترا نفسها بعض المناطق على الخليج العربي مثل بوشهر والمحمرة.

الحركة الوطنية في إيران:

وإزاء تطور الأحـــداث في إيران، اغتيل ناصر الـدين شاه عام ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م). وخلفه الشاه مظفر الدين الذي سار عى نهج سلفه في رحلاته إلى أوربا وأنفق في ذلك أموالا كثيرة حتى اضطر إلى عقد قروض خارجية مع روسيا لتغطية نفقاته هذه، مما أشاع الاضطراب في مالية الدولة. وفي عهده اتفقت روسيا وبريطانيا على أن يكون للأولى نفوذها في الشمال، وللثانية استغلالها في الجنوب.

وقويت في عهد مظفر الدين كذلك حركة المطالبين بالحياة الديمقراطية، حتى اضـطر على كره منـه إلى إعـلان الـدستـور وقيام الحكم النيابي في ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) على أن خلفه محمد علي شاه سرعان ما ألغى هذا الدستور، وحل المجلس النيابي بمساعدة الروس، مما أدى إلى قيام الثورة بالبلاد ومهاجمة الثوار لمقر الشاه نفسه. وقد لجأ محمد علي شاه الى السفارة الروسية أولا هربا من غضبة الشعب، ثم غادر البلاد نهائيا إلى روسيا وحاول استرداد عرشه من بعد ذلك ولكنه فشل.

ولم يكن إقرار الدستور إلا وليد حركة التذمر بين أبناء الشعب ضد الاستبداد

والبـذخ والترف، وعدم الرضا على التدخل الأجنبي. ولما كان الدستور مطلبا شعبيا، لذا كان إلغاؤه مرةً ثانية، من أسباب ثورة الشعب وإسقاط الشاه، وكره الشعب للتدخل الأجنبي بصفة عامة والروس بخاصة.

ولما قامت الحرب العالمية الأولى، كانت إيران ميدانا للصدام بين ألمانيا وتركيا من جهة وبين روسيا وانكلترا من جهة ثانية. وعندما انتهت الحرب كانت البلاد في حالة انهيار عسكري وسياسي. وما إن خرجت بريطانيا منتصرة في الحرب، وكانت روسيا قد قامت فيها الثورة الشيوعية فشغلت بها عما عداها، وتنازلت عن كل امتيازاتها وديونها لدى إيران، بينما ضغطت بريطانيا على إيران فأجبرتها على توقيع معاهدة معها اعترفت بموجبها باستقلال إيران إلا أنها وضعت قيودا شديدة على إيران فقد خولت المعاهدة لهم السيطرة على الجيش الإيراني، وصارت بها مالية البلاد تخضع لرقابتهم.

فعلت بريطانيا ذلك في الوقت الذي كانت تعمل يه على تشديد قبضتها على وادي النيل، والعراق، والهند وتمزيق أراضي الدولة العثمانية مقر الخلافة. فاذا بشعـوب هذه البـلاد جميعـا تهب في وجههـا وتطالب بخروج قوات الاحتلال البريطاني من أراضيها وترفض كل ماكان يعرض عليها من معاهدات ظاهرها الاعتراف بالاستقلال وحقيقتها وواقعها الإقرار بحماية بريطانية مقنعة.

رضـا شـاه بهلـوي:

رضي الشاه أحمد آخر حكام الأسرة القاجارية بالمعاهدة التي فرضتها انكلترا، وبقيت موافقة المجلس النيابي حتى يتم التصديق عليها، وفي هذه الأثناء رفض الحزب الوطني المعاهدة واتصل بفرقة القازاق إيرانية وطلب من رضا بهلوي الذي كان ضابطا فيها حسم الموقف.

تحرك رضا بهلوي عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢٣ م) بفرقته العسكرية واستطاع تحرير بلاده من كل من النفوذ الروسي والبريطاني واعترف الطرفان باستقلال بلاده، ونقل الانكليز قاعدتهم العسكرية من إيران إلى البحرين. كما تخلى الروس عن كل الأراضي الإيرانية التي في حوزتهم، كما أشرنا ـ ورابطوا على الحدود الشمالية. وفي عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م) قرر مجلس النيابي إقصـاء أحمـد شاه آخـر حكام،

القاجار عن الحكم وتقرر انتخاب رضا شاه بهلوي وتتويجه على عرش إيران بدلا منه.

سار رضا شاه على نهج مصطفى كمال، وقد أقر في السنوات الأولى من حكمه النظام والأمن وألغى الامتيازات الأجنبية والاتفاق مع شركة النفط الانكليزية، وعقد اتفاقا جديدا معها حصل بموجبه على شروط أفضل من السابق، واستولى على أموال الوقف، وأخضع القبائل، وعمل على توطين البدو، وافتتح المدارس، وأنشئت في عهده جامعة طهران عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م)، وألغي الحجاب، ودعا إلى خروج النساء الى الشوارع سافرات. كل هذه الأعمال فرضها، ودعا إليها بقـوة، وانقلب الحكم إلى نظام استبـدادى رغم أنـه احتفظ بالمجلس ا لنيابي كواجهة، وهو يرسم وينفذ المجلس يوافق ويوقع، كما أنه أصبح يملك مساحات شاسعة من الأرض، وغدا من أكبر أثرياء العالم.

وعمل رضا شاه على توثيق علاقاته مع جيرانه وتخطيط حدوده معهم، ففي عام ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) عقد الشاه في سعد أباد معاهدة مع تركيا، والعراق، وأفغانستان، لمدة خمس سنوات، ضمنت بموجبها كل من الدول الأربع حدود الـدول الأخرى، وتعهدت بالامتناع عن كل تدخل في شؤون الدولة المجاورة الداخلية، كما تعهدت هذه الدول جميعا بأن تحل أيها خلاف قد ينشأ فيما بينها بالـطرق السلمية، وكـذلـك عدم عقد مخالفات عدوانية مع الدول الأخرى وسميت المعاهدة بميثاق سعد اباد.

ولما اندلعت الحرب العالمية الثانية أعلن رضا شاه أنه يلتزم موقف الحياد الجبهات المشتركة في القتال، وإن حكومته موالية للألمان ويوجد في البلاد من الخبراء الألمان. فطلب الانكليز والروس إقصاء هؤلاء الألمان باعتبارهم خطر كبير للحلفاء، وأيدت الولايات المتحدة الأمريكية هذا الطلب ولكن رفض ذلك، فهاجمته القوات الروسية من الشمال والانكليزية من الجنوب، الولايات المحدة هذا التدخل، ودافع الإيرانيون عن بلادهم واضطر الشاه عن العـرش فنفـاه الحلفـاء إلى جنـوبي إفريقية، وبقى هناك حتى مات ١٣٦٣ هـ (١٩٤٢ م) وخلفه ابنه محمد رضا والذي أعلن قطع علاقات الإيرانية مع دول المحور.

وفي عام ١٣٦١ هـ عقـدت روسيا وانكلترا معـاهدة مع إيران تعهدتا فيها باحـترام وحـدة البـلاد واستقـلالها وحمايتها من كل اعتداء، وفي الوقت نفسه تعهـددت إيران بتقـديم التسهيلات غير العسكـرية للحلفاء، وسحبت القوات الروسية والانكليزية من البلاد الإيرانية.

وفي عام ١٣٦٢ هـ (١٩٤١ م) أعلنت إيران الحـرب على دول المحـور، وتعهدت كل من الولايات المتحدة وروسيا وانكلترا بتقديم المساعدة الاقتصادية، وبالمحافظة على استقلال أراضيها وذلك في تصريح طهران على لسان كل من روزفلت وستالين وتشرشل، والواقع أن إيران لم تكن مستقلة أثناء الحرب العالمية الثانية بل كانت مجزأة إلى منطقتى احتلال انكليزية في الجنوب وروسية في الشمال، ويفصل بينهما خط عرض طهران.

ساءت العلاقات بين إيران وروسيا بعد الحرب لأن الإيرانيين قد رفضوا طلب الروس بالتنقيب عن النفط في شمالي إيران، وهذا ماحدا بالروس إلى دعم حزب تودة الشيوعي ومطالبته بالاستقلال في أذربيجان. كما أنهم منعوا قوات الأمن الإيرانية من دخول أذربيجان الفارسية حيث ترابط القوات الروسية.

وفي عام ١٣٦٥هـ (١٩٤٤م) تحسنت العلاقات بين إيران وروسيا، فأعلن عن توقيع اتفاق نفطي بين الدولتين وانسحبت روسيا من شمالي إيران، ولكنه يظهر أن هذا الاتفاق كان مؤقتا للقضاء على الحركات الانفصالية التي يدعو إليها حزب تودة بدعم من روسيا. وأمام هذه الحركات أقال رئيس الوزراء من وزارته أعضاء حزب تودة، وأرسل قطاعات من الجيش إلى أذربيجان قضت على التمرد.

رفضت الحكومة الاتفاقية النفطية كما رفضها المجلس النيابي عندما عرضت عليه، وهذا ما أثار الروس إذ عدوا هذا الرفض عملا عدائيا.

وفي عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٦ م) جرت مفاوضات بين الحكومة الإيرانية برئاسة رئيس الحكومة الجنرال ـ رازمارا وشركة الزيت الانكليزية الإيرانية بقصد تعديل شروط الاستثمار، ولكن المعارضة بزعامة محمد مصدق عارضت هذه المفاوضات فاضـطر رئيس الحكـومـة إلى تأجيل المفـاوضـات. وسرعـان ماغتيل في عام ١٣٧٠ هـ / (١٩٥١ م) من رئيس الحكومة رازمارا، ثم أعقبه اغتيال وزير المعارف مما جعل المجلس النيابي يقرر تأميم صناعة النفط. ويعهد إلى محمد مصدق زعيم

المعـارضة برئاسة الوزارة والذي يلقى تأييدا من الوطنيين والمتطرفين والمتدينين. فألغى مصدق الامتيازات النفطية الانكليزية.

سحبت انكلترا موظفيهـا وخـبراءهـا من إيران وحـاصرت الموانىء، ورفعت القضية إلى محكمة العدل الدولية، فكان الحكم لصالح إيران، وحاول تشرشل وترومان التوسط ولكن مصدق لم يستمع إلى أي وسيط، ثم قطع علاقاته مع بريطانيا.

اختلف الشـاه محمد رضا مع مصدق، وحل رئيس الحكومة مجلسي النواب والشيوخ وهذا ماسهل له أن يعين رئيس وزراء جديد هو الجنرال زاهدى، فلم يعد بإمكان مصدق سحب الثقة لأن المجلس النيابي غير موجود.

سافـر الشاه برحلة إلى أوربا وترك الصراع بين الطرفين، فاستطاع الجنرال زاهدى أن ينتصر على مصدق بعد معركة جرب بالدبابات، بعد أن رفض ايزنهاور مده بالـدعم الاقتصـادي لإصلاحي الأوضاع الاقتصادية المتدهورة في البلاد، ونتيجة لذلك فقد قبض على مصدق، وقدم إلى المحاكمة، وعاد الشاه بعد ذلك إلى البلاد.

تسلم الجنرال زاهدى رئاسة الوزراء، وأعاد العلاقات مع بريطانيا، وسوى علاقـاتـه مع الاحتكـارات النفطية بحيث يستثمر النفط اتحاد مؤلف من ثماني شركات عالمية، ووافق المجلس النيابي على هذا المشروع، الذي عرضه الجنرال زاهدى عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م). لم يستقر الوضع بانتهاء حكم مصدق، فقد كان حزب تودة يعمل في اليسر، وقبض على خمسين من أعضائه وأودعوا السجن بتهمة محاولة اغتيال الشاه. كما أن الحكومة أرادت التخلص من جماعة «فدائيان إسلام» التي يقودها «نواب صفوي» والتي كانت تدعو إلى الإسلام وعدم وجود التفرقة المذهبية، فاتهم أحد أعضائها بمحاولة اغتيال رئيس الوزراء حسين علاء الذي خلف الجنرال زاهدى فقبض على عدد من أعضائها هوأعدموا، ومن بينهم زعيم الجماعة نواب صفوي. وهكذا نرى أن الحقد ينصب على المسلمين بشكل أقوى بكثير مما ينصب على الفئات الأخرى مهما كان الاختلاف قويا بينهما.

وفي عام ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م) انضمت إيران إلى حلف بغداد الذي يضم تركيا، والعـراق، وإيران، وبـاكستـان ليكـون هذا الحلف قوة في وجه روسيا

والشيوعية وعندما انسحبت منه العراق ١٣٧٨هـ (١٩٥٨م) عرف بعدها باسم الحلف المركزي أو (الحلف السنتو).

ولهذا كله كانت العلاقات بين إيران والاتحاد السوفيتى سيئة، ولم تخف حدتها إلا بعد زيارة الشاه للاتحاد السوفيتى عام ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م).

أعلن الشاه عن ثورة بيضاء ضمنت إنهاء عهد الإقطاع وبيع أسهم الحكومة في المصانع والاستفادة من ثمنها في الإصلاح الزراعي، ومشاركة العمال بالأرباح وإصلاح قانون الانتخابات، وتعميم الثقافة، وتأميم الغابات في البلاد جميعها، وأجرى استفتاء عاما جاء لمصلحة المشروع إذ أن أصحاب المال والأملاك الكبيرة قد وقفوا في وجهه مما اضطره إلى القيام بهذا الاستفتاء.

ومع ذلك فان المعارضة لحكم الشاه لازالت تشتد يوما بعد يوم، وكان آخر هذه الاضـطرابات ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) والتي نتج عنها تزعم الخميني للثورة الإسلامية التي أطاحت بحكم الشاه في ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م)، وخرج الشاه إلى الخارج، وقامت باعتقال وإعدام أعضاء النظام السابق وأعلنت عن قيام جمهورية إسلامية في إيران.

أما علاقتها بالدول الاسلامية عامة والعربية خاصة فقد كانت حسنة في بداية الأمر وتدعو إلى التفاؤل، وقد كان للحكومة الإيرانية الجديدة مواقف خاصة من قضية فلسطين بعكس النظام السابق، وبدأت الحكومة الجديدة تعيد النظر في أطماع إيران السابقة في الخليج ونأمل أن تتوطد علاقاتها مع الجميع على نحو يكفل للعالم الاسلامي التقدم والازدهار.

لم يلبث الخلاف أن وقع بين الفرق المشتركة في الحكم، وفّر رئيس الجمهورية أبو الحسن بني صدر متخفياً في فرنسا، ووقعت صدامات كثيرة تؤذن بضعف الحكم وخاصة بعد توقع موت الخميني الذي جاوز الثمانيين.

وتغـيرت العلاقات بعد مدة مع البلدان العربية، وقامت الحرب العراقية ـ الإيرانية ووقفت بعض الـدول العـربية بجـانب إيران والأكثرية الباقية بجانب العراق، ولم تجد المحاولات لوقف الحرب الدائرة بين الطرفين رغم تدخل مؤتمر العالم الإسلامي. وظهرت دعايات باستيراد إيران الأسلحة من إسرائيل، والله

يعمل ماتؤول إليه الأوضاع في إيران.

٦ ــ أفغانستـان

١ ــ تقـع أفغانستان في وسط آسيا، وتقدر مساحتها بـ ٦٥٠٫٠٠٠ كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها حوالى ١٨ مليوناً، منهم ٩٩٪ مسلمون، وعاصمتها كابول، وتحيط بها باكستان شرقا وجنوبا وإيران غربا وتركستان التي يسيطر عليها الروس شمالا.

ولم تعرف هذه البلاد بهذا الاسم الذي تشتهر به اليوم إلا منذ القرن الثاني عشر الهجـري، وإن ذكرت القبائل الأفغانية في التاريخ من قديم، واشتهرت مواطنها التي تتألف منها هذه الدولة اليوم، واشتهرت كابول وغزنة بدورهما في التاريخ الإسلامي، كما اشتهرت هراة بمكانتها المرموقة في ميادين الثقافة الرفيعة فضلا عما لأراضيها وأراضى بادخشان، وسجستان من خصب عميم، وعرفت قُندهار بشرتها التجارية وبموقعها ذي الأهمية الخاصة.

وتتمثـل في الشعب الأفغاني الشعوب الإسلامية كلها خير تمثيل ففيهم من ينتسب إلى العرب، والترك، والفرس، والمغول. كما تتمثل لغاتهم في بلاد الأفغان فهناك لغة البشتو الأفغانية، والفارسية، وتوجد فيها ألفاظ ومصطلحات عربية، وفارسية، وتركية. وهكذا يتمثل المسلمون شعوباً وألسنةً في هذه المنطقة. وقد ساهمت أفغانستان قبل الإسلام في حضارة العالم القديم، فقد عرفت قدرا كبيرا من حضـارتى الهنـد وإيران بحكم الجوار، وعرفوا حضارة اليونان حين كانت بلادهم جزءا من دولة الاسكندر المقدوني التي أقامها هناك.

بدأ المسلمون بدخول بلاد الأفغان في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم جددوا دخول هذا الجزء في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنـه وعلى الرغم من محاولات أهل البلاد في نقض العهود للمسلمين إلا أن الآخرين استطاعوا تثبيت أقدامهم في [illegible] البلاد. وأصبحت المنطقة إسلامية منذ

القرن الأول الهجري حينما زادت غزوات المسلمين أيام الأمويين حتى بلغت أسيا الوسطى والهند.

وقد أحدث دخول الاسلام إلى أفغانستان انقلابا كبيرا في حياة الشعب الأفغاني إذ أنه دخلها كعقيدة دينية تتمثل فيها جوانب الحياة جميعها، وذلك حين حلت الثقافة الإسلامية محل الثقافة الأفغانية القديمة بعاداتها وتقاليدها ونظمها، وقد تمسك الشعب منذ أن دخل الإسلام إلى أرضه بالعقيدة والنظم الإسلامية، وليجعل من بلاده معقلا حصينا للإسلام والمسلمين.

وقد ظهر في مختلف مراحل التاريخ الإسلامي عدد من المفكرين والعلماء في الفقه والشريعة والآداب والفلسفة واللغة العربية أسهموا بقسط وافر في الحضارة الإسلامية.

وهنا نشير الى حقيقتين هامتين: الأولى، هي أن العقائد التي كانت تسود هذه المناطق من هندوسية وبوذية وزرداشيته وغيرها، كانت تقوم على نظام الطبقات حتى كاد الأمر يصل ببعضها إلى أن تحرم على أتباعها مجالسة غيرهم أو مطاعمتهم، فضلا عن استبداد كهنة هذه العقائد الشديد بأتباعهم فحين أقبل الإسلام وجد فيه الأهلون المساواة التامة، لافضل لعربي على عجمي الا بالتقوى، أقبل على الدخول فيه دون إكراه. والحقيقة الثانية، هي أنه مامن بلد دخله الإسلام إلا وتحول أهله في الغالب من لغاتهم وعقائدهم فأسلموا وتعلموا اللغة العربية لغة كتاب الله، وحديث رسول الله ﷺ.

وعلى العموم، فان الحكم الاسلام الجامع لم يطل إذ بزغ عصر الدويلات الإسلامية المستقلة في القسم الشرقي من الدولة (العصر العباسي). وتستند هذه الدويلات إلى العصبية، فأسس طاهر بن حسنين الدولة الطاهرية في مرو ونيسابور مستفيدا من العصبية الفارسية واستمر حكم هذه الدولة حتى عام ٢٥٩ هـ ثم تلتها الدولة الصفارية، التي بسطت سلطانها على كابول، وهراة، وطبرستان، واستمرت حتى عام ٢٩٦ هـ، وخلف السامانيون الصفاريين وضموا إلى ملكهم أراضي كثيرة في بلاد ماوراء النهر. وكان من بين عمال الدولة السامانية العلوم الإسلامية والمعارف، واستمر حكمها حتى عام ٣٨٤ هـ وعلى يد سبكتكين هذا قامت أول دولة إسلامية على أرض أفغانية هي الدولة الغزنوية والتي استمرت

حتى عام ٤٢٧ هـ . وقد اضطلعت هذه الدولة بدور في التاريخ الإسلامي.

فقد استطاعت هذه الدولة أن تمد نفوذ المسلمين على رقعة واسعة من الأرض شملت أفغانستان وفارس وقسما كبيرا من الهند. وظهرت آيات لنضة المسلمين وتقدمهم الفكرى والحضارى، ومنها التأليف والترجمة، حتى غدت حاضرتها غزنة مركزا من مراكز الثقافة الإسلامية. وقد أخرج الكاتب الكبير الفردوسي في هذه الأسرة ملمحمته المعروفة بالشاهنامة تخليدا لأعمال السلطان الأمير محمود الغزنوي. وكذلك العالم الكبير البيروني الذي وضع من التصانيف الكثيرة أيام السلطان مسعود الغزنوي.

وتعرضت الدولة الغزنوية لهزات عنيفة في عهد خلفاء محمود بسبب حروبهم مع السلاجقة والغز، حتى ورثهم الغوريون الأفغان في القرن السادس الهجري. وانتشر الاسلام في الهند على نطاق واسع، ثم جاء السلاجقة فالخوارزميون، وفي أوائل القرن العاشر الهجري حين انتقلت مقاليد الأمور إلى أيدى الدولة المغولية التي أقامها هناك الأمير التيمورى ظهير الدين محمد بابر.

تعرضت بلاد الأفغان بدورها لمحنة الغزو المغولي التي نزلت بالعالم الإسلامي على أيدى جنكيز خان وأولاده، وأصاب الخراب أغلب مدنة، وظلت بلاد الأفغان تخضع لأحفاد جنكيز خان الذين كانوا يحكمون في فارس باسم الايلخانيين وتنتعش من جديد. ومن الحقائق المقررة أن جموع الترك والمغول المخربة، بعد أن دخلوا في الاسلام، انقلبوا بفضل الحضارة الإسلامية إلى بناة للمدنية، حتى إزدهرت على أيديهم الثقافة والمدنية الإسلامية ازدهارا ملحوظا.

واستطاع تيمورلنك أن يقيم له دولة امتدت من قلب الروسيا حتى ضفاف نهر الغانج في الهند، ويشهدها القسم الشرقي من الدولة الإسلامية من قبل.

وفي عهد الأمراء التيموريين عمّرت هراة الأفغانية بالمنشآت الفخمة من مساجد ومدارس ودور الشفاء وغيرها. وصارت هذه المدينة من أهم مراكز الثقافة الإسلامية، فقصدها مشاهير الفقهاء، والحكماء، والشعراء، والكتاب، والمؤرخون وغيرهم، أولئك الذين أفادت الانسانية جمعاء مما خلفوه من تراث فوائد جليلة. وكانت هذه المدينة هي كذلك أعظم مراكز التجارة والسياسة بآسيا الوسطى في

هاتيك الأوقات حتى قال الأمير التيمورى ظهير الدين بابر عنها في سيرته القيمة المعروفة ببابرنامه، بأنها كانت أعظم مدن العالم المسكون إذ ذاك.

وفيها كان حسين بيقرا آخر الأمراء التيموريين بخراسان يحكم في هراة التي بلغ نشاطها الحضارى والثقافي ذروته في عهده، كان ابن عمه ظهير الدين بابر يحكم في كابول وغزنه. وظل بابر في بلاد الأفغان ماينوف على العشرين عاما، حتى تم له في ختام الربع الأول من القرن العاشر الهجري الاستيلاء على شمال شبه القارة الهندية ثم شملها كلها، حيث أقام دولته المعروفة بالدولة المغولية، والتي ظلت تحكم الهند أكثر من ثلاثة قرون حتى دخلها المستعمرون البريطانيون. وفي عهد الدولة التيمورية هذه شهدت الهند أعظم أدوار الحضارة بها.

ولم ينس بابر، حين تم له الجلوس على عرش الهند، أن يبعث بقطعة النقود الفضية تذكارا منه إلى كل قاطن بكابول، ولا يفتأ، وهو بالهند يتغنى بمحاسن كابول، فلا يقيم جملة من الرياض على نمط مغانيها باسم السباتين الكابولية فحسب، بل نراه كذلك يوصى بأن يدفن بهذه المدينة، فكان له ماأراد.

ظلت بلاد الأفغان تعد في أغلبيتها جزءاً من الدولة التيمورية أي المغولية بالهند يرى فيها أصحابها موطن أبيهم الأكبر وحصنهم الذي يلوذون به حين تتهددهم الأخطار. حتى إذا ما أخذ الضعف يتسرب إلى الدولة المغولية بالهند، انطلق حكام الفرس يهاجمون بعض الأراضي الأفغانية، ويستولون عليها في حين أخذت بعض القبائل الأفغانية بدورها تتطلع إلى الاستقلال ببلادها وتطمح اليه.

واستولى على مقاليد الحكم بفارس، في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجرى نادر شاه الأفشارى مكان الصوفين ليحتاج من بعد ذلك بلاد الأفغان وينحدر إلى الهند فيدخل دلهى وينزل بها من الدمار والخراب أكثر مما أنزل بها تيمور لنك من قبل، ويستولى على مافيها من ثروات وأموال طمع من ورائها إلى إعداد جيش قوزى يكفّ به خطر العثمانيين عن بلاده.

وكـان نادر شاه قد عمد بعد دخوله بلاد الأفغان إلى ضم فريق منهم إلى جنده، وكان من بينهم فتى في الرابعة عشرة من عمرهع يدعى أحمد، قُتل أبوه وجده في حروبه معهم، وكان من زعماء الأبداليين الأقوياء، وسرعان ما وصل

هذا الفتى بطموحه وجدّه، إلى قيادة فرقة الأبداليين الأفغان بالجيش الفارسي، وكانت تضم بضعة آلاف من المحاربين الأشدّاء.

وحين قتل نادر شاه بتدبير من القاجاريين في جيشه إذ أراد أن يعيد مذهب أهل السنة إلى فارس، ويقضي على مذهب الشيعة الذي زرعة آخر حكام المغول محمد خدابنده (٧٠٤ - ٧١٣)، سارعت الفرقة الأفغانية تشق طريقها عائدة إلى بلادها. هنالك نودى بقائدها أحمد خان في قندهار أميراً على بلاده باسم أحمد شاه الأبدالي الدرّاني في عام ١١٥٣ هـ (١٧٤٠ م)، وكان إذ ذاك في الثالثة والعشرين من عمره، فكانت دولته هذه هي أول دولة في التاريخ تعرف باسم الدولة الأفغانية. وجعل أحمد شاه قندهار عاصمةً لمملكته وسماها أحمد شاهي، وهو الاسم الذي ضربه هو وخلفاؤه على نقودهم، واتخذ لنفسه لقب «درّان» وأصبحت قبيلته الأبدالية تعرف باسم دراني. واستطاع بفضل كياسته وحنكته وعلو همته أن يوطد سلطانه، فقد عامل القبائل برفق، واعتمد في موارده على الحروب الخارجية أكثر من اعتماده على الضرائب. وكان الدرانية يفخرون به ويتبعونه عن رضا، ولكنهم لم يكونوا بالقوم الذين يسهل قيادهم، ولذلك فان ابنه تيمور شاه نقل عاصمته إلى كابول التي كان معظهم سكانها من الطاجيك. ولم ينافس أحمد شاه في فتوحاته الهندية نادر شاه فحسب بل بزّه فيها أيضا، ومد أملاكه إلى ماوراء نهر السند بكثير، وضم إليها ولايات كشمير، ولاهور، وملتان، أي أنه ضم الجزء الأكبر من البنجاب، وخاض غمار حروب كثيرة متكررة عند دلهى وما وراءها هدف ومن ورائها إلى دفع خطر الجماعات التي كانت تكيد للدولة الاسلامية هناك من المهاراتا والسيخ وغيرهم. كانت هزيمته لجموع المهاراتا في معركة (بأني بت) نقطة تحول في تاريخ الهند، إذ أن جموع الهنادكة كانوا قد زحفوا من وسط الهند وجنوبها بغية القضاء على الدولة الإسلامية هناك. وكانت حروبه مع السيخ متصلة لاتنقطع ولولا أن تعرض له أحمد شاه من متاعب، بسبب تفشى المرض في جنده وضعف موارده المالية حتى اضطر إلى الرجوع إلى بلاده، لاستطاع في أغلب الظن أن يعيد للحكومة الإسلامية هناك سابق هيبتها، ويعوق بلاشك استعمار الانكليز لشمالي الهند بعد أن كانوا قد تغلغوا في الشرق والجنوب، وتوفي أحمد عام ١١٨٧ هـ (١٧٧٧ م) تاركا لخلفه تيمور شاه دولةً مترامية الأطراف غير مأمونة.

وكان تيمور شاه قد تولى في حياة أبيه مناصب كبيرة هامة مثل «حاكم لاهور وملتان» وهو منصب تدل عليه شواهد من مجموعة متمايزة من الصلات. ولما توفي أحمد شاه كان تيمور شاه في هراة، ولم يستطع أن يستولى على قندهار إلا بعد أن قبض على أخيه سليمان الذي كان قد أقيم لمنافسته وقتله. ولم يلبث أن نقل عاصمته إلى كابول، وحكم عشرين عاما خالية من الأحداث اضمحلت فيها قوة المملكة وتزعزع استقرارها، وإن كانت أطرافها لم تنتقص. وكان سلطان الحكومة المركزية على الولايات القائمة في الأطراف واهياً. وازدادت قوة السيخ واستولوا على ملتان سنه ١١٩٦ هـ (١٧٨١ م) ولكن تيمور استردها في السنة نفسها. وفي السند شن الأمراء التالبريون الحرب على جيوش تيمور شاه من سنة ١١٩٧ هـ (١٧٨٢ م) الى سنة ١٢٠١ هـ (١٧٨٦ م) وظلوا مستقلين على الرغم من خضوعهم له بالاسم، وهاجم تيمور أيضا أمير بخاري معصوم المنغيتى الذي كان يعتدى على ولاية التركستان وخاصة مرو، فخضع لتيمور بالاسم هو الآخر. وكانت قد شبت أيضا فتنة في كشمير ثم أخمدت. وفي الداخل كان سلطان عشيرة بار كزائي من الدرانية يتعاظم شيئا فشيئا، وتوفي تيمور شاه سنة ١٢٠٧ هـ (١٧٩٢ م) وخلفه ابنه زمان شاه الذي ظل في الملك حتى خلفه أخوه محمود شاه عام ١٢١٥ هـ (١٨٠٠ م).

وعلى الرغم من قصر عهد زمان شاه فانه استطاع أن يجمع فيه من الجرائم والحماقات ماهو كفيل باغراق المملكة الدرانية، وكانت المنافسة بينه وبين أخويه محمود وشجاع الملك تضعف مركزه في الداخل، وكان القاجار حكام الفرس يهددون ملكه في خراسان، ويتهدده الشاه مراد المنغيتى في الشمال، ويتحداه في الجنوب خان كلات وأمراء السند، ومع ذلك يحجم عن استنفاد جهده في محاولات حمقاء لمنافسة جدة أحمد شاه في فتوحاته بالهند والظهور بمظهر المدافع عن الإسلام ضد السيخ والمهاراتا، وأدى فعله هذا الى الاصطدام بالانكليز الذين كان سلطانهم ينمو بسرعة حتى أصبحوا القوة الغالبة في شمالي الهند. ولجأ الانكليز إلى الحيلة والخديعة فأوعزوا للفرس بالهجوم على بلاد الأفغان، فاضطروه أن يوقت حملاته ضد السيخ، وضد المتمردين والثائرين عليه وخاصة أخاه محمودا، وأدى ذلك كله إلى سقوط حكم زمان شاه عام ١٢١٥ هـ (١٨٠٠ م) واعتقله أخوه محمود وسمل عينيه. وهكذا فقدت الدولة في عهد زمان شاه الولايات الخارجية

في الهند.

وبينما كان محمود يرقى عرش كابول كان شجاع الملك ينادى بنفسه ملكا في بشاور. وفي عام ١٢١٨ هـ (١٨٠٣ م) استولى شجاع الملك على كابول وسجن محمودا، وأطلق سراح أخيه الشقيق زمان شاه الضرير. وظلت قندهار مدة من الزمن في يد ابن محمود: قمران يؤيده فتح خان، ولكن فتح خان اصطلح مع شجاع على شروط مراعيا مصلحته هو وخضع له، غير أنه لم يرض بنصيبه، ولم يلبث أن أقام ملكا منافسا لشجاع في شخص قيصر شاه بن زمان شاه. وانقضت السنوات القليلة التالية في مؤامرات لاتنقطع، تقلب فيها فتح خان بسرعة في نصرته للطامعين في الملك، فتارة يؤيد محمودا وقمران وتارة يؤيد قيصر، على حين استنفد شجاع الملك قوته في إيفاد الحملة تلو الحملة على السند وكشمير. وأخيرا هزم فتح خان - الذي كان يؤيد آنئذ محمودا - شجاع الملك عام ١٢٢٤ هـ (١٨٠٩ م)، وفقد محمود كابول ولم يستردها خاصة وأن محمودا قد قتل أخاه فتح خان، والذي أخذ بثأره شقيقه دوست محمد، ونظرا لاختلاف أفراد الأسرة وتعارض أطماعهم، تعرضت أفغانستان إلى صراع دموى حتى ثبت دوست محمد حكمه. واتخذ لنفسه لقب «أمير كابول» ولكن لم يلقب بالشاه أو الملك لاهو ولا أحد من خلفائه حتى جاء حبيب الله. وكانت بداية حكم فرع أسرة المحمد زائي من عشيرة الباركزائي.

وفي السنوات الأولى من حكمه فقدت الدولة سريعا الولايات في الأطراف فاستولى السيخ على الإمارات الهندية وبقي دوست محمد حاكما لمملكة أفغانية، وساعده على دعم سلطانه فقدان الولايات الخارجية التي كانت دائما مصدر ضعف للملوك. وكان دوست محمد لاتأخذه في الحق لومة لائم، ومع شدته وقسوته فقد كان محبوبا بين الأفغان لعدله، وقد عاقت نجاحه المنافسات المحمومة بينه وبين إخوته. وجعل دوست كابول عاصمة لمملكته، في حين احتفظ كوهندل خان بقندهار، وأهبط محاولة بذلها شجاع الملك الدوراني لاستعادتها سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م). واستولى الفرس على هراة بعد قتل قمران بيد وزيره يار محمد خان سنة ١٢٥٨ هـ (١٨٤٢ م) ولم يستردها دوست محمد إلا سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م) وقبيل وفاته.

التنافس الأجنبي :

عزم الانكليز على غزو بلاد الأفغان التي تعد أقوى قلاع المسلمين بآسيا الوسطى إذ ذاك. وكان قد تم لهم تثبيت أقدامهم بالهند وتنظيم نهب خيراتها وثرواتها. فاغتنموا فرصة الخلاف والصراع الدائر بين الأخوة والأشقاء الحكام في بلاد الأفغان من جانب، وبين أفراد الأسرة الحاكمة السابقة من جانب آخر، وعلى رأسها شجاع الملك. وما إن طلب شجاع الملك النجدة من الانكليز لمساعدته على الاستيلاء على الحكم في أفغانستان حتى لبت بريطانيا المطلب تحقيقا لمطامعها الاستعمارية بعد أن رأت أن النفوذ الروسي أخذ في الازدياد هناك من جهة الشمال، وكذلك هجمات الفرس والاضطرابات الداخلية مستمرة.

بعثت بريطانيا بجيش بريطاني هندى دخل أفغانستان واحتلها، وهرب دوست محمد إلى بخارى، وأقيم شجاع الملك على عرش كابول في عام ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م) وقام دوست محمد ببعض العمليات الحربية الفاشلة في الشمال، ثم سلم نفسه للبريطانيين في السنة التالية وحمل إلى كلكتا.

وكان عهد شجاع الملك عهد اضطراب وقلاقل. وانسحب الجيش البريطاني الهندى من كابول سنة ١٢٥٧ هـ (١٨٤١ م)، وكاد يباد عن آخره في انسحابه على يد الأمير أكبر خان ابن دوست محمد، ومنيت بريطانيا بخسارة كبيرة، ووجدت مقاومة عنيفة في حربها مع الأفغان، كما قتل حليفها شجاع الملك. وعاد دوست محمد إلى حكم البلاد لأنه كان الرجل الوحيد الذي يستطيع أن يقيم فيها حكومة وطيدة الأركان، فكما نجح في طرد الانكليز، رفع عن بلاده خطر الفرس كذلك، وأعيد أبناؤه وإخوانه إلى إمارتهم. ولكن الشقاقات والخلافات ظلت تمزق صفوفهم حتى أن ابنه الأمير أكبر خان كان على علاقات سيئة مع أبيه.

اضطر الانكليز إلى الاعتراف بسلطته (دوست محمد) فعقدوا معه معاهدة صداقة، وحافظ دوست محمد على علاقاته الطيبة مع البريطانيين إلا في أوقات شابها التوتر، كما صالح دوست محمد روسيا كذلك بعد أن تساقطت ولايات آسيا الوسطى الإسلامية بأيديهم الواحدة بعد الأخرى فضلا عن ازدياد نفوذهم ببلاد فارس.

ولم يعترف البريطانيون بموقف الحياد الذي التزمه أمير الأفغان إزاء المنافسة الشديدة التي قامت بين روسيا وبريطانيا في هذه المنطقة، حتى زعموا أن المندوب الروسي (فينكوفيتش) لم يكن ليبارس نشاطه بالعاصمة الأفغانية لولا تأييد دوست محمد له، كما أن دوست محمد لم يؤيد البريطانيين أثناء عصيان الجيش الهندى والثورة العامة في الهند سنة ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧ م) ومع ذلك فقد تذرعوا بهذه الحجج الواهية، فزحفوا على بلاد الأفغان ولكن الأفغانيين وقفوا وقفة رجل واحد وصمدوا أمامهم وأوقعوا في صفوفهم خسائر كبيرة، وفشلت كل محاولات الانكليز في السيطرة على بلاد الأفغــان. ولم تجد بريطانيا مفـرا من الاعـتراف بالحكم الأفغاني.

وفي عام ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م) توفي الأمير دوست محمد وتولى الحكم من بعده ابنه شير علي، وحاول البريطانيون التدخل في شؤون هذه البلاد بحجة حماية حدود الهند من هجمات قبائل الأفغان عليها. ثم يهاجمون روسيا في آسيا الوسطى خاصـة بعد أن امتد نفوذها وتوسعت سيطرتها فاحتلت الولايات الإسلامية في تركستان، واستولت على جزء من خراسان ١٢٩٠ هـ (١٨٧٤ م). ومهدت لذلك بعقد اتفاقية بين انكلترا وروسيا لجعل نهر جيحون حدا للتوسع الروسي، وهذا ما جعل النفوذ الانكليزي يتوسع، ويزداد التدخل في الشؤون الأفغانية مما حدا بالسيد شير علي إلى طلب المساعدة الروسية وترحيبه في الوقت نفسه بقبول البعثة السياسية الروسية ورفضه الوفد البريطاني، الأمر الذي أدى الى الحرب الأفغانية الثانية ١٢٩٥ هـ (١٨٧٧ م) التي دحرت شير علي، وجعلت البلاد تحت الاحتلال البريطاني على الرغم من الخسارة الكبيرة التي منيت بها بريطانيا. ولم يلبث شير على أن توفي بعد عام من الاحتلال.

ولم يقبل الشعب الأفغاني أن يولى عليه يعقوب خان بن شير علي، الموالى للانكليز، فقاوم المحتلين في كل مكان، وأنزل بقوات الاحتلال خسائر كبيرة، واضـطرت القوات الانكليزية الى الانسحاب من البلاد، وتسلم الحكم الأمير عبدالرحمن حفيد دوست محمد، وبموجب معاهدة ١٢٩٦ هـ (١٨٧٨ م) تركت البلاد حرة داخليا ولكنها قيدت باتباع المشورة البريطانية في العلاقات الخارجية.

وفي عام ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤ م) اقتحم الروس بلاد الأفغان، واتجهوا نحو هراة

وأسرع الانكليز لحماية هراة فعقدت بريطانية معاهدة مع روسيا ١٣٠٥ هـ (١٨٨٩ م)، في سان بطرسبورغ وأوقف الروس كل تقدم في الجنوب ومرة أخرى قامت عمليات عسكرية روسية قرب الحدود وأصبحت بادخشان في الشمال الشرقي مثار النزاع، ولكن بقيت جزءاً من الأفغان بعد عقد المعاهدة بين انكلترا وروسيا سنة ١٣١٣ هـ (١٨٩٥ م)، ورسم الحد الشمالي للبلاد بدقة، وانتهى الأمر بين كل من روسيا وانكلترا بعقد اتفاق في بطرسبورغ عام ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) يعترف الطرفان بموجبه باستقلال أفغانستان واحترام سيادتها وسلامتها.

الاستقلال والعهد الجديد :

كان الأمير عبد الرحمن قد وطد حكمه وأشاع الأمن في البلاد وأصلح نظم الحكومة، ونظم الجيش ووفر له الأسلحة والمعدات، ولم يلبث أن قضى نحبه عام ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) وخلفه ابنه الأكبر حبيب الله خان فسار سيرته، وآثر أن يهادن الجوار فأقام علاقات ودية للغاية مع حكومة بريطانيا في الهند. وقد ازداد النفوذ البريطاني في أفغانستان وقوى الى درجة أن سياسة هذه البلاد الخارجية كانت تسير في إطار السياسة الإنكليزية ورفض أن يستجيب لنداء العثمانيين والألمان مع مابذل من جهد لحمل الأفغان على حرب البريطانيين بدعوى الجهاد. ولم تقدر له بريطانيا صنيعة هذا فأصرت على الاحتفاظ ببعض مناطق الحدود الأفغانية بدعوى تأمين الهند. ولم تُعجب أبناء الأفغان تصرفات أميرهم فاغتالوه في عام ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م).

وتولى من بعده ابنه الثالث أمان الله خان الذي اتخذ لنفسه لقب ملك ونظم الحكومة والجيش ونشر التعليم، واهتم بتعمير بلاده ووضع دستوراً لها، كما عزم على القضاء على النفوذ البريطاني من بلاده، فبعث برسالة إلى نائب ملك بريطانيا في الهند يعلمه فيهابتوليه الحكم وانتهاجه سياسة استقلالية في بلاده. غير أن الحكومة البريطانية تجاهلت هذه الرسالة في بادىء الأمر فساءت العلاقات بين البلدين لإصرار بريطانيا على مواصلة سيطرتها على السياسة الخارجية للبلاد، فاشتعلت الحرب الأفغانية الثالثة ضد الانكليز في صيف عام ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م)، وتمكنت القوات الأفغانية بقيادة محمد نادر شاه من هزيمة القوات

الـبريطانية هزائم متـلاحقة، واستردت المناطق التي احتلها الانكليز، واعترفت بريطانيا له بالاستقلال التام، وضمنت له مرور مايحتاج إليه من سلاح وعتاد عن طريق الهند، ووافقت على إنشاء منطقة حرام عازلة بين حدوده وحدود الهند. وكـان اعتراف بريطانيا باستقلال أفغانستان هو أول اعتراف رسمي باستقلالها التام.

وتبـادلت أفغـانستان السفراء مع الدول الأخرى التي اعترفت بها، ووثقت علاقتها بصفة خاصة مع روسيا، وتركيا، وإيران.

أصاب الغرور الملك أمان الله الذي أعجب بشخصية مصطفى كمال، وحاول تقليدها، فانحرف في أسلوب حكمه واختلت موازينه اختلالا كاملا، فأخذ يقصي العناصر الوطنية الى الخارج ومنهم القائد محمد نادر شاه، كما لجأ إلى اتباع سياسة العنف وابتزاز الأموال بدعوى الإصلاح مما أدى إلى إفلاس الخزانة، وفي الوقت نفسه عاش حياة الاستهتار والفوضى فشهدت أفغانستان عهدا من الظلم وفساد الأخلاق وزيادة الضرائب لم تشهد له مثيلا، وهزأ الملك بالعلماء والفقهاء وسخر منهم علنا وأمام الناس. وبالإضافة الى ماسبق قام الملك برحلة البذخ والإسراف عام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) والتي زار فيها عددا من بلدان العالم، كلفت ميزانية الدولة أموالا باهظة.

وبمجرد عودته إلى البلاد، اندلعت في البلاد ثورة عامة ضده شملت معظم أنحاء أفغانستان، وفر الملك أمان الله الى قندهار، وتنازل عن العرش لأخيه عناية الله عام ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩ م) غير أنه لم يصمد وترك الحكم. فاستغل الأمر أحد قطاع الطرق وهو باحي السقا (ابن السقا) واستولى على العاصمة كابول أثر فرار الملك منهـا واستطاع القضاء على عناية الله فأعلن ابن السقا نفسه ملكا على افغانستان باسم «حبيب الله غازي» وتسلطت عصابته على البلاد وعاث أفرادها في الأرض فساداً. وبذلك شهدت أفغانستان مهزلة بل مأساة لاتتكرر في تاريخ الشعوب كثيرا

عاد القائد محمد نادر شاه ابن عم الملك المخلوع إلى البلاد، واستطاع القضاء على حكم ابن السقا الذي لم يستمر سوى تسعة أشهر فقط وأعدم ابن السقا، وتسلم الحكم، ونـودى به ملكا على أفغانستان، ونهض بالبلاد وقدم خدمات

واسعة وسار سيرة حميدة وقضى على الرشوة والفساد. وفي عهده تأسس الحزب الـديمقـراطي عام ١٣٥١ هـ (١٩٢٢ م)، وكان معظم أعضائه من الشيوعيين كخطوة أولى نحو مد النفوذ الروسي إلى البلاد. ومع أن حكمه كان مستقرا إلا أنه اغتيل عام ١٣٥٢ هـ ويعد محمد نادر شاه بطل استقلال الأفغان فهو الذي قاد جيوش الأفغان في حربها مع البريطانيين عامى ١٣٣٨ - ١٣٣٩ هـ وألحق بها هزائم فادحة اضطرت على أثرها بريطانيا للاعتراف باستقلال أفغانستان التام - كما مّر معنا.

وخلفه في الحكم ابنه محمد ظاهر شاه فسار سيرته في تدعيم الحياة الدستورية والنهوض بالجيش، ونشر التعليم، وتقوية اقتصاديات البلاد وتعميرها، واستثمار ما بأرضها من ثروات، فضلا عن توثيق علاقاتها بجيرانها بعامة وبالبلاد الإسلامية بخاصة، وتمثل ذلك في عقد ميثاق سعد آباد ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧م) بين العراق، وإيران، وأفغانستان، وتركيا.

وفي مجال السياسة الخارجية اتبعت سياسة الحياد وعدم الانحياز، فلم تتعرض بلاده لأخطار التنافس الاستعماري إبان الحرب العالمية الثانية وخاصة بين روسيا وانكلترا. ولم تلق الدعاية الروسية في بادىء الأمر مجالا خصبا في أفغانستان بسبب ماجرى للمسلمين في المقاطعات التي احتلها الروس. غير أن التعاون بين روسيا وأفغـانستان قد ظهر حديثا في الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجري، فأمدت روسيا والصين أفغانستان بالمساعدات، فكانت مساعدات روسيا تشكل ٦٥٪ من المســاعـدات بينـما شكلت المعونـة الأمـريكية ٢٣٪ فقط من تلك المســاعـدات، واستمـرت المساعدات الروسية تتدفق على أفغانستان، إذ سلح الـروس القـوات الأفغانية، وقدموا المساعدات الفنية والمادية لمشروعات الرى. وبدأت بلاد الأفغان تتألق في نظر الروس، وبدأ النفوذ الروسي يتوسع فعلا في أفغانستان ونتيجة لذلك، نشط الشيوعيون في أفغانستان واصطدم المسلمون مع الشيوعيين في عام ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م) ونجح المسلمون في القضاء عليهم وعلى كل أعداء الإسلام. وكان الحكم بصفة عامة يؤيد الشيوعيين خاصة وأن رئيس الوزراء محمد داود كان من مؤيدى التعاون الواسع مع روسيا. ومع ذلك فقد أراد الشيوعيون قلب نظام الحكم لأن قوة الجماعة الاسلامية كانت حائلاً أمام

وصولهم إلى السلطة. فقام السردار محمد دواد ابن عم الملك بالقيام بانقلاب في جمادي الأولى ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) أعلن على أثره إلغاء النظام الملكي وسمح للشيوعيين بمزاوله نشاطهم في حرية تامة، فهو من المتعاطفين مع روسيا ومن المناوئين للجماعة الإسلامية.

استمر محمد دواد في حكمه حتى يوم ٢٠ جمادى الأولى ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) ولم ترض روسيا عنه رغم خطه المساير لها؛ لأنه لم يكن شيوعياً يقبل الانضواء تحت السيطرة الروسية لذا هيأت ضده انقلاباً عسكرياً بقيادة المقدم عبد الفتاح، واستولى الشيوعيون على ناصية الحكم في البلاد، وحدثت مجازر بشرية رهيبة من جراء الانقلاب، أودت بحياة عشرة آلاف كان من بينهم الرئيس السابق محمد داود الذي أجبر على مشاهدة عملية القتل لأقاربة وأولاده البالغ عددهم تسعة وعشرين. وتكون مجلس الوزراء بكامله من وزرراء شيوعيين برئاسة نور الدين تراقى رئيس الحـزب الشيوعي، ولقى الحزب الشيوعي الحاكم دعما فوريا من الاتحاد السوفيتي.

وقد بدأت هذه الجماعات الإسلامية في مقاومة النظام الحاكم منذ قيامه، وهذا ماجعل التفاهم بين موسكو وواشنطون يتم لضرب هذه الجماعات التي بدأت قوتها تتزايد، فقام الانقلاب الأول والثاني على يد موسكو التي تورطت في الأمر، ثم قام الانقلاب الثالث بزعامة بابراك كارمل، ولايختلف عن الأولين، ولماوجد نفسه ضعيفـاً طلب الدعم الروسي، فدخل الجيش السوفيتي أرض أفغانستان ولقي مقاومة عنيفة أقضت مضاجع موسكو حتى أن الجنود المسلمين في ذلك الجيش كثـيراً ماكانوا يتركون سلاحهم لمجاهدين أو ينضمون إليهم الأمر الذي جعل الروس يستبدلونهم بجند كلهم من الروس والأوكران، ومع هذا فلم يتمكنوا من السيطرة الكاملة على أفغانستان، بل إن المجاهدين يسيطرون على أجزاء واسعة بقوتهم المحلية، وقد قوي أمرهم بعد التفاهم بين الجماعات الإسلامية الست التي كانت تقاتل منفردة. واستعمل الروس الأسلحة الفتاكة كلها، ولكن لم يجدهم ذلك نفعاً إذ إستمرت المقاومة على ضراوتها. . . وزاد عدد المشردين من الأفغان على المليوني لاجىء، معظمهم يقيم في مخيمات في باكستان.

٧ ــ باكستــان

تقع باكستان في شبه القارة الهندية، وتشكل قسما صغيرا بالنسبة إلى مساحة ذلك الجزء الواسع، ومع ذلك يعد تاريخها تاريخ الهند كله. وتضم شبه القارة الهندية حوالى ٢٢٥ مليون مسلم منهم ٧٥ مليونا في الهند و ٧٥ مليونا في الباكستان و ٧٥ مليونا في بنغالاديش، كما تبلغ مساحة باكستان ٨٠٠ر٠٠٠ كم٢.

وصل الإسلام إلى هذه البلاد قبل الفتوح الإسلامية عن طريق الرحالة والتجار العرب الذين كانوا يفدون على سواحل الهند الغربية منذ أقدم العصور، ثم وصل الإسلام إليها ـ عن طريق الفتح وعن طريق الدعاة المسلمين، وأخيرا عن طريق الممرات الجبلية التي سلكها المسلمون في عهد الخليفة معاوية بن ابي سفيان، وتتابع زحف المسلمين إلى حوض نهر السند شيئا فشيئا، وبدأت فتوحاتهم تتسع تدريجيا حتى ضم أقليم السند تقريبا إلى أملاكهم في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور في عام ١٤٣ هـ ، ثم كانت الفتوحات الإسلامية لبلاد الهند في عهد الغزنويين في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وقد وصفت سنوات حكمهم السلطان محمود الغزنوي أنها من أزهى عصور الإسلام في الهند، إذ يعود إليه الفضل في نشر الإسلام والقضاء على الشرك. واستمرت هذه الدولة حتى عام ٥٥٥ هـ وخلفتها الدولة الغورية فسارت على خطتها ونهجها. وتتابع على الهند عدة حكام يمثلون دولا مختلفة تعاقبت على حكام البلاد كالأسرة الخلجية والأسرة التغلقية، واستمرت فيها حتى جاء الحكم المغولي (الدولة المغولية) في عام ١٨٠١ هـ (١٣٩٨ م) بقيادة تيمورلنك. وقد حكم من حكامهم أناس أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات. وفي المقابل تولى منهم حكام عدلوا وأنصفوا وأصلحوا ماأفسد أولئك وكان عهدهم أزهى عصور الحكم الإسلامي في الهند وقد بلغ الحكم الإسلامي أوجه في عهد أورنكزيب ١٠٦٨ هـ (١٦٧٩ م) وركز حكام المغول على سياسة التسامح الديني، وتجنب التعصب والطائفية ونشر «اللغة الأورودية»، وقامت في البلاد حضارة كبيرة شملت مختلف الجوانب. ومع ذلك فقد ظلت الهند تعاني من صراع بين الحضارتين الهندية والإسلامية، فكان هذا

الصراع إلى جانب تفكك الدولة المغولية بعد أورنكزيب من العوامل الجوهرية التي مهدت لتفوق قوى خارجية أجنبية جديدة على الهند بعضها استقر على السواحل مدة مثل (البرتغاليون) (والفرنسيون)، وبعضهم انطلق من السواحل إلى الداخل حتى جعل الهند كلها من ممتلكاته ألا وهم الانكليز.

الاستعمـار الانكليـزي :

في أوائل القرن العاشر الهجري بدأ ماعرف باسم الكشوف الجغرافية على أيدى الإسبان والبرتغاليين الذين كانت أوربا من ورائهم لإخراج المسلمين من الأندلس ثم ملاحقتهم ومن هذه الملاحقة عرفت أوربا مناطق جديدة على أيدى الإسبان والبرتغاليين، فقد وصل المكتشف البرتغالي فاسكودي غاما إلى الهند عام ٩٠٤ هـ (١٤٩٨ م) في ثلاث سفن و ١٦٠ رجلا، وكان الهدف المعلن عن رحلته هو الحصول على البهارات والعطور من الهند، ولكن الهدف الحقيقي هو تطويق العالم الإسلامي وضربه اقتصاديا وسياسيا، وكذلك نشر النصرانية في البلاد التي يدخلونها والاتصال بالنصارى لإثارتهم ضد المسلمين. ويؤكد ذلك مافعله فاسكودي غاما في الرحلة الثانية عندما ضرب كلكتا بالقنابل نظرا لعدم ترحيب حكام الهند به واستقباله استقبالا حسنا. وقد استولى البرتغاليون عام ٩٣٧ هـ على مدينة (غوا) وجعلوها مركزا لامبراطوريتهم في الشرق. وارتكبوا في سبيل ذلك الكثير من الأعمال الوحشية ضد السكان بصفة عامة والمسلمين بصفة خاصة فاستنجد المسلمون بسلاطين المسلمين وخاصة (قنصوة الغورى) سلطان مصر المملوكي الذي لبى الدعوة وبعث بأسطول كبير نازل الأسطول البرتغالي في موقعة (ديو) الشهيرة عام ٩١٥ هـ (١٥٠٩ م) على شواطىء الهند الغربية قرب كوجرات، ولم يحرز المماليك نصرا على البرتغاليين. ثم استنجد المسلمون بالعثمانيين.

انفرد البرتغاليون بخطوط الملاحة العالمية المؤدية إلى الهند حوالى قرن، وبدأت امبراطوريتهم البحرية تنهار تحت ضربات القوى البحرى الأوروبية الناشئة وعلى وجه الخصوص هولندة، وفرنسا، وبريطانيا، إذ عملت هذه القوى على كسر احتكار البرتغاليين لخطوط الملاحة البحرية إلى الهند، ونجحوا في ذلك عن طريق

الشركـــات التجـــارية الانكليزية ١٠٠٩ هـ (١٦٠٠ م) والهـولنـدية ١٠١١ هـ (١٦٠٢ م) والفـرنسية ١٠١٤ هـ (١٦٠٥ م) التي كانت لها أسـاطيلها الحربية والتجارية القادرة على التصدى للقوى البرتغالية، ون أشهر هذه الشركات شركة الهند الشرقية البريطانية التي ظهرت في مطلع القرن الحادي عشر. وقد نجحت بريطانيا دون غيرها في استعمار الهند، وورد الاستعمار الانكليزي في شكلين هما: شركة الهند الشرقية البريطانية والاستعمار البريطاني، وهذا التنافس الاقتصادي هو الذي غطي على الروح الصليبية التي كانت السمة الرئيسية لدول أوربا كافة، وهذا التنافس إنما حدث بسبب الاحتكار البرتغالي والأسباني، وعدم نوال دول أوربا منه شيئاً على حين كانت الدعامة الرئيسية لأسبانيا والبرتغال في حروبهما ضد المسلمين وفي ا انطلاقهما لملاحقتهم.

وقد بدأت صلات انكلترا بالهند منذ عام ٩٨٧ هـ (١٥٧٨ م) حيث قدم إلى الهنـد القسيس تومـاس ستيفنـز وتبعه ثلاثة آخرون بهدف الحصول على تجارة البهـارات، وتـلا ذلـك تأسيس شركـة الهند الشرقية البريطانية عام ١٠٠٩ هـ (١٦٠٠ م) التي أسستهـا الـدولة بمرسوم رسمي. وواضح أن تأسيس الشركة المذكورة لم يكن لهدف تجارى فقط بدليل أن الدولة ساعدت على إنشائها بهدف كسر شوكة إسبانيا والبرتغال.

كانت هذه الشركة تنشيء وكالات لها في أول الأمر على السواحل الهندية وكان يحصل عليها الانكليز في مقابل أموال يدفعونها إلى السلطات الحاكمة المحلية التي لم تعرها وزنا كبيرا. ومن أهم المراكز الانكليزة بومباى، وسورات، ومدراس، وكلكتا.

كانت شركة الهند البريطانية في أول الأمر تنقل الإنتاج من الهند إلى أوربا. أما بعد الانقلاب الصناعي فأصبحت ـ الى جانب ذلك ـ تنقل إنتاجها الصناعي المتكدس إلى الهند وهذا هو الذي يفسر لنا انتقال مهمة الوكالات البريطانية من مجرد التبادل التجاري الى الاستعمار المباشر. ولذا كان على شركة الهند البريطانية أن تبيع التبـادل التجـارى الى الاستعـمار المبـاشر. ولذا كان على شركة الهند البريطانية أن تبيع كميات متزايدة من إنتاج بريطانيا، ومن ثم كانت في حاجة إلى أسواق في داخل الهند، وجاء هذا في وقت كانت فيه دولة المغول قد تفككت

وحلت محلها إمارات متعددة إسلامية وراثية ضعيفة متناحرة وامبراطورية المهراتا الهندوسية، ومركزها بونا في الأقاليم الشرقية. هذا التفكك وهذا التصارع جعل الأمراء في حاجة إلى أموال الهنود الذين ارتبطوا بالشركة الانكليزية وكونوا رأسمالية هندية تؤثر على توجيه الأمور السياسية.

كان الانكليز قد بدأوا يتدخلون عن طريق الرأسماليين الهنود الذين يكرهون المسلمين ويعملون على تقويض نفوذ الحكومة المركزية المغولية في البنغال، فتضايق الامير سراج الدولة نائب الامبراطور الذي أراد أن يسيطر على مراكز الانكليز على الساحل وخاصة حصن فورت وليم. وهاجم سراج الدولة القوات الانكليزية الهندية المشتركة واستولى على الحصن في شوال عام ١١٦٩ هـ (١٧٨٣ م).

كان هذا التفوق مخيفا لبريطانيا، فأعادت النظر في سياستها، وأسندت القيادة البريطانية إلى رجل كفء وهو كلايف ((Clive)) وتولى مهمة القضاء على سراج الدولة، الذي اعتمد على ضباط فرنسيين لتدريب جيشه. لجأ الانكليز إلى سياسة الخديعة والخيانة لسراج الدولة الذي لم يستطيعوا قهره، واستطاع كلايف واعوانه أن يشتروا مير جعفر نائب سراج الدولة واتفقوا معه على أن يخون سراج الدولة خلال الحرب. وعندما دارت المعركة في (بلاسي) في شوال أيضاً من عام ١١٧٠ هـ (١٧٨٤ م)، وبينما كانت المعركة تتذبذب بين هذا الطرف وذاك، ضرب مير ضربته في الوقت المناسب، وانقضت القوات الانكليزية على جيش سراج الدولة فأبادته، ولم يلبث أن وقع سراج الدولة نفسه في يد الانكليزية على جيش سراج الدولة نفسه في يد الانكليز فاعدموه، بينما تولى مير (جعفر) حكم البنغال واستطاع الانكليز السيطرة على بعض المناطق في شمالي وجنوبي الهند، وأدركت القوى الإسلامية الحاكمة أن الخطر الانكليزي أصبح أعظم من أن تترك له أبواب الهند مفتوحة، ولكن هذا الإدراك جاء بعد فوات الأوان بزمن طويل. فأرسل الامبراطور المغولي جيشا ضد الانكليز وحلفائهم. فدارت معركة بوكسار Buxar في ١١٧٨ هـ (١٧٩٢ م) وفيها كانت الهزيمة الحاسمة للامبراطورية المغولية، وفقدت إلى الأبد البنغال، إذ أرغم الانكليز الامبراطور المغولي على أن يمنح الشركة حق التصرف الإدارى في الإيرادات في مناطق البنغال العريضة الثراء. ذلك كان مصير البنغال على يد شركة الهند الشرقية البريطانية، ولقد أعان

ذلك الانكليز على أن يكرروا خططهم نفسها مع بقية القوى المتعددة المتناحرة في داخل الهند، فأرغموا نظام حيدر أباد على أن يسرح القوات التي كانت قد دربها الفرنسيون من قبل، ثم هاجموا أكبر قوة حينذاك هي المهراتا، وهزموها شر هزيمـة في موقعـة (آسـاى) بالـدكن ١٢١٨ هـ (١٨٠٣ م) ثم قرب (بونا) في ١٢٣١ هـ (١٨١٦ م). ولم يبق أمامهم من قوة كبيرة قادرة على التصدى للانكليز سوى إمارة ميسور التي تولاها حيدر على ثم خلفه عليها ابنه فتح علي الملقب بـ (تيبو) أشد أعداء الانكليز.

هاجم الانجليز وحلفـاؤهم (المهراتا ونظام حيدر أباد) إمارة ميسور في عام ١١٧٩ هـ / ١٨٦٥ م وصمد حيدر علي أمامهم مؤقتا، واستعان بالفرنسيين في بناء جيشه في بادىء الأمر ثم تخلت عنه فرنسا وتركته يواجه مصيره مع انجلترا، ولذلك تفوقوا عليه واضطروه إلى التراجع إلى الداخل، ولم يلبث أن مات في عام ١١٩٧ هـ (١٧٨٢ م) ليخلفه ابنه فتح علي المشهور باسم «تيبو»، ليتابع من بعده القتال ضد الانكليز وحلفائهم فهزموه وأرغموه على عقد اتفاقية (سرنكابا تام) التي فقد فيها الكثير من أملاكه ودفع غرامة باهظة ١٢٠٧ هـ (١٧٩٢ م).

ولكن تيبو أعاد تنظيم قواته، وتطلع إلى فرنسا، فأرسل الفرنسيون إليه رسالة فوقعت في يد الانكليز، وأدركوا أنهم في موقف يتطلب القضاء عليه، خاصة بعد أن علموا بنزول الجيش الفرنسي الى أرض مصر ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) فشدد الانكليز حملاتهم عليه وحاصروه في عاصمته (سرنكاباتام) وفعلوا معه مثل مافعلوا مع سراج الدولة، فقد أغروا أحد قواده (مير صادق) بالخيانة، فخان في أدق موقف. وفتح للانكليز باب القلعة فاستولوا عليها وظل (تيبو) يقاتل المهاجمين حتى سقط والسيف في يده. فتخلص الانكليز بذلك من أخطر قوة وطنية تصدت لسياستهم الاستعمارية. وكان آخر حاكم إسلامي كبير يقف في وجه الانكليز وقفة صلبـة. ولم يلبث أن توسـع الانكليز بسرعة في الهند، ليضعوها بأسرها تحت سيطرتهم المباشرة بعد أن قضوا على مقاومة المسلمين والإمارات الهندوكية. ولكن ظلت هناك آمال لدى هذه القوى لحركة كبرى ضد المستعمر، وتحركت قوى الهند في ثورتها الكبرى المشهورة في شوال ١٢٧٣ هـ (١٨٥٧ م).

لاشـك أن الحكم الانكليزي قد أسفـر عن وجهه الاستعماري البشع بعد

سيطرته على الهند، فاستأثرت شركة الهند البريطانية بكل خيرات البلاد، وسلبوا الأمراء والسلطان حق الحكم، وفقد المسلمون مركزهم السياسي في الهند وخاصة بعد استئثار بريطانيا بالحكم. كما أخذ الانكليز جانب الهندوس وأطلقوهم ضد المسلمين يهزأون بدينهم، ويسومونهم سوء العذاب، وتوالى ذلك في أكثر من مكان. وكان السيخ والمهراتا بالذات شديدي الوطأة على المسلمين. ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط بل كان هناك الكثير من المذابح التى راح ضحيتها الألوف من المسلمين بسيوف المهراتا والسيخ، دون أن يجد المسلمون من الانكليز محاولات واضحة لوضع حد لهذا التقتيل الذي لامبرر له. وأدرك كثير من علماء المسلمين أن هناك اتفاقا غير مكتوب بين الانكليز والسيخ لإفناء المسلمين بالمذابح. وعمل الانكليز دون جدوى على تحويل المسلمين عن دينهم. ولم يعنوا بتعليم أبناء المسلمين أو حتى الإبقاء على أساليب التعليم التقليدية سائرة في طريقها، بل عملوا على تعطيل التعليم الإسلامي في الكتاتيب والمساجد والمدارس. كما استولوا على الأوقاف الخيرية الاسلامية الممولة لتلك المدارس والكتاتيب. وفي الوقت نفسه فتحوا أبواب التعليم أمام الهندوس بصفة خاصة على أسس انكليزية، ونتج عن ذلك ظهور عدد من الهندوس القادرين على المشاركة في الدواوين الحكومية جنبا الى جنب مع الانكليز، بينما لم يفز من المسلمين بتعليم راق سوى عددٍ ضئيل جداً بالنسبة للهندوس. لقد أيقن الانكليز أنه لايمكن تحويل مسلم عن دينه فركزوا على تعليم أبناء الهندوس تعليما نصرانياً، فأثار هذا أشجان المسلمين ودعاهم الى التحرك دفاعا عن أنفسهم وخاصة بعد أن قرر الانكليز أن (بها دور شاه) هو آخر شخص مسلم يحمل لقب سلطان، وأن من سيأتي بعده سيكون موظفا لدى بريطانيا له مرتبه ومخصصاته.

أدت هذه المشاعر الدينية المتأججة إلى ظهور عددٍ من العلماء إلى تقوية الدين الإسلامي في قلوب الناس، وحثهم على التمسك بأهدابه وقوانينه، وحثهم على التكاتف ضد قوى الإبادة المسلطة عليهم. فخرجت من هذه الدعوات نداءات إلى امتشاق الحسام دفاعا عن المسلمين من سيوف السيخ والمهراتا، وانقاذ الهند من التسلط البريطاني الذي كان في نظر المسلمين السبب الحقيقي لما يصيب المسلمين من نكبات وآلام. وكان من الدعاة (سيد أحمد) المشهور بالشهيد الذي نادى بالعودة الى نقاوة الدين الإسلامي، وتوحيد قوى المسلمين ضد العدوان

الانكليزي وعدوان السيخ. وخاض سلسلة من المعارك ضد السيخ حتى خفف كثيرا من ضغطهم على المسلمين. ولكن الجبهة الإسلامية كانت ضعيفة ومفككة، ولذلك كانت حركته محدودة لكنها أيقظت الوعى في نفوس المسلمين خاصة بعد استشهاد عرفان الشهيد سيد أحمد في ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م).

كان هذا السخط السياسي والديني يؤججه واقع اقتصادي مؤلم، فقد دمرت انكلترا أسس النظام الاقتصادي، فحطم الانكليز ودمروا الأنوال والمغازل الهندية، ومنعوا المنسوجات القطنية الهندية من أسواق أوربا، ثم شرعت تصدر الخيوط القطنية والمنسوجات القطنية إلى الهند. كما أن العلم الحديث واستخدام الآلة البخارية قد دمر الرابطة بين الزراعة والصناعة الحرفية.

وعلى العموم، فقد كان هناك سخط عام في الهند على الوجود الاستعماري، ولكن البلاد كانت مفككة، ولم يكن هناك زعيم يستطع أن يوحدها بشعبيها الإسلامي والهندوسي في حركة عامة ضد الانكليز. ولكن الفكرة كانت موجودة في مناطق المسلمين الشمالية. ولهذا كانت تلك المناطق تنتظر ظرفا ملائما لكى تثور، وهناك حركات سرية تبث منشورات تدعو للثورة. وكانت تحث الطوائف كافة على التحرك ضد العدو المشترك الانكليز، وبدأت الثورة من مكان لم يكن يتوقعه العدو.

بدأ الجنود المسلمون في الجيش البريطاني المعسكرون في ثكناتهم في (ميرت)، الثورة في شوال ١٢٧٣ هـ (١٨٥٧ م)، وأن السبب المباشر لثورتهم إرغامهم أن يقطعوا بأسنانهم قطعا من دهن مركب من دهون الخنازير والبقر لتشحيم بنادقهم. والمعروف أن المسلم محرم عليه تذوق دهن الخنزير وأن الهندوسي محرم عليه تذوق دهن البقر. ومع هذا تمادى الضباط الانكليز في عقاب الجند الذين تذمروا، ولم يلبث الجند أن انقضوا على ضباطهم وقتلوهم، وانطلقوا الى دهلي معلنين الثورة وسرعان ما انتشرت الثورة بسرعة كبيرة للغاية سواء في دهلي أم في خارجها في المناطق الشمالية بصفة خاصة. وعلى ذلك، فقد قامت الثورة دون تخطيط مسبق دقيق، ودون قيادة منظمة، فاتجه الثوار إلى جعل قيادة تتحكم في توجيه الثورة، وتهدف إلى إحياء الدولة المغولية وإعادة السلطات كاملة للسلطان المغولي «بهادور شاه». ولكن الاختيار كان خاطئا، لأنه وأعوانه لم يعرفوا أساليب الحرب والقتال

الحديثة حينذاك. فانقض الانكليز على معاقل الثوار غير الموحدة وأجهزوا عليها، وألقوا القبض على السلطان وأخذوه أسيرا ثم نفوه إلى (رانغون)، فكان آخر أباطرة المغول. وتلا ذلك انقضاض القوات البريطانية وأنصارها من رجال السيخ على المسلمين بشكل وحشي، فقتلوا مئات الألوف وأحرقوا المدن والأسرى، فكانت أبشع مذبحة يدبرها الانكليز. ويعزي فشل الثورة إلى عدم تنظيمها وتوحيد قواها، واقتصارها على المناطق الشمالية، ووقوع خلاف بين زعماء الثورة، وانضمام السيخ إلى الانكليز. وإثر انتهاء الثورة حلت انكلترا شركة الهند الشرقية، وجعلوا الهند مستعمرة بريطانية تابعة للتاج البريطاني مباشرة، وكان الانكليز يخشون من المسلمين كثيرا ويحقدون عليهم صليبيا، إذ أنهم يعلمون أن المسلمين إذا دعوا إلى الجهاد الإسلامي يستطيعون إخراجهم، لذا عملوا على إيجاد فئة موالية لهم تكون مهمتها إلغاء الجهاد فكانت دعوة القاديانية التي قام بها ميرزا غلام أحمد القادياني، مدعيا النبوة والتي دعا فيها إلى طاعة الحكومة البريطانية. واستفادت بريطانيا من ذلك بايقاع الفرقة والخلاف بين المسلمين واستعان الانكليز بالقاديانيين كجواسيس لهم ضد المسلمين وقربوهم منهم، إلا أن محاولاتهم باءت الفشل أمام جهود الحركة الوطنية ضد الاستعمار التي أجبرته على الخروج من الهند عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م).

الحركة الوطنيـــة :

بعث اضطهاد البريطانيين للمسلمين في الهند شعورا قويا فيهم بضرورة العمل على توحيد صفوفهم من جديد، ورفع معنوياتهم وإصلاح حالهم، فظهر أحمد خان الذي نادى بعدم العزلة والتخلف عن المشاركة في الحياة الهندية، كما نادى بوجوب الاطلاع على الحضارة الغربية والمدنية الحديثة وعلومها أو اقتباس الصالح منها واتجه الى الانكليز، فأكد عدم عداء المسلمين لهم. وقد عاب عليه الكثيرون مما لأته للانكليز وعدم تأييده للثورة السابقة إلا أنه لم يأبه لاتهاماتهم، وانطلق يعمل ودعا قومه إلى الاغتراف من علوم الغرب. فأسس مجلة «تهذيب الأخلاق» والتي كتب فيها المقالات العلمية والسياسية والاجتماعية. وأنشأ جامعة «عليكرة» بشمال الهند والتي قامت فيها الدراسات والعلوم التجريبية والشرعية، وبعد أحمد خان ظهر من بين الذين ينتمون إلى الإسلام طائفة من المفكرين والأدباء

والفلاسفة الذين حملوا الرسالة من بعده، ومنهم محمد إقبال ومحمد على جناح.

وقوي التيار الإسلامي وبدأ المسلمون يتعاطفون ويتعلمون ويطالبون بالتحرر، وبـدأت حركـة التحـرر التي تنادى بالتحرر السياسي أولا وهو المطالبة بالحكم الذاتي. وقد أنشأ الانكليز حزب المؤتمر الوطني ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م) على أن يتبادل رئاسته مسلم وهندوسي، وكان حزب المؤتمر في البداية يحترم شعور المسلمين حتى دخلت فيه أعداد منهم بل وجماعات، ثم أظهر فيها بعد عكس ذلك فنادى بتخليص الهند من الغرباء كالانكليز. وكانت بريطانيا تهدف من وراء إنشاء حزب المؤتمر إلى دمج العناصر في شعب واحدٍ للقضاء على المسلمين والعمل على النهوض بالهنادكة دون المسلمين، وأخيراً تعزيز الروابط بين انكلترا والهند.

لقد كانت كل الزعامات المثقفة ترى أن الوقت قد حان لتخليص البلاد من الاستعمار البريطاني، وكانت هناك حركات تحررية بين المسلمين والهندوكيين ولكنها لم تستطع أن تتحول إلى حركات عامة إلا ابتداء من القرن الرابع عشر. وكان المؤتمـر الهنـدي يقـود هذه الحـركة ويطالب بتحرير الهند تدريجيا من الاستعمار البريطاني. وكانت الزعامات الإسلامية في داخل المؤتمر الهندي تبذل جهدا كبيرا في تأييد الـزعامات الهندية ضد الوجود الاستعماري البريطاني. ومع ذلك فان الخـلاف بين المسلمـين والهنـدوس قد دب إثـر تقسيم البنغـال بين المسلمـين والهندوس، والذي قام به لورد كيرزون curzon ، فعارض الهندوس ذلك رافضين إعطاء المسلمين حقوقا يجب ألا تعطى لهم. ومن هنا أدرك المسلمون أن المؤتمر الهندي هو مظهر من مظاهر التسلط الهندوسي على المسلمين، وأن على المسلمين أن يؤسسوا لأنفسهم هيئة تدافع عن مصالحهم ضد المؤتمر الهندي وضد الحكم البريطاني، فدعا المسلمون إلى عقد احتماع في مدينة (دكا) برئاسة النائب فخار الملك، ونتيجــة هذا الاجتـــماع نشـأ حزب «الـرابـطة الإسـلامية» ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) وزاد من تماسك المسلمين وتعلقهم بالرابطة إنشاؤهم جامعة إسلامية في دكا مما أثار الهنود. وظلت الرابطة الإسلامية محدودة النشاط حتى مال محمد علي جناح عضو المؤتمر الهندي إلى الرابطة ابتداء ١٣٣٢ هـ (١٩٤١ م)، وكان يعمل من قبل للتوفيق بين الطرفين.

وخلال الحرب العالمية الأولى قويت الدعوات إلى استقلال الشعوب سواء قبل

صدور مبادىء ولسن الأربعة عشر أوبعدها. ولكن هذه المبادىء ألهبت حماسة الشعوب المهيضة الجناح. واتجهت الحركة الهندية بزعامة غاندي إلى الضغط على بريطانيا من أجل استقلال الهند، وفي الجانب الإسلامي الهندي كان المسلمون الهنود يسعون كذلك إلى تحرير الهند من الانكليز، وإلى إنقاذ الخلافة العثمانية (الإسلامية) ولعلهم رأوا في سقوط الخلافة سقوطا لهم في أعين كل من الانكليز والهندوس.

وهاجم محمد علي جناح الانكليز عندما انقضوا على الثوار الهنود في ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) لقتل الروح التحررية، ولكنه في الوقت نفسه انتقد غاندى عندما ابتـدع سياسـة المقـاطعة والعصيان المدني. وكانت وجهة نظر محمد علي جناح وزملائه هي أن المقاطعة السلبية تضر بالشعب الفقير أكثر مما تضر بالانكليز، وأن الالتجاء إلى المغزل ليس سوى رجعة إلى الماضي، وخير منها إنشاء المصانع كي تستطيع الهند أن تقف بقوة أمام مصنوعات بريطانيا. وانتقد غاندي عندما لقب بالمهاتما على اعتبار أن غاندي يسير في طريق هندوكي واضح لايمكن أن يحفظ للمسلمـين حياتهم وأرواحهم وعقيدتهم من تعـديات المتعصبـين من الهنـدوس. إذ كان الهنـدوس يعـدون حركتهم تقوم على أربعة مباديء هي: الوحدة، ووحدة العقيدة الهندوسية وإجبار كل السكان عليها، وإرجاع المسلمين إلى الهندوسية. واحتلال أفغانستان ومناطق الحدود وردّ أهلها عن الإسلام.

واشتدت معارضة محمد علي جناح لغاندي ولحزب المؤتمر، وزاد من ارتباطه بالرابطة الإسلامية تعاون الحكم البريطاني مع حزب المؤتمر على إصدار دستور للبلاد يعطيها طابعا هندوكيا ويؤدي إلى القضاء على المسلمين في المستقبل البعيد. وحاول محمد علي جناح أن يثنى غاندي وزعماء المؤتمر الهندي عن هذا الاتجاه دون جدوى، ولهذا وضع مبادئه الأربعة عشر أمام المسؤولين فإما أن يقبلوها فيقبل هو والـرابطة الإسلامية الاشتراك في الحركة الوطنية الواحدة ضد الانكيز وإلا فسيطالب بانفصال المسلمين عن الهندوكيين في المجالات كافة.

وكانت مبادىء وشروط محمد علي جناح الأربعة عشر على النحو التالي:

١ ــ سن دستور أساسي للهند يخول لكل مقاطعة الصلاحية التامة في الحكم المباشر.

٢ ــ مساواة المقاطعات جميعها في الحقوق والامتيازات.

٣ ــ مراعاة حقوق الأقليات في سائر المقاطعات، ومنحهم حق التمثيل النيابي في المجالس النيابية، وحماية حقوقهم ضد الأكثرية.

٤ ــ يمنح المسلمون ربع مقاعد المجلس النيابي بمقتضى الدستور.

٥ ــ ينتخب الأعضاء الممثلون للفرق والطوائف انتخابا مستقلا.

٦ ــ لايؤثر تغيير النظم في حقوق ومزايا المسلمين في البنجاب والبنغال والمناطق الشمالية.

٧ ــ يضمن الدستور الهندي الحرية التامة لجميع الملل والمذاهب من إقامة الشعائر والتعليم وغير ذلك.

٨ ــ لاينفذ أي قانون في المجلس النيابي في أية مقاطعة، ويكون القانون فيه مساس بقوم أو طائفة مالم يوافق على ذلك ثلاثة أرباع الأعضاء من ممثلي تلك الطائفة.

٩ ــ فصل مقاطعة السند عن بومباى فصلا تاما بغير قيد أو شرط.

١٠ ــ تنظيم مقاطعتى الحدود وبلوخستان تنظيمايتفق والحالة التي عليها سائر المقاطعات.

١١ ــ مراعاة حقوق المسلمين في سائر الإمارات المستقلة بما يتفق والحرية الدينية التامة والعدالة الكاملة في سائر الحقوق والوظائف.

١٢ ــ يضمن الدستور الهندي الجديد الحرية التامة للمسلمين في إقامة شعائرهم الدينية وصيانة حقوقهم ومقدساتهم وأماكن معتقداتهم، والمحافظة على ثقافتهم الدينية في التعليم والتبليغ واللغة في سائر المقاطعات والولايات المستقلة، وأن تخصص كل مقاطعة منحة مالية تصرف سنويا على الشؤون الإسلامية.

١٣ ــ لاتؤلف وزارة أو حكومة في المقاطعات الهندية مالم يمثل فيها المسلمون بنسبة الثلث.

١٤ ــ ألا يقبل أي تعديل أو تغيير في الدستور الهندي الأساسي بعد تشريعه إلا بعد أخذ رأي وموافقة سائر المقاطعات.

لكن أصر زعماء حزب المؤتمر على أن يسيروا في الحركة الوطنية دون محمد على جناح ودون الرابطة الإسلامية، وشجعهم على ذلك عدد ليس قليلا من زعماء

المسلمين كان متعاونا إلى أقصى حدود التعاون مع المؤتمر، وهم أعضاء جميعة الخلافة الإسلامية ـ مؤتمر الشيعة ـ وفشلت محاولات محمد علي جناح الذي عقد مؤتمرا مشتركا بين الرابطة والمؤتمر الهندي في مدينة لكنو سنة ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) وأقر فيه غاندي مطالب الرابطة الإسلامية. والتي سرعان ما تنكر لها غاندي عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م). ونادى غاندي باستقلال الهند. فرد المسلمون بعقد اجتماع آخر في عام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٩ م) طالبوا فيه بتأيد النظام الاتحادي الذي يمنح الولايات الحكم الذاتي التام والسطات الباقية، وتأييد حق المسلمين في انتخاب ممثليهم. ورفض المؤتمر الهندي هذه القرارات.

وفي عام ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م)، دعت بريطانيا إلى عقد مؤتمر الدائرة المستديرة بلندن، وطالب المسلمون بوجوب تضمين الدستور النص على كفالة حقوقهم. وفي الوقت نفسه عقدت الرابطة الإسلامية دورتها السنوية بزعامة محمد إقبال، وطالب لأول مرة بتكوين دولة إسلامية موحدة. وطلب من محمد علي جناح العودة من لندن ليتسلم زمام الأمور وقيادة المسلمين، ومن ثم عاد إلى الهند وألف العصبة المسلمة داخل الجمعية التشريعية.

اتجه الانكليز بعد ذلك إلى مفاوضه حزب الرابطة بعد قيام غاندي بالعصيان المدني. وفتحوا الباب أمام الاتصالات المباشرة بينهم وبين الرابطة ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م)، ولاشك أن الانكليز كانوا هم الرابحين من وراء التفاوض مع هذا الطرف تارة، ومع ذلك الطرف تارة أخرى.

ومهما كانت خطورة تلك الصراعات الطائفية إلا أنها كانت دائما موجهة ضد الوجود الانكليزي، وكانت تكاليف السيطرة على الأمن وعلى البلاد قد أصبحت باهظة، الأمر الذي جعل الانكليز يتجهون فعلا إلى إعطاء الهند استقلالها. وكان إصدار دستور ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) مقدمة لهذه الخطوة. وبرزت عن هذا الدستور مشكلة خطيرة هل ستكون الانتخابات النيابية المقبلة عامة أم تكون على أسس طائفية.

كان الهندوكيون والمؤتمر الهندي ينادون ويصرون على أن تكون هذا المجلس المقبل سيكون مجلسا هندوكيا لايمثل فيه المسلمون إلا بأقلية مهيضة الجناح. وأعلن غاندى ونهرو إصرارهم على الانتخابات العامة لأنهم كانوا يرون في انفصال

المسلمين عنهم إضعافا للهند، كما أن ظهور دولة إسلامية في شمال الهند سيؤدي إلى إعطاء الشعوب الإسلامية دفعة قوية من الحيوية، وربما تقوم هناك وحدة بين هذه الدولة الإسلامية الجديدة وأفغانستان، وفارس، والبلاد العربية.

وفي عام ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) استقالت وزارة حزب المؤتمر لأن حكومة الهند دخلت الحرب دون أخذ رأيها، وزاد الوضع حرجاً دخول اليابان الحرب واحتلال أندونيسيا والهند الصينية وبورما واقترابها من حدود الهند، فأعلنت بريطانيا أنها ستعطي الهند الاستقلال بعد الحروب ورحب حزب المؤتمر بهذا، وطالب بتسلم الحكم مباشرة وتطبيق سياسته.

وفي عبارة موجزة دقيقة صور محمد علي جناح أسس الخلاف بين المسلمين والهندوكيين عندما قال:ـ «نحن من الجنس الآرى وهم درافدا . . . ونحن من أهـل الكتاب وهم وثنيون يعبدون البقر ويقدسون الحيوانات وسنظل إلى آخر الدهر نذبح هذا المعبود ونأكله، وسيظلون هم الى آخر الدهر يقدسونه ويعبدونه، هم يتكلمون الهندوستانية ولا يريدون عنها بديلا. أبطال تاريخنا أعداؤهم لأنهم دحروهم وهزموهم، وأبطال تاريخهم أعداؤنا لأنهم دحرونا وهزمونا، ويوم يحتفل أحـد الفـريقـين بذكرى أبطاله يبكى الآخر حزناً وحسرةً، ولايمكن أن تزول الخلافات بيننا وبينهم، ولم نثق في وعودهم فقد حاولنا دأبنا ومنينا أكثر من مرة. وحكومة المؤتمر دليل على صدق قولى وفظائعها معنا شاهد على ذلك فلن نقبل بعـد الآن أن يحكمنا الهندوس ونحن قلة، فبمثل ذلك فناؤنا النهائي وفرصتنا الـوحيدة باكستـان، وسنريق دماءنا إلى آخر نقطة في سبيل تحقيقها. فالمناطق الإسـلامية يجب أن يحكمهـا المسلمـون، والمناطق الهندوسية يحكمها هندوس. وستبقى أقلياتنـا عندهم وأقلياتهم عندنا فيحتفظ التوازن ويطمئن الطرفان إلى العدالة والمساواة.

وعلى ذلك، تأكد لمحمد على جناح دون أدنى شك عدم جدوى الاتصالات مع المؤتمر الهندى، بعدما تأكد له أن حكومة المؤتمر ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) قد ازدادت إمعـانـا في اضـطهـاد المسلمـين وتعذيبهم وأهملت شؤونهم، وامتهنت حرياتهم، فأعلن أنه لابد من انفصال المسلمين، وحينئذ قررت الرابطة الإسلامية في عام ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م)، إعلان تمسك المسلمين بدولة خاصة بهم أطلقوا

عليها (باكستان)[٤٦] وتحقق بذلك أمل الفيلسوف الشاعر محمد إقبال الذي توفي عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٠ م) بانفصال المسلمين. وكانت فترة الحرب العالمية الثانية وأعقابها أحرج فترات الصراع بين الفكرتين: (١) الهند الموحدة. (٢) الهند المقسمة.

واستخدم خصوم محمد علي جناح الوسائل كافة من إرهاب دموي إلى سياسة المفاوضات معه أو مع الانكليز، وعملوا على إضعاف قوته عن طريق تحريض بعض الطوائف الشيعية والاسماعيلية ضده، ومع هذا استطاع أن يكسب الغالبية العظمى من مسلمي الهند إلى جانب فكرة «باكستان» مع أنه ينتمي إلى الطائفة الاسماعيلية.

وفي عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) بذلت آخر محاولة لفرض كلمة المؤتمر الهندي على الرابطة الإسلامية، وحاولت الجموع الهندوكية أن تفرض بالقوة وبالمذابح على المسلمين (الوحدة)، وكانت المذابح مروعة، وكانت سببا في أن تقطع كافة الطرق التي كان يمكن أن تؤدي إلى ظهور حكومة اتحادية من مسلمين وهندوس. وأصبح التقسيم هو الهدف الوحيد الذي يسعى إليه المسلمون بعد تلك المذابح دون محاولة لايجاد تسوية ما. وقرر حزب الرابطة الإسلامية في مؤتمره العام عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) إنشاء دولة باكستان ومطالبة بريطانيا بالموافقة على ذلك. وقد دعم موقف حزب الرابطة نجاح أعضائها في انتخابات عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) وفوزهم بالمقاعد جميعا المخصصة للمسلمين، وعددها ٤٢٧ مقعدا، واستمر المسلمون في مطالبهم إلى أن وافقت بريطانيا وحزب المؤتمر أخيراً على قيام دولة باكستان، وأصدر البرلمان البريطاني قانون استقلال الهند في منتصف رمضان ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) وظهرت باكستان بعد شهر أي في منتصف شوال من عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م).

---

(٦٤) باكستان: يتكون اسم من مقطعين هما (باك) ومعناه طاهر أو تقى و (ستان) ومعناه أرض فيكون معنى باكستان أرض الأطهار أو الأرض الطاهرة. كما يقال: إنها مؤلفة من الأحرف الأولى من المقاطعات ذات الأكثرية المسلمية. بنجاب وبنغال، وبلوخ، وكشمير، والسند.

استقلال باكستـان :

برزت باكستان إلى حيز الوجود دولة مستقلة ذات سيادة في الرابع عشر من شهـر شوال ١٣٦٦ هـ ، وذلـك عند تقسيم شبه جزيرة الهند بناء على إصرار المسلمين على المطالبة بوطن منفصل مستقل لهم. وضمت باكستان من الأقسام التي كانت تعرف قبل التقسيم باسم: إقليم الحدود الشمالية الغربية وبلوخستان والسند والقسم الغربي من إقليم البنجاب والقسم الشرقي من إقليم البنغال، وهذه الأقسام توجد في منطقتين بعيدتين بعضهما عن بعض، الأولى في الغرب، وتعرف باسم باكستان الغربية والثانية في الشرق وتعرف باسم باكستان الشرقية، وتضم البنغال الشرقية فقط بينما تضم باكستان الغربةي الأقسام الباقية. ويفصل القسمـين مسـافـة من أراضي الهند يزيد مداها على ١٥٠٠ كم وتبلغ مساحة باكستان الغربية ٨٠٠٫٠٠٠ كم٢ وعـدد سكانها يومـذاك ٥٠ مليونـًا بينما مساحـة باكستان الشرقية $\frac{١}{٦}$ مساحة الغربية (١٤٣٫٠٠٠) كم٢ وعدد سكانها ٧٠ مليونـا أي أكثر من سكان الغربيـة، ويشكل المسلمـون ٨٨٪ من السكان.

وفي الحقيقة لقد كان هذا التقسيم جائرا روعيت فيه مصالح الهنود، ولم يلتفت لما ستواجه باكستان من مشكلات من جراء هذا التقسيم، بل لقد كان هدف الانكليز والهنـود من هذا التقسيم أن يعـارض المسلمـون لما فيه من إجحاف بحقهم، ولكن المسلمين صمدوا وتحدوا ورضوا بهذه القسمة في سبيل إقامة دولة إسلامية موحدة، رغم ما ينتظرهم من مشكلات اقتصادية وسياسية وغيرها. وقد حملت هذه الدولة بين طياتها عوامل فنائها منذ قيامها كما خطط لها الاستعمار وكان له ما أراد.

خرجت باكستـان إلى حيز الوجود في منتصف شوال ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) وانضمت إلى هيئة الأمم المتحدة في أول أيام ذي الحجة ١٣٦٦ هـ واختير محمد علي جناح رئيسا للدولة وتولى رئاسة الحكومة لياقت على خان، ووقعت عقب التقسيم أحداث مؤلمة، وكان على الحكومة مواجهة مشكلة إسكان تسعة ملايين من المسلمين اللا جئين الفارين إلى باكستان، هذا بجانب الذين قتلوا وهم حوالى مليون مسلم أثنـاء فرارهم، ورفضت الهند دفع نصيب باكستان من احتياطى الدولة ومقداره حوالى ٥٥٠ مليون روبية، وقامت الفتنة والمذابح في كل أرجاء

القسم الهندى وخاصة في (دهلي) التي قتل فيها يومذاك مائتا ألف مسلم خلال يومين، كما كانت المذابح عظيمة في البنجاب الشرقية التي أكثر سكانها من الهنود والسيخ، فقد تعاونوا على ذبح المسلمين وسبي النساء في المدن والقرى، وكما أن الانكليز عملوا على تسليم أنصارهم حكم باكستان وهم الاسماعيلية والقاديانية، ومع ذلك استطاعت باكستان حل مشكلاتها، وبدأت تشق طريقها نحو التقدم الاجتماعى والانتعاش الاقتصادى.

وبعد وفاة محمد على جناح في عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) خلفه في رئاسة الدولة الخوجا نظام الدين بينما بقى لياقت على خان رئيس الوزارة. وفي عهد الرئيس الخوجا نظام الدين أعلى تطبيق الشريعة الإسلامية تحت ضغط الشعب، والتي نادت به الجماعة الإسلامية التي يرأسها أبو الأعلى المودودى منذ مطلع عام ١٣٦٧ هـ . وفي عام ١٣٧١ هـ اغتيل لياقت على خان وأصبح الخوجا نظام الدين رئاسة الوزارة وتسلمها محمد على بوغرا. وبقيت باكستان دون دستور هذه المدة كلها. وفي عام ١٣٧٥ هـ تكونت جمعية تأسيسية مهمتها وضع الدستور، وكان من أهم منجزاتها توحيد باكستان الغربية بعد أن كانت عددا من المقاطعات. وانتهى النظام القديم، وهو تبعية باكستان لبريطانيا كدولة من دول الدمنيون تعين حاكمها انكلترا.

وفي عام ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م) وضع أول دستور للدولة وأعلنت باكستان جمهورية دستورية ونص الدستور على أن الدولة ترمي إلى توطيد المبادىء الإسلامية، وخاصة العدالة الاجتماعية والمساواة بين الجميع ويجب مراعاة تعاليم الإسلام. كما اتخذت كراتشي عاصمة للدولة.

وأصبح اسكندر ميرزا رئيسا للجمهورية وشودرى محمد على رئسيا للوزارة، وقامت أحزاب جديدة معارضة لحزب الرابطة الإسلامية. ولكن الأمور اضطربت واختلت الحالة الاقتصادية واضطر رئيس الجمهورية اسكندر ميرزا عام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م) إلى تعطيل الدستور وحل البرلمان وفرض الأحكام العرفقي مستندا إلى قوة الجيش بسبب سوء الأوضاع في البلاد، وبعدة عشرة أيام من العام نفسه تنازل اسكندرا ميرزا عن رئاسة الجمهورية لمحمد أيوب خان الحاكم العسكري وغادر البلاد.

أدخل محمد أيوب خان عددا من الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية وأجريت الانتخـابـات العامة للمجالس الاتحادية القروية والمجالس الاتحادية في المدن، واختاره ممثلو الشعب رئيساً لدولة باكستان عام ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩) لمدة خمس سنوات، ونقل أيوب العاصمة الاتحادية من كراتشي إلى روالبندى وشكلت لجنة دستورية، وفي عيد الفطر من عام ١٣٧١ هـ (١٩٦١ م) أعلن الدستور الجديد، وكان ينص على أن باكستان تتكون من إقليمين، هما باكستان الشرقية وباكستان الغربية. ولها لغتان رسميتان هما الأوردية والبنغالية، وعاصمتها الوطنية إسلام أباد، وعاصمتها التشريعية دكا.

ووقعت الحرب بين باكستان والهند عام ١٨٣٦ هـ (١٩٦٥ م) بشأن كشمير بعـد هجوم مفاجىء هندي في كشمير على أراضي كشمير الحرة واحتلوا أربعة مراكز، وقامت مباشرة باكستان برد فعل بجنوب الجزء الكشميري الذي تحتله الهند، وانهارت المقاومة الهندية فهاجمت الهند باكستان ثم امتدت الحرب على طول الحدود الهندية الباكستانية، ثم توقفت الحرب بعد التقاء الطرفين في طاشقند في عام ١٣٨٥ (١٩٦٥ م)، وعلى الرغم من التقدم الذي أحرزته البلاد خلال حكم محمد أيوب خان فان المعارضة وعدم الارتياح ازدادت في السنوات الأخيرة لحكمه. وفي أواخر شوال عام ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) قامت اضطرابات عدة في البـلاد، وكـانت المعارضة قد رفضت الاشتراك معه في محادثات لإجراء بعض الاصلاحات وطالبته بالتخلى عن سلطاته.

وفي ٥ محرم عام ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م) تنحى محمد أيوب خان عن رئاسة الجمهورية لقائد الجيش الجنرال يحيى خان الذي شكل حكومة عسكرية برئاسته، وتولى سلطات رئيس الجمهورية إلى أن يتم وضع دستور جديد للبلاد.

وكـانت باكستـان قد انضمت إلى منـظمـة حلف جنـوب شرقي آسيا عام ١٣٧٤ هـ (١٩٥٤ م)، كما أنها كانت عضوا في الحلف المركزي (حلف بغداد سابقا) منذ عام ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م) ولكن شعب باكستان استاء من اشتراك بلاده في هذه الأحلاف التي تحركها أيد غريبة، لأنه لايرى فيها منفعة، وبدأت باكستـان تميل إلى سياسـة الحياد وعملت على تدعيم علاقاتها بالدول العربية والإسلامية.

وفي شوال من عام ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م) أجريت الانتخابات العامة وأسفرت نتائجها عن فوز حزب عوامي (٦٥) في باكستان الشرقية برئاسة مجيب الرحمـن بـ ١٦٧ مقعـداً من ٣١٣ مقعدا، وحصل على أغلبية في المجلس النيابي. وكان الحزب المنافس له حزب الشعب الذي يتزعمه ذو الفقار علي بوتو في باكستان الغربية، وكان على الجنرال يحيى خان أن يدعو المجلس النيابي للانعقاد ويسلم السلطة لمجيب الرحمن. لكنه أجل انعقاد المجلس النيابي مما أثار هياجاً شعبياً كبيراً وقامت الاضطرابات وحركات العصيان في باكستان الشرقية. وحاول يحيى خان القضاء عليها بالقوة المسلحة فأعلنت باكستان الشرقية في مطلع شهر صفر عام ١٣٩١ هـ استقلالها (١٩٧١ م)، ولعل هناك اختلافا بين قسمي باكستان، فالغربية أكبر مساحة بكثير وأقل سكاناً وكثافة، وتوجد مصانع، والتجارة نشطة، وينخرط الطلاب بصفوف الجيش فتسعون بالمائة من ضباط الجيش الباكستاني كانوا من الغربية، أما الشرقية فقليلة المساحة كثيرة السكان، كثيرة المياه، والأرض السهلية تغمـر بالمـاء أياماً كثيرة، وتصيبها الفيضانات وتجتاحها الأعاصير، إذ يصعب إقامة المعامل، والتجارة ضعيفة والحالة المادية سيئة، الأمر الذي يجعل السكان يسيرون وراء كل منادٍ بالاصلاح أو بتحسين الأوضاع، وهذا ماأفاد منه حزب عوامي، كما يشعر السكان أنهم تبع للغربية ـ رغم أنهم أكثر عدداً، كذلك هناك فرق في اللغة إذ تعد البنغالية هي الرسمية في الشرقية ولغة الأوردو هي الرسمية في الغربية. وقامت حرب أهلية ورفض يحيى خان تسوية هذا النزاع السياسي القائم على المائدة المفاوضات بدلا من استخدام العنف. وقد استغلت هذه الفرصة واقتحمت قواتها العسكرية حدود باكستان الشرقية لمساعدتها ضد الجيش الباكستاني، وفي شوال من عام ١٣٩١ هـ استلمت القوات الباكستانية ولم يكن الـرأى العـام البـاكستاني متقبلا لهذا الاستسلام الذي ساعدت الدولتان العظميان والهند وإسرائيل على تحقيقه لأصناف المسلمين وتفكيك وحدتهم وأسفر

---

(٦٥) حزب عوامي: تأسس عام ١٣٧٦هـ، ويضم الشيوعـين وأنصـارهم، والفئات ذات الاتجاه المتقارب، وقوي أمره، وصدر له صحيفتان ثم انقسم إلى قسمين: جناح تدعمه الصـين. ويتـزعمه عبد الحميد باشاني، وجناح ينزعمه مجيب الرحمن وتدعمه روسيا. وضعفت معارضة جناح باشاني مدة التقارب بين الصين وباكستان فقوي جناح مجيب الرحمن، ثم عاد فالتأم الجناحان أيام الانتخابات الأخيرة.

ذلك عن تنحي يحيى خان وتعيين ذو الفقار علي بوتو رئيس حزب الشعب رئيساً لباكستان دون باكستان الشرقية التي انفصلت واتخذت اسم بانغلاديش.

وكان ذو الفقار علي بوتو أول رئيس غير عسكري منذ عام ١٣٧٨ هـ وبعد تولى مهام منصبه عقد مؤتمر (سملا) لتسوية الخلافات بين الهند والباكستان عام ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢ م)، إلا أن مشكلة كشمير ظلت كما هي عليه. وقامت الدول الإسلامية الصديقة بالوساطة بين باكستان وبانغلاديش للتوفيق بينهما وتم اعتراف باكستان بالدولة الجديدة بانغلاديش. ولكن حكم ذو الفقار علي بوتو لم يستمر طويلا ففي عام ١٣٩٧ هـ قام الجيش بحركة انقلاب ضده بقيادة الجنرال ضياء الحق إثر مظاهرات واضطرابات في البلاد استمرت مايزيد على خمسة أشهر، والتي كانت أحـــزاب المعـــارضـــة من ورائهـــا، وحـــوكم علي بوتـــو في مطلع عام ١٣٩٨ هـ ـ١٩٧٨ م أمام المحكمة التي حكمت عليه بالإعدام نتيجة الجرائم التي ارتكبها باسم النظام، ويعمل نظام الحكم القائم على تطبيق الشريعة الإسلامية تدريجيا، كما يعمل على تحسين علاقاته مع الدول الإسلامية وبخاصة المملكة العربية السعودية.

أما فيما يتعلق بالمشكلات القائمة بين باكستان والهند، فيمكن القول: إنه في الأعوام الثلاثة التي أعقبت تقسيم الهند شهدت شبه القارة الهندية نزاعا مستمرا بين البـاكستـانيين والهنود، تخلله الكثير من الشك والريبة وهجرة مستمرة بين السكان في الدولتين. ويرجع ذلك كله إلى بعض المشكلات الرئيسية التي أمكن التغلب على معظمها فيما بعد، منها مشكلة التصرف في الممتلكات التي خلفها السكـان الهندو كيون والمسلون والسيخ، ومشكلة تخفيض قيمة الروبية الهندية بالنسبـة للدولار الأمـريكي على عكس باكستـان التي احتفظت بقيمة الروبية الباكستانية، مما أدى إلى توقف التبادل التجارى بين القطرين ومشكلة توزيع المياه في إقليم البنجاب، ثم مشكلة كشمير التي لاتزال قائمة.

وتتلخص مشكلة تقسيم مياه الهند في أن تقسيم شبه القارة الهندية شطر إقليم البنجاب إلى قسمين هما: البنجاب الشرقية ويتبع الهند والبنجاب الغربية ويتبع باكستان. وقد ترتب على هذا التقسيم أن منابع بعض الفروع تقع في الهند بينما تجري في أرض باكستان. وقد أرادت الهند أن تتوسع في استصلاح أرض البنجاب

الشرقية بدعوى أن عددا كبيرا من اللاجئين إليها من البنجاب الغربية لامورد لهم فيها ومن حقها أن تؤمن معيشتهم، في حين أن الباكستان نصيبهاا لمقرر من هذه المياه التي يفيد منها أهل البنجاب الغربية. وقد تطور هذا النزاع حتى أن الهند قطعت الماء فجأة عن لاهور عدة أسابيع في ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) وانتهى هذا النزاع الذي استمر نحو ثلاثة عشر عاما حينما وقعت الدولتان على اتفاقية مياه حوض السند، وبمقتضى هذا الانفاق تحصل الهند على مياه الأنهار الشرقية الثلاثة، بينما تحتفظ باكستان بمياه نهر السند وفرعين آخرين. ويتصل بهذا الاتفاق اتفـاق مالي آخـر يتضمن قروضا من البنك الدولي، الأمر الذي فتح الطريق للاستخدام السلمي وتنمية موارد المياه، وبناء على هذا الاتفاق تقيم باكستان في مدة عشر سنوات خزانات وقنوات ومشروعات أخرى قد تستفيد من مياه الأنهار التي تنبع في الهند وتبلغ جميع تكاليفها نحو مليار دولار. وسنتناول بشيء من التفصيل مشكلة كشمير.

مشكلة كشمير :

تقـع كشمـير في أقصى شمال القـارة الهنـدية، وتضـما لممرات والثغرات في المـرتفعات الشاهقة وأنها تتحكم في الطرق ومحاور الاتجاهات بين أرض الهند وآسيا. ولذا دهي تحتل موقعا ممتازا، إذ أنها تقع في منطقة تتاخم دولتين كبيرتين هما الاتحاد السوفيتي والصين، إذ تتاخم الصين ولايفصلها عن أراضي الاتحاد السوفيتي إلا شريط ضيق من أرض أفغانستان، كما أنها تقع بين دولتين من أكر دول أسيا هما الهند وباكستان. ومساحتها ٢٢٠٫٠٠٠ كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها قرابة سبعة ملايين منهم نحو ٨٢٪ مسلمون.

أما أهمية موقع كشمير بالنسبة لباكستان فترجع لأنها (أي كشمير) تسيطر على معظم المنابع والمجارى العليا لأنهم الأنهار التي تعتمد عليها زراعة غربي باكستان في توفير مياه الرى لأكثر من ١٩ مليون فدان، وكذلك توفير الطاقة الكهربائية. كما أن موقع كشمير الجغرافي له أهمية حربية بالنسبة لباكستان إذ أن وجود كشمير تحت سيطرة قوة معادية لباكستان يهدد استقلالها وكيانها، إذ أن العدو المسيطر على كشمـير بإمكانه أن يقضى على باكستان في أية لحظة شاء. ومن الناحية الجغرافية تعد كشمير جزءا من باكستان التي تشترك معها في حدود طولها عدة

مئات من الكيلومترات ولا يربطها بالهند سوى شريط ضيق من الأرض. وتؤكد الروابط الجغرافية والاقتصادية والثقافية بين كشمير وباكستان ضرورة ضمها إلى باكستان، وذلك تأسيسا على رغبة الغالبية العظمى من الشعب المسلم. وترى الهند أن أقليم كشمير له أهيمة استراتيجية واضحة بالنسبة لها خاصة بعد أن تمكنت الصـين الشعبية من السيطرة التـامة على البتبت، وتطور النزاع الهندى الصيني على طول الحدود في جبال هملايا.

والجدير بالذكر أن الإسلام قد دخل هذه الولاية منذ أكثر من سبعمائة عام، وحكمها الملوك من أبنائها في المدة مابين ٧١٠-٩٦١ هـ، ثم جاء عهد الملوك المغول وحكموها حتى عام ١١٣٢ هـ (١٧٢٠ م) ثم حكمها الولاة الذين يعينون من قبل حكومة أفغانستان. ثم غزا السيخ كشمير واحتلوها وفرضوا سلطانهم عليها ١٢٣٥-١٢٦٣ هـ (١٧٢٣-١٧٥٠ م) وارتكبوا فيها من الظلم والوحشية والهمجية مالا يتصوره عقل. وطرد الانكليز السيخ بعد أن أحكموا قبضتهم على كشمير، وباعوا الإ مارة لأحد الحكام الإقطاعيين من عائلة (الدوجرا) وهي فرع من قبيلة الراجبوت. ومنذ ذلك الوقت يتعرض السكان لأسوأ حالات الاضطهاد والتعذيب والاستبداد من قبل حكامهم الهندوكيين، فقاموا بثورات عديدة ضد حكامهم إلا أنهم كانوا يلاقون العذاب والإرهاب والقتل الجماعي والبؤس والفقر.

وعندما أعلن عن تقسيم الهند كان المهراجا (هارى سنغ) يريد الانضمام إلى الهند، بينما الشعب يريد الانضمام إلى باكستان، ولم تستطع الهند ضمها بالقوات، كما فعلت مع الإمـــارات الأخـــرى في (حيدرأبـاد) و (جـونـاكـدا). فقـامت الاضطرابات بعد أن أعلن المهراجا في عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) الالتحاق بالهند وأعلنت الهند عن إرسال قوة لحماية كشمير. واستولى المسلمون بقيادة محمد إبراهيم على أجزاء من كشمير، وتألفت حكومة كشمير الحرة (أزاد كشمير) وتألف الجيش الكشمـيري، وسـاندتهم باكستان، وبقي قسم من البلاد تحت سيطرة الجيش الهندى. ورفعت القضية إلى هيئة الأمم عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) والتي أصدرت نداء إلى كل من الهند وباكستان بتصفية الجو بينهما. ولكن الهند لم تستجب للنداء المذكور بل أرسلت قوات كبيرة إلى كشمير، وفعلت مثلها الباكستان واستمر القتال بين الجانبين فعقد مجلس الأمن اجتماعا، وأوصى بوقف القتال وجريد الامارة من

السلاح وإجراء استفتاء حر محايد تحت إشراف الأمم المتحدة. وعلى ذلك، توقف القتال في أواخر عام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٧ م) وتعين كذلك خط وقف إطلاق النار. ورفضت الهند محاولات التوفيق جميعها، والتي أوصت بها هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن، ولم توافق على إجراء استفتاء لتأكدها من أن ذلك سيكون إلى جانب باكستان، لأن الشعب المسلم في كشمير يريد ذلك، وفي ذلك مصلحة اقتصادية إضافية إلى الجانب الأساسي وهو العقيدة، إذ أن صادرات كشمير إنما تصدر عن طريق باكستان، وهي الطريق الوحيدة كذلك. وظلت تماطل وتسوف حتى الآن. كما بقيت منطقة كشمير إحدى مناطق التوتر بين الدولتين فقد انفجر النزاع العسكري بينهما فجأة في عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) إلى أن تدخلت هيئة الأمم وأوقفت النزاع. ولازالت هذه المشكلة حتى الآن دون حل.

٨ ــ بانجلاديش :

يحدها من الشرق بورما والهند، ومن الغرب والشمال الهند أيضا، ومن الجنوب خليج البنغال، ويبلغ عدد سكانها ٨٥ مليون نسمة منهم ٨٥٪ مسلمون، وهناك أقل من ١٥٪ من الهندوكيين، ومليون بوذى، وقلة قليلة من النصارى. واللغة الرسمية هي البنغالية، وتنتشر أيضا كل من اللغتين الأوردية والانكليزية.

وكان هذا الاقليم في العصور القديمة بمثابة ملجأ ومأوى للفارين، وخاصة البوذيين الذين كانوا يفرون من اضطهاد الهنادكة. عم ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧ م)، وقاد كفاح المسلمين من أجل التحرير حزب مسلمي جميع الهند «الرابطة الإسلامية» الذي عقد أول اجتماع له في دكا سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م)، ونادى هذا الحزب في عام ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م) بتكوين حكومات إسلامية في المناطق التي يعد فيها المسلمون أغلبية، لكن قادة المسلمين غيروا هذا الرأي واتفقوا على إقامة دولة موحدة تضم الشطرين. وفي عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) أنشئت دولة باكستان بشطريها الغربي والشرقي ثم انفصل الشطر الشرقي وعرف باسم بانغلاديش عام ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م).

وترى بانغلاديش أنه كان على باكستان أن تقوم بتحويل الاقتصاد الاستعماري إلى اقتصاد وطني، وكانت باكستان الغربية تنتج القطن، ولكن مصانع النسيج كانت قرب بومباى في الهند، وكانت باكستان الشرقية تنتج الجوت بينما مصانع الجوت قرب كلكتا وتتبع الهند. وكانت جميع الصناعات الثقيلة في الهند. وتحت ضغط هذه الصعوبات بدأت باكستان جهودها من أجل بناء اقتصادها.

على أن باكستـان الشرقية لم تمنـح نصيبهـا من الإدارة والتقـدم الاقتصادى لباكستان وكانت هناك نداءات حالية لتصحيح هذا الوضع، وقامت اضطرابات عديدة في باكستان الشرقية أسفرت عن استقالة محمد أيوب خان وتسليم السلطة إلى الجنرال يحيى خان في عام ١٨٣٩ هـ (١٩٦٩ م)، الذي أتبع أسلوبا خاطئا في معـالجـة الأزمة، ومواجهة العاصفة في باكستان الشرقية، وترتب على جموده وموقفه الخاطىء أن انفصلت باكستان الشرقية باسم بانغلاديش.

وفي عام ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) صدر دستور جديد للبلاد وبموجبه أجريت الانتخابات وفاز حزب عوامي بعدد ٢٩٢ من ٣٠٠ مقعد وصار بذلك مجيب الرحمن رئيسا للوزراء وقبلت بانغلاديش بهيئة الأمم عام ١٣٩٤ هـ . إلا أن حكم مجيب الـرحمن لم يطل إذ قام ضده انقـلاب بقياة مشتاق أحمـد في ١٣٥٩ هـ (١٩٧٥ م) وأطاح بحكمه.

٩ ــ المالــديف

جمهورية المالديف مجموعة من الجزر تقع في المحيط الهندي إلى الجنوب الغربي من الهند وسيلان وعلى مسافة ٤٨٩٠ كم عن الطرف الجنوبي لشبه القارة الهندية، وعلى مسافة ٦٧٢ كم من جزيرة سيلان.

وتمتد على شكل مجموعة من الجزر من الشمال إلى الجنوب مكونا تسع عشرة مجموعة جزرية يزيد عدد جزرها على ٢٠٠٠ جزيرة، إلا أن بعضها يغمره الماء أثناء المد ويبقى ١٠٨٧ جزيرة ظاهرة بشكل دائم، ولايوجد غير ٢٢٠ جزيرة فقط آهلة بالسكان. وتبلغ مساحتها مجموعة ٢٩٨ كيلومتراً مربعاً، ولايزيد عدد سكانها

على ١٥٠ ألفاً، ويتكلم سكانها اللغة المالديفية.

وصل التجار المسلمون إلى جزر المالديف عام ٨٥ هـ ، وبدأ بعض الناس يدينون بالإسلام، ولكن ظهر أثر المسلمين بشكل واضح عام ٥٤٥ هـ . ووصل أحد الدعاة إلى جزر المالديف أحد الدعاة وهو أبو البركات البربري فاستطاع ـ بإذن الله ـ أن يكون له أثر كبير، وأسلم الناس جميعاً حتى لم يبق في الجزر غير مسلم، وأسلم الملك وتسمى باسم محمد بن عبدالله.

زار ابن بطوطة الجزر عام ٧٤٤ هـ (١٣٤٣ م)، ولم يكن فيها غير مسلمين وفي عام ٩١٣ هـ (١٥٠٧ م) وصل البرتغاليون إلى جزر المالديف، واستطاعوا دخولها، وفرضوا سيطرتهم على الأهالي، وحاولوا التأثير على عقيدة السكان ففشلوا فشلاً ذريعاً.

وأعقب الهولنديون البرتغاليين في حكم الجزر، وحرصوا على تغيير عقيدة السكان، ولم يحصلوا على أية نتيجة بل وجدوا مقاومة صلبة من السكان، وفيها تحدٍ واضح. وأصبحت المالديف تدار من قبل حكومة سيلان.

وجاء الانكليز إلى الجزر عام ١٢١١ هـ (١٧٩٦ م)، وحلوا محل الهولنديين، ثم عدوا المالديف في عام ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م) محمية بريطانية.

وفي عام ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م) منح سلطان المالديف شعبه دستوراً. وبعد مدة وفي عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) استقلت سيلان فوضعت المالديف تحت حماية التاج البريطاني مباشره.

وفي عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م) أعلنت الجمهورية، وعين محمد أمين ديدي رئيساً للجمهورية، غير أنه لم يلبث أن رجع الحكم الى السلطنة وعين السلطان محمد فريد ديدي سلطاناً على البلاد، وهو عم رئيس الجمهورية محمد أمين ديدي. كما اختير إبراهيم ناصر رئيساً للوزراء.

وتعهدت بريطانيا عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م) بدعم جزر المالديف مادياً، وبعد خمسة أعوام جرت اتفاقية بين بريطانيا والمالديف تأكيدا لاتفاقية عام ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م) واحتفظت بريطانيا بموجبها بقاعدة جوية في جزيرة (جان) بمقاطعة (أصول). وقد جرى جدل عنيد حول هذه الاتفاقية ثم وقعت في كولومبو عاصمة

(سيري لانكا)، وحصلت الجزر على الاستقلال بعد هذه الاتفاقية، كما قبلت عضوا في الأمم المتحدة.

وفي عام ١٣٨٨ هـ (١٦٨ م) انتخب السيد إبراهيم ناصر رئيساً للجمهورية. ثم كان انتخاب مأمون عبدالقيوم رئيسا للجمهورية وجدد انتخابه ثلاث مرات وبعد المرة الثالثة جرى انقلاب عليه وذلك عام ١٤٠٩ هـ.

١٠ ـ اتحاد ماليزيا :

وتشمل شبه جزيرة الملايو، وشمال جزيرة بورنيو، وتبلغ مساحتها ٣٣٢٫٦٣٣ كيلو متراً مربعاً، وتتألف من ثلاث عشرة ولاية. إحدى عشرة منها في شبه جزيرة الملايو وهي: ١ـ كيلانتان. ٢ـ جوهور. ٣ـ باهانغ. ٤ـ سيلانغور. ٥ـ بيرق. ٦ـ قدح. ٧ـ مالاقا. ٨ـ بينانغ. ٩ـ نيغري سيمبلان. ١٠ـ ترينغانو. ١١ـ بيرليز..

واثنتان في شمال بورنيو وهي: ١ ـ سراواك. ٢ ـ صباح.

واتحاد ماليزيا مملكة، ينتخب الملك لمدة خمس سنوات عن طريق مؤتمر الحكام الذي يتألف من رؤساء الولايات. ولهذا المؤتمر سلطة استشارية.

انتشر الإسلام في ماليزيا عن طريق التجارة، وفي عام ٦٧٥ هـ أسلم ملك مالاقا وتسمى باسم سلطان محمد شاه وتبعه رعاياه. وخلفه بالحكم ابنه مظفر شاه. ومن مالاقا انتشر الاسلام إلى باقي الجهات.

وصل البرتغاليون إلى مالاقا عام ٩١٧ هـ (١٥١١ م)، وحاصروها، وعندما سقطت بأيدهم دقت أجراس الكنائس في روما ابتهاجاً، وعمل البرتغاليون على محاربة المسلمين والكيد لهم بكل وسيلة ملكوها. فقتلوا وفتكوا بأعداد كبيرة.

وفي ١٠٥١ هـ (١٦٤١ م) حل الهولنديون محل البرتغاليين، وتابعوا سياستهم في قتل المسلمين، وملاحقتهم.

ونتيجة التنافس الاستعماري، والاتفاقات التي تحدث بينهم لتوزيع مناطق

النفوذ فقد أصبحت المنطقة ضمن نفوذ بريطانيا منذ عام ١٢٠١ هـ (١٧٨٦ م)، واستأجرت شركة الهند الشرقية البريطانية جزيرة (بينانغ) من سلطان (قدح)، ومع دخول الاستعمار الانكليزي اتجهت أعداد من الصينيين والهنود نحو ماليزيا للعمل، وفتحت بريطانيا لهم الطريق، وسهلت لهم القدوم للعمل على تقليل نسبة المسلمين.

وفي عام ١٢٣٥ هـ (١٨٢٠ م) اتجهت بريطانيا نحو سنغافورة، وسيطرت شركة الهند الشرقية البريطانية على سنغافورة عام ١٢٤٠ هـ (١٨٢٤ م)، وحكمت بريطانيا ماليزيا من الهند، ثم من عدن، ولم تتدخل في بداية الأمر في شؤون السلطنات الداخلية.

وفي عام ١٩٢١ هـ (١٨٧٣ م) غيّرت بريطانيا سياستها فدخلت في مفاوضات مع سلطان (بيرق) هدفها أن يتلقى السلطان نصائح المقيم البريطاني في كل الشؤون باستثناء تلك التي تتصل بالدين الإسلامي وبالعادات الملايوية، وقبل بعد ذلك سلطان (سيلانغور) أن يستقبل مقيماً عاماً بريطانياً عنده، وكذلك قبل كل من سلطان (باهانغ) و (ونغري سيمبلان).

وفي عام ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م) دخلت هذه الولايات الأربع في اتحاد يديره كله مقيم بريطاني، ثم قبل سلطان (جورهور) معاهدة حماية بريطانية في السنة نفسها.

وفي عام ١٣٦٦ هـ (١٩٠٨ م) وافقت تايلاند بموجب اتفاق مع بريطانيا على أن تتنازل لها عن (كيلانتان) و (ترينغانو) و (بيرليز) و(قدح) والتي قبلت كل منها مقيماً بريطانياً عاماً ولكنها رفضت الانضمام إلى الاتحاد. كما رفضت جميع هذه الولايات الانضمام إلى الممتلكات البريطانية، وظلت السيادة في يد سلاطينها، وتحكم من قبل الاداريين في مستعمرة (اتفاقيات المضايق)، وكان المندوب السامي البريطاني في الملايو حاكماً لمستعمرة اتفاقيات المضايق.

أما بالنسبة إلى شمالي جزيرة بورنيو، فقد كان يتبع سلطان بروني، وفي عام ١٣٠٠ هـ تأسست الشركة البريطانية لشمالي بورنيو، ولم يأت عام ١٣٠٦ هـ إلا وكان الوجود البريطاني قد امتد على ساراواك، وبروني، وصباح وغدت محميات بريطانية.

وتطورت البلاد بعد افتتاح قناة السويس، وإدخال زراعة المطاط، ومد السكك الحديدية، ووجود مناجم القصدير، ولكن هذا قد رافقه المهاجرين الصينيين والهنود.

وفي عام ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م) اجتاحت اليابان الملايو، وشمال بورنيو، وسنغافورة، واضطر اليابانيون أن يخلوا المنطقة قبل أن تضع الحرب العالمية أوزارها، ولما عاد البريطانيون إلى الملايو اقترحوا أن يقوم اتحاد بين المحميات البريطانية التسع في الملايو. ونشأت منظمة الملايو الوطنية المتحدة للإعداد لهذا المشروع.

وفي عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) تأسس اتحاد الملايو، وتمتعت كل ولاية بحكمها الذاتي، ولكن تحت إشراف حكومة مركزية، وظل الحكام يتمتعون بسيادتهم في الإمارات المختلفة عدا (مالاقا) و(بيانغ) اللتين بقيتا مستعمرتين بريطانيتين. وفي هذه الأثناء منحت أعداد من الصينيين جنسية البلاد.

ودخلت (سراواك) ضمن مستعمرات التاج البريطاني عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) وقد رأى (الراجا) الذي عاد إلى المنطقة ذلك لمصلحته بسبب غنى المنطقة، وكذلك كانت شمالي بورنيو مستعمرة بريطانية.

وفي عام ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م) صدر دستور للبلاد، وأجريت الانتخابات، وتألفت جبهة ائتلافية برئاسة تنكو عبدالرحمن وتضم منظمة الملايو الوطنية المتحدة، والجماعة الملايو الصينية، ومؤتمر الملايويين الهنود، وحصلت في الانتخابات على ٥١ مقعداً من أصل ٥٢ مقعداً.

وفي مؤتمر لندن عام ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م) تقرر استقلال اتحاد الملايو الذاتي في الشؤون الداخلية، وبعد عام تم الاستقلال الذاتي ضمن رابطة الشعوب البريطانية، وفي الوقت نفسه فقد حصلت سنغافورة على الاستقلال الذاتي.

وحصل قتال في سنغافورة عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م) فأعلنت حالة الطوارىء وفي عام ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م) جرت مفاوضات ليقوم اتحاد بين الملايو، وسنغافورة، وشمال بورنيو، وقد تم فعلاً عام ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م) إلا أن (بروني) رغبت في البقاء وحدها. غير أن هذا الاتحاد الذي أطلق عليه اتحاد

ماليزيا قد لقي معارضة شديدة وخاصة من أندونيسيا التي ترى أن شمالي بورنيو ليس إلا جزءاً من جزيرة بورنيو الكبيرة والتي هي قطعة من أندونيسيا. ومن الفلبين التي ترى من جهتها أن شمالي بورنيو كان دولة واحدة من جزر صولو التي هي جزء منها. ولكن اعترفت الدولتان بالأمر الواقع من مرور الزمن.

وفي عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) خرجت سنغافورة من دولة الاتحاد.

١١ ــ أندونيســيا :

أندونيسيا من أكبر الدول الإسلامية في آسيا، إذ يبلغ عدد سكانها أكثر من ١٥٠ مليون نسمة، أكثر من ٩٢٪ منهم يعتنقون الإسلام، وعدة ملايين يعتنقون النصرانية وباقي السكان يدينون بديانات مختلفة كالبوذية والكنفوشية والهندوسية. وهي تمثل بذلك أكبر تجمع للمسلمين في العالم الإسلامي، ورغم بعد هذه البلاد عن العالم العربي إلا أنها تحاول على الدوام أن تكون قريبة الصلة به. وقد أسهم الإسلام بدور كبير في تكوين هذه الدولة وتوحيدها والإبقاء على كيانها. وكان الإسلام قد انتشر فيها عن طريق التجار العرب والأندونيسيين على السواء، لاسيما في عهد هارون الرشيد حيث كان التجار من الجانبين يلتقون في موانيء الخليج العربي لتبادل التجارة. وحلّ الإسلام محل الوثينة البوذية وباقي الوثينات.

ويطلق اسم أندونيسيا على مجموعة الجزر الواقعة في جنوب شرقى آسيا والتي تضم سومطرة، وجاوة، وبورنيو، وسيليبس، وتيمور، وجزائر المولوك، وغينيا الجديدة، وشبه جزيرة الملايو، وبعض الجزر الأخرى المبعثرة. وقد أطلق على مجموعة الجزر هذه أسماء متعددة فسميت باسم جزر الملايو، وباسم جزر الهند الشرقية وغيرها، وأطلق عليها العرب اسم جاوه، ومازالوا حتى اليوم يحتفظون بتلك التسمية.

ومنذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري أخذ اسم أندونيسيا يغلب على ماعداه من الأسماء، ومعناه جزر الهند لأن كلمة أندونيسيا تتكون من جزءين هما: أنــدو ومعناها الهند ونيسيا ومعناها الجزر. ويطلق هذا الاسم حاليا من

مجموعة الجزر التي كانت خاضعة لحكم هولندا، ولكن اسم أندونيسيا من الناحية الجغرافية يشمل أيضا جزر الفلبين التي كانت تابعة للولايات المتحدة الأمريكية.

وبـإمكـاننـا إدراك أهمية تلك الجزر في جنوب شرقى آسيا إذا ما عرفنا أن مساحتها تبلغ ٢٫٣٧١٫٤١٩ كم٢ أى مايعادل ٦٨ مرة مساحة هولندا التي كانت تستعمرها. ولكن هذه المساحة من الأرض ليست متصلة، بل هي عبارة عن جزر يفصـل بعضهـا عن بعض بحـار داخلية، تتناثر طولا في منطقة شاسعة تبلغ ٤٦٠٠ كم٢ أى مايساوى المسافة بين شواطىء الخليج العربي شرقا، وسواحل البرتغال غربا، وعرضا في مسافة ٢٠٠٠ كم٢.

وتنقسم تلك الجزر إلى ثلاث مجموعات:

المجمـوعـة الأولى: وتتكون من جزيرة سومطرة، وجاوة، وبورنيو، وسيليبس، وتسمى «صوندا الكبرى».

المجموعة الثانية: وهي مجموعة الجزر الصغرى التي تقع بين جزيرة غينيا الجديدة شرقا وجزيرة جاوة غربا وتسمى «صوندا الصغرى».

المجمـوعة الثالثة: تقع بين سيليبس غربا وغينيا الجديدة شرقا، وتسمى جزر الملولوك أو البهارات التي ورد ذكرها كثيرا في كتب التاريخ.

فهذه الجزر إذن تتمتع بموقع ممتاز وذي أهمية خاصة، وبموارد أولية ضخمة، وبعـدد كبـير من السكان يمكن استخدامه في استغلال موارد الأرض لصالح الصناعات الأوربية. كما أن هذا العدد من السكان يستهلك كميات ضخمة من المصنوعات الأوربية، أي أن أندونيسيا ستكون سوقا رائجة لتلك المصنوعات. فلا عجب إذا ما بدأ التنافس الاستعماري البرتغالى، والهولندى، والانكليزي، والإسباني، والأمريكي.

التنافس الاستعماري والاستعمار الهولندى:

عرفت أندونيسيا الوحدة السياسة منذ القرن الثاني قبل الهجرة حتى القرن السابع تحت حكم امبراطورية (سـري ويجايا). وبعد سقوط تلك الامبراطورية في أواخر القرن السابع قامت على أنقاضها امبراطورية أخرى هي امبراطورية

(ماجافاهيت ٧٩٦-٨٨٣ هـ) واستطاعت تلك الامبراطورية أن توحد جزيرة جاوة، وجزر صوندا الصغرى، وجزيرة سيليبس، وجزر البهارات، وبورنيو، وشبه جزيرة الملايو، وجزيرة سنغافورة، وسومطرة تحت حكمها، وأن تسيطر على تجارة تلك المنطقة سواء بينهاوبين الصين، أو بينها وبين التجار الهنود الذين يقومون بتسليمها للتجـار العرب في الخليج العربي حيث تتركز في مدينة بغداد، ومنها تسير في طريقين: أحدهما يمر بتركيا إلى أوروبا، وقد توقفت التجارة عن هذه الطريق بعـد فتح القسطنطينية علي أيدى العثمانيين عام ٨٥٧ للصراع الذي قام بين العثمانيين وأوروبا، والطريق الأخرى تمر بمصر ومنها إلى أوروبا.

وعلى العموم، فقد كان لانتشار الإسلام أثره العميق في قيام ممالك أندونيسية متعددة في تلك الجزر، مثل مملكة (بنتام) التي أسسها الملك حسن الدين في جاوة الغربية، ومملكة (متارام) التي أقامها رجل عسكري يدعى «سنافاني» في شرق جاوة. وبذلك أصبحت جزيرة جاوة مركز إشعاع للدين الإسلامي، وانتقل منها إلى غيرها من الجزر. ومملكته (آتشيه) في شمال سومطرة، ومملكة (ديماك) في وسط جاوة والتي أقامها رمضان فاطمى عام ٨٣٢. ومملكة (بالمبانغ) في جنوب سومطرة وبانتشار المماليك الإسلامية قضي على امبراطورية (ماجا فاهيت) وانتهى حكم الهنود في تاريخ أندونيسيا.

وفي الـوقت الذي بدأ المسلمون يثبتون أقدامهم في أندونيسيا كانت مخالب الأوربيين من جهة ثانية تنشب فيها لتجد لها مركزا ثابتا مستقرا، وذلك لحقدهم الصليبي الذي حمل المظهر الاقتصادي بحاجتهم إلى البهارات المرتفعة الثمن في أوربا. وقد شجعهم على ذلك ماركو بولو (٦٥٢-٧٢٤ هـ) الرحالة الإيطالي الذي غادر البندقية في عام ٦٩٣ هـ متجها إلى الصين، ونزل بسومطرة بعض الوقت، وعندما علمت دول أوربا بأنباء رحلته هذه وما شاهده من كنوز الشرق ومنتجاته أخـذت تتطلع إلى اليوم الذي تحتكر فيه تجارة الشرق بعد انتزاعها من أيدى العرب، وتضرب الإسلام هناك كمرحلة من مراحل عملها الصليبي.

وكانت البرتغال أولى الدول الأوروبية التي شقت طريقها في ميدان الاستعمار، وذلك إثر خروج المسلمين من الأندلس، فاتجهت البرتغال إلى الشرق عن طريق رحلاتها الصليبية والتي سميت بالاستكشافية للوصول إلى الهند بدءا برحلة (هنرى

الملاح) ومروروا برحلة (بارثلميودياز) الذي استطاع الوصول إلى رأس الرجاء الصالح (جنوبي إفريقية) ووصولا (بفاسكودي غاما) الذي وصل إلى الهند عام ٩٠٤ هـ واتخذ البرتغاليون (غوا) على الساحل الغربي للهند عاصمة لهم. وتمكنوا من توطيد نفوذهم في الهند وخصوصا في أيام الحاكم البرتغالي (الفونسو البوكيرك ٨٥٧ـ٩٢١ هـ)، وأن يسيطروا على التجارة في غربي المحيط الهندى، وتطلعوا إلى الجزء الشرقي حيث توجد جزر الهند الشرقية.

وقد نشبت معارك شديدة بين الأندونيسيين المسلمين من ناحية وبين البرتغاليين من ناحية أخرى. وقد اتخذت تلك الحرب شكل الحروب الصليبية، وذلك نظراً لقرب عهد البرتغاليين بمحاربة المسلمين والقضاء عليهم في الأندلس، بل لقد كان من أهم الدوافع ا لتي حدت بالبرتغاليين إلى القيام بالحركة الكشفية ـ على رأبهم ـ هو ضرب اقتصاديات المسلمين والسيطرة على تجارتهم ومحاولة نشر الدين النصراني بالتعاون مع الأحباش، ولذا فان المقاومة ضدهم كانت عنيفة من قبل المسلمين، وبالعكس فان البرتغاليين الحاقدين على الإسلام والمسلمين استخدموا كافة وسائل الإرهاب والقمع الوحشى ضد المسلمين، ومنها إعدام دفعات متتالية من الأهالي وبناء حصن بحجارة انتزعوها من قبور المسلمين.

توالت حملات البرتغاليين على الصين وسيام وجزر الملوك أو البهارات بهدف الاستيلاء على البهارات (التوابل) واحتكارها لصالحهم وحدهم. كما أرسلوا البعوث التنصيرية إلى تلك الجزر للعمل على نشر النصرانية فيها. واستطاعوا بالفعل أن يدخلوا عددا قليلا من سكان أندونيسيا في ديانتهم، واتخذوهم أتباعا لهم ومؤيدين لسياستهم الاستعمارية في تلك البلاد.

ومنذ ذلك الوقت كثر سفر التجار الأوربيين إلى أندونيسيا والتعامل مع تجارها مباشرة دون وساطة التجار العرب، ليحققوا بذلك أكبر قدر من الربح من جهة، ولإضعاف العرب من جهة أخرى.

وعلى الرغم من تعدد الممالك الإسلامية في أندونيسيا وعدم توحيد قواها أمام الغزو البرتغالي، الا أن المسلمين قد قاموا بثورات ضد البرتغاليين وقاموا بحركات ضد النصرانية، وخاصة بعد أن قتل أحد ملوك أندونيسيا غدرا عام ٩٧٨ هـ (١٥٧٠ م) وهو هارون سلطان «ترنات» الذي كانت سلطته تمتد حتى الفلبين.

وظـل الـبرتغـاليون يحتكـرون نقل تجارة التوابل إلى أوروبا حتى عام ٩٨٨ هـ (١٥٨٠ م) حيث استولت إسبانيا على البرتغال، فآلت إليها البرتغال بكل مالها من ممتلكات. وبذلك أصبحت إسبانيا الدولة المسؤولة عن البرتغال وعن ممتلكاتها إزاء أى عدوان يقع عليها من دولة أخرى. كما أن إسبانيا لم تستطع أن تحل محلها حيث أن الأسطول الإسباني قد تحطم عام ٩٩٧ هـ (١٥٨٨ م) في معركة الأرمادا البحرية مع انكلترا، وهذا ماهيأ الجو لدول أخرى أن تتقدم، فأسرعت هولندا التي كانت في حرب مع الإسبان ـ سادتها وحكامها السابقون ـ وتحررت من حكمهم وحصلت على استقلالها، فلم تعد تخشى أسطولهم، فأصبحت سفنها تنتقل في تلك البحار دون خوف من منازع قوى.

جاء الهولنديون إلى أندونيسيا كمستعمرين، ولكن استعمارهم كان ذا صفة تجارية صرفة فوصلوا إلى سومطرة وجاوة في عام ١٠٠٥ هـ (١٥٩٦ م) واصطدم الأهالي معهم، غير أن الأهالى خدعوا بهم واعتبروهم منقذين لهم من البرتغاليين، وحاول الهولنديون بطرق مخادعة كسب ود الشعب وعطفة فأقاموا معه العلاقات الودية، وأزالوا من مخيلته الصورة البشعة للبرتغاليين، مما دفع الأندونيسيين الى الاعتقاد بأن القادمين الجدد حلفاء لهم أمام البرتغال فرحبوا بهم. ولذا فإنهم (الأنـدونيسيين) قد عقـدوا معـاهـدة تحالف مع الهـولنديين في عام ١٠٠٩ هـ (١٦٠٠ م) في جزيرة (أمبونيا)، وتنص على منح الهولنديين حق إقامة الحصون للدفاع عن الجزيرة، مقابل احتكارهم لتجارة البهارات، وقد سارت هولندا على سياسـة عقـد المعاهدات بين الملوك والسلاطين من حين لآخر توطيدا لنفوذها وسيطرتها على هذه الجزر.

وترتب على عقد تلك المعاهدات قيام عددٍ من الشركات الهولندية لاستغلال موارد الثروة في البلاد، فساد التنافس بين ممثليها بشكل حاد أدى إلى الاضرار بمصلحة الهولنديين، فقامت الحكومة الهولندية بتوحيد هذه الشركات في شركة واحدة هي شركة الهند الشرقية الهولندية ١٠١١ هـ (١٦٠٢). وعينت هولندا (كون) رئيسا وحاكما عاما لجميع وكلاء الشركة في أندونيسيا. وبدأت هولندا تقيم الحصون والقلاع. واتخذت الشركة من مدينة بتافيا «جاكرتا» حاليا مقرا لها.

بدأت المنـافسـة بين انكلترا وهـولنـدا في أنـدونيسيا منـذ عام ١٠٢٨ هـ

(١٦١٩ م)، وانتصر الانجليز على (كون) رئيس الشركة بمساعدة الأهالي، وفر المذكور إلى جزر (الملوك). ولكن حصون (بتافيا) صمدت ولم يستطيعوا الاستيلاء عليها. كما دخل الهولنديون في حروب مع حكام الجزر الأندونيسية الواحد تلو الآخر إلى أن تمكنوا من توطيد سلطتهم في أندونيسيا. ومع ذلك فان المنافسة بين انكلترا وهولندا قد بقيت في حين أن الحرب قد انتهت بين الطرفين على أساس إرغام هولندا على إلغاء احتكارها التجارى في أندونيسيا والهند، فتضاعفت بذلك خسائر شركة الهند الشرقية الهولندية وبلغت عام ١٢٠٦ هـ (١٧٩١ م) مبلغ ٩٦ مليون روبية. وفقدت الشركة سلطانها التجارى، وتحولت إلى السياسة والحكم، وزادت خســارة الشركــة، وزادت ديونها إلى أن انتهت بصفــة نهائية في عام ١٢١٤ هـ (١٧٩٩ م) وحلت الحكومة الهولندية محلها في تسيير أمور البلاد.

ومنـذ ذلك الوقت أخذت الحكومة الهولندية تستعمر أندونيسيا، وتسير على السياسة التعسفية نفسها والتي سارت عليها الشركة في حكمها لتلك البلاد. واتبع الهـولنـديون نظام الحكم غير المبـاشر ليسهل لهم السيطرة على هذه المساحات الـواسعة فكانوا ينصبون الأمراء والزعماء المحليين بحكم الأهالي، ويعرضـونهم لسخط المـواطنـين وتـذمـرهم، وأدخلت هولنـدا بعض المحاصيل الجديدة إلى أندونيسيا وأجبرت الأهالي على زراعتها، وتسليم محصولها إلى السلطات الحاكمة بالثمن الذي تحدده، كما استنزفوا ثروات البلاد وخيراتها.

وفي خلال الحروب النابليونية التي اجتاحت أوروبا في مطلع القرن الثالث عشر الهجري استولت قوات النابليون على هولندا، وحاولت أن تمد نشاطها خارج حدود أوربـا، للاستيلاء على ممتلكـات هولندا في أندونيسيا في عام ١٢٢٦ هـ (١٨١١ م)، ولكن بريطانيا سبقتهـا إليها في تلك السنة. فدخلت في حوزتها جزيرة (جـاوة)، وجـزيرة (تيمـور)، ومـدينة (ماكاسار) في سيليبس)، وجنوبي (سومطرة)، وتم هذا الاحتلال بواسطة شركة الهند الشرقية الانكليزية. وفي ظل الحكم الانكليزي المؤقت تمتعت أندونيسيا بشيء من الحرية في إدارة شؤونها وفي استغلال مواردها.

وبانهزام نابليون وبعودة استقلال هولندا مرة ثانية، تعود ممتلكاتها في أندونيسيا إليها، بموجب اتفاق بينها وبين بريطانيا عقد عام ١٢٢٩ هـ (١٨١٤ م)، تخلت

بموجبه هولندا عن (سيلان) و (الكاب) في جنوب إفريقية، وبعض جزر الهند الشرقية، وجـزر الهنـد الغـربية وذلك مقابل محافظة الانكليز على ممتلكاتها في أندونيسيا خلال حروب نابليون. ورفع الهولنديون رايتهم من جديد فوق (بتافيا). كما استولت بريطانيا على جزيرة (سنغافورة) وذلك لمركزها الاستراتيجي الممتاز في منـطقـة الشرق الأقصى وجنـوب شرقي آسيا. وبـذلك سيطرت بريطانيا على سنغافورة والملايو واحتجت هولندا على ذلك إلا أنها عادت فوافقت بعد أن تنازل الانكليز عن قطعة من الأرض غربى سومطرة لهولندا بموجب اتفاق جديد عقد بينهما عام ١٢٤٠ هـ (١٨٢٤ م)، وتعهد الطرفان فيه باحترام حدود مستعمراتها. وبهذا ينتهى التنافس التجارى والسياسي بين الدولتين في الشرق الأقصى.

ونتيجة للحروب المتعددة التي خاضتها هولندا في القارة الأوربية وفي أندونيسيا، تراكمت الـديون على الحكـومة الهولندية، فزادت الضرائب على الأندونيسيين، وأجبرت الأهالي على زراعة محاصيل معينة تحتاجها السوق العالمية تنفيذا لسياسة التوجيه الاقتصادي التي اتبعتها هولندا فثار الشعب الأندونيسي وقاوم المستعمر. كما أخذت هولندا منذ عام ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩ م) تحكم أندونيسيا عن طريق وزير المستعمرات، وترى أن مهمة أندونيسيا هي العمل على رفاهية الشعب الهولندى. وقد مر تطور النفوذ الهولندى في أندونيسيا بثلاث مراحل:

المـرحـلة الأولى ١٢٣٢-١٢٦٧ هـ (١٨١٧ - ١٨٥٠ م) وهـي مرحـلة البنـاء والتشييد، ففي خلالهـا خاضت هولنـدا حروبـا ضد بريطانيا وبلجيكا، وضد الأندونيسيين (الأمير ديبونيجبرو) فارتبكت ماليتها، واشتدت حاجتها إلى المال، وبالتالي إلى فرض ضرائب باهظة على السكان الأندونيسيين. ولهذا فقد اقتصرت مهمـة السلطات الهـولنـدية الحاكمة في تلك المدة على توطيد نفوذها السياسي والاقتصـادي في جزيرة جاوة، ولم تهتم كثـيرا بالجـزر الأخرى إلا إذا سنحت الظروف بذلك.

المرحلة الثانية ١٢٦٧-١٣٢٢ هـ (١٨٥٠ - ١٩٠٤ م) وفي خلال تلك المدة بدأت الأوضاع تستقر بالنسبة للهولنديين في جزيرة جاوة، فبدأوا يتطلعون إلى توسيع ملكهم، فحـدثت بينهم وبـين مملكة (آتشيه) في شمالي سومطرة حرب مقدسة كبدتهم خسائر كبيرة في الأموال والأنفس.

المرحلة الثالثة ١٣٢٢-١٣٣٣ هـ (١٨٠٤ - ١٩١٤ م) وفي هذه المدة بلغ النفوذ الهولندي أوج قوته، فاستطاعت هولندا أن تخضع معظم ملوك أندونيسيا لسلطانها، إما بطريق الحرب أو بطريق الخدعة. ولكنها لم تحاول أن تظهر للشعب الأندونيسي بوجهها الاستعماري البغيض، فحكمت البلاد عن طريق حكامها وسلاطينها القدامى، مع الاحتفاظ لهم بما كانوا يتمتعون به من أبهة وجاه.

أندونيسيا خلال الحرب العالمية الأولى:

كانت الأوضاع الاقتصادية في أندونيسيا تتجه نحو حرية التجارة التي أخذت بها هولندا منذ عام ١٢٨٧ هـ (١٨٦٩ م)، ولكنها في الوقت نفسه احتفظت لنفسها بإدارة المزارع الكبيرة والإشراف على استغلال المناجم وشؤون المواصلات. ولكن الانقلاب الصناعي قد أحدث تغييرا كبيرا في اقتصاد أندونيسيا لأن الدول الصناعية بدأت تتكالب على ضمان الحصول على المواد الخام اللازمة للصناعة، فكانت أندونيسيا ميدانا خصبا لتنافس الدول الصناعية.

وقد شجعت هولندا الشركات ورؤوس الأموال الأجنبية على استثمار أموالها في أندونيسيا، باذلة لها كل عون ومساعدة بهدف ضمان مساندة الدول الأوربية والأمريكية لها في استعمار أندونيسيا. وبفضل تلك السياسة الاقتصادية الجديدة، ازدادت هجرة الأوروبيين والآسيويين إلى أندونيسيا، وتضاعف نشاطهم الاقتصادى لاستغلال موارد البلاد. وفي خضم هذا النشاط الأجنبي في أندونيسيا، أخذ الأندونيسيون يشقون طريقهم بخطوات ثابتة نحو حياة اجتماعية ودينية وسياسية، ونتيجة لذلك ساءت أحوال الشعب الأندونيسي بسبب امتلاك الأجانب للشركات والأراضي والمراكز الرئيسية في الدولة، ولم يبق للأندونيسيين إلا الاشتغال كأجراء بأجر زهيد.

وخلال الحرب العالمية الأولى أصبحت أندونيسيا مركزاً لتموين الأطراف المتحاربة (دول الوفاق والوسط) وذلك نظرا لوقوف هولندا على الحياد بين الكتلتين المتنازعتين فقد استفادت هولندا من هذا الوضع على حساب الشعب الأندونيسي الذي كان في حاجة ماسة إلى المواد الغذائية الضرورية والتي كانت تباع للمتحاربين. ونتيجة لذلك تعرض الأهالى للمجاعات المتكررة لعدة سنوات، لأن

الإنتـاج الأنـدونيسي كان مخصصـا للتصـدير، ولجأ الناس إلى أوراق الأشجار وجذورها يستعيضون بها عن الطعام.

وقد صبر الأندونيسيون على هذا الضيم، على أمل تنفيذ ماوعدت به هولندا من منح أندونيسيا استقلالا داخليا في إدارة شؤونها. ولم يعلم الأندونيسيون أن هذه الوعود ماهي إلا بمثابة تخدير للشعوب الضعيفة لكى تهدأ وتستكين، ريثما ينجلى الموقف. وبانتهاء الحرب العالمية الأولى ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) خيبت هولندا آمال الأندونيسيين ولم تعر مطالبهم أذنا صاغية، كما أن مؤتمر الصلح لم يقرر شيئا بشأنهم. وازدادت أوضاع الأندونيسيين سوءا واستمر هذا الوضع طوال مدة الحكم الهولندى ولم يكن أمامهم مفر من المقاومة.

المقاومة الأندونيسية منذ الاحتلال وحتى الاستقلال :

شعر الشعب الأندونيسي باستغلال المستعمر لموارده وثرواته منذ أن وطأ أرض بلاده وأدرك أبعاد السيطرة الاستعمارية وأهدافها ضد دينه. ولم تهدأ مقاومة الشعب الأندونيسي للمستعمر منذ قدومه وحتى رحيله، فكانت المقاومة تسكن تارة وتشتد أخرى، ويقابل البطش والجبروت بروح مؤمنة بالحق والإسلام فيزداد الشعب عنادا وإصرارا على التحرر والاستقلال.

وفي القرن الحادي عشر قاد الأمير عبدالفتاح سلطان (بنتام) حركة تحررية ضد المستعمر، وجمع حوله الآلاف من الرجال الأشداء، وكون جيشا من الفدائيين أقضَّ مضجع الاستعمار، وبنى أسطولا قويا كما تحالف مع كل من الدولة العثمانية وانكلترا للوقوف في وجه الهولنديين. غير أن الهولنديين لجأوا إلى الخيانة ليقوضوا حركته وتمكنوا في النهاية من القضاء على ثورته وأسره.

وبعد ذلك قاد (سرياتي) حركة مقاومة في جاوة واستمرت هذه الحركة عدة سنوات وانتهت بمقتله، ونفى زعماء وقادة تلك الحركة.

وفي القرن الثالث عشر قاد الأمير (ديبونيجيرو) أحد كبار علماء جاوة المسلمين حركة المقاومة ضد الهولنديين لتعسفهم وظلمهم للسكان، فتطورت المقاومة إلى حرب طويلة الأمد، بدأت في منتصف عام ١٢٤٠ هـ (١٨٢٥ م)، واستمرت حوالي خمس سنوات، تكبدت هولندا خلالها خسائر فادحة من الأموال والأنفس.

ويقدر عدد القتلى من الهولنديين بخمسة عشر ألفا.

ولما يئست هولندا من التغلب على الأمير لجأت إلى سلاح الخديعة، فطالبت بالدخول في مفاوضات معه لوضع حد لهذا النزاع بالطرق الودية، وذلك في سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣١ م) ولكنها غررت به، وقبضت عليه أثناء المفاوضات، ونقلته إلى جزيرة سيليبس، حيث بقي مسجونا بها إلى وفاته في ١٢٧٢ هـ (١٨٥٤ م).

ويعّد الأمير (ديبونيجيرو) من المجاهدين المسلمين الذين ضربوا أروع الأمثال في محاربة الاستعمار الهولندى، ومن الذين دوخوا قواته، وكبدوها خسائر فادحة. وعندما فشلت قوات الاستعمار في أن تهزمه في ميدان الشرف والجهاد، لجأت إلى أسلحة خسيسة لايعرفها المسلمون أو بمعنى أصح لايعرفها خلق المسلم. ولكن حركته كانت الشعلة ومنارة للأجيال من بعده، وتحولت حركته إلى نضال عام قادة الأهالي لسنوات، وأصبح (ديبونيجيرو) بعد ذلك من أعلام الكفاح في أندونيسيا وقد أطلق اسمه على أهم شوارع العاصمة جاكرتا.

وتلا ذلك حروب جماعة (بدري) الإسلامية التي قادها مؤيدوها وأنصارها، وأعلنوا الجهاد واستطاعوا الانتصار، وأقاموا حكما يرأسه ثمانية علماء، ومن أشهر الأبطال فيها الشيخ مصطفى سحاب، ثم أشعلت هولندا الحرب الأهلية، بينما أعلنت الحرب هي على جماعة (بدري)، قد استمرت هذه الحرب مدة خمسة عشر عاما ١٢٣٧ - ١٢٥٣ هـ (١٨٢٥-١٨٤٠ م). وكان الهولنديون كعادتهم ينتصرون على الملوك المحليين لا بالقوة العسكرية وإنما بالخديعة والمكر والخيانة، وإن كان النصر يتم أحيانا على بعض الملوك بالعنف والقوة وأفضلية السلاح.

ولعل أشهر هذه الحروب التي جرت في غير جاوة لإحكام سيطرة هولندا على الجزر، هي الحرب مع مملكة (آتشية) التي استمرت إحدى وثلاثين سنة ١٢٩٠-١٣٢٢ هـ (١٨٧٢-١٩٠٣ م) كبدت هولندا خسائر فادحة في الأموال والأنفس، لأن سكان هذه المملكة قد اعتقدوا أن بلادهم أرض حرام، فعليهم ألا يمكنوا الهولنديين من أن يطأوها بأقدامهم، وشنوا حربا مقدسة على الهولنديين، ونموذجاً حياً لقوة الشعب الأندونيسي وصبره وشجاعته. وفي الوقت نفسه تزعمت الحركة الوطنية في أندونيسيا الزعيمة الأندونيسية (رادن أجنيج كارتيني) ١٢٦٧-١٣٢٢ هـ (١٨٧٩-١٩٠٣ م) وهي إحدى الشخصيات النسائية

الكبيرة، وأخذت على عاتقها قيادة الحركة الوطنية لتخليص البلاد من ربقة الاستعمار، مستغلة سوء الأحوال الداخلية، ومايلاقيه الشعب من عنت، ومايكابده من فقر وحاجة، ليس لقلة موارد البلاد بل للسياسة الاستعمارية القائمة، وأعقب ذلك انتفاضات واضطرابات متفرقة حتى عام ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م).

وكانت أندونيسيا خلال الحرب العالمية الأولى أهم مصدر لتموين تلك الحرب بأطرافها المختلفة نظراً لأن هولندا كانت تقف على الحياد، فاستفادت الشركات الهولندية والأجنبية وجنت أرباحا ضخمة على حساب الشعب الأندونيسي، الذي صبر وتحمل المجاعة والفقر والحاجة من أجل حصوله على الاستقلال تنفيذا لوعود هولندا الخادعة.

وبانتهاء الحرب العالمية الأولى في عام ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م)، تطلع الأندونيسيون إلى هولندا لتنفيذ ماوعدت به، ولكنها لم تعر مطالب الأندونيسيين أذنا صاغية، شأنها في ذلك شأن الدول المجتمعة في مؤتمر الصلح في باريس.

كان على أندونيسيا بعد أن وجدت أبواب مؤتمر الصلح موصدة أمامها أن تسلك طريق الجهاد، لتحصل على الحرية والاستقلال، فظهرت الأحزاب السياسية والجمعيات التي تبنت قضية الاستقلال، ولعب العلماء المسلمون دورا كبيرا فيها. ومن هذه الأحزاب: حزب (بودى أوتومو)، وحزب (شركت إسلام)، والجمعية المحمدية التي تعد من أكبر الجمعيات الإسلامية في العالم. وكذلك الجمعية العائشية الخاصة بالسيدات، وجمعية باسواندان، وحزب جاوة الفتاة، وحزب الأمراء، وجمعية نهضة العلماء، والجمعية الوصلية، وجمعية اتحاد علماء المسلمين، وغيرها من الجمعيات والأحزاب التي بلغ عددها ٥٧ جمعية.

وإذ ألقينا نظرة فاحصة على تلك الأحزاب والجمعيات نجد أن الأحزاب الإسلامية تمثل نسبة لها خطرها وقوتها. ومن ثم فطابع الجهاد الإسلامي كان يصبغ كفاح الأندونيسيين من أجل التخلص من الحكم الهولندى ونيل الاستقلال.

وقد تبلورت تلك الأحزاب، وخصوصا الأحزاب السياسية، في حزبين رئيسيين هما: حزب القمصان الخضراء، وحزب القمصان الحمراء. وقد اختلفت وسائل

الحزبين في تحقيق الاستقلال.

فالحزب الأول، وهو حزب القمصان الخضراء، كانت سياسته تهدف إلى التعاون مع السلطات الهولندية الحاكمة للوصول إلى الإستقلال التدريجي. وبناء عليه فقد طالب هذا الحزب الحكومة الهولندية بضرورة الوفاء بتعداتها بشأن تكوين مجلس نيابي من الأندونيسيين للاشتراك معها في إدارة البلاد.

ولما كان من صالح الهولنديين تقوية هذا الحزب المعتدل ضد الحزب الآخر المتطرف من وجهة نظرهم، فقد وجدوا ضرورة الاستجابة إلى مطالبه بشكل صوري يرضى الأندونيسيين من ناحية الشكل، والهولنديين من ناحية الجوهر والموضوع. ولذلك قامت هولندا بإنشاء «مجلس الرعية» الذي يتكون من ستين نائبا، نصفهم من الأندونيسيين، والنصف الآخر يشترك فيه الهولنديون بخمسة وعشرين عضوا، والأعضاء الخمسة الباقون يمثلون مصالح الأجانب المقيمين بأندونيسيا، وللحكومة الهولندية الحق في تعيين رئيس المجلس، أما باقي الأعضاء فينتخبهم الشعب بطريق غير مباشر. وهذا يعني أن أغلبية المجلس موالية لهولندا، هذا فضلا عن أن المجلس ليس له صفة الشرعية إذ لم تكن الحكومة الاندونيسية مسؤولية أمامه، ولذا فان الشعب الأندونيسي قد أنكر فكرة التعاون مع الهولنديين إنكاراً تاماً.

أما الحزب الآخر وهو حزب القمصان الحمراء فكان لايؤمن بسياسة التعاون مع الحكومة، ويرى أن هذا الطريق لايوصل إلى استقلال البلاد، فالاستقلال الحقيقى لن يتحقق بالتعاون الذي تريده هولندا ولا بالمفاوضات.

وبقيام الثورة الروسية في عام ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) أخذت مبادئها تتسرب إلى أندونيسيا، وتجد صداها لدى أعضاء هذا الحزب (حزب القمصان الحمراء)، وترتب على ذلك أن كوّن هذا الحزب حزبا جديداً أطلق عليه اسم (شركت رعيت) أي حزب الجماهير الذي سمى فيما بعد باسم «الحزب الشيوعي الأندونيسي» والذي أصبح من أقوى الأحزاب السياسية في أندونيسيا.

كان حزب (شركت إسلام) يشترك مع حزب القمصان الخضراء في سياسة التعاون مع الحكومة الهولندية، ظنا مه أن تلك السياسة ستحقق ماتصبو إليه

البلاد من استقلال دون إراقة دماء. ولكنه عندما وجد أن تلك التجربة فاشلة، وأن (مجلس الرعية) لم يكن سوى أداة تتحكم بواسطتها هولندا في البلاد، سحب أعضاءه من المجلس المذكور وقرر الانضواء تحت قيادة (حزب الجماهير) لتوحيد جهودها في مقاومة الاستعمار الهولندى، وكي لاينفرد ذلك الحزب في قيادة الشعب.

وباندماج الحزبين قويت حركة المقاومة للنفوذ الهولندى واشتعلت نار الثورة في غربي جزيرة جاوة وفي سومطرة الغربية في عامي ١٣٤٥ هـ - ١٣٤٦ هـ ١٩٢٨ م. وكادت تلك الثورة تعصف بها لهولندا من نفوذ في أندونيسيا لولا تكاتف الشركات الأجنبية، ومعاونتها للحكومة في إخماد الثورة خشية ضياع مصالحها في أندونيسيا. وبذلك تمكنت هولندا من القضاء على الثورة، ونفت زعماء الحركة البالغ عددهم أربعة آ ف ثائر من صفوة المثقفين الأندونيسيين إلى غينيا الجديدة (الأرض الحمراء) والتي تكثر بها المستنقعات والأوبئة الفتاكة. وحكمت هولندا بعد ذلك البلاد حكما مطلقا وقيدت الحريات واضطهدت المسلمين، واستمر ذلك الوضع حتى قيام الحرب العالمية الثانية.

وقد نتساءل عن الأسباب التي دفعت حزبا إسلاميا مثل حزب (شركت إسلام) إلى الانضمام الى الحزب الشيوعي الأندونيسي، نقول بأن الحكومة الروسية الجديدة قد أعلنت عطفها على الدول الخاضعة للاستعمار الأجنبي وبأنها ضد الاستعمار. وفي الوقت نفسه الذي لم تكن قد انكشفت بعد المبادىء والنوايا الحقيقية للشيوعيين والذين حاولوا إخفاء آرائهم. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فخطر الاحتلال الهولندى قائم يومذاك - لاسيما أن الدولة الشيوعية الجديدة في ذلك الوقت لم تكن قوة لها خطرها. فاتفاق الحزبين إذن كان اتفاقا حول هدف واحد محدد، ألا وهو الاستقلال، بغض النظر عن نقاط الاختلاف الأخرى بين الحزبين.

ومنذ انتهاء الحرب العالمية الأولى بدأت حالة هولندا الاقتصادية تسوء نظرا لانشغالها في إخضاع ثورة الأندونيسيين، وفي تعقب نشاط الشيوعيين، فأهملت التجارة، وتركتها في يد الشركات الأجنبية والهولندية، وتفرغت للحكم والسيطرة وترسيخ قواعد الاحتلال الهولندى في أندونيسيا.

وخلال فترة مابين الحربين تعرضت أندونيسيا لأزمة اقتصادية رهيبة نتيجة

منافسة الشركات الأجنبية (الأوربية واليابانية والأمريكية) والأزمة العالمية، فتعرض الاقتصاد الأندونيسي لضربات شديدة، وقل الاقبال على شراء المنتجات الزراعية الأندونيسية، وتوقفت حركة التبادل التجارى، وانحط مستوى المعيشة في أندونيسيا تبعا لهذا الكساد التجارى، فزادت البطالة، وتحكمت الشركات الأجنبية في تقدير الأجور.

وإزاء تدهور الحالة الإقتصادية في أندونيسيا، وانحطاط مستوى المعيشة بين السواد الأعظم من الشعب الأندونيسي أخذ أعضاء مجلس الرعية يضغطون على الحكومة الهولندية للتدخل السريع، لمعالجة الأزمة قبل أن يستفحل ضررها ويصبح من الصعب إصلاحها. واستجابت الحكومة الهولندية خشية على زعزعة النفوذ الهولندي وانهياره، فأخذت بسياسة التوجيه الاقتصادي وإفساح المجال أمام النشاط الأهلي ليأخذ نصيبه في تطوير الاقتصاد الأندونيسي. وكذلك حاولت التدخل لتوزيع دخل البلاد توزيعا عادلا إلى حد ما. كما عملت على إدخال بعض الصناعات وحمايتها في إندونيسيا.

وعلى العموم، فقد واجهت الصناعات الوطيه عقبات متعددة من أصحاب رؤوس الأموال الأجنبية. فتوقفت بعض الصناعات الناشئة وصمد بعضها الآخر في وجه المنافسة والمؤامرات بفضل يقظة الشعب الأندونيسي وتصميمه على كسر الاحتكار الأجنبي في شؤونهم الاقتصادية، وتخليص البلاد من السيطرة الأجنبية على اقتصادياتها، فالشعب الأندونيسي وكذلك الأحزاب الأندونيسية قد وجد في تشجيع الصناعات الوطنية ومقاطعة البضائع الاجنبية نوعا من مقاومة التدخل الاجنبي. وهذا يؤكد أن الحركة الوطنية تعمل في جميع المجالات سياسية واقتصادية واجتماعية.

ولهذا السبب نشات الاحزاب السياسية ذات البرامج الاقتصادية، مثل الحزب الأندونيسي الذي أنشأه الدكتور محمد حتا وكيل رئيس الجمهورية الأسبق أحمد سوكارنو. والحزب الوطني الذي أنشاه أحمد سوكارنو رئيس الجمهورية الأسبق وحزب اتحاد الشعب الأندونيسي الذي أنشأه (سوتومو). وقد عرف هذا الحزب فيما بعد باسم «حزب أندونيسيا العظمى» وكان له أيضا برنامج اقتصادى شامل، فنادى بتكوين بنك وطنى أندونيسي لتحويل المشروعات الاقتصادية الوطنية،

وإيجاد اتحادات ونقابات لمختلف الطوائف للنهوض بمستوى الصناعة والصناع.

ولكن الحكومة الهولندية والشركات الأجنبية وقفت أمام هذه الحركة الوطنية الاقتصادية وأمام التيار الوطنى المتدفق بصفة عامة صلبة عنيدة، فعملت على انهيار المشروعات الاقتصادية الوطنية، وقيدت حرية الصحافة والنشر، وفرضت رقابة شديدة على الأحزاب السياسية والجمعيات الدينية وحرمت على الأهالى الاشتغال بالسياسة وعدّت ذلك جريمة كافية للزج بمرتكبها في أعماق السجون أو النفي خارج البلاد، وطبقت ذلك فعلا مع أحمد سوكارنو ومحمد حتا زملائهم من السياسيين، فنفتهم الى جزر الملولوك وغينيا الجديدة، وظلوا في المنفي إلى قيام الحرب العالمية الثانية، كما استخدمت الحكومة الأندونيسية الموالية لهولندا كل الطرق التعسفية للقضاء على الحركة الوطنية.

ويرجع اهتمام هولندا والشركات الأوربية بأندونيسيا لأهميتها في الاقتصادين الهولندى والأوربى، إذ أن الأموال المستثمرة في أندونيسيا بلغت عام ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) مبلغ ٣٧٠ مليون جنيه منها ٢٥٠ مليونا لهولندا و ٥٠ مليونا لبريطانيا و ٢٤ مليونا لأمريكا، وقد زادت رؤوس الأموال هذه زيادة كبيرة وحققت أرباحا كبيرة على حساب الشعب الأندونيسي الذي لم يحصل على شيء من هذه الأرباح. وأن نظرة فاحصة للدخل الأندونيسي تكفى لمعرفة الغبن الواقع على الأندونيسيين. فالأندونيسييون البالغة نسبتهم ٩٧٫٥٪ من عدد السكان لايتجاوز ما يحصلون عليه من دخل البلاد ١٢٫٥٪. بينما نجد أن الهولنديين الذين لاتتجاوز نسبتهم ٠٫٥٪ من عدد السكان يتجاوز دخلهم ٦٥٪ من هذا الداخل. ويحصل الأجانب وسبتهم ٣٪ على دخل نسبته ٢٢٫٥٪.

وعندما بدأت نذر الحرب العالمية الثانية تظهر في الأفق، أخذ الهولنديون يخففون من غلوائهم، وينادون بمبدأ التعاون بينهم وبين الأندونيسيين، لما فيه مصلحة الطرفين. وقد اشتدت المطالبة بهذا التعاون بعد أن وقعت هولندا في قبضة الاحتلال الألماني في عام ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م). واستغل الأندونيسيون حاجة هولندا إلى معاونتهم في المطالبة بمنحهم دستورا حقيقيا يحقق رغبة الشعب في اشتراكه الفعلى بالحكم، ولكن هولندا رفضت هذه المطالب. وبينما كانت المفاوضات الأندونيسية الهولندية تتعثر إزاء تمسك الطرفين كل بوجهة نظره، داهم

أندونيسيا الخطر الياباني ـ وكانت اليابان إحدى دول المحور الذي يتكون منها ومن ألمـانيا وإيطاليا ـ واستـولت على أندونيسيا عام ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م)، فوقعت بذلك تحت الاحتلال الياباني.

أندونيسيا في ظل الاحتلال الياباني :

لم يكن احتلال اليابان لأندونيسيا من قبيل المصادفة، بل كان يرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ اليابان الحديث، وبتطورها الاقتصادى السريع في القرن الثالث عشر الهجري، فاليابان كدولة بدأت تسير في ركب الحضارة الأوربية، وتأخذ بأسباب تلك الحضارة في نظمها الاقتصادية والسياسية، وتمارس سياسة التصنيع على نطاق واسـع، وجـدت أن من الضروري إيجاد مجال حيوى لها في الدول المجاورة، وخصوصا بعد أن ازداد عدد سكانها زيادة كبيرة لاتتحمله تلك الجزر المتناثرة وزاد إنتاجها الصناعي زيادة كبيرة.

ولهـذه الأسبـاب أخـذت اليابان تتطلع إلى الشرق الأقصى كمجال حيوى لنشاطها التجارى. وتعمل جاهدة على إغلاق الأسواق في آسيا أمام المنتجات الأوربية متخذة شعار آسيا للأسيويين «ومنطقة الرخاء الأسيوية المشتركة». وكانت اليابان تنظر إلى الصين كسوق عظمى للمنتجات اليابانية، ولذا فإنها غير مرتاحة لتدخل النفوذ الأوربى في منطة الشرق الأقصى وخاصة الصين. ونتيجة لذلك انـدلعت الحرب الصينية اليابانية بشأن كوريا في عام ١٣١٢ هـ (١٨٩٤ م)، ونجحت اليابـان في ضمهـا إلى ممتلكاتها. ثم أعقبتها الحرب الروسية اليابانية ١٣٢٢-١٣٢٣ هـ (١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ م) بخصوص الاستيلاء على إقليم منشوريا، وإبعـاد النفوذ الروسي عن سواحل المحيط الهادي المواجه لليابان. كما انتهزت فرصة قيام الحرب العالمية الأولى، واستولت على جزر (كارولين) في شمال المحيط الهـادي. وكانت تابعة لألمانيا. وكانت تلك الخطوات تمهيداً لتوطيد نفوذها في المنطقة إلى جانب النفوذ الأمريكي والأوروبي. وفي عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٧ م) دخلت اليابان في حرب مع الصين، عدّها المؤرخون بداية للحرب العالمية الثانية. ثم أخـذت تتطلع إلى أندونيسيا بعد أن ارتبطت معها بروابط تجارية واسعة. وحاولت اليابان إدخال أندونيسيا لغناها بالمواد الأولية في مضمار الاتحاد الاقتصادي والذي أطلقت عليه اسم (منطقة الرخاء الأسيوية المشتركة) أي أن اليابان باتباعها

تلك السياسة كانت تهدف إلى إبعاد النفوذ الأجنبي عن تلك المنطقة الأسيوية للعــالم، والمنـاداة بمبـدأ آسيا للأسيويين. ورفضت بريطانيا وهـولنـدا إدخـال مستعمـراتهـا في الاتحاد الاقتصادي، ولكن اليابان كانت مصرة على ذلك ولو بالقوة.

وقبل أن تلجأ اليابان إلى القوة حاولت الدخول في مفاوضات مع السلطات الهـولنـدية الحـاكمـة في أنـدونيسيا، لعقد اتفاق تجارى معها في منتصف عام ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م)، ونجحت اليابان نتيجة لضغطها المتواصل على هولندا في إبرام اتفاقية تجارية تخول لليابان الحق في الحصول على كميات ضخمة من النفط الأندونيسي استعدادا لخوض المعركة ضد دول الغرب. وترددت هولندا في تنفيذ الاتفـاقية وأخـيرا امتنعت عن تنفيذهـا، كما أن الأندونيسيين عارضوا التدخل اليابـاني، ووجـدت اليابان أن من مصلحتها الانضمام إلى دول المحور (ألمانيا وإيطاليا) وهـاجمت المستعمـرات التـابعة لدول أوربا من أعداء المحور بمنطقة الشرق الأقصى، واستولت عليها عنوة، ونفذت سياستها الاقتصادية كما تشتهي. فهـاجمت أسـطول الحلفاء في ميناء (بيرل هاربور Peal Harbour) وقضت عليه ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م)، واسـتمـرت في الـزحف حتى احتلت أنــدونيسيا في ١٣٦١ هـ ، وقضت على مقاومة هولندا.

وبهذا الغزو الياباني تنطوى صفحة بغيضة من صفحات الاستعمار الهولندى لأندونيسيا، وتبدأ صفحة أخرى جديدة لا تقل بغضا عن سابقتها استمرت حوالى ثلاث سنوات ونصف السنة، حاولت اليابان خلالها أن توهم الشعب الأندونيسي بنواياها الطيبة نحوه بصفة خاصة والآسيويين بصفة عامة. واستغلت الشعارات التي تنـادى بآسيا للآسيويين، وبتحقيق منطقة الرخاء الأسيوى المشتركة. وفي خلال فترة حكمها وجهت اليابان نشاط البلاد الاقتصادى نحو الشرق، وعملت على استنزاف موارد البلاد بشكل ملحوظ في أقصر مدة ممكنة، كما اتبع اليابانيون سياسة الاكتفاء الاقتصادى في كل جزء من أجزاء البلاد، فصار كل إقليم يزرع مايحتاجه من مواد غذائية، وبذلك استطاعت اليابان أن تنقل كميات ضخمة من تلك المنتجـات إلى بلادها، كما استخدمت الايدي العاملة الزائدة في الأعمال الحربية اليابانية.

وكان اليابانيون قد أظهروا في بادىء الأمر حماسة لفكرة استقلال أندونيسيا لكى يكسبوا ود الشعب الى جانبهم، وتمكنوا من بث دعاية قوية في هذا المعنى جعلت الأندونيسيين يصدقون أن يوم استقلالهم أصبح قريبا. وبدأ عهد جديد من التعاون بينهم وبين اليابانيين، فاستقرت الأمور في هذه المنطقة في وقت حاسم وحساس. وشجع اليابانيون الأندونيسيين على تكوين جمعيات ووحدات عسكرية أندونيسية تحت رعايتهم لتخليص المنطقة من الاستعمار الغربي ودحر قوته.

وكانت الخطة التي اعتمدت عليها الزعامة الأندونيسية في تلك المرحلة هي مظاهرة اليابان في الوقت الذي تستمر فيه الدعوة إلى الاستقلال، كما سعت إلى التخلص من أي محاولة يابانية للسيطرة على أندونيسيا والحيلولة دون عودة الهولنديين إليها في أي صورة من الصور، ومع ذلك فان الغزو الياباني أدى في النهاية إلى تخليص أندونيسيا من سيطرة هولندا.

ولما وجد الشعب الأندونيسي أن اليابان غير جادة في منحهم الاستقلال، وأن احتلالها وتصرفاتها لايختلف عن الاحتلال الهولندى، إذ أن نشاطها التجارى دلّ على استغلالها البشع، ولذا فانهم هبوا للدفاع عن استقلالهم ومقاومة الاستعمار الياباني، وليكن جهادهم متصلا أيا كان المستعمر شرقيا أم غربيا.

وقاد زعماء البلاد حركة مقاومة سرية كما قاموا بتكوين التشكيلات السرية ضد الحكم الياباني، كما عمل زعماء البلاد وعلى رأسهم أحمد سوكارنو ومحمد حتا على إلهاب الشعور الوطني حتى لا تخدره الوعود اليابانية، وذلك خشية أن تقع بلادهم تحت النفوذ الياباني، كما أسس المسلمون (حزب الله) بقيادة زين العارفين من جمعية نهضة العلماء واشترك جميع الاندونيسيين في مقاومة اليابانيين. فلجأت سلطات الاحتلال اليابانية إلى القبض على هؤلاء الزعماء ومحاكمتهم، وإعدام بعضهم، ونفي بعضهم الآخر خارج البلاد. ثم شددت قبضتها على الشعب الأندونيسي، وفرضت الأحكام العسكرية عليه.

وظل هذا الوضع قائما إلى هزيمة اليابان واستسلامها دون قيد أو شرط عام ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م)، بعد ضرب مدينتى هيروشيما وناغازاكي بالقنابل الذرية.

استقلال أندونيسيا والنزاع مع هولندا :

بانتهاء الحرب العالمية الثانية تقدم اليابانيون بمشروع لاستقلال أندونيسيا، ولكن زعماء البلاد ورجالها رفضوا أن يكون استقلال بلادهم هدية أو منحة، وكان هذا الإصرار سببا في رضوخ اليابانيين لرغبة الزعامة الوطنية التي صدر عنها الإعلان التاريخي باستقلال أندونيسيا، وذلك عام ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م) وبعد يومين اثنين من استسلام اليابان مستندين في إعلان استقلالهم إلى وعود الحلفاء وملكة هولندا خلال الحرب.

ثم تشكلت الجبهة الوطنية لإصدار دستور الجمهورية الأندونيسية الجديدة. وفي الوقت نفسه قامت ثورة عامة ضد قوات الاحتلال اليابانية. وفي خلال ستة أسابيع من قيام الجمهورية تمكنت الحكومة الجديدة من بسط سيطرتها على معظم أجزاء جاوة، ومادورا، وسومطرة ومناطق أخرى.

وبينما كان زعماء أندونيسيا يعملون على توطيد سيطرتهم على معظم أجزاء أندونيسيا، إذا بالقوات الانكليزية والهولندية تصل إلى الشواطىء الأندونيسية لنزع القوات اليابانية المهزومة. ولكن حكومة أندونيسيا الوطنية رفضت السماح لقوات هولندا أن تطأ أقدامها أرض البلاد، وأبدت استعدادها بأن تقوم بتسليم قوات الاحتلال اليابانية إلى الحلفاء. وحاول قائد قوات الحلفاء أن يقرب بين وجهتى نظر الأندونيسيين والهولنديين. ولكن الهولنديين رفضوا الدخول في مفاوضات مع حكومة أندونيسيا بحجة أنها غير شرعية، ونشأت نتيج الاحتلال الياباني، واجتمع ممثلو الفريقين الأندونيسي والهولندى وأجروا مفاوضات استمرت خمسة أيام، وفشلت لتمسك كلا الفريقين بأنه له وحده السيادة والسلطة في البلاد.

وفي الوقت نفسه نزلت القوات الهولندية إلى الشواطىء الأندونيسية لإرغام الحكومة الأندونيسية على التسليم والخضوع من جديد للاحتلال الهولندى. وتواطأ الانكليز مع الهولنديين، ودارت بين القوات الانكيزية والهولندية من جهة والقوات الأندونيسية من جهة أخرى معارك في عدة مناطق استطاعت على أثرها قوات الدولتين المهاجمتين احتلال بعض المدن المهمة في جزيرتى جاوة وسومطرة.

بدأت المشكلة الأندونيسية تلفت أنظار العالم وتأخذ مكانها بين المشكلات

المهمة التى يجب أن يوضع حل لها عن طريق هيئة الأمم المتحدة الناشئة. وفي عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) طلبت جمهورية أو كرانيا السوفيتية عرض القضية على مجلس الأمن. وفي خلال عرض القضية أمـام مجلس الأمن، كانت هنـاك مفاوضات تجرى بين الطرفين الهولندى والأندونيسي للوصول إلى حل للمشكلة بالطرق الودية. وبعـد مفاوضات شاقة توصل الجانبان إلى توقيع اتفاقية عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م)، وتنص على اعتراف هولندا بالجمهورية الأندونيسية على أنها حقيقـة واقعة، ولها السيطرة الفعلية على جزر جاوة، وسومطرة، وأن تجلو القوات الانكليزية والهولندية عن تلك الجزر بالتدريج. ونصت الاتفاقية أيضا على إيجاد تعاون بين هولندا والجمهورية الجديدة في ادارة شؤون البلاد، وذلك بإنشاء حكومة إتحادية عام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) تشمل أندونيسيا كلها، يطلق عليها اسم الولايات المتحدة الأندونيسية على أن يتكون من الولايات المتحدة الأندونيسية وهولندا اتحاد يسمى الاتحاد الهولندى الأندونيسي، يشترك فيه الطرفان على قدم المسـاواة تحت التـاج الهـولندى. ومهمة الاتحاد هى العمل على تنمية المصالح المشـتركـة، والإشراف على العـلاقـات الخـارجية والـدفاع والشؤون الاقتصادية والثقافية.

وقد صدق على هذه الاتفاقية بصفة نهائية عام ١٣٦٦ هـ، وأخطرت هيئة الأمم المتحدة بذلك. وبدأ الطرفان الهولندى والأندونيسى وضع بنودها موضع التنفيذ، وعقدوا لذلك عدة اجتماعات. واختلف الطرفان في تفسير عدة مسائل، وفشلت الجهـود جميعها لتنفيذ وتطبيق الاتفاق، وذلك لعدم توافر الثقة بينهما. وترتب على ذلك قيام القوات الهولندية بمهاجمة القوات الأندونيسية للقضاء على الاتفاقية المذكورة، وبررت عملها بحجة عجز حكومة أندونيسيا عن حفظ الأمن الداخلي في البلاد، وذلك من أجل استرداد نفوذها في أندونيسيا. وتدخل مجلس الأمن وفرض وقف إطلاق النار وأوصى بالدخول في مفاوضات في حل النزاع بالطرق السلمية. وفي الوقت نفسه عين مجلس الأمن لجنة وساطة لمساعدة الطرفين على الوصول إلى اتفاق. واستطاعت اللجنة بعد جهود مكثفة أن تصل إلى اتفاقية جديدة عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م)، تنص على وقف إطلاق النار، وتحديد مناطق

وتشكلت على الفـور أربـع لجان تحت إشراف لجنة الوساطة لبحث الأمور المتعلقة بالنواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية والإدارية، ولكن هولندا كانت تضع العراقيل أمام اللجان المذكورة حتى تبقى على وجودها العسكري في البلاد، في حين كانت الحكومة الأندونيسية مصرة على إنشاء اتحاد هولندى أندونيسي تتمتع في ظله حكومة الولايات الأندونيسية باستقلالها كاملاً مع إيجاد نوع من الارتباط الواهي مع هولندا. وبذلك تعثرت المفاوضات بسبب تعنت هولندا وإصرارها على البقاء في البلاد، فأحالت لجنة الوساطة الأمر إلى مجلس الأمن. ولكن هولندا سارعت بإعلان الحرب مرة أخرى عام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) خارقة بذلك اتفاقية الهدنة واحتلت عاصمة الجمهورية، وألقت القبض على الرئيس أحمد سوكارنو ووكيله محمد حتا وزج بهما في السجن.

وإزاء تدهور الموقف في البلاد اجتمع مجلس الأمن ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م)، وأعلن ممثل هولندا تمسك حكومته ببنود الاتفاقيتين المعقودتين بين الطرفين، وزعم أن حكـومتـه اضطرت للقيام بمثل هذه التدابير لوضع حد للاضطرابات التي سادت أجـزاء مختلفـة من الجمهورية الأندونيسية. وطالب مجلس الأمن بوقف إطـلاق النار، وبعودة قوات الطرفين إلى خطوط الهدنة التي حددتها الاتفاقية. ولكن هولندا لم تصدع للأمر، واستمرت في أعمالها العدوانية رغم هذا القرار. ولذا وجد المجلس أن الوضع يحتاج إلى حل حاسم. وبالفعل فقد وافق المجلس عام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م)، على مشروع لحل الأزمة.

وينص المشروع على أن توقف هولندا جميع الأعمال العدوانية وتعطى الضمانات اللازمة بذلك، وكذلك أندونيسيا، وأن تطلق هولندا سراح المتعلقين السياسيين من رجال حكومة الجمهورية الأندونيسية، والسماح لهم بالعودة إلى ممارسة أعمالهم، وأخيراً أوصى المجلس باستئناف المحادثات بينهما بمعاونة هيئة الوساطة بحيث يتم نقل السيادة إلى جمهورية أندونيسيا في أسرع وقت ممكن بحيث لايتجاوز ١٢ ربيع الأول عام ١٣٦٩ هـ (١١ كانون الثاني ١٩٤٩ م).

وأمام هذا الضغط العالمي، استجابت هولندا تلبية لرغبة مجلس الأمن ودول أوربا والولايات المتحدة الأمريكية التي هددتها بقطع المساعدات، وأعلنت بأنها قد وافقت على انتقال السيادة إلى حكومة الولايات المتحدة الأندونيسية في أسرع

وقت مستطاع. وتعتزم عقد مؤتمر للمائدة المستديرة في مدينة لاهاى في القريب العاجل لوضع اللمسات الأخيرة حول تفاصيل انتقال السيادة إلى الاتحاد الهولندى الأندونيسي. ووافق مجلس الأمن على عقد مؤتمر المائدة المستديرة في مدينة لاهاى بهولندا. وقد تم بالفعل عقد المؤتمر المذكور في أول ربيع الأول ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م)، في جو من التفاؤل والأمل المشوب بالتيقظ والحذر، ومثلت فيه لجنة الوساطة التابعة للأمم المتحدة.

وبعد مفاوضات قصيرة وقع المتفاوضون على ميثاق المؤتمر في ٨ محرم ١٣٦٩ هـ (٣٠ تشرين أول ١٩٤٩ م)، وقد تضمن النقاط التالية:

أولا: مشروع لائحة لنقل السيادة من هولندا إلى جمهورية الولايات المتحدة الأندونيسية.

ثانيا: مشروع دستور للاتحاد الهولندى الأندونيسي، يتضمن ملاحق واتفاقيات خاصة حول أسس الموضوعات التي ستكون مجالا للتعاون في المستقبل.

ثالثا: مشروع اتفاقية حول التدابير الانتقالية.

وخلاصة القول: إن اتفاقية المائدة المستديرة قد نقلت السيادة إلى أندونيسيا دون قيد أو شرط. وأصبحت جمهورية الولايات المتحدة الأندونيسية في ١٢ ربيع الأول ١٣٦٩ هـ (١ كانون الثاني ١٩٥٠ م) تتكون من ست عشرة ولاية بما في ذلك الجمهورية الأندونيسية السابقة. وأصبح الاتحاد الهولندى الأندونيسي تحت تاج هولندا يمثل المصالح المشتركة للطرفين، وخصوصا في ميدان السياسة الخارجية والدفاع.

وقد عرضت قرارات مؤتمر المائدة المستديرة على مجلس الأمن، فأظهر ارتياحه لذلك ووافق عليها عدا الاتحاد السوفيتى وبعض دول الكتلة الشرقية التي عارضتها ووصفتها بأنها شكل جديد من الاستعمار الهولندى، الذي تؤيده الولايات المتحدة الأمريكية وانكلترا، واتهمت زعماء الجمهورية الأندونيسية بالخيانة، بعد أن كانت تدعم الحكومة التي يرأسها شيوعي قبل أعوام كما سنرى.

ويعزى موقف الاتحاد السوفيتى هذا إلى نجاح الحزب الشيوعي في أندونيسيا الذي دعمته هولندة للوقوف أمام المسلمين، كما أن الرئيس أحمد سوكارنو كان يؤيد الحزب الشيوعي بأفكاره وذلك لأن الأحزاب الوطنية جميعها كونت جبهة

واحدة، وجميع الأحزاب والمنظمات الإسلامية كونت حزبا واحدا عرف باسم مجلس الشورى الإسلامي أو مايسمى (ماشومى) وذلك إثر الاحتلال الياباني. وقد أو كل الرئيس سوكارنو رئاسة مجلس الوزراء منذ منتصف شعبان عام ١٣٦٦ هـ إلى الشيوعى عامر شرف الدين الذي احتفظ لنفسه أيضا بمنصب وزير الدفاع، ليتمكن من الإشراف على القوات المسلحة، وبدأ الاتحاد السوفيتي يعضد هذه الحكومة ويبرز دور الحزب الشيوعي في الحصول على الاستقلال، وهذا ما قوى شوكـة الحـزب، ولكن الشعب المسلم عارض تعيين عامـر شرف الدين رئيسا للحكـومـة، ولقى هذا العمـل معـارضـة عنيفـة من الشعب والمجلس النيابي والصحافة، وأمام هذا الضغط الشعبي اضطر نائب رئيس الجمهورية الدكتور محمد حتا إلى استخدام سلطته، وأقال رئيس الوزراء الشيوعي وتولى بنفسه مهمة تشكيل الوزارة فثارت ثائرة الشيوعين وابتدأ هجومهم العنيف. وكانت بداية الثورة الشيوعية الأولى في منتصف شوال من عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م).

ألف الحـزب الشيوعي مجلسا وقيادة عليا للثورة، وقدم أحدهم وهو عيديد مذكرة إلى الحكومة يطالب فيها بالتبادل السياسي مع الدول الشيوعية. وبالتأميم، ومصادرة الأملاك، وإقالة الحكوم القائمة التي يرأسها الدكتور حتا. وفي أيام عيد الفطر من عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) دعت صحيفة العمال الشيوعية الحكومة إلى الانضمام إلى المعسكر الشوعي.

وبعـد خمسة عشر يوماً من العام نفسه، بدأت الثورة باختطاف ضباط من الجيش، وقامت حوادث الارهاب في كل مكان، وتدخلت الحكومة ـ حكومة محمد حتا ـ فأنزلت قوات الجيش وأنذرت المختطفين بالإفراج عن من اختطفوهم، فلم يستجب أحد للأمر بل زادت تلك الحوادث فاختطف القادة المسلمون، وكان منهم (ماوردى) وثلاثة من زملائه، وقد قتلوا مباشرة ومثل بهم، وهوجمت مراكز البوليس.

وفي اليوم التالي أعلنت إذاعة (ماديون) عن قيام جمهورية أندونيسيا السوفيتية، وتـولى رئـاسة الحكومة فيها عامر شرف الدين وألقى بيانا من الإذاعة، وغدا لأندونيسيا حكومتان، سوفيتية ومركزها (ماديون) ووطنية ومركزها (جاكرتا).

أعلن المسلمون الجهاد ودوت كلمة «الله اكبر» في كل مكان وتحرك الجيش

الأنـدونيسي بقيادة (عبـدالحـارث ناسـوتيان) فاستطاع القضاء على الشيوعيين، واعتقل الجيش زعماء الشيوعيين وزج بهم في السجون والمعتقلات، وحكم على عدد منهم بالإعدام وفي مقدمتهم عامر شرف الدين إضافة إلى تسعة آخرين من رفاقة، وكان هذا بأوامر الدكتور محمد حتا، بينما بقى الدكتور أحمد سوكارنو صامتا في هذه المدة ومتعاطفا معهم.

وبمجرد القضاء على الثورة الشيوعية الأولى شعرت هولندا أن الوقت قد آن لها لتتحـرك من جديد فاستـأنفت أعمالها الحربية، كما أشرنا واحتلت جاكرتا، واعتقلت الـزعـماء سوكـارنو ومحمد حتا، وسوتان شاهرير، والحاج عجوز سالم وغيرهم. ولكن الثورة استمرت على أيدى المسلمين، وقامت حرب العصابات في كل مكـان حتى عقـد اتفاق مؤتمر المائدة المستديرة عام ١٣٦٨ هـ (١٩٢٩ م) والذي أشرنا إليه. وانتقلت العاصمة إلى جاكرتا بعد عام، ولم يبق من المشكلات إلا مشكلة غينيا الجديدة أو إيريان الغربية.

لقـد دام الشكل الاتحادى للدولة حتى شوال عام ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م)، وقـامت وحدة بين الدويلات، وأصبح اسم الدولة جمهورية أندونيسيا، وشكل الحكـومـة السيد محمد ناصر زعيم حزب ماشومى أيضا، ثم استقالت وشكل الحكـومـة الجـديدة الدكتور (سويكيمان) وهو من زعماء حزب ماشومي أيضاً، واستمرت في عملها عاما حيث استقالت، ثم تقرر إجراء انتخابات لمجلس نيابي في ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م)، وألف الحزب الوطنى حكومة ائتلافية إشتركت فيها الأحزاب المختلفة وعلى رأسها حزب ماشومي. ومما يجدر ذكره أن مؤتمر باندونغ قد عقد في العام نفسه في مدينة باندونغ عام ١٣٧٥ هـ وضم ستمائة مندوب يمثلون تسعا وعشرين دولة أسيوية وإفريقية.

وفي عام ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م) أعلن الـرئيس أحمـد سوكـارنو عن سياسته الجديدة وهي: الديمقراطية الموجهة «إثر زيارته للاتحاد السوفيتي والصين، وتعنى هذه السياسة أن نصف أعضاء المجلس النيابي يجب أن يعينهم الرئيس، فعارض معظم السياسة والشعب هذه السياسة واستقال الدكتور محمد حتا نائب رئيس الجمهورية وبدأ في انتقاد الرئيس، ورفضت الأحزاب السياسية هذه الديكتاتورية الجديدة. وحدث انقلاب في سومطرة عام ١٣٨٧ هـ ولكنه فشل. وطالب الشعب

دون جدوى باستقالة الحكومة وعودة الدكتور محمد حتا، وماكان من حزب ماشومى ونهضة العلماء إلا أن سحبا وزراءهم منها فاضطرت إلى الاستقالة، وأعلن سوكارنو حالة الطورىء وتطبيق الأحكام العرفية في البلاد، ولم يستطع الرئيس سوكارنو تشكيل حكومة ائتلافية فشكل الوزراء بنفسه، نصفها من المجلس النيابي دون استشارة الأحزاب، وفي مطلع عام ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م) حل المجلس النيابي واستدعى المجلس الذي كان قائما عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م) بالتعيين وحل حزب ماشومي واعتقل زعماءه، وفي عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م) حل المجلس النيابي، وتأسس مجلس جديد على أساس الديمقراطية الموجهة. وانتخب الرئيس سوكارنو في عام ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م) رئيسا مدى الحياة. وكان سوكارنو خلال هذه المدة قد تعرض عدة مرات للاغتيال إلا أنه نجا من تلك المحاولات.

وخلال المدة السابقة كانت المفاوضات بين أندونيسيا وهولندا حول جزيرة إيريان الغربية مستمرة، ولكن هولندا كانت تضع العراقيل أمام نجاح المفاوضات وتماطل وتسوف، ولم تكن الحكومة الهولندية جادة في مفاوضاتها مع أندونيسيا وذلك لأهميتها الاستراتيجية، وخصوصا بعد أن ظهر النفط في الجزيرة، وبعد أن أخذ النفوذ الغربي يتداعى في جنوب شرقى آسيا، علاوة على اهتمام الغرب بمشروعات الدفاع عن المنطقة وانتهاج أندونيسيا سياسة الحياد الايجابي، وعدم الانحياز ورفضها لمشروعات الغرب الدفاعية. ولذلك طالبت هولندا بتعديل الدستور الهولندى عام ١٣٧٢ هـ (١٩٥٢ م) بحيث ينص على جعل إيريان الغربية جزءاً من مملكة هولندا.

وقد ساندت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا واستراليا هولندا في موقفها من ضم جزيرة إيريان الغربية، وذلك إثر موقف الرئيس سوكارنو الموالى للكتلة الشرقية وخاصة الاتحاد السوفيتي. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تجاوز الدول الغربية إلى هيئة الأمم المتحدة نفسها بإغلاق باب المفاوضات الجارية بين الطرفين منذ عام ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م) لإجبار أندونيسيا على قبول الأمر الواقع. ونتيجة لذلك عقد مؤتمر شعبي في جاكارتا في عام ١٣٧٧ هـ حضره مايزيد على المليون، وطالب الحكومة باتخاذ إجراء حازم أمام تعنت هولندا، ويتلخص في تأميم الشركات الهولندية، وترحيل الرعايا الهولنديين خارج البلاد، وتحريم دخول

أندونيسيا على الهولنديين، وإنشاء فرقة مسلحة هدفها تخليص إيريان الغربية، وإنشاء صندوق تمويل حركة التحرير في الجزيرة. وقد لبت الحكومة الأندونيسية هذه الدعوة بعد فشل القضية، فأممت الشركات الهولندية وأمرت بترحيل الهولنديين إلى بلادهم، واستولت على المصانع ومزارع المطاط، ومختلف المنشآت الهولندية. وبهذا الإجراء فقدت هولندا كل ماتملكه من رؤوس الأموال وتبلغ ١٢٠٠ مليون دولار.

وتدخلت الأمم المتحدة وقررت في عام ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م) وضع إيريان الغربية تحت إشراف أندونيسيا، على أن يجرى استفتاء بعد ذلك حول تقرير مصيرها، ولكن انسحاب أندونيسيا من الأمم المتحدة بسبب الاعتراف بقيام جمهورية ماليزيا - ألغى هذا الالتزام بإجراء الاستفتاء، ولكن سرعان ماعادت أندونيسيا إلى هيئة الأمم المتحدة عام ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م).

وبعد أن طبق الرئيس سوكارنو سياسة الديمقراطية الموجهة، واعتقل الزعماء المسلمين وحل حزب ماشومي، نشط الحزب الشيوعي وخلا له الميدان فاعلن أنه سيكون الحزب الوحيد في البلاد، وأنه سيحول السياسة وفق أهدافه ومبادئه. فهاجم الحزب المذكور المداراس الإسلامية في عام ١٣٨٤ هـ (١٩٦٤ م) وتكررت هذه الأحداث في عدة مدن. وفي عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) أعلن الشيوعيون ثورتهم متعللين بمرض سوكارنو وعدم اهتمام الجيش بالأمر والأخطار التي تهدد البلاد بمساعدة الرجعية والإمبريالية. وكان قائد الحرس الجمهوري قد اختطف بعض الجنرالات المسلمين، وتم قتلهم والتمثيل بجثثهم، ونجا منها عبدالحارث ناسوتيان وزير الدفاع. وفي الساعة السادسة من صباح ٢٥ رجب ١٣٨٥ هـ (١٨ تشرين الثاني ١٩٦٥ م) أذاعت محطات الإذاعة بعد الاستيلاء عليها أول بيانات للشيوعيين. ولكن وزير الدفاع عبدالحارث ناسوتيون أمر الجنرال (سوهارتو) نائب قائد القوات البرية إذ كان قائد القوات البرية (أحمد باني) من بين الجنرالات الـذين اختـطفـوا وقتلوا بتنفيذ الأوامر اللازمة للقضاء على الشيوعيين، ونجح (سوهارتو) بعد ساعات في القضاء على ثورة الشيوعيين إذ هبَّ الشعب يلاحقهم وسيطرت القوات المسلحة على الوضع وبدأ الصراع بين سوكارنو من جهة وقادة الجيش من جهة ثانية. فأعاد سوكارنو عام ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م) الشيوعيين إلى

الوزارة إلا أن الشعب ثار بشدة وعارض هذا الإجراء، وطالب بعزل سوكارنو الذي كان من وراء الثورة الشيوعية السابقة، فتنازل سوكارنو عن كل صلاحياته إلى وزير الدفاع الجديد الجنرال سوهارتو، وقد صادق المجلس الاستشارى الأعلى على ذلك، ولكن الأحزاب والقضاة والمحامين وبقية فئات الشعب طالبت المجلس الاستشـارى الأعلى بالغاء رئاسة سوكارنو، وصدق عيها المجلس المذكور، وفي شوال عام ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م) تنـازل سوكـارنـو عن السلطة وأعـطى جميع الصـلاحيات للجنـرال سوهارتو. وقرر المجلس الاستشارى برئاسة عبدالحارث ناسـوتيان تعيين الجنرال سوهارتو رئيسا للجمهورية بالوكالة، وجدد الشعب في انتخاباته عام ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢ م) رئاسة الجنرال سوهارتو. واعترفت الحكومة بالحزب الإسلامي الأندونيسي وأصبح مجموع الأحزاب في أندونيسيا عشرة وهي: حزب نهضة العلماء، وحزب شركت إسلام، والحزب الوطني الأندونيسي، والحزب الكـاثوليكي، والحزب البروتستانتي، وحزب موريا، وحزب (برتى الإسلامي)، وحزب ايبكي، والفئة العاملة.

من العـرض الموجز لكفاح أندونيسيا من أجل الاستقلال ومقاومة الشيوعية نستـطيع أن نتبين مدى تشبث الدول الاستعمارية باستغلال واستعباد الشعوب الإسلامية أطول مدة ممكنة، وأن تضامن الشعب الأندونيسي في جهاده للحصول على حريته واستقلاله كان السلاح الفعال للقضاء على قوة هولندا. واكتسب العالم الإسلامي باستقلال أندونيسيا الإسلامية التي يربو عدد المسلمين فيها على ١٥٠ مليون مسلم سندا جديدا وقوة جديدة.

وتعاني أندونيسيا اليوم من زخم التحرك التنصيري والتفاهم بين الإرساليات التنصيرية هذه وبين الشيوعيين الذين فشلوا في محاولاتهم للسيطرة على الحكم. وتتساهل الدولة مع هؤلاء على حين تقف في وجه الحركة الإسلامية، وتحول دون وصولها إلى الأرياف حيث لاتزال الوثنية هناك، وتفتح هذا الباب أمام الإرساليات النصرانية.

١٢ ــ برونـــي

دولة صغيرة في شمالي بورنيو تبلغ مساحتها ٥٨٠٠ كيلومتر مربع. وكانت دولة ذات شأن في الماضي يمتد سلطانها على مناطق واسعة في بورنية والجزر المحيطة بها. وفي عام ٨٢٨ زار سلطانها مالاقـا فاعتنق الإسلام على يد (محمد شاه) سلطان مالاقا، وبعدئذٍ بدأ الإسلام ينتشر بسرعة بين شعبه. وفي القرن العاشر الهجري اتسع نفوذ دولة بروني إلى أوجه فشمل جزر صولو والفلبين.

وبعد أن مكنت انكلترا نفوذها في المنطقة اتجهت نحو (بروني) واستطاعت أن تقطع أوصالها، فتقلص نفوذ بروني.

وفي عام ١٢٦٤ هـ (١٨٤٨ م) دخل سلطان بروني في اتفاقية مع بريطانيا لمقاومة القرصنة وتطوير العلاقات التجارية.

وفي عام ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) وضعت تحت الحماية البريطانية، واستمرت حتى اجتاحت اليابان المنطقة كلها في أثناء الحرب العالمية الثانية، ثم انسحبت منها قبل مرور أربع سنوات.

وفي عام ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م) جرى التفاوض من أجل اتحاد ماليزيا فرفضت بروني دخول هذا الاتحاد الذي قام عام ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م)، وهي المقاطعة الوحيدة التي رفضت ذلك.

وتعتمد في اقتصادها على النفط الذي يشكل ٩٩٪ من دخل البلاد، كما تنتج المطاط، والأرز الذي هو الغذاء الرئيسي للسكان.

القسم الثاني

الأقليات المسلمة في آسيا

الأقليات المسلمة في آسيا

مقدمة القسم الثاني :

يقيم مايزيد على ١٧٦ مليون مسلم في آسيا يعيشون كأقليات في دول غير مسلمة، وهذا العدد يشكل ٤ر٨٣٪ من مجموع الأقليات المسلمة في العالم والبالغ عددها ٢١١ مليون نسمة. وعلى الرغم من هذا العدد الكبير (١٧٦ مليونا) إلا أنه لاتوجد نسبة عالية من المسلمين في البلدان التي يعيشون فيها كأقليات وذلك لأن تلك الدول ذات أعداد كبيرة من السكان الأمر الذي يجعل عدد المسلمين كبيراً مهما قلت نسبتهم، وخاصة إذا علمنا أن ٩٠٪ من هذه الأقليات يتجمع في دولتين كبيرتين هما الصين والهند، إذ يقدر عدد المسلمين في الأولى (٨٠ مليونا)، وفي الثانية (٧٦ مليونا) وتكون نسبتهم في الأولى ١٠٪، وتبلغ نسبتهم في الثانية ١٤٪.

ولاشك فإن هذا الرقم الكبير في كلتا الدولتين يكون له دوره وأثره ولذا لايمكن إغفاله وإهماله ولابد من دراسته. وكذلك عندما تزيد النسبة في دولة على ١٠٪ فإن هذه الأقلية تكون ذات شأن ويجب التعرف عليها، كما هي الحال في تايلاند والفلبين وغيرهما.

أما عندما يكون العدد ضئيلاً أو تكون النسبة قليلة فيمكن التلميح إلى المسلمين في هذه الدول لأن لهم مشكلاتهم الخاصة بهم، وكثيراً ماتثير هذه النسبة أزمات كما هي الحال في بورما، وكامبوديا وغيرهما، وماذلك إلا لأن الحرب موجهة ضد المسلمين فكرياً واجتماعيا ويصل الأمر في كثير الأحيان إلى الإبادة والتصفية الجسدية، كما هي الحال في فلسطين وكشمير، والفليبين، وكامبوديا، وبورما وغيرها، فالحرب الصليبية لاتزال قائمة بل والحرب الدينية هي التي تلعب دورها في هذه الدول رغم ادعاءاتها بغير ذلك فالنصرانية في الفليبين، والبوذية في تايلاند، والهندوكية في الهند كل تعادي المسلمين وتشن عليهم حرباً دينية، من جهة ومن جهة ثانية فإن النظم تعادي المسلمين أيضاً وتشن عليهم -

أيضاً، فالشيوعية في الصين وروسيا تعمل على إبادة المسلمين وتتهمهم بممالأة الـرأسـمالية والامـبريالية والغـرب، والـرأسـمالية في الفليبـين وتـايلانـد تتهمهم بالشيوعية . . . والواقع لاهذا ولاذاك وإنما الحرب عليهم لأنهم مسلمون. بل لو أن حكومة كانت تتبع نظاماً معيناً لاتهمتهم بما يعادي نظامها ولو قامت حكومة مكـانها تسـير على نظام آخر لادعت أنهم يناصرون النظام الأول. . . وهكذا فالحرب على الإسلام أولاً وآخراً.

١ ـ المسلمون في الهند

لمحـــة جغرافيـــة :

الهنـد شبـه جزيرة واسعـة تمتـد في جنـوبي قارة آسيا، تزيد مساحتها على ٤٫٣٦٠٫٠٠٠ كم[٢]، وتمتد سواحلها على طول ٤٥٠٠ كم، وتعد هذه السواحل قصيرة إذا قيست بالمساحة الشاسعة حيث تكاد تستقيم السواحل.

تنفصـل الهنـد عن بقية بلاد آسيا بحاجز من الجبال الشاهقة منها: جبال «هيمالايا» التي تفصلها عن الصين، وتعدّ أعلى جبال العالم إذ تصل أكثر قممها ارتفاعاً إلى علو ٨٨٨٨م، وجبل «كراكورم» في كشمير، ومنها جبال «سليمان» التي تفصلها عن بلاد الأفغان، وفي هذه الأخيرة ممرات تصل بين الهند وأفغانستان، وأشهر الممرات ممر خيبر وممر «بولان»، ومن هذه الممرات دخل الفاتحون، وعبر المستوطنون، وسلك طرقها النازحون والمهاجرون.

وفي جنوب هذه الجبال تنفرج سهول واسعة تمتد من الغرب إلى الشرق بطول ٣٥٠٠ كم، من البحر العربي إلى خليج البنغال، ويتراوح عرضها بين ٣٥٠ هـ ٥٠٠ كم، وتنقسم هذه السهول بعتبة قليلة الارتفاع تقع إلى الغرب من مدينة دهلي (دلهي) أو أن هذه المدينة تقع على سفوح العتبة الشرقية، وتنقسم السهول إلى قسمـين، يسير في الجزء الغربي نهر السند، ويجري في القسم الشرقي نهر الغانج وفيه تكثر الأمطار الموسمية فترداد الفيضانات، وتحدث النكبات بالأرض والسكان.

وفي جنوب هذه السهول تمتد شبه جزيرة ذات صحور قديمة على شكل مثلث قاعدته في الشمال ورأسه في الجنوب، ويعد رأس «كوموران» نهاية شبه الجزيرة التي تكون هضبة تعرف باسم هضبة «الدكن» ويبلغ معدل ارتفاعها ١٠٠٠م، وترتفع عن السهول الساحلية على شكل درجات تعرف باسم جبال «الغات» أي (السلالم)، ويعرف الريط الساحلي الضيق في الغرب باسم «مليبار»، وفي الشرق باسم «كرومندل»، وتنحدر الأنهار من الهضبة نحو الغرب ونحو الشرق، وتكون قصيرة نسبيساً، وغير منتظمة الجريان.

تعد هذه المنطقة من البلاد الحارة إذ تمتد بين خطي عرض ٨-٣٧ شمالاً، وتغزر الأمطار الصيفية فيها بسبب الرياح الموسمية حتى لتعدّ من أغزر بلدان العالم وبخاصة على سفوح جبال هيمالايا، أما فصل الشتاء فيكون جافاً وقليل البرد، وتعد صحراء ثار الواقعة في الغرب عند مدار السرطان أكثر المناطق جفافاً في شبه القارة الهندية، وفي نهاية الشهر الجاف ترتفع الحرارة وتزداد حتى تبدأ الأمطار في الانهار في فصل الصيف. وتحميها الجبال الشمالية من الرياح الآسيوية الباردة.

والهند ذات ثروات كبيرة سواء أكانت زراعية مثل: الأرز، والقمح، وقصب السكر، والذرة، والشعير، والقطن، الجوت، والشاي، والبن، والمطاط، والفول السوداني، والفواكه، والتوابل، والسمم. وتغطي الغابة ٣١٪ من مساحة البلاد، ولاتـزال تعيش في الغـابة بعض الجماعات البدائية، وتنعزل في مجاهلها بعض الشعوب، وكذلك تكثر فيها الحيوانات وبخاصة الأبقار، وكذلك تزخر بالثروات المعدنية مثل: الحديد، والمنغنيز، وأوكسيد الألمنيوم، والميكا، والكروم، والنحاس، والذهب، والفحم، كما تتقدم بإنتاج النفط والغاز الطبيعي. وتدخل الصناعة طوراً جديداً، وتسير بشكل حسن مع الأيام.

لمحة تاريخيـــة :

كانت الهنـد مقـر الـديانـة الـبراهمية التي تنسب إلى «بـراهما»، كما تسمى «الهندوكية» نسبة الى الهند، وتقسم الشعب إلى طبقات متباينة على شكل هرم فتصنّف الكهنة في أعلاه، يليهم المحاربون، فالزرّاع فالخدم، وهناك المنبوذون

الذين ترفضهم كل طبقة، وتحتقرهم كل جماعة، فلا يلتقون بهم، كما أن الطبقات الأخرى ينفصل بعضها عن بعض بفاصل كبير.

وكذلك وجدت الديانة البوذية في شمال شرقي الهند في سفوح جبال هيمالايا، ولكنها لم تنتشر في الهند، وانما انتشرت خارجها في الصين والهند الصينية.

وصل الاسكندر الأكبر المقدوني إلى الهند عام ٩٤٨ قبل الهجرة، وبقي فيها عاماً كاملاً، وتعاقبت بعده على الحكم أسر حاول بعضها نشر البوذية، ودعا بعضها للبراهمية، وكانت قبائل «الهون» وجموع السيت» تدخل البلاد بين الحين والآخر فتعم الفوضى وينتشر الفساد، والأمراء يتخاصمون من كشمير حتى البنغال، بينما يحكم إقليم السند قبائل «السكا» المتنافرة المتقابلة فيما بينها، ثم خضع هذا الإقليم في وقت متأخر لحكم ملك براهمي هو الملك «داهر» الذي طرق المسلمون أيامه أبواب البلاد.

وكان الفقر يسود بين الشعب، وزالأغنياء يتحكمون في الناس، والمجاعات تحدث بين مدة وأخرى، والظلم قائم، ونظام الطبقات هو السائد، وأمام هذا لابد من أن يدخل المسلمون المنطقة ليزيلوا الظلم ويرفعوا الطغيان حسب المهم المللقاة على عاتقهم في إزالة الظلم أينما وجد.

بدأت الغزوات البحرية تصل إلى الشواطىء الشمالية الغربية للهند وتغزو «الديبل» (كراتشي اليوم) و «بومباي» وذلك منذ أيام الراشدين، وخاصة أيام سيدنا عثمان بن عفان، رضي الله عنه.

وسار المهلب بن أبي صفرة على رأس جيش عام ٤٤ هـ أيام سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما فغزا منطقة السند ونال شيئاً من النجاح.

وفي أيام عبد الملك بن مروان أرسل سعيد بن أسلم بن زرعة عاملاً له على ثغر السند، ولكنه قتل، وفر قاتله إلى السند حيث آواهما الملك «داهر» الأمر الذي جعل بين المسلمين والملك داهر احتكاكا مباشرا. وعندما تولى الحجاج بن يوسف الثقفي أمر المشرق أرسل إلى السند «مجاعة بن سعر التميمي» عاملاً على ثغر السند فاستطاع فتح بعض المناطق، ووافاه الأجل قبل مرور عام، وفي هذه الأثناء اختطف القراصنة الهنود بعض النساء المسلمات، فطلب الحجاج من ملك السند

«داهر» تسليم هذه النساء، فأجاب: بأن يده لاتصل إلى القراصنة، **فأرسل اليه** الحجاج بعض المقاتلين، وكان على رأسهم عبيد الله بن نبهان، **فقتل، فأرسل** آخر وهو «بدل» ولكن الأجل وافاه، فأرسل بعدها **«محمد بن القاسم الثقفي»** على رأس ستة آلاف مجاهد، ففتح «الديبل» مكان كراتشي اليوم عام ٨٩ هـ ، بعـد أن حاصرهـا براً، ووصـل الأسطول الإسلامي فحاصرها بحراً، فحطم الأصنام التي فيها، كما دخل مدينة «بيرون»، وهي حيدر آباد السند، وهي التي ينسب إليها العالم البيروني، ثم اتجه إلى عاصمة الاقليم وهي «الملتان» ففتحها عام ٩٦ هـ ، وقتل الملك «داهر».

تولى أمر السند بعد محمد بن القاسم يزيد بن أبي كبشة حتى كانت أيام عمر بن عبـدالعـزيز الـذي أرسـل عمـر بن مسلم الباهلي والياً على السند فانتشر الإسلام، وآمن أولاد الملك داهر. وزالت دولة بني أمية.

وفي أيام الدولة العباسية انتشرت الشيعة في إقليم السند وخاصة أيام المنصور حيث كان واليها عمرو بن حفص، ثم حدث خلاف بين القبائل العربية فاغتنم الهنود الفرصة، واحتلوا بعض أجزاء الثغر، وفي النهاية قامت دولة إسماعيلية دامت عدة سنـين، وقـد حكمهـا أبـو الفتح داود القرمطي، وقد قضى عليها محمد الغزنوي. إذن لم يصل الإسلام في عهد الفتوحات الأولى إلا إلى منطقة السند في الشمال الغربي من البلاد.

وتوقفت الفتوحات وانصرف الناس إلى التجارة في كل جهة، في البر والبحر، وكانوا يعرفون الارتحال من قبل في مياه المحيط الهندى، وتحركت سفنهم في ذلك الاتجاه، وتوقفوا على السواحل الغربية للهند فانتشر فيها الإسلام إذ كانوا في هذه المـرة تجاراً ودعـاة بل ربما كانت التجارة وسيلة للدعوة والاتصال بالناس، أما السواحل الشرقية فكان انتشار الإسلام فيها أقل مما هي الحال في المناطق الغربية لأنها لم تكن طريقاً للسفن، إذ كثيراً ماكانت تتحرك جنوب الهند لتتجه مباشرة إلى ماليزيا عبر جنوب خليج البنغال، ولهذا كان انتشار الإسلام في جزيرة سيلان والسواحل الشرقية أضعف مما كان على السواحل الغربية.

وقامت الدولة الغزنوية في أرض أفغانستان اليوم، وحكم محمود الغزنوي الدولة

عام ٣٨٨ هـ ، فتقدم في الهند عن طريق ممر خيبر، وتمكّن من فتح «قنوج»[١] في وسط البلاد، و «كوجرات[٢]» على السواحل الغربية، وهدم معبد «سومنات» الذي يعده الهنود مكان تناسخ الأرواح، وأن مدّ البحر وجزره إنما هما إلا صلاة له[٣]، وعندما توفي محمود الغزنوي، خلفه ابنه مسعود الذي فتح مدينة «بنارس»، ثم ساد الاختلاف بلاد الهند.

حكم الغـزنويون حتى عام ٥٥٥ هـ ، وخلفهم الغوريون الذين وصلوا إلى البنغال، وحكم منهم محمد الغورى فقط، وخلفه مملوكه «قطب الدين أيبك»، واستقـل الخلجيون في البنغال، ولأهمية البراهمية أراد أحد حكامهم وهو علاء الـدين إيجاد دين جديد يجمع بين الأديان، وعمل قائدة من بعده على إحياء البراهمية للغرض نفسه، فوقف الشعب في وجهه، وحكم آل تغلق البلاد فعملوا على نشر الإسلام، ومن حكامهم غياث الدين الذي زار في عهده الهند الرحالة «ابن بطوطة»، أما «دهلي» فقد حكمها بعد «قطب الدين أيبك» صهره ومملوكه «التمش»، واعـترف عليه الخليفة العباسي، وأسماه ناصر أمير المؤمنين. وهكذا انتشر الإسلام في شمالي الهند في السهول الممتدة بين الغرب والشرق وبخاصة في البنغال بجهود آل تغلق.

ووصل المغول إلى الهند بقيادة تيمور لنك عام ٨٠١ هـ ، فانتشرت الفوضى، ثم حكم «اللودهيون» الهند ومنهم «اسكندر شاه» الذي عمل على نشر الإسلام، ثم عاد المغول من جديد، وقتلوا آخر ملوك «اللودهين» عام ٩٣٢ هـ ، واستقر لهم الأمـر، وكـانـوا حديثي العهـد بالإسـلام فكـان منهم المصلحون، ومنهم المفسدون، ومنهم الملك أكبر الذي نقل العاصمة إلى «أغرا»، وأراد أن يضع ديناً جديداً تقرباً من البراهمية يجمع بينها وبين الإسلام، فوقف العلماء في وجهه ووجه ابنه الذي خلفه عام ١٠١٤ وهو «جيهان كير»، وجاء حفيده «أورنكزيب» عام ١٠٦٨ فألغى جميع منكرات أبيه وجده، وحكم المغول الهند جميعها الأمر الذي جعل الإسلام ينتشر في كل رقعة منها ولكن بنسبة صغيرة، وإن كانت هذه النسبة

(١) قنوج: مدينة على نهر الغانج بين « غرا » و « بنارس ».

(٢) كوجرات: شبه جزيرة تقع شمال مدينة بومباى على الساحل الغربي.

(٣) أعيد بناء معبد « سومنات » بعد تسعة قرون في عهد الحكومة الهندية الجديدة.

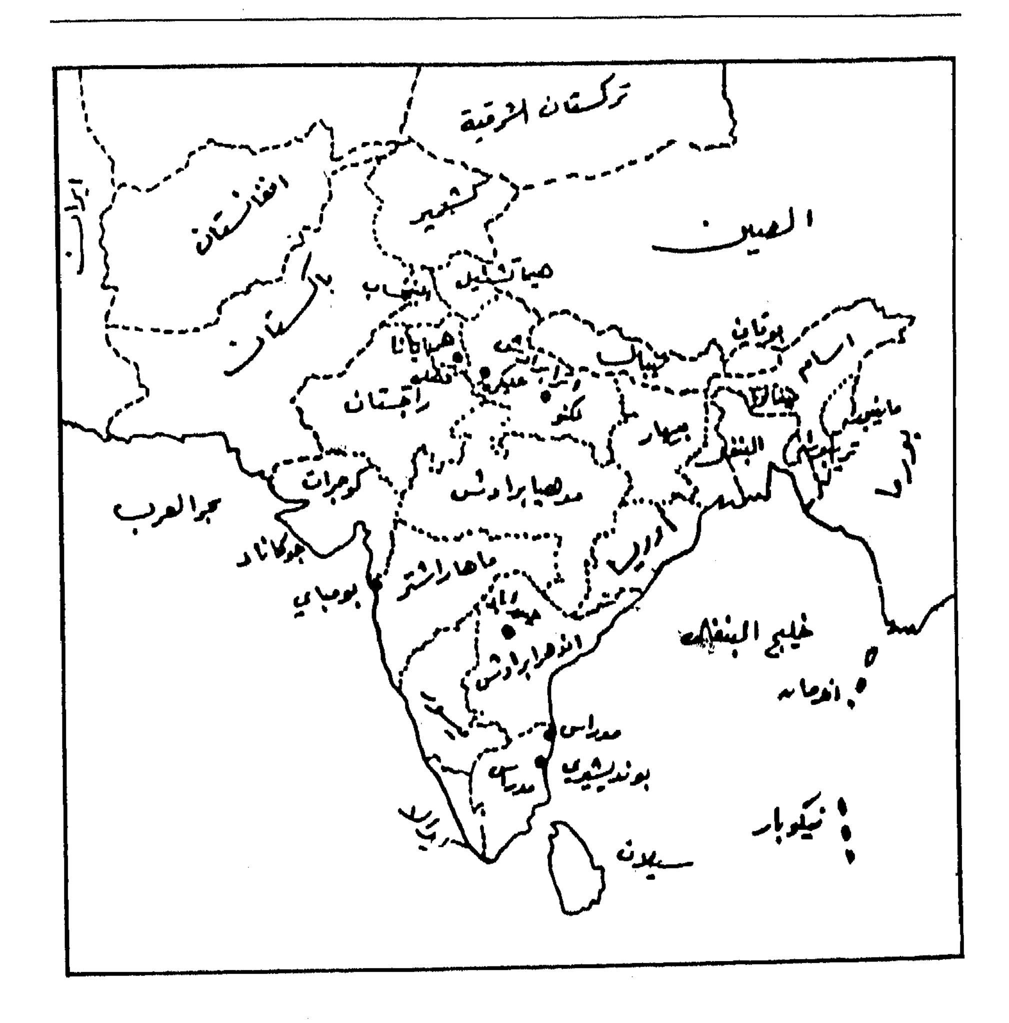
تختلف بين منطقة وأخرى حسب ظروف كل منطقة ودعاتها، وبسبب السياسة العامة، وجهل أكثر لحكام بالإسلام، والفوضى التي كانت تعم البلاد. واستمر حكم المغول في الهند، وإن كانت التجزئة قد حصلت، وقام عدد من الحكام في آن واحد.

وفي الوقت الذي كان المغول يجتاحون الهند من الشمال الغربي كان القراصنة الأوريون ينزلون على السواحل الهندية، ويقومون بهجمة صليبية على المسلمين.

المسلمون في العصر الحديث :

طرد النصارى من إسبان وبرتغاليين من الأندلس المسلمين، وكانت أوربا كلها من وراء النصارى وتدعمهم وتشدّ أزرهم حتى تمكنوا من ذلك، ووضعوا مخططاً لمتابعة المسلمين ومطاردتهم والالتفاف عليهم من الجنوب والشرق لإمكانية تطويقهم، وحسب هذا المخطط كان على البرتغاليين أن يتجهوا إلى جنوب بلاد المسلمين فانطلقوا في المحيط الأطلسي فعرفوا رأس الرجاء الصالح، والتفوا حول إفريقية عام ٩٠٣ هـ وبعد عام وصلوا إلى الهند، ونزلوا على ساحلها الغربي، واستولوا على «غوا» التي غدت منذ عام ٩٣٧ هـ (١٥٣١ م) عاصمة الهند البرتغالية، وظهرت محاكم التفتيش في هذه المدينة على النحو الذي حدث في الأندلس، ولم تكن طلائع الصليبيين لتدخل إلى الداخل وإنما تكتفي بالمراكز الساحلية، إذ كانت على خوف من المسلمين، وفي الوقت نفسه لتتمكن من السيطرة على التجارة وعمليات النقل للأسباب وأعمال النهب التي تتم، كما تستطيع الفرار بسرعة إن دعت الحاجة. وبعد أن كانت أوربا تدعم الإسبان والبرتغال في قتال المسلمين وملاحقتهم لأسباب عدائية أو صليبية محضة بدأت دولها المتعددة تنافسهم وتحسدهم لما حصلوا عليه من غني وثروات فقد استطاع الهولنديون القضاء على نفوذ البرتغاليين في ساحل «مليبار»، واتبعوا سياسة احتكارية ارتكبوا في سبيلها أبشع الجرائم وأخس الأساليب.

وظهرت انكلترا على المسرح السياسي في هذه المنطقة عام ١٠٣٢ هـ (١٦٢١ م) فاستولت على مضيق هرمز في الخليج العربي أهم مراكز البرتغاليين، وي عام ١٠٤٩ هـ (١٦٩٣ م) استولت على مدارس في جنوب شرقي الهند، واحتلت



البنغال عام ١١٧١ هـ (١٧٥٨ م)، وبدأت المنافسة الانكليزية ـ الفرنسية. وعندما احتل نابليون بونابرت أراضي هولندة في أوربا وضعت انكلترا يدها على أملاك الهولنديين في الشرق، ثم تنازلت لها عن «جاوه» فيما بعد، وعن «سومطرة»، وتنازلت هولندة مقابل ذلك عن «مالاقا» و «الهند».

واستطاعت انكلترا عام ١٢٠٥ هـ (١٧٩٠ م) أن تقضي عى سلطان «تيبو» الـذي استشهد عام ١٢١٤ هـ (١٧٩٩ م) وأن تسيطر على سواحل «مليبار»، وهكـذا تمكنت انكلترا أن تمد نفـوذها إلى معظم أجزاء الهند، ولو أن الحكم الاسمي بيد المسلمين، ولم يبق للدول الأخرى الأوربية سوى أجزاء بسيطة من

شبه القارة الهندية ومنها: البرتغال وفرنسا. وكانت شركة الهند الشرقية الانكليزية هي صاحبة الكلمة الأولى في كل بلاد الهند.

انتقل حكم الهند عام ١٢٧٠ هـ من شركة الهند الشرقية الانكليزية إلى التاج فقامت الثورة في البلاد ضد الانكليز، وخاصة في «دهلي» و «لكنو» إلا أن الثورة قد فشلت، ونفى السلطان سراج الدين بهادور شاه ظفر إلى «رانغون» عاصمة بورمـا حيث توفى هناك، كما قُتل أبناؤه، ولما كانت الثورة في صفوف الجيش ويتـزعمهـا الضبـاط المسلمون لذا فقد اضطهد المسلمون عقب فشل الثورة، وصـودرت أملاكهم، وهدمت مساجدهم أو أصبحت ثكنات للجيوش، وشرد المـواطنـون، ورحب الهنـدوس بالاستعمار، فتسلمو الوظائف، وقتلو المسلمين، وادعوا أنه قد آن لهم الأوان للأخذ بالثأر والانتقام، وحصلوا على الثروة، واشتروا الأرض حتى لم يبق للمسلمين سوى ٥٪ من الأراضى التي كانوا يملكونها من قبل، وظهرت خطة التفرقة بين المسلمين والهندوس، وقد صرح اللورد «النبرو» بذلك حيث قال «ليس في وسعي أن أغمض عيني بأن هذا العنصر الإسلامي عدو أصيل العداوة لنا، وأن سياستنا الحقة أن نتجه إلى تقريب الهنود».

وبعد دخول المستعمرين امتنع المسلمون عن التعليم لأن المدارس أصبحت في أيدي المنصرين حسب أوامر المستعمرين وتوجيه الحكام، وأقبل الهندوس على التعليم وأيدوا المستعمـرين الأمر الذي أصيب معه المسلمون بالجهل فتأخرت أحـوالهم، وفقـدوا مراكزهم في حين تلقى الهندوس العلم فتسلموا المناصب، وتحسنت أوضاعهم وقوي مركزهم.

وقـام بعض المسلمـين يريدون سد الثغرة التي حصلت وأدت إلى تأخـر المسلمين، فدعا «أحمد خان» (١٢٣٣-١٣١٦ هـ) إلى التعليم وتقليد الانكليز، وتقبل حضارة الغرب كما هي، وفسر القرآن الكريم تفسيراً خاصاً يتفق ورأيه الخاص، وأنكر على الإسلام الرق وتعدد الزوجات، وتقرب من الانكليز لينال عندهم الحظوة، فساعدوه بتأسيس جريدة أسماها «تهذيب الأخلاق» وبانشاء كلية في مدينة «عليكرة» عرفت باسم «الكلية الانكليزية الشرقية المحمدية»، وتعني بالإسلام والنصرانية والنظم الغربية، وعرفت بعد الاستقلال باسم «الجامعة الإسلامية».

وسار بعض المسلمين شوطاً أكبر في سبيل الحصول على المنفعة، وسار معهم الانكليز بصورة واضحة أيضاً في سبيل دعم حكمهم وتشويه الإسلام، وهما الغايتان الرئيسيتان لكل استعمار، فقد قام «ميرزا غلام أحمد القادياني» (١٢٥٥-١٣٢٦) فكتب «البراهين الأحمدية»، ثم ادعى عام ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤ م) أنه المسيح المنتظر، وأفتى بقبول الحكم الانكليزي، وفسر الجهاد بالشكل الذي يريده الأجانب، وعد طاعة الانكليز واجبة حيث أنهم أولى الأمر، وحاول التقرب من الهندوس أكثرية السكان فقال: إنه يتلبس بروح السيد المسيح وبروح الإله «كرشنا» وهو رب الخير عند الهندوس، وقد انقسم أتباعه بعد وفاته إلى قسمين:

١ ـ الأحمدية: ويسمون بجماعة لاهور، ويعدون ميرزا غلام أحمد إماماً ومصلحاً فقط، ومن زعمائهم «خواجا كمال الدين» و «مولاي محمد علي».

٢ ـ القاديانية: ويؤمن أتباعها بنبوة غلام أحمد، ويعدون جميع المسلمين الذين لم يشتركوا في مبايعة السيد المسيح الموعود كافرين خارجين عن دائرة الاسلام، ولايجوز الصلاة خلف أحد منهم، كما لايجوز الصلاة على من مات منهم ولو كان طفلاً صغيراً.

وهكذا نجد أن المسلمين قد ابتلوا بالحكام الذين يسعون وراء المنصب الزائل، ويتقربون من الهندوس طمعاً في البقاء بالسلطة، ثم ابتلوا بالاستعمار، ثم ابتلوا بالانقسام، فقد سار بعضهم وراء المستعمر وحصل على الدعم والتأييد، وحارب المسلمين، واتهمهم بالكفر، ولو أن هذا القسم كان قليل العدد إلا أنه ذو إمكانات لما يحصل عليه من الانكليز، أما الغالبية العظمى من المسلمين فمغلوبون على أمرهم وأكثرهم في جهل وفقر، إلا أن هؤلاء قد بدأوا ينهضون فتأسست بجهودهم كليات إسلامية كان من أهمها كلية «ديوبند» التي تأسست عام ١٢٨٣ هـ (١٨٦٦ م) وبدأت بطالب واحد، ومدرس واحد ثم توسعت، ولاتزال إلى الآن قائمة تؤدي دورها، وكذلك فقد تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها، وذلك عام ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) في مدينة «لكنو» وتدرس باللغة العربية.

وعندما قوي التيار الإسلامي خافته انكلترا فأرادت أن تعطف المسلمين عن

خط سيرهم فدعت إلى القـومية الهندية حيث يلتقي تحت رايتها المسلمـون والهندوس، وتبتعد الأفكار الدينية عن المسرح السياسي، وفي ظل هذه الدعوة تباح المحرمـات من زنا ومسكرات، ويحميها القانون، وينحرف أبناء المسلمين عن عقيدتهم، وعلـى هذا الأسـاس نشـأ حزب المؤتمـر الهندي عام ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م)، ودخل فيه المسلمون والهندوس على حدٍ سواء بل إن بعض المنظمات الإسلامية قد اندمجت فيه مثل: «جمعية العلماء» و «مؤتمر المؤمنين الهنود»، و «مؤتمر الشيعة»، وأثناء انعقاد المؤتمر كان رئيسه يعدد نعم البريطانيين ويثني عليهم، وأنه بالفعل لم يكن هذا الحزب ليقوم لولا دعم الانكليز. وأبدى هذا الحزب في البداية احتراماً لشعور المسلمين، ولكنه بعد مدة أظهر عكس ذلك فنادى بتخليص الهند من الغـربـاء، وإبـطال القـوانـين التي تحترم شعـائر المسلمين، وعدهم غرباء كالانكليز. ونادى الغلاة منهم بقتل كل من يظهر ميلاً نحو المسلمين أو يحاول مسايرتهم، ومن الذين لقوا حتفهم على أيديهم «غاندي» (١٢٨٦ـ١٣٦٨ هـ) وهو زعيم المؤتمر ورئيس الهندوس، وذلك لأنهم ظنوا أنه يساير المسلمين قليلاً. ويقول السيد «شودري فضل الحق» وهو أحد زعماء الأحرار، ومن المسلمين، ومن مؤيدي حزب المؤتمـر: «إن المجتمـع الهندي عدّ ا لمسلمين كلهم من الأنجاس الذي لايمسـون، وقـد تكون وطنياً قحاً، وقد تكون من أصحاب غاندي المرموقين ولكنك تعامل معاملة الانجاس الذين لايمسون، طالما تعلن لأحد من الهندوكيين بأنك من المسلمين».

وقـد جاءت خطوط سياسـة الـوطنية الهندوكية موضحةً في مقال نشره أحد الثوريين المدعو «هاردیال» عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م) في جريدة «بارتاب» التي كانت تصدر في «لاهور» أيام حكم البريطانيين قال فيه: «إن مستقبل الجنس الهندي وهندستان وبنجاب يقوم على أربع دعائم هي:

١ ــ «سانكاثان» أي الوحدة.

٢ ــ «الراجا» أي الإله الهندي «رام راجا» ومعناه وحدة العقيدة وإجبار كل السكان عليها.

٣ ــ «شوذي» أي إرجاع المسلمين إلى الهندوكية.

٤ ــ فتح أفغانستان ومناطق الحدود ورد أهلها عن الإسلام.

وما لم يقم الهنادكة بتحقيق هذه الاعتبارات الأربعة فسيجابه أولادنا وأفادنا خطراً دائماً، ولن تكون سلامة الجنس الهندي مضمونة».

تداعى المسلمون إلى عقد اجتماع لهم عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) في مدينة «دكا» في البنغال الشرقية، وكان برئاسة «النواب فخار الملك» ونتيجة الاجتماع تأسس حزب «الـرابطة الإسلامية»، وظهر الاختلاف واضحاً بينها وبين حزب المؤتمر الهندي، ولكن ـ كما ذكرنا ـ كان غاندي يحاول أن يظهر بالموقف المعتدل إذ يؤيد أحيانـاً بعض آراء المسلمين وذلك من أجل كسب بعض عناصرهم، وليكون مركزه على شيء من القوة، وخوفاً من نشوب حرب أهلية بين الطرفين، لذلـك أمكن التفـاهم في بعض الأحيان، وفي الـوقت نفسه كان «محمد علي جنـاح»[1] يحاول التـوفيق بين الـرابطة وحزب المؤتمر، فقد دعا عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) إلى عقـد مؤتمر الرابطة السنوي في مدينة «لكنو» حيث عقد المؤتمر الهندي في تلك السنة وحتى أطلق عليه اسم «سفير الوحدة الهندية».

وإذا كان الهندوس أكثر عدداً إلا أنهم كانوا يخافون من المسلمين خوفاً شديداً لقـوتهم التي تنبـع من إيمانهم، وللتعـاطف الـذي كان بين المسلـمين آنذاك، ولامكانية مساعدتهم من قبل العالم الإسلامي الشديد الصلة بشبه القارة الهندية، وكانت أصوات المسلمين يسمع صداها في كل مكان يرددها إخوانهم، وهذا ما كانت تخشاه انكلترا قبل أن يخشاه الهندوس.

وكان كل ما يحدث في العالم الإسلامي يجد صدى واسعاً له، فقد انتشرت دعـوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في البنغال صدى لما حدث في شبه جزيرة العرب، وقام «أحمد باريللي» يدعو الناس إلى حمل السلاح لقتال جماعة السيح، واستمر في قتالهم حتى استشهد عام ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م). وانتشرت المهدية في الهنـد صدى لما حدث في السودان، وهرع مسلمو الهند إلى جزيرة سيلان «سرنديب» يسألون أحمد عرابي الذي نفي إلى هناك عام ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م)

---

(١) محمـد علي جنا : (١٢٩٣ـ١٣٦٨هـ) نشأ على مذهب الاسماعيلية المعتدلين، وكانت أسرته براهيمية اعتفت هذا المذهب من قرن من الزمن من محمد علي، انتسب إلى الرابطة الإسلامية بعد تأسيسها بسبع سنوات، وكان رئيس البعثة الهندية التي قصدت لندن لشرح القضية الهندية عام ١٣٣٣.

عن المهدي وأوضاع مصر والسودان. وأثرت دعوة الشيخ جمال الدين الأفغاني للجامعة الإسلامية في الهند تأثيراً واضحاً. وقام الهنود بمظاهرات عنيفة عام ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م) صدى لما حدث في ليبيا إثر الاحتلال الايطالي لها، وجمعت التبرعات، وأرسلت البعثات الطبية، وبدأت المطالبة بالتطوع للذهاب إلى ليبيا للجهاد. واتخذ حزب الرابطة الإسلامية قراراً يوضح استياء مسلمي الهند من موقف بريطانيا ضد تركيا في البلقان. وقامت مظاهرات عنيفة تندد بنقض بريطانيا لعهودها التي قطعت بها للعرب، وكان «محمد اقبال» و «محمد علي» و «أبو كلام أزاد» من الذين قادوا تلك المظاهرات. وكان مسلمو الهند يتابعون القضية المصرية حتى إن ثورة ١٣٣٧ هـ (١٩١٩ م) في مصر من أهم الأسباب التي شجعت المسلمين في الهند على الثورة، وكانت نتيجتها مذابح «أمرتسار» عام ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م). وأعلن «محمد علي جناح» باسم الرابطة الإسلامية للحاكم العام الانكليزي في الهند بأن معونة المسلمين متوقفة على ضمان الوطن الإسلامي في فلسطين، كما احتج باسم الرابطة أيضاً على معاملة هولندة الوحشية لسكان أندونيسيا المسلمين، ومع هذا الاتفاق في القضايا الإسلامية العامة نجد اختلافاً في وجهات النظر حول القضايا الهندية في الوقت الذي كان فيه الهندوس على اتفاق تام بالنسبة إلى نظرتهم إلى الإسلام والمسلمين، وكان خلاف المسلمين ينحصر في:

١ ــ يرى بعض المسلمين ضرورة الدعوة الى الوحدة الوطنية والوقوف في وجه المستعمرين، وتأسيس دولة واحد تضم المسلمين والهندوس، وقد رأى هؤلاء ضرورة الانضمام إلى حزب المؤتمر الهندي حيث يكونون فيه قوة يحسب حسابها، كما يرون أن المتطرفين من الهندوس قلة لا يعبأ بها، ومن أشهر الداعين لهذا من المؤسسات والرجال «جمعية العلماء»، و «مؤتمر الشيعة» و «مؤتمر المؤمنين الهنود»، و «حسين ذاكر» الذي أصبح رئيساً لجمهورية الهند بعد عام ١٣٩٠ هـ ، و «أبو الكلام أزاد» الذي أصبح وزيراً للمعارف بعد استقلال عام ١٣٦٧ هـ .

٢ ــ يرى بعض المسلمين ضرورة انفصالهم عن الهندوس، وتأسيس دولة واحدة من المقاطعات التي يشكل فيها المسلمون أكثرية، وعرفت هذه الدولة باسم

«باكستان[1]»، وأول من دعا إلى ذلك الشاعر محمد إقبال، ونادى بذلك المسلمون الهنود الذين يدرسون في انكلترا، وانقسم أصحاب هذا الرأي إلى اتجاهين اثنين:

(أ) الاستقلال ضمن باكستان والارتباط مع العالم الإسلامي، على أساس أن باكستـان جزء من العـالم الإســلامي، والأمة الإسلامية، وذلك في ظل الخلافة الإسلامية، ويمثل هذا الجناح الشاعر محمد إقبال.

(ب) الاستقلال ضمن باكستان والدعوة إلى القومية الإسلامية الباكستانية، وقد قوي هذا الاتجاه بعد إلغاء الخلافة العثمانية على يد مصطفى كمال، ومع قوة هذا الاتجاه ضغط الانكليز على المسلمين الذين يخشون فكرة الوحدة الإسلامية والخلافة، إذ أن القومية لايخشى جانبها مادامت فكرة دخيلة تقوم على العاطفة والقوانين الوضعية المستمدة من الأجانب، وكان «محمد علي جناح» أبرز ممثلي هذا الجناح، وقد اختلف مع عدد من أعضاء حزب الرابطة الإسلامية.

٣ ــ يرى بعض المسلمين ضرورة إبقاء المسلمين والهندوس ضمن دولة واحدةٍ مع ضرورة تشكيل جمعية إســلامية قوية تعمل على نشر الإسلام بين صفوف الهندوس خاصة، الأمر الذي يبقي الحيوية في هذه الجمعية ويزيد عدد المسلمين بالهند، ويرى أصحاب هذا الرأي أن انفصال المسلمين في دولة واحدة سيبقى أقلية مسلمة في دولة الهندوس وسيعانون الاضطهاد، ويتعرضون لحرب إبادة، كما يخشى أصحاب هذا الرأى عدم تطبيق الإسلام في دولة باكستان بعد قيامها، إذ أن العاطفة هي التي تحرك الدعاة لها حالياً، وكان من أبرز من تمثل هذا الرأي أبو الأعلى المودودي الذي حارب حزب المؤتمر فقويت الرابطة، ثم أعاد فأبان خطأ الــرابــطة في الـدعـوة إلى القـومية الإســلامية، وذلـك حوالي عام ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م)، ثم قام بتأسيس الجماعة الإسلامية عام ١٣٦٠هـ (١٩٤١ م) بعد اجتماع عقد في لاهور، وانتخب أميراً لها.

ونتيجة المطالبة بالاستقلال فقد صدر قانون يقضي بتشكيل حكومات محلية في

---

(١) يقال: إن باكستان تعني بلاد الأطهار، فكلمه «باك» تعني الأطهار، وكلمة «ستان» تعني بلاد. كما يقال: إن كلمة باكستان مأخوذة من الأحرف الأولى للمقاطعات التي تضم أكثرية مسلمة وهي: بنجاب، وبنغال، وشكير وكوجرات السند، ومقاطعات الحدود.

المقاطعات، وحكومة مركزية ليس من صلاحيتها مهام الدفاع والشؤون الخارجية، وللحاكم العام الحق في رفض أي قرار يتخذ، وكان ذلك عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م)، رفض حزب المؤتمر هذا القانون، ثم عاد فقبله، ودخل الانتخاب على أساسه، وفاز في ست مقاطعات من إحدى عشرة، ولكنه لم يقبل الاشتراك في الحكم، ولكنه عاد فقبل ذلك، وشكل وزارات في المقاطعات التي فاز فيها، واشترك في وزارة ائتلافية في المقاطعات الأخرى وذلك عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م).

بدأ الخلاف واضحاً بين حزب المؤتمر وحزب الرابطة الإسلامية، فرفض غاندي مطالب المسلمين، وصدر قرار عن المؤتمر يجعل اللغة الهندوسية لغة البلاد التي لايعرفها إلا القليل، وترك لغة «الأوردو» التي يعرفها الناس جميعاً، وهي لغة المسلمين، وتكتب بالحرف العربي، ومنها الكثير من الكلمات العربية. وبعد الخلاف الذي حدث بين الفريقين عاد المسلمون إلى فكرة التقسيم وعارض الهندوس ذلك أشد المعارضة.

وفي عام ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) دخلت حكومة الهند الحرب دون أخذ رأي الحكومة المركزية الأمر الذي أدى إلى استقالة حكومة حزب المؤتمر، وزاد الوضع حرجاً احتلال اليابان لأندونيسيا والهند الصينية والفلبيين وبورما اقترابها من حدود الهند، وهذا ماجعل الانكليز يعلنون عن عزمهم في إعطاء الهند الاستقلال بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية فرحب حزب المؤتمر بهذا الإعلان وطالب بتسلم الحكم.

وطالب حزب الرابطة باستقلال المسلمين في دولة باكستان، ونجح في الانتخابات التي جرت عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) بعد الحرب بالفوز بجميع المقاعد المخصصة للمسلمين حسب هذه المطالبة باستقلال باكستان.

وأبرم المجلس النيابي البريطاني قانون استقلال الهند في صيف عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) وذلك بإنشاء دولتين مستقلتين في شبه القارة الهندية من نوع الدومنيونات[١] تعرف إحداهما بـ (الهند)، وثانيتهما بـ (باكستان)، وسيكون في كل

---

(١) الدومنيون: هو المستعمرة ذات الحكم الذاتي، وبموجبه يكون للمستعمرة استقلالها الداخلي، وحكومتها الخاصة بها، ومجلسها النيابي مع ارتباطها بالتاج البريطاني، وخضوعها للحاكم العام الذي تعينه بريطانية، وهذا النظام أو جدته بريطانية، وهو خاص بمستعمراتها.

دولة حاكم عام يدير الدومنيون يتم تعيينه من قبل صاحب الجلالة.

أما المقاطعات الأخرى فقد رأت الهند أن ينظر إلى رأي السكان في بعض المقاطعات، وينظر إلى رأي الحكام المحليين في مقاطعات أخرى، وذلك حسب مصلحتها. أما اللورد «مونتبان» فقد كان يرى أن تلتحق هذه المقاطعات بإحدى الدولتين «الهند» أو «باكستان» أو تبقى مستقلة، وقد نشأ خلاف حول بعض المقاطعات وأهمها:

١ ــ جونـاكاد: وهي مقاطعة ساحلية في شبه جزيرة كوجرات، يحكمها أحد المسلمين، وقد رأى أن ينضم إلى باكستان، ولكن الهند عارضت ذلك، كما عارضت الاستفتاء، ثم اكتسحت المقاطعة بالقوة، وطردت الحاكم المسلم.

٢ ــ حيدرأباد: وتقع في هضبة الدكن وسط البلاد، تبلغ مساحتها ٣٥٠٫٠٠٠ كيلومتر مربع أي مايعادل مساحة بلاد الشام، ويزيد عدد سكانها آنذاك على ١٣ مليونا، ويحكمها أحد المسلمين، وقد رأي أن ينضم إلى باكستان، ثم قدّر بعد بلاده عن باكستان، فوجد من الأفضل للبلاد أن يستقل، وفي بلاده الامكانات الكافية، وليس من المصلحة الانضمام إلى أي من الـدولتـين الناشئتين، إلا أن الهند قد رفضت ذلك، فاقترح الاستفتاء، فرفضت الهند أيضاً، كما رفضت استفتاء الأمم المتحدة، وقامت بالهجوم على حيدر أباد يوم ١٢ شوال ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م)، واحتلتها بعد مقاومة ضئيلة.

٣ ــ كشمير: وسنفرد لها بحثاً خاصاً إن شاء الله.

٤ ــ وإن بعض المقـاطعـات لم تدخـل ضمن نطاق التقسيم، وشكلت دولاً مستقلة، وهي سيلان، ونيبال، وبوتان.

٥ ــ احتفظ الفرنسيون ببعض الموانىء «بونديشيري».

٦ ــ احتفظ البرتغاليون ببعض الموانىء مثل «غوا».

ويمكن أن نوضح ذلك بالجدول التالي:

مساحة الهند قبل التقسيم	٤٫٣٦٠٫٠٠٠ كيلومتر مربع.
ويبلغ عدد السكان	٤٤٠٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة

وقسمت فكان مايلي:

جمهورية هندستان ٣٫٢٦٢٫٠٠٠ كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها ٣٥٦٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة.

جمهورية باكستان ٠٫٩٤٣٫٠٠٠ كيلو متر مربع، ويبلغ عدد سكانها ٠٨٠٫٣٠٠٠٫٠٠٠ نسمة.

مقاطعة كشمير ٠٫١٥٥٫٠٠٠ كيلو متر مربع، ويبلغ عدد سكانها ٠٠٣٫٧٠٠٫٠٠٠ نسمة.

ولم يتم التقسيم بالأمـر السهـل فقد حدثت المذابح وكانت أشد بكثير من المذابح التي قامت من قبل التقسيم، إذ بدأ انتقال السكان الأقليات إلى حيث تزداد نسبـة إخـوانهم فحـدث للمسلمين الذبح والقتل، فقد أحرق الهندوس والسيخ القطارات التي كانت تنقل المسلمين إلى باكستان، وخاصة من بنجاب الشرقية التي بقيت مع الهنـد إلى بنجـاب الغـربية التي كانت ضمن ولايات باكستان. وقامت الفتنة في البنجاب الشرقية، واستمرت الفتن حتى خرج كل المسلمين من هذه المقاطعات، وقد تعرضوا للقتل والحرق وسبي النساء في المدن والقرى ومحطات السكك الحديدية، ولايمكن تفصيل هذه الأحداث لما فيها من مآس ولكثرتها، وقد عمت أكثر المناطق وخاصة دهلي، وقتل مائتا ألف مسلم في يومـين فقط في مدينـة «أمـرتسـار»، وذلـك يومي ٢٤ و ٢٥ شوال ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م)، كما لم تخل منطقة من ذلك سواء أكان ذلك في «بيهار» أم في البنغال العربية أم في الجنوب أم في الشمال والوسط.

الهند: وقد ضمت جمهورية هندستان بعد التقسيم والاستقلال مجموعات متباينة من السكان سواء أكان ذلك من حيث عقائدهم أم من حيث لغاتهم، ويمكن أن نلاحظ هؤلاء السكان وتوزعهم حسب الجدول التالي، وذلك بالاعتماد على إحصاء قديم عن ذلك اليوم:

الهندوس	٤٠٠ ر ٤٢٤ ر ٢٣٩ نسمة
المسلمون	٩٩٦ ر ٧٣١ ر ٠٤٢ نسمة
النصارى	٤١٩ ر ٥٩٢ ر ٠٠٥ نسمة
السيخ	٧٤١ ر ١١٤ ر ٠٠٤ نسمة

البارسي ٠٠٠ ر ١١٠ ر ٠٠٠ نسمة

أما حسب إحصاء ١٣٨٢ هـ فكانوا كما يلي: مع ملاحظة أن الإحصاءات الهندية تحاول التقليل من نسبة المسلمين لأغراض سياسية).

الهندوس	٠٠٠ر٠٠٠ر٣٢٠ نسمة ويشكلون نسبة ٨٤٪ من السكان.
المسلمون	٠٠٠ر٠٠٠ر٤٢ نسمة ويشكلون نسبة ١١٪ من السكان.
النصارى	٠٠٠ر٠٠٠ر١٠ نسمة ويشكلون نسبة ٢ر٥٪ من السكان.
السيخ	٠٠٠ر٠٠٠ر٠٨ نسمة ويشكلون نسبة ٢٪ من السكان.
الجين	٠٠٠ر٠٠٠ر٠٢ نسمة ويشكلون نسبة ٥ر٠٪ من السكان.
البوذيون	٠٠٠ر٢٠٠ر٠٠ نسمة
البارسي	٠٠٠ر١٢٠ر٠٠ نسمة
اليهود	٠٣٠ر٠٠٠ر٠٠٠ نسمة

أما اللغة فقد كان أكثر أهل الهند يعرفون لغة (الأوردو) كلغة رئيسية إضافة إلى لغاتهم المحلية، ولغة الأوردو هي لغة المعسكر الذي تضم الكثير من العربية والفارسية والتركية مع لغات ثانية، وتكتب بالحرف العربي، وتعد لغة المسلمين، فلما بدأ الانفصال الشعورى بدأ الهنود بمحاربة لغة (الأوردو) والعمل على إحياء لغة الهندوس التي لايعرفها إلا القليل، وعندما حدث التقسيم لم تكن لغة الهندوس إلا لغة ثانوية، وبدأت بعد تقوى تدريجياً في عام ١٣٧٥ هـ وعملت حكومة الهند برنامجاً خاصا لتعليم هذه اللغة، وهي أقرب اللغات إلى «السنسكريتية» التي تدرس بالجامعات، والتي تعد كاللغة «اللاتينية» بالنسبة إلى اللغات الأوربية، ويوجد إضافة لها أكثر من مائتى لغة أخرى، وقد أثبتت الاحصاءات التي قام بها «جون كريسون» عام ١٣٥٠ هـ أن عدد لغات الهند ٢٢٥ لغة وأهمها:

الهندوسية	: وتنشر الآن في مناطق كثيرة في الهندو	ويتكلم بها ٥٠٪ من السكان.
البنغال	: وتنشر في مقاطعة البنغال الغربية	ويتكلم بها ٠٨٪ من السكان.
تلوغو	: وتنتشر في شرقي هضبة الدكن	ويتكلم بها ١٠٪ من السكان.
تاميل	: وتنتشر في مدراس وجنوبها	ويتكلم بها ٠٨٪ من السكان.

مارتي	: وتنتشر في وسط الدكن	ويتكلم بها ٠٨٪ من السكان.
غوغاراتي	: وتنتشر في شمال شرقي بومباي	ويتكلم بها ٠٥٪ من السكان.
مالايام	: وتنتشر في جنوب غربي الدكن	ويتكلم بها ٠٤٪ من السكان.

هذا بالإضـافـة إلى أن أهل كشمير يتكلمون لغة خاصة بهم، وتعد اللغة الانكليزية الرسمية الثانية، ويتعلمها الطلاب في المدارس، وأكثر المثقفين يعرفونها.

تبلغ نسبة المسلمين في الهند حوالي ١٤٪، ولما كان عدد سكان الهند ٥٨٥ مليوناً لذا فإن عدد المسلمين اليوم يقدّر بـ ٧٦ مليوناً، وإن كانت حكومة الهند تعطيهم عدداً أقل من هذا وتدّعي أن نسبتهم لا تزيد على ١٠٪. وتختلف نسبة المسلمين بين منطقة وأخرى في الهند حسب انتشار الإسلام وتجمع المسلمين، فقد رأينا أن الإسلام قد انتشر في الشمال نتيجة الفتح الذي كان طريقه من بحر العرب إلى خليج البنغال، وأنه قد انتشر في السواحل نتيجة الدعوة والتجارة، وتعمق في الداخل أثناء حكم المسلمين للهند وانتقال الدعاة في مناطقها المختلفة، ولـولا المستعمرون الذين دخلوا البلاد، ووقفوا في وجه الإسلام وحاربوه بكل وسيلة امتلكـوها لعم المناطق كلها، ولذا فإن المناطق الشمالية التي بين السند والبنغال أعلى نسبة بالمسلمين من المناطق الداخلية، والسواحل الغربية ا لتي كانت على طرق السفن أعلى نسبة من السواحل الشرقية، لكن توزع المسلمين في أرجاء الهند كلها عندما آل حكمها إليهم جعل النسب المتباينة تتقارب ويقل الفرق بينها، وعندما جاء الاستعمار وخضع المسلمون للاضطهاد والتفرقة اضطروا إلى التجمع في مناطق محدودة بحيث يكون بعضهم قريباً من بعض من أجل التعليم وإمكـانية الحياة الاجتـماعية، وكذا بعد الاستقلال إذ أصابهم الضغط الشديد بسبب عقيدتهم، والمذابح التي لحقتهم، وهذا ماجعل المسلمين يعيش بعضهم بجانب بعض، ولهذا كله تجمع المسلمون مرةً ثانيةً في مناطق محدودة، واختلفت نسبتهم في البقاع التي يحتمل أن تكون فيها كبيرة، ومع هذا نلاحظ الاختلاف في نسبة المسلمين حسب المقاطعات التي يعيشون فيها تبعاً لموقعها.

ففي مناطق الشمال بين السند والبنغال ترتفع النسبة فهي:

في البنغال الغربية ٣١ ٪

وفي أسام ٣٤ ٪.
وفي بيهار ١٤ ٪.
وفي اتربرادش ١٦ ٪.
وفي دهلي ٧ ٪.

وإن انخفاض النسبة في البنجاب الشرقية إنما يعود الى هجرة المسلمين منها وانتقالهم إلى الجزء الغربي منها، حيث يقع ضمن دولة باكستان التي تجمع فيها المسلمون، أما انخفاض النسبة في بيهار فإنما يعود أيضاً لهجرة أعداد منهم إلى البنغال، وكذا في دهلي التي حدثت فيها فتن كثيرة أبيد فيها أعداد من المسلمين.

وترتفع النسبة على السواحل الغربية وبخاصة الشواطىء التي كانت محطات للسفن وتبلغ هذه النسبة:
في كوجرات ٩ ٪.
وفي مهاراشترا ٨ ٪.
وفي ميسور ١١ ٪.
وفي كيرالا ٢٠ ٪.

وتصل النسبة في جزر «لاكاديف» إلى ٩٤٪ بسبب أنها كانت محطات للسفن جميعها سواء التي كانت تريد أن تقف على سواحل الهند الغربية ولاتتعداه أم التي تريد أن تتابع طريقها دون التوقف في بلاد الهند، ونلاحظ أن النسبة ترتفع على السواحل الغربية كلما اتجهنا نحو الجنوب حيث تضطر السفن للتوقف بعد أن تكون قد قطعت مسافات طويلة على حين لاتضطر للتوقف دائما في المناطق الشمالية، لأنها لاتكو قد سارت إلا مسافة قصيرة بعد انطلاقها من كراتشي.

أما على السواحل الشرقية فتكون النسبة في الجنوب أكبر منها في الشمال أيضاً، وذلك بسبب تقعر الخليج البنغالي، والسفن يمكنها الانتقال مباشرة نحو الملايو بعد اجتيازها مضيق سيلان، لهذا نلاحظ أن نسبة المسلمين تكون:
في بونديشيري ١٨٫٧ ٪.
وفي مدارس ١٤٫٥ ٪.
وفي اندهرابرادش ٨ ٪.
وفي أوريسا ١٫٥ ٪

أما سبب ارتفاع نسبة المسلمين في البنغال فإنها إلى الفتح لا إلى التجارة. ويبدو كذلك أن السفن لم تكن لتتوقف في محطات قبل «مالاقا» في شبه جزيرة الملايو لذا فإن نسبة المسلمين في جزر «اندمان» و «نيكوبار» لم ترتفع كثيراً، وهي الآن ١١٪ لأنها لم تكن محطات دائمة.

أما المناطق الداخلية فتعد قليلة النسبة إذا قارناها بما حولها وحتى مع النسبة فهي:

في مانيبور ٦ر٦٪ على حين أن ماحولها لاتقل نسبتة عن ٣٠٪.
وفي تريبورا ٧ر٠٪ على حين ماحولها لاتقل نسبته عن ٣٠٪، وهي قريبة من «مانيبور»،
وفي مدهيا برادش ٤ر٤٪.
وفي هيماشل برادش ٥ر١٪ حيث تقع في الشمال في المنطقة الجبلية بعيدة عن طريق الفتح.
وفي هريانا ١ر٤٪.

وعلى هذا تكون المراكز الإسلامية الثقافية والعلمية موزعة حسب تكاثر المسلمين فنجد.

١ ــ في شمال الهند:

أ ــ دار العلوم في «ديوبند» وتصدر مجلتين إحداهما باللغة العربية وتسمى «دعـوة الحق» والثانية تصدر بلغة «الاوردو»، وتسمى دار العلوم، ولهذه الدار مكتبة ودار للإقامة.

ب ــ دار العلوم في «لكنو» وتتبع ندوة العلماء، وتصدر ثلاث مجلات:
(١) الرائد: باللغة العربية. (٢) البعث الإسلامي: باللغة العربية.
(٣) تعمير حياة: بلغة الأوردو.

ج ــ مدرسة الإصلاح، وتتبع ندوة العلماء.

د ــ الجامعة الرحمانية: في «بيهار».

هـ ــ مدرسة مظاهر العلوم في لواء «سهارنبور».

و ــ المدرسة العالية النظامية في «لكنو».

ز ــ المدرسة العالمية في «رامبو».

٢ ــ **في غربي الهند:**

أ ــ دار العلوم الأشرفية قرب بومباي.

ب ــ الجامعة الحسينية.

ج ــ الجامعة العربية الإسلامية.

٣ ــ **في جنوب شرقي الهند:**

أ ــ جامعة دار السلام في مدينة عمر أباد في مقاطعة مدارس، وتأسست ١٣٤٣ هـ.

ب ــ مدرسة الباقيات الصالحات، وتأسست ١٣٠١ هـ.

ج ــ المدرسة الجمالية، وتأسست ١٣١٨ هـ.

٤ ــ **في جنوب غربي الهند:**

أ ــ روضة العلوم.

ب ــ مدينة العلوم.

ج ــ سلم السلام.

٥ ــ **في وسط الهند (حيدر آباد):**

أ ــ الجامعة النظامية.

ب ــ الجامعة العثمانية، وتأسست ١٣٠٦، وتضم اليوم ٦١ كلية.

٦ ــ **مدارس الشيعة:** وأهمها:

أ ــ الجامعة النظامية: في لكنو.

ب ــ كلية الشيعة: في لكنو.

٧ ــ **مدارس البوهرا:** والبوهرا طائفة من الاسماعيلية وتعني التاجر، ويبلغ عددهم عشرة ملايين نسمة، ويقيم معظمهم في بومباي، ويعدون أغنى جماعات الهند، وتعد أهم مدارسهم المؤسسة السيفية في مدينة «سورت».

وهذه المدارس كلها تدرس بالعربية.

٨ ــ **الجامعات العصرية:** وهي لاتتقيد بتدريس العربية وأهمها:

أ ــ الجامعة الإسلامية في عليكرة.

ب ــ لجامعة الملية ألإسلامية في دهلي.

ويوجد في مدينة «عليكرة» مركز ثقافي إسلامي وله أهمية كبرى ومن التنظيمات

الإسلامية:

١ ـ جماعة التبليغ: التي أسسها الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي عام ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م)، وينتقل أتباع هذه الجماعة في القرى والمدن، ويمرون على المساجد ويدعون الناس فيها، وأثرهم قليل إذ أن دعوتهم إنما تقوم بين أفراد المسلمين، وعلى طريق الوعظ، وعندما توفي الشيخ محمد إلياس مؤسس الجماعة خلفه ابنه محمد يوسف الكاندهلوي.

٢ ـ الجماعة الإسلامية: وتتبع الجماعة الإسلامية في باكستان والتي أسسها أبو الأعلى المودودي عام ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م)، وتولى أمرها من بعده «طفيل محمد»، أما في الهند فإن أميرها هو الشيخ محمد يوسف. وتدعو الجماعة إلى تطبيق المنهج الإسلامي، ولكن تتعرض بين المدن والأخرى إلى الحل وسجن أعضائها وملاحقة أفرادها بسبب السياسة التي تنتهجها الهند في عدائها للمسلمين.

وعلى الرغم من تسلم بعض المسلمين المناصب العليا إلا أن هذا لم يكن ليؤثر على الخط العام للحكومة الهندية في حربها للإسلام فقد تسلم «أبو الكلام آزاد» وزارة المعارف الهندية إثر التقسيم، ومع هذا فقد حدثت مذابح للمسلمين، وتسلم «حسين ذاكر» رئاسة الجمهورية عام ١٣٩٠ هـ، إلا أن رئاسة الجمهورية منصب فخري والسلطة التنفيذية إنما هي بيد رئيس الوزراء، ومن المعلوم أن الكثير من أصحاب المنافع، ومحبي المناصب يندفعون وراء الحكام في سبيل تحقيق أغراضهم دون النظر إلى مايلحق إخوانهم من أذى وما ينالهم من ظلم. وقد لجأت حكومة «أنديرا غاندي» إلى تنفيذ سياسة «عقم المسلمين» عن طريق الحقن والأدوية في سبيل الإقلال من النسل، والتخفيف من زيادة المسلمين وأثرهم.

وكلما حدث خلاف أو حرب بين الهند و باكستان تعدّ الهند المسلمين الذين يعيشون على أرضها لإخوانهم في باكستان فينالون الاضطهاد، وتراقب حركاتهم وتسجن الأعداد الكثيرة منهم، وهذا ماحدث في عامي ١٣٨٥ هـ، ١٣٩١ هـ، وما أكثر الخلافات بين الهند وباكستان بسبب قضية كشمير، والخلافات التاريخية. كما أن الأحداث بين المسلمين والهندوس لاتنفك تقع بين مدة وأخرى، ومن المحتمل أن تقع في كل وقت بسبب الخلافات العقائدية فالهندوس يقدسون الأبقار، ويخلون لها الطرقات، ويفسحون لها المجال لتتصرف كما تحلو لها

بهيميتها، والمسلمون يذبحون الأبقار، ويأكلون لحمها، ويكيلون لها الضرب إذا مانال أحد من المسلمين أذاها، ويكفى هذا لقيام المذابح بين الطرفين، ثم تكون العاقبة الوخيمة على المسلمين بسبب تصرفاتهم ويبدأ عمل الحكومة.

هذا بالإضافة إلى الخلافات السياسية وماينتج في الحياة الاجتماعية، وإثر كل حادث تنـال المصـائب المسلمين وتحل بهم النكبات. ويعطي الهنود دائماً نسبة المسلمين أقل من الواقع بكثير للتخفيف من شأنهم.

٢ ــ سيـــلان

جزيرة تقـع جنوب الهند وتعرف دولتها باسم «سيريلانكا»، وتبلغ مساحتها ٦٥٫٣٦١ كيلو متراً مربعـاً، وعـاصمتها مدينة «كولمبو»، استقلت يوم استقلال أجزاء شبه القارة الهندية الأخرى عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م).

وصل المسلمون إلى سيلان عن طريق التجارة من جنوبي بلاد العرب، ومن الهند، ومن الملايو، لذا فقد تكاثروا على السواحل سواء أكانت الشمالية الغربية مثل مقاطعة «منّار» حيث جاء إليها التجار العرب والهنود؛ وتبلغ نسبة المسلمين فيهـا اليوم ٤٠٪ من مجموع السكان، أم على السواحل الشرقية مثل مقاطعة «ترينكو» التي تبلغ فيها نسبة المسلمين ٣٥٪، ومقاطعة «امباري» والتي تصل نسبة المسلمين فيها إلى ٤٥٪، على حين أن نسبة المسلمين في الجزيرة عامة لاتزيد على ٨٪.

يزيد عدد المسلمين في سيلان على المليون قليلاً من أصل السكان البالغ عددهم ثلاثـة عشر مليوناً، أما بقية السكان فهم من البوذيون وتبلغ نسبتهم ٨٤٪، ولاتزيد نسبة النصارى على ٥٪ وما بقي وهو ٣٪ فهم من الهندوس، أي أن سيلان تختلف عن الهند بأن أكثرية السكان يدينون بالبوذية على حين يدين معـظم سكان الهند بالهندوسية، وهذا الأمر الذي جعل أهل سيلان يفضلون الانفصال عن الهند.

البوذيون	١٠٫٩٢٠٫٠٠٠	٨٤٪

المسلمون	٠٠٠ر٠٤٠ر٠١	٨ ٪
النصارى	٠٠٠ر٦٥٠ر٠٠	٥ ٪
الهندوس	٠٠٠ر٢٩٠ر٠٠	٣ ٪
	٠٠٠ر٠٠٠ر١٣	١٠٠ ٪

ومعظم المسلمين في الجزيرة يطلق عليهم اسم «الموروز» وهو الاسم الذي أطلقه الإسبان والبرتغاليون على المسلمين أينما وجدوهم، فهم «الموروز» في مدغشقر والفليبين، و «الموروز» في سيلان، وأغلب المسلمين يعمل في فلاحة الأرض وزراعتها، وإذا كان الدور الأول في انتشار الاسلام يعود للتجارة إلا أنه يجب ألا ننسى دور الدعاة، وهم قد جاءوا في أول الأمر مع التجارة وعن طريقها.

وعندما حكم المسلمون الهند فقد حكموها جميعها بما فيها سيلان، وجاء الاستعمار البرتغالي عام ٩١١ هـ (١٥٠٥ م) يحمل معه الحقد فنكل بالمسلمين، وأباد قريً كاملة، ويجب ألا ننسى أن إخراج المسلمين من الأندلس على أيديهم وأيدي الأسبان لم يمض عليه أكثر من خمس عشرة سنة، لذا فإن محاكم التفتيش قد لعبت دورها.

وجاء المسلمون إلى الجزيرة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجرين، ومعظمهم من الملايو وأندونيسيا جاءوا كجنود أثناء الصراع الاستعماري، كما نزح إليها بعض الملايويين أثناء حكم الهولنديين لها، ويقيم في البلاد جماعة من مسلمي الهند، وهم من رجال الأعمال والتجارة الواسعة.

وجاء الهولنديون عام ١٠٦٩ هـ (١٦٥٨ م) فتابعوا سياسة البرتغاليين تجاه المسلمين، وأسسوا مدارس تنصيرية للوقوف في وجه المد الإسلامي الأمر الذي جعل بعض المسلمين يتجهون نحو الداخل ويلتجئون إلى بعض المحليين علهم يجدون عندهم المأوى والرحمة، وهذا ماجعل الإسلام ينتشر في الداخل، وإن كانت النسبة قليلة لاتزيد على ٨٪ في أكثر المناطق اتساعاً بانتشار الإسلام في الداخل وهي مقاطعة «كاندي».

وجاء الانكليز عام ١٢١١ هـ (١٧٩٦ م) وساروا على السياسة نفسها التي سار عليها من سبقهم من النصارى سواء أكانوا من الهولنديين أم من البرتغاليين، وأسسـوا المـدارس النصرانية، وقصروا التعليم عليهـا وعـلي المدارس الحكومية العلمانية ووجهـوهـا توجيهـا خاصـاً ضد العقيدة الإسـلامية، وأغروا المسلمين بدخولها، إلا أن المسلمين قد عرفوا من المستعمرين النصارى الذي سبقوا الانكليز مانـالهم وماخططوا له لضرب العقيدة لذا فقد أحجموا عن انتسابهم إلى هذه المـدارس الأمر الذي أبقاهم على حالةٍ من التخلف والجهل على حين سبقهم غيرهم لما نالوا من علم عى أيدي المستعمرين.

استقلت سيلان عام ١٣٦٦ هـ ويلاقي المسلمـون في ظل عهد الاستقلال اضطهاد الحكومة البوذية، وللمسلمين عدة مؤسسات أهمها:

١ ــ الجماعة الإسلامية: وتأسست عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م)، وتتبع الجماعة الإسلامية في باكستان.
٢ ــ جماعة أنصار السنة: وتأسست عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م).
٣ ــ جماعة التبليغ: وتأسست عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م).
٤ ــ جمعية الشبان المسلمين.
٥ ــ رابطة المسلمين.

وتوجد في البلاد منظمة، ودائرة للأوقاف الإسلامية.
وأقام المسلمون عدداً من المؤسسات التعليمية أشهرها:

١ ــ كلية الـزاهرة في العاصمة «كولومبو» وذلك عام ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م)، وكان لها خمس مدارس فرعية إلا أن الحكومة البوذية قد وضعت يدها على هذه الفروع.
٢ ــ كلية السيدات المسلمات في مدينة «كيليا» الواقعة إلى الجنوب من كولومبو، وتشتمل على قسم خاص باليتيمات.
٣ ــ مدرسة دار الأيتام لأبناء المسلمين.
٤ ــ دار الثقافة الإسلامية.

وتوجد مدارس عربية دينية يزيد عددها على خمس وعشرين مدرسة، وهناك مدارس لتحفيظ القـرآن، ومكتبـة عامـة للمسلمـين تأسست عام ١٣٥٢ هـ

(١٩٣٣ م). كما يصدر المسلمون ثلاث صحف شهرية.

٣ ــ نيبــال

وهي منطقة جبلية تقع شمال الهند، تبلغ مساحتها ١٤٢٫٠٠٠كم٢، وبطبيعتها الجبلية، وانعزالها، وطبيعة الفاتحين المسلمين فإنهم لم يفتحوها، وإنما انتشر فيها الإسلام ببطء حيث لاتزيد نسبة المسلمين فيها على ٣٫٨٪ من عدد السكان البالغ عددهم عشرة ملايين نسمة، وبذا يقدر عددهم بـ ٣٨٠٫٠٠٠ نسمة، وقد استقلت مع استقلال الهند.

٤ ــ بوتــان

منطقة جبلية صغيرة تبلغ مساحتها ٤١٫٢٨٠كم٢، وتشبه نيبال من حيث الطبيعة والسكان والعقيدة، وتصل نسبة المسلمين فيها إلى ٥٪ من عدد السكان البالغ مليون نسمة، وبذا يكون عددهم خمسين ألفاً.

٥ ــ المسلمون في بورما

تبلغ مساحة بورما ٦٨٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع، ويسكنها مايقرب من ثلاثين مليوناً، وبذا يشكلون نسبة من السكان تزيد على ٧٪ من السكان، ويقطن أكثرهم في العاصمة «رانغون»، وفي مدينة «ماندلي» التي تقع شمال العاصمة، وتبعد عنها ٥٩٠ كم٢.

يتكلم السكان عددا من اللغات يزيد على العشر، وأهمها «البرمية»، وهي السائدة، ويتكلمها أكثر السكان، أما المسلمون فيحرصون على معرفة العربية إلى

جانب «البرمية»، وكذلك فإن اللغة الانكليزية لها دورها الكبير وبخاصة في الأوساط المتعلمة.

وصل الإسلام إلى بورما عن طريق التجارة، إذ كان بعض العرب المسلمون يحطون رحالهم على الشواطىء، ولكن يبدو أن انتشار الإسلام عن هذه الطريق كان قليلاً لأن شواطىء بورما لم تكن محطات للسفن بسبب تعقرها؛ لأن السفن كثيراً ماكانت تختصر الطريق بالاتجاه نحو مالاقا وجنوب شرقي آسيا، لذا فإن انتشار الإسلام عن طريق التجارة كان واسعاً جنوب بورما في بلاد فطاني والملايو. والأرز هو غذاء السكان الرئيسي، ويزيد انتاجه على حاجة البلاد لذا فهو يدخل في قائمة الصادرات.

وغزا المسلمون التتار بورما عن طريق الصين عام ٦٨٦ هـ ، فانتشر الإسلام، وقد خلع المسلمون الملك الطاغية، ونصبوا مكانه آخر أقل منه ظلماً.

وكذلك وصل الإسلام عن طريق الهند، ففي القرن الحادي عشر الهجري حكم الهند «أورنكزيب» واختلف مع أخيه «سوجا» فانتقل الأخير إلى بورما مع عدد من أتباعه المسلمين، وتوغلوا في الداخل، وتعايشوا مع السكان ونشروا دينهم هناك.

وقد وصل إلى بورما عدد من مسلمي الصين والهند، وعاشوا فيها.

وينتقل كثير من المسلمين بين الصين (يونّان) وبين (ماندي) في بورما بشكل عادي على شكل أفراد، وعند المحن والنكبات بشكل جماعي.

لقي المسلمون اضطهاداً يوم الاستعمار الانكلزي فكان حائلا بينهم وبين المناصب والوظائف بل والأعمال، وقد زاد هذا الاضطهاد بعد الاستقلال، وقد تعرضوا في الآونة الأخيرة لحرب إبادة ذهب ضحيتها الكثير، وأجبر الكثير على مغادرة البلاد فانتقلت أعداد كبيرة منهم إلى البلدان المجاورة وخاصة بنغالاديش.

٦ ـ المسلون في الهند الصينية

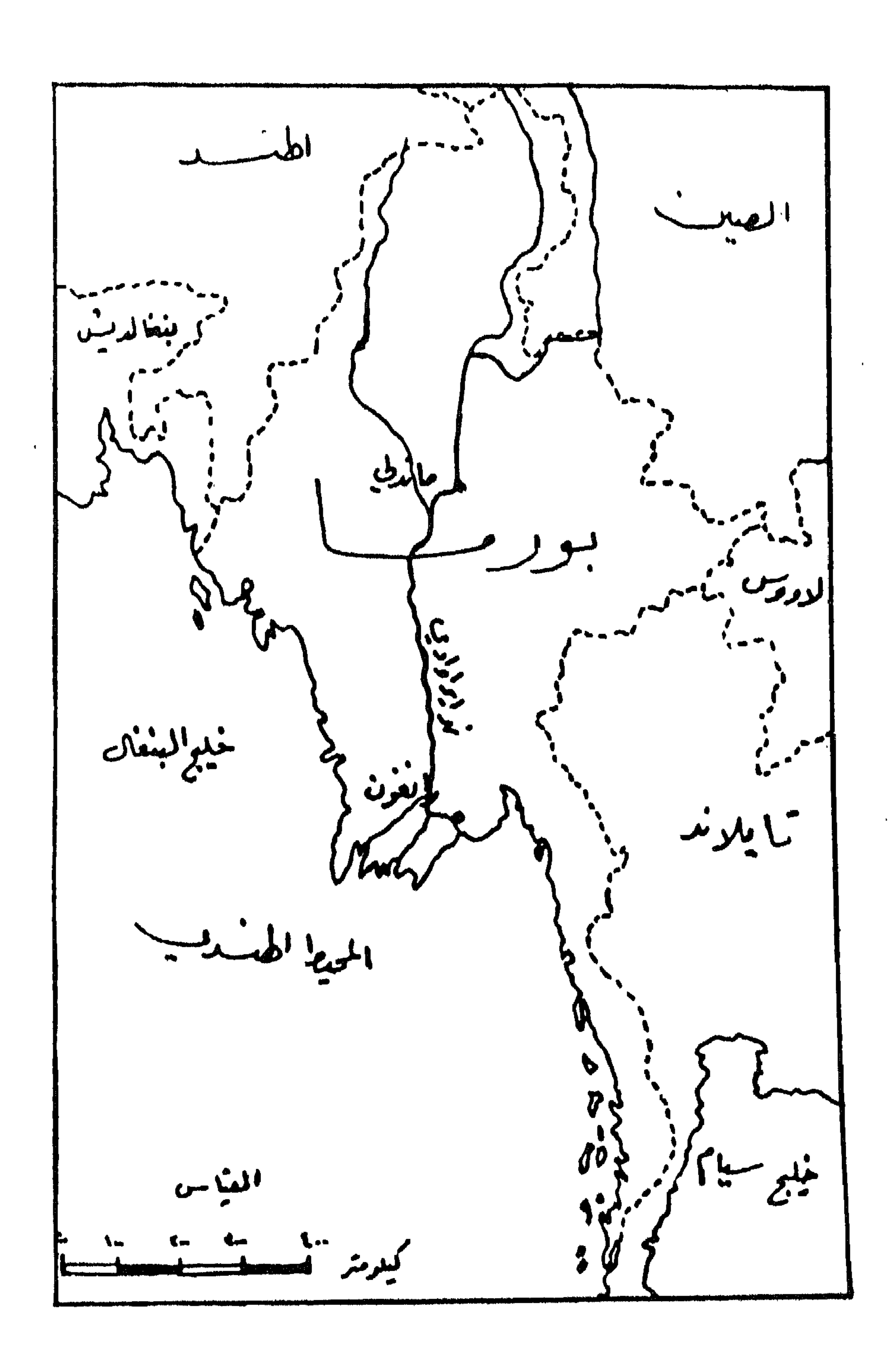
تشمل الهند الصينية دول فيتنام، وكامبوديا، ولاوس، وتقع هذه الدول في جنوب شرقي آسيا، وتبلغ مساحتها مجتمعة ٧٤٨٫٠٩٣ كم٢، ويقدر عدد سكانها بستين مليوناً، خمسون منهم في فيتنام، وسبعة ملايين في كامبوديا، والباقي في لاوس.

تدين شعوب المنطقة منذ عصور قديمة بالنظريات والمعتقدات المختلفة، ومنها البراهمية التي وصلت إليها من الهند، وعمت المنطقة عدا منطقة أنام (شمال فيتنام) والتي أثرت فيها نظرية «كونفوشيوس» التي وفدت من الصين، ثم وصلت إليها البوذية وعمت شعوب المنطقة، وظهر الإسلام في منطقة «تشامبا» في القرن الخامس الهجري، وجاءت النصرانية أخيراً مع الاستعمار الفرنسي.

لمحة جغرافية:

تتألف الهند الصينية من سلسلة جبال «أنام» التي تنفصل عن كتلة الصين، وتمتد على شكل قوس يأخذ اتجاه السواحل، وتحصر هذه الجبال بينها وبين الساحل سهولاً ساحلية يختلف اتساعها بين منطقة وأخرى، وتمتد في الشمال سهول فيضية يشكّلها النهر الأحمر بما يحمل من مجروفات أثناء انحداره من الجبال، ويردم بها خليج «طونكين»، كما تمتد في الجنوب سهول فيضية أخرى يشكلها نهر «الميكونغ» بعد أن ردم منطقة واسعة من خليج «سيام»، ووصل بين البر وجزيرة كانت قائمة في جنوب غربي مصبه، وتكون هذه السهول معظم أراضي «كامبوديا» عدا إقليم «كوشانشين» الذي ضمته فيتنام إليها، أما جبال أنام فتشكل بلاد «فيتنام» و «لاوس» وتكون ذراها الحدود الفاصلة بين الدولتين، أما السهول الفيضية الشمالية فتتبع «فيتنام» ولا يزيد ارتفاع هذه الجبال على ٢٥١٠م، وإن كانت تصل في الشمال إلى ارتفاع ثلاثة آلاف متر.

تمتد شبه جزيرة الهند الصينية بين خطي عرض ٨٫٣٠ ـ ٢٣ شمالاً، ولما كانت في جنوب شرقي القارة كانت ضمن نطاق المناخ الموسمي ذي الأمطار الصيفية


الهند
الصين
بنغلاديش
ماندلي
بورما
لاووس
خليج البنغال
رنغون
تايلاند
المحيط الهندي
المقياس
٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠
كيلومتر
خليج سيام

الغزيرة التي تسبب فيضان الأنهار في ذلك الفصل، وقد يحدث الدمار في كثير من الأحيان. وتسود زراعة الأرز الذي يعد غذاء السكان الرئيسي، وتتألف منه أكثر أطعمتهم، كما يزرع المطاط والنباتات المدارية كلها.

لمحة تاريخية:

وصل الإسلام إلى الهند الصينية في القرن الرابع الهجري أو قبل ذلك بقليل عن طريق التجار الذين عملوا في الدعوة إلى الإسلام، وكان هؤلاء التجار ينزلون على السواحل البارزة في البحر أو التي تكون محطات إجبارية للسفن، لذلك فقد كان ساحل مملكة أنام مجالاً لتوافد التجار المسلمين، الأمر الذي أدى إلى انتشار الإسلام هناك وبين شعب «تشام»، وكان يطلق عليهم اسم «هوي هوي» وهو الاسم الذي يطلق الصينيون على المسلمين حتى الآن.

وقد ازدهر الإسلام في تشامبا في القرن الثامن الهجري عندما توطدت العلاقة بين مملكة تشامبا وسلطان المسلمين في الجزر الأندونيسية. وتعود مملكة تشامبا في تاريخها إلى عام ٤٢٠ قبل الهجرة، وقد دخلت في صراع مع جيرانها الصينيين والكامبوديين، ولعل هذه الدول هي أقدم دولة أسستها الأقوام الملايوية، وكانت تعتمد في حياتها على التجارة. ولم ينتشر الإسلام في الهند الصينية في غير هذه المنطقة وذلك لتراجع السواحل التي تؤلف خلجاناً واسعة مثل خليج «سيام» في الجنوب، وخليج «طونكين» في الشمال.

ومنذ القرن الثامن الهجري أصبحت «تشامبا» إمارة إسلامية، وبلغ أقصى امتداد لها عام ٨٧٥ هـ (١٤٧٠ م) إذ وصلت حدودها الشمالية إلى بداية خليج طونكين عند مدينة «دونغ هوي» الحالية أي تضم الجزء الجنوبي مما عرف اليوم باسم «فيتنام الشمالية»، أما حدودها الجنوبية فقد وصلت إلى إقليم «كوشانشين» وذلك على بعد ٧٥ كيلو متراً تقريباً شمال مدينة «سايغون» الحالية، وبذا شملت دولة تشامبا الإسلامية أكثر أجزاء فيتنام الجنوبية، وجنوبي فيتنام الشمالية، وكانت تضم خمس ولايات.

كانت صلة تشامبا قوية مع المسلمين في كل بلادهم، فلما ضعف شأن المسلمين، وضعفت قوتهم، ضعفت معهم تشامبا الأمر الذي أطمع فيها جيرانها،

وبدؤوا يغزونها، فتقدمت فيتنام التي كانت تضم أرضها منطقة «طونكين» على ضفاف النهر الأحمر من الشمال وذلك عام ٨٧٥ هـ .

استمر الغزو الفيتنامي مايقرب من أربع قرون ٨٧٥-١٣٣٨ هـ (١٤٧٠-١٨٢٣ م) وكان يتقدم تدريجياً من الشمال حتى قضى على الدولة نهائياً، وكان الفيتناميون يشنون حرب إبادة تامة ضد المسلمين التشامبيين، أو ينقلون أعداداً كبيرة منهم إلى فيتنام، أو يضطرونهم إلى الفرار خارج البلاد، فعندما سقطت «فيجايا» عاصمة تشامبا بأيدي الفيتناميين قتل الغزاة ستين ألفاً من السكان، وأسروا ثلاثين ألفاً ساقوهم إلى «هانوي» عاصمة فيتنام، ومن بينهم خمسون من أفراد الأسرة الحاكمة، ثم لجأوا بعد ذلك إلى أخذ الأراضي من يد مالكيها وإعطائها إلى الغزاة الذين بدؤوا بالاستيطان في تشامبا بل انتقلت إليها أعداد كبيرة من فيتنام، حيث قدمت لهم الأرض، وهكذا أصبح شعب تشامبا غريباً في بلاده، ولا يملك شيئاً من أراضيه، ولما رأي الملك ذلك وهو لايملك من الأمر شيئاً قرر مغادرة البلاد واللجوء إلى كامبوديا، فرحب به ملك كامبوديا وبمن تبعه من التشامبيين الذين فضلوا أن يكونوا غرباء في كامبوديا من أن يكونوا غرباء في وطنهم، ومن هنا بدأ الوجود الإسلامي في كامبوديا وذلك عام ١٢٣٧ هـ (١٨٢٣ م)، ولا يزال هؤلاء التشامبيون يقيمون في كامبوديا حتى الآن، ويطلق عليهم «خمير إسلام» ((Khamir Islam)) أي الكامبوديون المسلمون.

تابع الغزاة الفيتناميون سياستهم التعسفية ضد المسلمين الأمر الذي أجبر الكثير إلى الهرب من البلاد، فانطلق بعضهم إلى ماليزيا، واتجه بعضهم نحو أندونيسيا هذا بالإضافة إلى من سار منهم إلى كامبوديا.

أ ــ المسلمون في فيتنام :

يقدر عدد المسلمين اليوم في فيتنام بحوالي مليون وربع، وبذا يشكلون ٢٫٥٪ من السكان، ومن الصعب أن نعرف شيئاً عنهم بسبب الأوضاع السياسية القائمة، وهذا العدد هو ممن بقي في هذا الجزء من الهند الصينية، ويعيش أربعون ألفاًمنهم في اقليم «كوشانشين» وهو الجزء الجنوبي من فيتنام، ويعد منطقة سهلية، ويتوزعون في منطقة «تشادوق» (Chanduq) الواقعة على حدود كامبوديا على

يمين نهر «الميكونغ»، وفي مدينة «سايغون»، ومنطقة (تاي نينه Taynie ×) الواقعة على حدود كامبوديا أيضاً. كما يعيش خمسون ألفاً في اقليم (بينتهيوان)، إلا أنهم في هذا الاقليم قد أصابهم جهل كبير بسبب انقطاع الصلة بينهم وبين إخوانهم في اقيم «كوشانشين»، وغدت مساجدهم لاتفتح إلا يوم الجمعة، ويصلي فيها الأئمة نيابة عن العبد كما يصومون عنهم شهر رمضان، وعندهم بعض السور من القرآن الكريم مكتوبة باليد. هذا بالنسبة إلى الكبار، أما الجبل الجديد فقد نشأ على صورة أكثر جهلاً، فلا يعرفون عن الإسلام إلا مايقول عنه أعداؤهم، وقد ارتد بعضهم فاعتنق النصرانية، ومنهم من سار في طريق البهائية حيث وصل المروجون لها اليهم عن طريق معونة الاستعمار.

وفي عام ١٣٨١ هـ (١٩٦١ م) قام بعض الأفراد من المسلمين التشامبيين في «كوشانشين» وشاركهم بعض التجار الهنود بالدعوة إلى الإسلام، فوجدوا نجاحاً في مهمتهم، وتنبه آلاف المسلمين فأقبلوا على تعلم العبادات وبعض الأحكام، وبنوا المساجد في مناطقهم، كذلك تأسست جمعية «هي الجمعية التشامبية الإسلامية الفيتنامية» في العام نفسه، وللغرض نفسه.

وفي العهد الجمهوري السابق كان يكلف أحد التشامبيين بوزارة «التنمية للشعوب الأقلية»، كما يشغل أحدهم عضوية مجلس النواب، وآخر عضوية مجلس الشيوخ. ولكن لايسمح للمسلمين بالالتحاق بالكليات الحربية، وإذ صادف وتجاوز الفيتناميون عن هذا التجاوز لايصل إلى الكلية الجوية، ثم إن نظام التجنيد لايشمل المسلمين أبداً.

وعندما استولى الشيوعيون على فيتنام الجنوبية عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) فر الكثير من المسلمين خارج حدود البلاد إذ علموا بمصيرهم، وطريقة الشيوعيين في القتل، فمنها أنهم أمضوا عشرين يوماً في دفن الناس أحياء بعد أن دخلوا مدينة (هوي) القريبة من الحدود بين دولتي فيتنام آنذاك. ومع ذلك فقد تمكن الشيوعيون من نقل بعض زعماء المسلمين إلى هانوي في الشمال، وقد انقطعت أخبار هؤلاء المنقولين، كما زُجّ الآف المسلمين في السجون، كما أخذوا أئمة المساجد إلى أمكنة مجهولة بحجة أنهم رفضوا رفع صورة الزعيم الشيوعي (هوتش مينه) في مساجدهم، واستولوا على المساجد والمدارس التي تعلم القرآن الكريم

وجعلوها وحدات صحية، أو مقرات للاجتماعات، وأبقوا المسجد الجامع في مدينة «سايغون» والذي يقع قرب مبني مجلس الأمة، وبالمناسبة فقد أعادوا للمسلمين في «هانوي» مسجدهم بعد أن حولوه إلى مصنع مدة من الزمن.

ولايسمح للمسلمين بأداء الصلاة اليومية، أما صلاة الجمعة فلا تقام إلا بعد الحصول على تصريح من الشرطة على أن تدوّن أسماء المصلين وعنوان كل واحد منهم، وهذا التصريح أسبوعياً.

ويعيش المسلمون الآن على حالة من الفقر لاتكاد تصدق، فلا يجد المرء ثمن الكفن لميته، كما لاتستطيع المرأة أن تستر عورتها في الصلاة لأنها لاتملك ثم تلك الثياب الطويلة.

وتقدر مساحة فيتنام اليوم بـ ٣٣٦٫٠٠٠ كم٢، وبذا تكون كثافة السكان فيها كبيرة وتزيد على ١٥٠ شخصا في الكيلو المتر المربع الواحد.

ب ــ المسلمون في كامبوديا :

تبلغ مساحة كامبوديا ١٨٢٫٠٠٠ كم٢ ويقدر عدد سكانها بسبعة ملايين، وبذا لاتصل الكثافة إلى أكثر من ٣٠ شخصا في الكيلو المتر المربع الواحد، وهي كثافة ضئيلة.

بدأ وجود المسلمين في كامبوديا عام ١٢٣٧ هـ (١٨٢٣ م) بعد وصول الشامبيين الهاربين من بلادهم إليها، ولم يكن فيها من قبل مسلمون. ويصل عدد المسلمين اليوم في كامبوديا إلى مليون نسمة وبذا يشكلون ١٤٫٨٪ من مجموع سكان البلاد، وإن كانت الحكومة لاتعترف بهذا أبداً، وتعطي إحصاءات متناقضة عنهم فتارة لايصلون إلى مائة وخمسين ألفاً، وتارة يصلون إلى نصف مليون، وأخرى إلى ثلاثة أرباع المليون، وتمنع المسلمين من الخروج سواء أكان ذلك لأداء فريضة الحج أم للدراسة في الدول الإسلامية، وذلك ليبقى خبرهم مجهولاً.

عاش التشامبيون المسلمون في كامبوديا في قرى خاصة بهم لاختلافهم عن المجتمع الذي يعيشون معه في العقيدة واللغة والعادات، وكان يقال لهذه القرى (Phum Cham) أي قرة التشام، وفي كل قرية مسجد، وتوجد أماكن أخرى تخصص للعبادة لتسهل للسكان إمكانية صلاة الجماعة في غير ا لمسجد، وهناك

قرى ليست فيهامساجد وهي أكثر القرى التشامبية فتوجد أماكن خاصة للصلاة، أما صلاة الجمعة فتقام في فناء وسط القرية. ويبلغ عدد المساجد اثنين وثلاثين ومائة مسجدا موزعة على القرى. ولايتم الزواج بين التشامبين والكامبوديين إلا على نطاق ضيق وفي حالة إسلام الكامبودي أو الكامبودية ممن يريد الزواج من المسلمين ـ وهذا كان قليلاً ـ لذا فإن عدد المسلمين من أبناء كامبوديا قلة.

ويشرف على كل قرية تشامبية حاكم عام يساعده رجل أو اثنان، ويشرف على أحوال المسلمين التي تتعلق بالعبادات والأحوال الشخصية، كما يعين الإمام والخطيب والمؤذن. والإمام يخصص عادة ليوم الجمعة، أما بقية الأيام فيصلي بالناس أحدهم دون تعيين، وتكون الإمامة تطوعاً أو ممن يختاره المصلون من بينهم.

وتخضع القرى التشامبية كلها للجنة العليا لشؤون المسلمين، وتتألف من إمام ونائبين ومستشارين له، وتخضع هذه اللجنة لإشراف وزارة الدين البوذي في الحكومة الكامبودية.

وفي عام ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م) أعلنت الجمهورية في كامبوديا، وظهرت في البلاد جمعيتان إسلاميتان وهما:

١ ــ الجمعية الإسلامية المركزية في كامبوديا وتشرف على أوضاع المسلمين الثقافية والاجتماعية.

٢ ــ جمعية الشبان المسلمين في كامبوديا: والهدف منها الإشراف على حل مشكلات الطلاب التعليمية والاجتماعية والدينية، وتأمين السكن للطلاب الفقراء الذين يأتون للدراسة في العاصمة أو المدن الأخرى، وقد كان هذه الجمعية دور أثناء الحرب إذ آوى إلى العاصمة الكثير من المسلمين الفارين من المناطق التي اجتاحتها الحرب.

ويسود الجهل أكثر المسلمين إذ يرفضون إرسال أبنائهم إلى المدارس الحكومية خوفاً على عقيدتهم، ويكتفون بتعليمهم في الكتاتيب مبادىء القراءة والحساب وتلاوة القرآن، وأكثر ماتكون هذه الكتاتيب في المساجد.

ويعمل أكثر المسلمين في الصيد وخاصة صيد السمك وزراعة الأرز،

ويستخدمون الأدوات القديمة في أعمالهم سواء أكانت صيداً أم زراعة أم صناعة، وقل من يعمل منهم في التجارة.

أما في العمل السياسي فنصيبهم قليل ففي العهد الملكي كان يوجد مسلم مساعد لوزير الدين البوذي، كما يوجد مسلم آخر يعمل مستشاراً لشؤون المسلمين في الديوان الملكي، وهذا كل مايناله المسلمون من مناصب سياسة في الدولة أما بعد عام ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م) حيث حل النظام الجمهوري فقد زادت مناصب المسلمين السياسية زيادة طفيفة إذ أصبح أحدهم عضواً في مجلس الشيوخ، وأربعة أعضاء في مجلس النواب، وعي مسلم أيضاً وكيلاً للأمانة العامة لشؤون الدولة، كما عين خمسة مسلمون في وزارة الخارجية.

ودافع المسلمون ضد الشيوعيين في غزوهم كامبوديا فذاقوا الويلات فدفن بعضهم وهم أحياء، وأبيدت جماعات منهم، وتعرضوا للقتل الجماعي، وأخذت مساجدهم، وقبض على أئمة المساجد والعلماء والأساتذة وحكام القرى المسلمة، وذلك بعد سيطرة الشيوعيين على كامبوديا عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م)، كما أنتهكت الأعراض وحدثت حوادث تقشعر لها الأبدان، وأعلن المسلمون الجهاد المقدس، وانضموا إلى جبهة (فول رو) التي لاتزال تقاتل في المناطق المرتفعة من البلاد. وفرّ أعداد من المسلمين إلى خارج البلاد، وأصبحوا يهيمون على وجوههم.

ج ـ المسلمون في لاوس :

تبلغ مساحة لاوس ٢٣٦٫٠٠٠كم٢، ويزيد عدد سكانها على الثلاثة ملايين، وبذا فالكثافة العامة قليلة لاتزيد على ١٢ شخصا في الكيلو متر المربع الواحد.

يعيش عدة آلاف من المسلمين في لاوس، وقد هاجروا من فيتنام إليها عندما سقطت إمارة تشامبا، ولكن لانعزالهم فقد تأثر بعضهم بالنصرانية أو فقد دينه نهائياً دون أن يرتد إلى أية عقيدة ثانية وذلك نتيجة الجهل والبعد عن بقية المسلمين.

وأخيراً فإنه يوجد في الهند الصينية عشرات الألوف من التجار المسلمين من هنود وباكستانيين ويمنيين وغيرهم، ومعظم المسلمين في الهند الصينية تشامبيون

وعددهم مايقرب من مليونين وربع، ويوجد ربع مليون آخر من المسلمين نصفهم في كامبوديا ونصفهم الأخر في فيتنام وهم من غير التشامبيين.

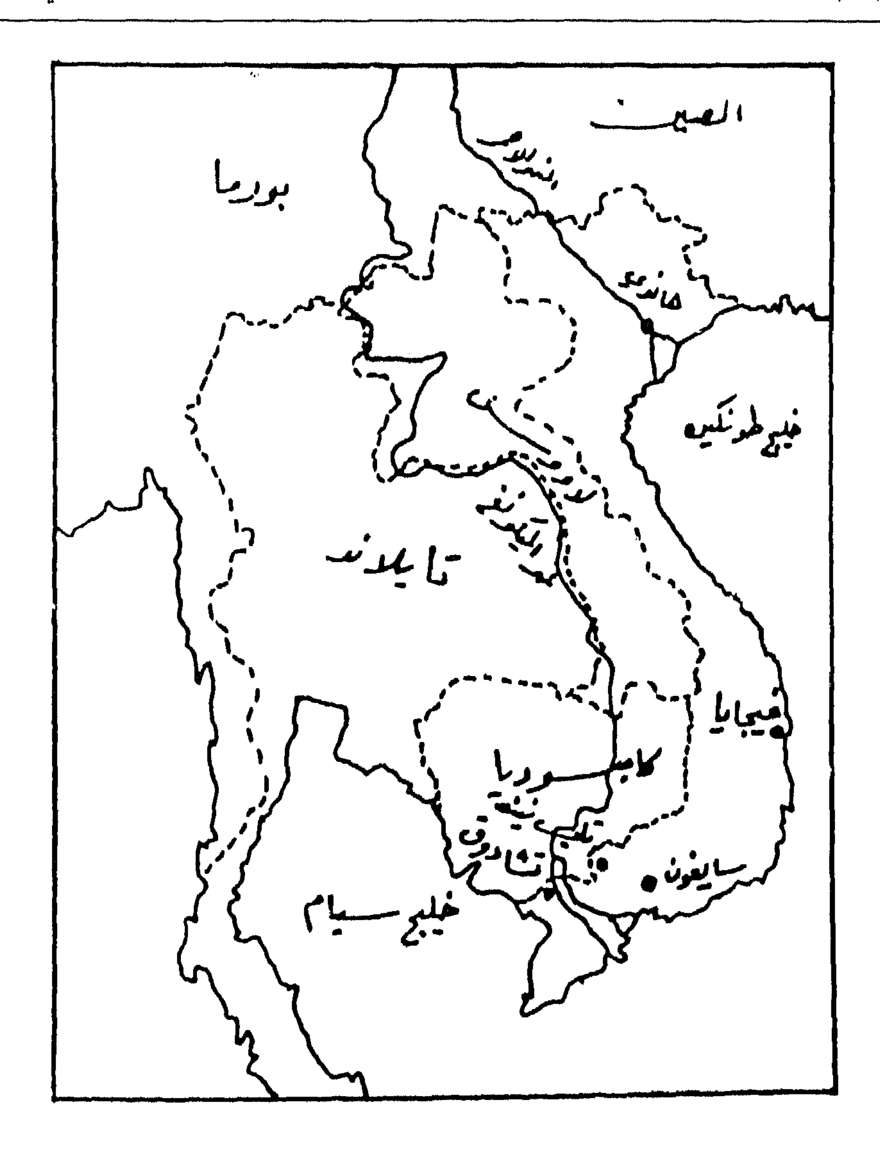
٧ ــ تايلنـــد

دولـة مساحتها ٥٢٠ ألف كيلومتر مربع، ويقيم على أرضها أكثر من ستةٍ وثلاثين مليوناً، ويدين أكثرهم بالبوذية التي تنتشر في جنوب شرقي آسيا، ويعيش بينهم أكثر من خمسة ملايين مسلم، ويمثلون بذلك ١٤٪ من مجموع السكان. ويتجمع المسلمون في منطقتين رئيسيتين هما: فطاني، وحول العاصمة بانكوك.

انتشر الإسلام في المنطقة عن طريق التجارة منذ أن توقفت الفتوحات واتجه الناس نحو العمل بالتجارة وغيرها، وانطلقوا عبر البحار يتخذون من التجارة وسيلةً للدعوة إلى الله. وبدأ الإسلام يتوسع في منطقة فطاني منذ النصف الثاني من القرن الثامن عن طريق مالاقا الذي أخضع سلطانها فطاني إلى حكمه عام ٨٦٥ هـ.

وصـل البرتغاليون إلى المنطقة واحتلوا مالاقا عام ٩١٧ هـ (١٥١١ م) ومنها احتلوا المناطق الشمالية منها وكانت فطاني من بينها، ثم جاء الهولنديون وكانت لهم علاقات تجارية مع فطاني منذ عام ١٠١٨هـ (١٦٠٩ م)، ثم مع الانكليز عام ١٠٢١ هـ (١٦١٥ م)، وقد أقاموا مراكز تجارية لهم.

استـطاع التـايلنديون الاستيلاء على فطاني عام ١٢٠١ هـ (١٧٨٦ م) بعد محاولات كثيرة استمرت أكثر من قرنين، إذقاموا بهجومهم عليها عام ١٠١٢ هـ و١٠٤٢هـ، و١٠٤٣هـ ولكنهم باءوا بالخسران في كل محاولة. ونقلوا منها ٤٠٠٠ أسير، ونقلوهم إلى منطقة بانكوك، كما قسموا المنطقة إلى سبع ولايات لإضعاف المقـاومـة، إلا أن الفطانيين قد قاموا بثورة بعد عام من الاحتلال التايلندي، وقادهم (تنكوليدين) غير أن هذه الثورة قد فشلت، وقتل قائدهم. وقامت ثورة أخرى عام ١٢٢٣ هـ (١٨٠٨ م) لقيت الفشل أيضاً، وهذا ماجعل التايلنديين يعملون على تقسيم المنـطقـة إلى ولايات صغيرة، ويشردون الزعماء، ويضعون



بجانب كل أمير فطاني أحد التايلنديين إضافة إلى فرض ضريبة.

وفي عام ١٢٤٧ هـ (١٨٤١ م) قام ولي عهد ملك (قدح) بثورة فاشترك معه الفطانيون، ولكن فشلت هذه الثورة ودخل التايلنديون الأرض الفطانية فنهبوها، وعاثوا فيها الفساد، ونقلوا أربعين ألفاً حملوهم إلى منطقة بانكوك.

وفي عام ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) ربط التـايلنديون الفطانيين ببانكوك وجعلوا عليهم حاكماً تايلندياً فقام عبدالقادر قمر الدين بثورة. ولكنه هزم وأسر وحمل إلى

بانكوك وطلب، منه توقيع وثيقة يتنازل فيها عن حقه في الإمارة، ولكه رفض ذلك وأصر على موقفه.

عمت البلاد الفوضى عام ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م)، ونفي الأمير عبدالقادر، وتولى الإمارة مكانه ابنه محيى الدين، وأرسل إلى لندن للدراسة.

وفي عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) اتفقت انكلترا وتايلند فأخذت انكلترا بعض الولايات الملايوية وأخذت تايلند المقاطعات الفطانية. وكان الفطانيون يفضلون أن يكونوا تحت سيطرة انكلترا النصرانية من أن يكونوا تحت حكم تايلندا البوذية، وكانوا فيما مضى يطلبون دعم انكلترا ضد تايلند، ولم يعرفوا أن انكلترا سبب الفوضى، وتقسيم مناطق النفوذ بين المستعمرين.

وفي عام ١٣٤٢ هـ (١٩٢٤ م) تكتـل الفـطانيون ورفضـوا دفـع الضرائب وإيجارات الأراضي التي فرضت عيهم ظلماً وعدواناً، فالأرض ملكهم، ولكن ملك تايلنـد عدهـا له، وأهلها أجراء عنده. ولكن هذه الحركة قد فشلت، فألقي القبض على عدد كبير منهم، وقتل عدد آخر، وفّر آخرون، وشرد مثلهم.

وفي عام ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م) حصل انقلاب في تايلاند دعمه الفطانيون فكتب له النجـاح، وتغير نظام الحكم من ملكي مطلق إلى ملكي دستورى، وتقدم أهل فطاني بمطالبهم وهي:

١ ــ أن يكون حاكم المنطقة فطانياً.
٢ ــ أن يكون ٨٠٪ من موظفي المنطقة مسلمين.
٣ ــ أن تكون اللغة الملايوية ولغة سيام رسميتين.
٤ ــ أن تكون اللغة الملايوية لغة التعليم الابتدائي.
٥ ــ الاعتراف بالشريعة الإسلامية وتطبيقها بالمحاكم الشرعية، وأن تكون تابعة لإدارة مستقلة بذاتها ومستقلة تماماً عن المحاكم التايلندية.
٦ ــ تكوين مجلس إسلامي.

واختار الفطانيون محمود محيى الدين أصغر أبناء السلطان عبدالقادر قمر الدين الذي يعيش في المنفي ليكون حاكماً لهم. وحدثت فوضى في البلاد عام ١٣٥٢ هـ.

إن مجيء العسكريين إلى حكم تايلند قد جّر وبالاً كبيراً على الشعب الفطاني لأنهم حملوا فكرة القومية السيامية والتي حاربها الفطانيون لأنهم يدينون بالإسلام، ويتكلمون لغة ملايوية، وتكتب بالحرف العربي.

كان هدف تايلاند منذ عام ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م) تحويل الملايونيين في فطانيين إلى تايلانديين بإجبارهم على الزي التايلندي، واستعمال اللغة التايلندية، وقبول الثقافة التايلندية، واتخاذ أسماء تايلندية، وترك العقيدة الإسلامية.

وزاد الضغط على الفطانيين منذ عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) إذ حرم المسلمون من وظائف الدولة، وأجبر اطلاب، ومن يعمل بالمؤسسات الثقافية أن يتسمى بأسماء تايلندية. وأغلقت المدارس الدينية والمساجد، كما أجبر المسلمون على دخول المعابد البوذية.

قامت الحرب العالمية الثانية ودخل اليابانيون البلاد، وعمل الانكليز على تنظيم المقاومة، وقد اعتمدوا على السلطان محمود محيي الدين ووعدوه بالحصول على الاستقلال بعد انتصار الحلفاء. وعندما انتهت الحرب، وكانت اليابان قد هزمت إلا أن وعد الانكيز للفطانيين قد انتهاء الحرب، بل إن اقتصاد البلاد قد وضع تحت تصرف انكلترا.

وفى عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) قام الحاج محمد سولونغ رئيس الهيئة التنفيذية لأحكام الشريعة الإسلامية بتقديم مطالب الشعب الفطاني وهي لاتختلف كثيراً عن المطالب السابقة، وتقدمت المطالب إلى الأمم المتحدة فكانت النتيجة أن قبض على محمد سولونغ ورفاقه وأودعوا السجن، وحكم عليهم بالسجن ثلاث سنوات، ثم أفراح عنهم، ثم اعتقلوا ثانية وقتلوا سراً عام ١٣٧٤هـ (١٩٥٤ م).

وقـع انقـلاب عسكـري في تايلنـد غام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م)، وفي عام ١٣٥٧ هـ (١٩٥٥ م) وقـع انقـلاب آخـر وكان كل انقلاب يعمل على إذابة الشخصية الفطانية، ووقفت الدول الكبرى بجانب تايلند، وظن المستعمرون أن أمر فطاني قد انتهى.

وفي عام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م) تشـكلت عدة منـظمات وأحـزاب لمواصلة الكفاح، ولكن تعدد القيادات كان له الأثر السيء، ثم توحدت المنظمات وتغيرت

فكرة المقاومة السلمية إلى فكرة القتال، وقامت الثورة التي لاتزال مشتعله.

وتتهم السلطات التايلندية الثورة الفطانية بكل تهمة يمكن أن توجه. وقد تمكنت من تجزئة الفطانيين إذ نقلت في خلال الحرب الطويلة مايقرب من مليوني فطاني، وأقاموا في منطقة بانكوك، ويمكن أن نقول: إن هؤلاء قد انعزلوا عن أبناء عقيدتهم، وقد قطعوا شوطاً في مرحلة الذوبان في المحيط التايلندي.

٨ ـ سنغافـورة

سنغافورة جزيرة صغيرة تكاد تلاصق شبه جزيرة الملايو، تبلغ مساحتها ٧٢٥ كيلومتراً مربعاً فقط، وتشمل مدينة سنغافورة وماحولها.

انتشر الإسلام في سنغافورة عن طريق التجارة بعد انتشاره في مالاقا، ويقدر عدد المسلمين اليوم بحوالي ٣٤٠ ألفاً، وهو مايعادل ١٧٪ من مجموع السكان البالغ مليوني نسمة.

يعدّ تاريخ سنغافورة جزءاً من تاريخ شبه جزيرة الملايو، ولكن غدت إثر الحرب العالمية الثانية مستعمرة بريطانية منفصلة عن بقية ولايات الملايو. وعند قيام اتحاد الملايو عام ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م) كانت سنغافورة إحدى ولاياته ثم عادت فانفصلت منه بعد عامين من قيامه.

تعود أهمية سنغافورة إلى موقعها التجاري. وتسربت إليها الشيوعية، ووجدت المناخ ملائماً لها بين الصينيين. كما امتد نشاط اليهود إليها عن طريق النفوذ الانكليزي.

٩ ـ الصيـن

تبلغ مساحة الصين مايزيد على تسعة ملايين كيلومتر مربع ونصف، ويزيد عدد سكانها على ألف مليون نسمة فهي بذلك أولى دول العالم سكاناً، وثالثتها

مســاحةً بعد الامبراطورية الروسية وكندا. ويعيش فيها مايقرب من ١٠٪ من سكانها من المسلمين ينتشرون في كل جهاتها. وقد وصل إليها الإسلام عن طريق الفتـح وهـذا بالنسبـة إلى تركستـان الشرقية، وعن طريق الـدعـوة في المناطق الداخلية، وعن طريق التجارة في المناطق الساحلية.

لقد فتح المسلمون تركستان الشرقية عام ٩٥ هـ بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي، وأخذوها من الصين، كما حكم المغول هذه المنطقة، ثم جاء الصينيون بعد أن ضعف أمر المسلمين، وقد عمل الصينيون على تسلم مرافق الحياة جميعها، وقامت الـثـورات الإســلامية واستمــرت مايزيد على المــائــة عام ١١٧٣-١٢٩١هـ (١٧٥٩-١٨٧١ م) وأخـيـراً استـطاعت الصـين إخضـاع سلطنـة كاشغـر عام ١٢٩٢ هـ (١٨٧٢ م)، ثم قامت ثورة أخرى عام ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م) استمرت خمسة أعوام، ولم يتمكن الروس من إخمادها إلا بعد مساعدة الروس الذين دخلوا المنطقة، وبقوا فيها حتى عام ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م) حيث انسحبوا منها بعد ماأخذوا معهم جميع المنشآت التي أقاموها في البلاد أثناء وجودهم.

وبعد الحرب العالمية الثانية تمكن الصينيون من فرض النظام الشيوعي وذلك عام ١٣٦٩هـ (١٩٥٠ م)، ودخلوا على تركستان الشرقية وأذاقوا أهلها الويلات، وقد فَر عدد كبير منهم. وأعطوا تركستان الاستقلال الذاتي ضمن الكيان الصيني، وأصبح عام ١٣٧٣هـ (١٩٥٣ م) سيف الـدين رئيس مقـاطعة تركستان التي أعطيت اسم (سينكيانغ) أي المقاطعة الجديدة.

تبلغ مساحة تركستان الشرقية ٧٤٥ر٧١٠ر١ كيلومتر مربعاً أي أكثر مساحة من المملكة العربية السعودية، ويقدر عدد سكانها بثمانية ملايين ونصف مليون نسمة، ويدين سكان المقاطعة الأصليون بالإسم، ويؤلفون ٩٥٪ من السكان الحاليين، أمـا البقية فهم من الصينيين ويدينـون بالبـوذية، ومن الـروس الذين يدينون بالنصرانية ويعدون من الدخلاء على المقاطعة.

ومن تركستان الشرقية انتشر الإسلام في غربي الصين لذا تكون نسبة المسلمين مرتفعة فهي في (كانسوا) ٧٩٪، وفي (نينغ هسيا) ٧٥٪. ثم تأخذ النسبة في الانخفاض فتصل في (ستشوان) إلى ٨٪، ولكنها تكون في (يونان)و (شنسي) حوالي ٣٠٪، ثم في (شانسي) ١٦٪، وتستمر في الانخفاض فهي في (هيونان) ١٠٪،

وفي (هونان) ٦ر٥٪ ثم تصبح دون ١٪ ولكنها تعود فتزيد في المناطق الساحلية بسبب وصول التجار المسلمين إلى تلك الجهات، إذ تتراوح النسبة حوالي ٦٪. ولقد وصل الإسلام إلى جنوب الصين في القرن الأول الهجري، واستقر المسلمون في مدينة (كانتون) مرفأ جنوبي الصين. وقد عرفت هذه المدينة عند العرب باسم (خانسو) و (الخنساء) وأول مسجد بني بالصين إنما شيد فيها وهو المسجد ذو المنارة.

وتزيد نسبة المسلمين في المناطق المحدبة حيث تكون ممراً للسفن فتنشأ فيها المحطات، وينزل فيها التجار المسلمون، أما المناطق الساحلية المقعرة فتقل نسبة المسلمين فيها حيث تبتعد السفن عنها اختصاراً للطريق، ولهذا ترتفع النسبة في (شانغهاي) إلى ١٣ر٦٪، وتكون في شبه جزيرة (شانتونغ) ٦٪، وأما (بكين) فهي مقاطعة ليست ساحلية الآن، ولكن كانت من قبل جزءاً من ولاية ساحلية تسمى (تشهيلي)، ولكونها العاصمة ومدينة كبيرة فإنها تضم عدداً من المسلمين، وقد كان فيها وحد وحدها أربعون مسجداً.

أما المناطق النائية فتقل فيها نسبة المسلمين كثيراً مثل: التبت، ومنغوليا الداخلية، ومنشوريا وكذلك الجزر المحيطة بالبلاد، وخاصة إذا كانت قد خضعت للاستعمار الصليبي في وقت مبكر، فقد عملت طلائع الصليبيين وخلفاؤهم على حرب إبادة ضد المسلمين وتشريدهم، ولذا فإن نسبتهم تنخفض جداً في فورموزا التي تسمى الآن الصين الوطنية (تايوان)، وفي (هونغ كونغ) التي سيطر عليها البرتغاليون، وكلها في الأصل جزء من الصين.

وانتشار الإسلام في الصين وإن مبكراً في بعض النقاط الساحلية وفي تركستان الشرقية إلا أن بقية الأجزاء قد وصل إليها في وقت متأخر، لذا فإن المسلمين لم يعوا الإسلام بشكل جيد، ولم تظهر لهم قوة مادامت دول الإسلام ضعيفة، وبقي أثر مجتمعهم عليهم واضحاً.

وقد أرسل السلطان العثماني عبد الحميد ١٢٣٩-١٣٢٧ هـ (١٨٧١-١٩٠٩ م) بعثة من استانبول مؤلفة من السيدين (حسن حافظ) و (علي رضا) إلى بكين، وقد أسس مدرسة في (نيو كياي) وانتظم فيها مائة وعشرون طالباً، وأقبل عليها المسلمون إقبالاً كبيراً.

كان المسلمون يشكون سوء أوضاعهم لذا فقد أيدوا قيام الجمهورية الوطنية عام ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) وعملوا على نجاحها، إذ قاسوا من الحكم الامبراطوري كثيراً واضطرهم إلى القيام بعدة ثورات أخمدت بمنتهى الوحشية.

وعدت الجمهورية الصينية المسلمين أحد العناصر الخمسة الذين تتكون منهم الأمة الصينية وهذه العناصر هي: الصيني، المنشوري، المنغولي، التبتي، المسلم (الهولي)، ومن ثم كان العلم الصيني مؤلفاً من خمسة ألوان هي الأحمر، والأصفر، والأزرق، والأسود، والأبيض، ويشير اللون الأبيض إلى العنصر المسلم في أمة الصين. ومن هذا يكوّن المسلمون عنصراً واحداً على الرغم من انتمائهم لمجموعات متعددة فالعقيدة هي التي تجمع بين المسلمين وتجعلهم أمةً واحدة متميزة. وقد عمل المسلمون في الصين على إقامة بعض المؤسسات الخاصة بهم مع وجود المسجد الذي يجمعهم، ومن هذه المؤسسات: جمعية تقدم مسلمي الصين التي وجدت عام ١٣٣٠هـ (١٩١٢ م) في (بكين) وزاد عدد فروعها على ثلاثمائة فرع موزعة في أنحاء الصين كافة. وجمعية الأدب الإسلامي التي تأسست عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٦ م) ومقرها (شنغهاي)، ودار المعلمين الإسلامية في (بكين) عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م) واتحاد المسلمين في (شنغهاي) عام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م)، والجمعية الاتحادية الإسلامية لكل الصين وتأسست عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م) في مدينة (هانكيو).

ودخلت اليابان الصين، وحاولت استغلال المسلمين وعملت على تأسيس اتحاد المسلمين الصينيين لتسفيد منهم وذلك في (بكين)، وأسست لهذا الاتحاد مجلة حملت اسم «الإسلام»، كما صدرت للمسلمين في (شنغهاي) آنذاك جريدة حملت اسم «نور الإسلام» وبدأت الدعاية لليابان عن طريق بعض المسلمين، وفي الوقت نفسه فإن الحكومة الصينية التي تحارب اليابان كانت تؤكد في دعايتها تأييد المسلمين. كما أن الشيوعيين قد وعدوا المسلمين وعوداً معسولة بنهاية طرد اليابانيين، وانتهت الحرب، وهزمت اليابان، وخرجت من الصين. ولم يف واعد بما وعد فالحكومة الوطنية تدعي أنها لم تتمكن من الحكم، والشيوعيون يدعون بأنهم لم يسيطروا تماماً على الوضع مادامت (فورموزا) خارج قبضتهم، وأبدوا شيئاً من التسامح في بداية الأمر، فأسسوا جمعية إسلامية شعبية كان من زعمائها برهان

الدين شهيدي حاكم تركستان الشرقية، ومحمد مكين من منطقة يونّان، وسيف الـدين، وإبـراهيم دابـو شنـغ من شنغهاي، وافتتحت الجمعية لها عدداً من الفـروع، ونشرت عدداً من الكتب التي تساير الفكرة الشيوعية. ولكن عندما استتب الوضع للشيوعيين بدؤوا ينفذون خطتهم المرسومة ضد المسلمين فوضعت الدولة يدها على الأوقاف الإسلامية، ولم يعد للمساجد والمدارس الإسلامية دخل تؤدي دورها منه إذ كانت الأوقاف موردها الوحيد، وأنشئت المعسكرات التي حشد فيها شبان المسلمين فتيان وفتيات وأجبروا على الحياة فيها معاً وفي سبيل نشر الفساد. .

قامت حركة في كاشغر عام ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م) احتجاجاً على التصرفات المنافية للإسلام ووضع الفتيات في المعسكرات بشكل فاضح مع الشباب، ودارت معركة ذهب ضحيتها ٣٥٠٠ مسلم، وشردت أعداد كبيرة من بينها من كان من الزعماء الذين سايروا الشيوعية مثل برهان الذين شهيدي.

ونشط الشيوعيون لإذابة المسلمين في الكيان الصيني - حسب زعمهم - بإيجاد وحـدة في المـأكولات والمشروبات، واللباس، ومراسم الزواج، والمقابر والحدة، وطريقة دفن الموتى. كما غيّر الشيوعيون أسماء المدن الإسلامية مثل كاشغر الذي أصبح اسمها (شوفو) وغيرها.

وزاد الأمر عندما قام (ماوتسي تونغ) يحارب المسلمين باسم الثورة الثقافية إذ قضى على المدارس الإسلامية، والمساجد، ومابقى من مؤسسات، الأمر الذي أجبر المسلمين على القيام بحركة واسعة في بكين في شارع (نيوكياي) الذي يسكنه أكبر عدد منهم هناك، وهاجموا مركز الشرطة فاعتقل القادة، وأبيد أكثر من اشترك في هذه الحركة. . ولا يعلم مصير (محمد مكين) و (عبدالرحيم ماسونغ تينغ) واتخذ الصينيون هذه الحركة ذريعة فزادوا من اضطهادهم للمسلمين.

والمعلومات التي تتسرب عن المسلمين من داخل الصين قليلة. . . وربما قلّت نسبياً موجه الاضطهاد بعد هلاك (ماو) وتوقف مد الثورة الثقافية.

أما منغوليا الخارجية فهي منطقة واسعة كانت تتبع الصين. تغطيها الصحراء، وتزيد مساحتها على مليون ونصف من الكيلومترات المربعة، ولما كان الجفاف يسود

كل أرضها فإن سكانها قلة لايزيدون على المليون ونصف يعيش بينهم أقل من ١٥ ألف مسلم أي أن نسبة المسلمين لاتصل إلا إلى ١٪.

١٠ ــ الفليبيـــين

الفليبين مجموعة من الجزر يزيد عددها على ١٧٠٠ جزيرة، تقرب مساحتها من ٣٠٠ ألف كيلو متر مربع، ويزيد عدد سكانه اليوم على خمسة وخمسين مليوناً.

أشهر هذه الجزر لوزون في الشمال، وهي التي تقع فيها العاصمة (مانيلا)، وتبلغ مساحتها ١٥٠ ألف كم٢، وجزيرة (ميندناو) في الجنوب وتبلغ مساحتها ١٤٠ ألف ٢، وفيها غابات، ثم جزر (صولو) في الجنوب أيضاً، وسكانها من المسلمين مع جزيرة (بالاون) و (ميندناو).

وصل الإسلام إلى الفليبين عن طريق التجارة في أواخر القرن الثالث الهجري (٢٧٠ هـ)، ولكن بقي عدد المسلمين قليلاً، ثم بني أول مسجد في جزر (صولو) عام ٦٧٩هـ، ومن ثم بدأ الإقبال على الإسلام يزداد، وفي نهاية القرن التاسع كان المسلمون يؤسسون سلطنات في تلك الأرجاء، وكان من أشهر السلاطين (راجا سليمان) الذي ـ كان يحكم (مانيلا) وماحولها في مطلع القرن العاشر.

وفي عام ٩٢٧هـ (١٩٢١ م) وصلت طلائع الصليبيين إلى تلك الجزر قادمة من الشرق بإمرة ماجلان في محاولة لتطويق المسلمين بعد أن أخرجوهم من الأندلس عام (٨٩٧هـ) وانطلقوا (١٤٩٢ م) وانطلقوا يلاحقونهم، وشده ماجلان عندما رأى المسلمين يحكمون تلك الجهات، وقد عرف المسلمين باسم (المورو) وهو الاسم الذي لايزال يحملونه إلى اليوم وفي مناطق أخرى من العالم مثل مدغشقر، وسيلان و...

ظنّ ماجلان أن الجزر التي حلّ بها هي جزر التوابل «الملوك»، ولما علم أنها ليست هي أطلق عليها اسم (سانت لازار).

وما إن وصل ماجلان حتى بدأ يعمل للنصرانية متخذاً طريق القوة أحياناً بما يملك من أسلحة غير معروفة هناك، ومستعملاً طريق الإغراء أحياناً أخرى، وقد

توصل إلى اتفاق مع (هومابون) حاكم جزيرة (سيبو) على أن يدخل هذا الحاكم في الديانة النصرانية الكاثوليكية مقابل أن يكون ملكاً على جميع الجزر تحت سلطة التـاج الإسبـاني. ثم أخـذ ينتقل إلى بقية الجزر للتمكين لصديقة (هومابون) وللدعوة للنصرانية، ووصل إلى جزيرة صغيرة هي جزيرة (ماكتنان) التي يحكمها حاكم مسلم يدعى (لابولابو) فاستعمل الإسبان طريق الإرهاب إذ أضرموا النار في أكـواخ السكـان، وسطوا على الأرزاق والأموال، وطاردوا النساء... فقاوم (لابـولابو) هذه الأعمال، وأخذته الحمية فرفض الاستسلام لماجلان ومن ورائه الإسبان وحرّض بقية الجزر على الغزاة، فرأي ماجلان أن يظهر قوته، ويخيف الناس بالإرهاب، ويظهر قوة أتباعه، وصلاحية سلاحه وفعاليته، وعاد يخيف بقية الأمراء والسلاطين في الجزر.

طلب ماجلان من (لابولابو) الاستسلام قائلاً: «إنني باسم المسيح أطلب إليك التسليم، ونحن العرق الأبيض أصحاب الحضارة أولى منكم بحكم هذه البلاد» فهجم عليه (لابولابو) وقتله ورفض تسليم جثته للأسبان، ولايزال قبره هناك. وانسحب الإسبان بعد ذلك عن الجزر وعادوا إلى بلادهم عن طريق جنوب آسيا الذي كان البرتغاليون قد عرفوه، وهم شركاؤهم في التخطيط لتطويق المسلمين.

بعثت إسبـانيا إثـر ذلـك أربـع حملات متتابعة نزلت على شواطىء جزيرة (ميندناو) حيث يكثر المسلمون، وكان أفراد هذه الحملات قادمين بروح حاقدة، وصليبية واضحـة، فكـان يبـاد جنودها جميعهم. وكان على رأس إحدى هذه الحملات (روي لوبيز) وهي الحملة التي جاءت عام ٩٤٩ هـ (١٥٢ م)، وهو الذي أطلق على الجزر اسم الفليبين.

بعد إبادة هذه الحملات الإسبانية المتكررة بدأ الغزو الإسباني عام ٩٧٣ هـ (١٥٦٥ م) فكانت حملة كبيرة استقرت في جزيرة (سيبو)، حيث شيدت قلعة حصينة لحماية الجند، واتخذ قائد الحملة (ميغل لوبيز) من هذه الجزيرة قاعدة لغزو بقية الجزر الأخرى حتى استطاع أن يستولى على مملكة (راجا سليمان) بعد قتال مرير عام ٩٧٩ هـ (١٥٧١ م)، وتهدمت مدينة (مانيلا) فأعاد الإسبان بناءها على أسس نصرانية، فبنوا مدينة مسورة محصنة تماماً في الوسط أطلقوا عليهم اسم (أنترامورس)، ثم كان البناء حوله وذل ليتحصن الإسبان في الوسط داخل الأسوار.

ومن (مانيلا) بدأت الحملات تخرج لمد نفوذ إسبانيا على جزيرة (لوزون)، وبعدئذ حاولوا السيطرة على بقية الجزر.

وتمكن الإسبان من بسط حكمهم على الجزر الشمالية والوسطى حيث المسلمون قلة ولكنهم عجزوا عن إخضاع الجزر الجنوبية حيث يكثر المسلمون الذين صمدوا صموداً قوياً، جعل الإسبان ييأسون نهائياً من إمكانية السيطرة على المناطق الإسلامية في تلك الجزر، لذلك انصرفوا إلى البقاع التي سيطروا عليها يوطدون سلطانهم، وينشرون ديانتهم النصرانية، وقد تمكنوا من ذلك رغم بقاء عناصر بقيت على وثنيتها وتقوقعت على نفسها سواء في المناطق المنعزلة، مثل الغابات أم في جزر نائية. أما المسلمون فبقوا على حالتهم يحكمهم سلاطين منهم.

قامت ثورة في البلاد ضد الإسبان عام ١٢٩٠ هـ (١٨٧٢ م)، وتمكن المستعمر من إطفاء نارها لكنها عادت فاشتعلت عام ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م)، واضطر الحاكم الإسباني أن يفر إلى هونغ كونغ، وإذا قدر للإسبان أن يقضوا على هذه الثورة إلا أن منظمة سرية بقيت تعمل في الخفاء، وتلقت الدعم من الولايات المتحدة التي رغبت أن تحلّ محلّ الإسبان. وفي عام ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م) دمر الأسطول الإسباني في خليج (مانيلا)، وبعد هذه الهزيمة جرى اتفاق سري بين الولايات المتحدة وإسبانيا يقضي بانسحاب إسبانيا من تلك الجزر مقابل مبلغ خمسة ملايين دولار تدفعها الولايات المتحدة لها.

انسحبت إسبانيا من الجزر بعد معارك تمثيلية وعاد الحاكم العام الإسباني من (هونغ كونغ) وهو الجنرال «غوينالدو» ليعلن استقلال الفليبين عام إسبانيا، وفي هذه الاتفاقية التي تمت في باريس تخلت إسبانيا أيضاً عن (كوبا) و (بورتوريكو) لمصلحة الولايات المتحدة.

رفض السكان اتفاقية باريس كما رفضوا حكم الولايات المتحدة التي تمكنت من القضاء على الثورة عام ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م)، وعدت البلاد إحدى الولايات الأمريكية.

أما المسلمون فقد بقوا في جزر الجنوب واستمرت مقاومتهم، ومن كان منهم في الجزر الشمالية فقد أهمل إهمالاً واضحاً، وانصرف الاهتمام إلى النصارى ولم يكن حال المسلمين في الشمال بأسوأ مما هم عليه في الجنوب. استمرت مقاومة

المسلمين عشرين سنة، ثم تمكنت الولايات المتحدة من دخول مناطقهم بالدعاية والخداع.

حصلت الفلبين على الاستقلال الذاتي عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) استقلال البلاد التام خلال عشر سنوات إلا أن منصب الحاكم العام قد بقي قائماً، كما تتولى الولايات المتحدة شؤون الدفاع والخارجية. ووصل إلى البلاد في هذه الأثناء بعض الشخصيات التي كان لها دور في النشاط الإسلامي هناك.

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية احتلت اليابان الفلبين عام ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م) وطردت القوات الأمريكية منها، وتشكلت في البلاد فرق لحرب العصابات، وتمكن الجنرال (ماك أرثر) من العودة إلى الفلبين عام ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م)، وقاتل معه أبناء البلاد حتى استطاعوا طرد اليابانيين عام ١٣٦٤ هـ (١٩٤٥ م)، وهزمت اليابان في الحرب العالمية الثانية. وقاتل المسلمون اليابنيين قتالاً عنيفاً، واشتركوا في كل مراحل النضال.

حصلت الفلبين على الاستقلال عام ١٣٦٥ هـ (١٩٤٦ م)، وأصبح الحكم فيها رئاسياً يشبه الحكم في الولايات المتحدة، ويضم مجلس النواب مائة وعضوين ينتخبون حسب نظام المناطق، ويضم هذا المجلس عضوين مسلمين. فهم بذلك لايحصلون إلا على خمس حقهم إذ يجب أن يكون لهم ١١ عضواً حسب نسبتهم المئوية. أما مجلس الوزراء فيضم عادة وزيرا مسلما واحدا، وغالباً ماتسند إليه وزارة الأقليات لأن المسلمين يشكلون أكبر عددٍ من الأليات في البلاد. وفي الفليبين حزبان: الحزب الوطني، وهو الحاكم. والحزب المعارض إلا أن رئيس الجمهورية آنذاك (ماركوس) قد أعلن الأحكام العرفية وجمد الأحزاب. وتعاني البلاد مشكلة الجريمة والفساد الخلقي.

شهدت البلاد بعد الاستقلال نهضة إسلامية يرعاها «اتحاد مسلمي الفليبين» وقد نظم ثلاثة مؤتمرات لبحث شؤون المسلمين في الفليبين وحضرها ممثلون عن أكثر الدول الإسلامية، وبدأت هذه النهضة تثمر فحركت الحقد الصليبي.

بدأ العمل ضد المسلمين واتخذ وسيلة شق صفوف المسلمين، وأصبح بالفعل لهم منظمتان بعد أن كانوا كتلة واحدة، ثم بدأ التخطيط للاستيلاء على أراضي المسلمين فتشكلت عصابة نصرانية أطلق عليها اسم عصابة الفئران، أسسها

وأشرف عليهـا رئيس الجمهـورية بذاتـه ومهمتهـا اتخـاذ الارهاب بالهجوم على المسلمين والتنكيل بهم، وقتل ماتستطيع قتله منهم كي يغادروا أرضهم فيستولي عليها النصارى، وخاصة إذا علمنا أن الأرض غير مسجلة بعد بصورة نظامية. كما وجدت منظمة (الأخطبوط) ولها المهمة نفسها.

أوجد النصارى أسباباً للهجوم على المسلمين إذ طالبوا بتطبيق القانون المدني على المسلمـين إذ به يمكن للنصـارى أن يتـزوجـوا من المسلمات، وقد رفض المسلمـون تطبيق هذا القـانـون، وهذا مادعا إلى مصادرة أراضيهم والاستيلاء عليها، وبالتالي جر المسمين إلى قتال وهم غير مستعدين له.

بدأ الزحف النصراني من الشمال، وبدأ الاستيلاء على الأراضي بمساحات محددة ومنتقـاة، وبـدأت الـدولـة تسجيل هذه الأراضي المستـولى عليها بأسماء مغتصبيها على حين رفضت من قبل تسجيلها لأصحابها المسلمين، وبدأ الأرهاب مع الاستيلاء على الأراضي: اغتيالات، حرق مزارع، اختطاف، إلقاء السم بآبار مياه الشرب، قتل الحيوانات، هتك أعراض. وبذا شرد ستون ألف أسرة مسلمة التجأت إلى الغابات والجبال.

وبدأت حرب الإبادة تارة بجمع الشباب في معسكرات باسم التدريب ثم إبادتهم، وتارة بنفس المساجد أثناء تأدية صلاة الجمعة، وثالثة بالإغارة على المدن والعمل بإبادة الموجودين في الأسواق وأماكن تجمع السكان.

وتسلّح المسلمون أمام هذه الحوادث للدفاع عن النفس فعّد الحكم هذا تمرداً، وهذا حجة للقضاء على المسلمين وتحرك الجيش النظامي نحو الجنوب.

رفع المسلمون شعار الوحدة الإسلامية، وطالبوا بفصل المناطق الإسلامية، كما طالبوا العالم الاسلامي، والأمم المتحدة بالدفاع عنهم وحمايتهم. وبدأت المعارك بين الطرفين، وتمكن المسلمون من الصمود والمقاومة، واضطرت الحكومة للتفاوض وقد تم ذلك في طرابلس عاصمة ليبيا التي شاركت في المفاوضات، كما شاركت كل من السنغال، والصومال، والمملكة العربية السعودية، وتقرر بهذه المفاوضات إعـطاء المسلمـين الحكم الـذاتي في جنـوب الفليبين وكان ذلك في مطلع عام ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م)، إلا أن هذه المفاوضات والاتفاقية لم تكن إلا لتتيح الفرصة أمـام (مـاركـوس) لتنظيم قواته من جديد والاستعداد للدخول ثانية في معركة

حاسمة تقضي على المسلمين، إضافة إلى استغلال الدول الإسلامية للحصول على النفط والدعم المادي، وقد تم هذا، وبعد أربعة أشهر من توقيع الاتفاقية أعلنت حكـومة (ماركوس) عن تخليها عن جميع التزاماتها السابقة، وغادت العمليات العسكرية من جديد بل لم تتوقف من الأصل إلا عدة أيام.

إلا أن تفـوق الحكم بالعـدد والعتـاد، والدعم الصلبي، وغفلة المسلمين، والإهمال كل هذا يدعو إلى انتصار الحكم مع الزمن.

١١ ـــ اليابان

لم يصل المسلمون إلى أبعد من شبه جزيرة شانتونغ في الصين شمالاً ربما للتركيز على المناطق التي وصلوا إليها أولاً أو لنوعية السفن التي كانت مستخدمة آنذاك، أو للضعف الذي أصاب المسلمين يومذاك أو. . .

وكان وصول الإسلام إلى اليابان لأول مرة على يد رجل تتاري يدعي إبراهيم من مدينة (قازان) شجعه جمال الدين الأفغاني للدعوة إلى الإسلام هناك، ويقال: إن امـبراطـور اليابان قد طلب من السلطان عبد الحميد العثماني إرسال دعاة مسلمين لإبلاغ شعب اليابان دعوة الإسلام، فدعا السلطان العثماني جمال الدين الأفغاني واستشاره بالأمر فأشار عليه بإبراهيم هذا. ثم إن هذا قد دعا جماعة من التتار للتوجه إلى اليابان تخلصاً من الروس الذين يحتلون بلادهم، فاستقر هؤلاء التتار بطوكيو وأسلمت جماعة من اليابانيين على أيديهم، وأول رجل ياباني أسلم يدعى (كازاكا).

وعنـدمـا احتلت اليابـان منشـوريا اتصـل بعض اليابانيين ببعض المسلمين المنشوريين فأسلموا ومنهم الحاج (عمر ميتا) رئيس الجمعية الإسلامية السابق.

وفي الحرب العالمية الثانية احتلت اليابان مناطق واسعة من بلاد المسلمين مثل أندونيسيا وماليزيا أو مناطق فيها مسلمون مثل الفليبين، وتايلند و. . . . . فاختلط اليابانيون بالمسلمين، ورجع عدد من اليابانيين مسلمين.

وفرّ عدد من المسلمين من الصين إلى اليابان بعد قيام الحكم الشيوعى في

الصين. كما وصل عدد من الدعاة الهنود والباكستانيين إلى اليابان، وكل هذا كان له الأثر إلا أن الأثر الأكبر كان لليابانيين أنفسهم إذ نشطوا بالعمل، ويقدر عدد المسلمين اليوم بحوالي عشرين ألفاً فقط، ولهم عدد من الجمعيات الاسلامية.

١٢ ــ كوريا

لم يصل الإسلام إلى كوريا إلا في الآونة الأخيرة يوم انقسمت الى قسمين وقامت الحرب بينهما عام ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م)، ووصلت قوات دولة لدعم كوريا الجنوبية، وكان من بين هذه القوات فرقة تركية، وكان إمامها الشيخ عبدالرحمن الذي استطاع أن ينشر الإسلام بين أفراد قلائل من السكان هم طلائع المسلمين هناك.

يقدر عدد المسلمين اليوم في كوريا بخمسة آلاف مسلم يتجمع أكثرهم في مدينة (سيول) العاصمة، ولهم مسجد وسط المدينة، كما ينظمهم اتحاد المسلمين في كوريا، وتصدر مجلة باسمهم تحمل اسم صوت الإسلام. والعدد هذا خمسة آلاف لايعادل أية نسبة إذ يبلغ سكان كوريا الجنوبية أكثر من خمسة وثلاثين مليوناً، ويعيشون على أرض مساحتها مائة ألف كيلو متر مربع.

أما كوريا الشمالية فتبلغ مساحتها ١٢٢ ألف كم٢، وتكاد تخلو من أي أثر للإسلام فإضافة إلى أن المسلمين لم يصلوا إليها من قبل، فإن عقيدتها لاتسمح بوجود أي دين.

١٣ ــ المسلمون في الامبراطورية الروسية

مقدمـــة :

أقول الامبراطورية الروسية سواء أكان ذلك في عهد قياصرتها أم في عهد شيوعيتها، وذلك لأن شعباً واحداً، وهو الروسي، يستذل شعوباً كثيرةً، ويسيطر

على أرضها، ويستغلها بشرياً واقتصادياً، ولما كانت روسيا تحكم أجزاء واسعة من آسيا لذا فإننا سندرس المسلمين في الامبراطورية الروسية، والروس شعب من السلاف (الصقالبة) يعيش في شرقي أوربا، وهو ثلاث شعب: الروس الكبار، ويعيشون حول موسكو، ويكفي إطلاق كلمة روس عليهم، والروس البيض، ويقطنون إلى الغرب، وعاصمتهم (منسك)، والاوكرانيون في الجنوب، وعاصمتهم (كييف). وجميعهم يدينون بالنصرانية على المذهب الأرثوذكسي.

ويتجمع المسلمون في الامبراطورية الروسية في ست مناطق رئيسية:

١ ـ أذربيجان.
٢ ـ آسيا الوسطى (تركستان الغربية).
٣ ـ بلاد القازاق (قازاقستان).
٤ ـ شمال القوقاز.
٥ ـ حوض الفولغا.
٦ ـ وأخيرا منطقة القرم التي أبعد أهلها عنها، وأقام مكانهم الروس.

لمحة تاريخية (انتشار الإسلام):

دخل المسلمون فاتحين عام ١٧هـ منطقة أذربيجان، وعام ٢١ بلاد الداغستان وذلك في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وفتحوا مدينة باب الأبواب (دربنت) من بلاد الداغستان أيام الخليفة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، ولم يتوغلوا شمالها لمقاومة الخزر لهم، وانتشر الإسلام بين سكان هاتين المنطقتين (أذربيجان وداغستان) ولم ينتصف القرن الأول الهجري، وبقيت أقليات صغيرة جداً من النصارى واليهود عاشت في ظل الحكم الإسلامي، ثم اختفوا نهائيا بطردهم في القرن الخامس لأنهم كانون يحرّكون الفتن باستمرار، حتى بدا أن هذه البلاد لن تستقر إلا بزوال هذه الأقليات. كما لم يتوغل المسلمون إلى الغرب، في جورجيا وأرمينيا، لوعورة المنطقة، وإن دانت لهم بعض أجزائها، واعتنق الإسلام بعض أبنائها.

وفتح المسلمون بلاد ما وراء النهر (آسيا الوسطى) عام ٩٢هـ أيام الوليد عبدالملك الأموي على يد القائد قتيبة بن مسلم الباهلي، وساد الإسلام بين

السكان منذ القرن الثالث، وزالت الأديان السابقة نهائياً من بوذية، وزراد شتيه، ومانوية، ونساطرة نصارى، وأصبحت مدن هذه المنطقة من المراكز الإسلامية الأكثر شهرة في العالم الإسلامي مثل بخارى، ونسف، وترمذ، وبيهق، ومرو، ونسا، وأبيورد.

وفي المراحل التالية انتشر الإسلام من آسيا الوسطى في سهوب القازاق، وسيبيريا، وقيرغيزيا، نتيجة انطلاق الدعاة والاحتكاك المباشر بين المسلمين وجيرانهم.

أما في حوض الفولغا فقد انتشر الإسلام عن طريق التجارة في بداية الأمر، ثم عن طريق الدعوة، إذ دخل الإسلام إلى مملكة بلغار التي كانت قائمة على المجرى الأوسط لنهر الفولغا، وكانت حاضرتها بلغار بالقرب من موقع قازان الحالية، وذلك في نهاية القرن الثالث إذ وصل إليها التجار الذين يتأجرون بالفراء مع أصقال الشمال، وعن طريقهم أسلمت جماعة من البلغار، فطلبت من الخليفة العباسي في بغداد أن يرسل له من يفقههم في الدين، فبعث لهم قائده أحمد بن عباس والمعروف بـ (ابن فضلان).

وغزا المغول بقيادة جنكيز خان آسيا الوسطى، وكان جيشه يضم أعداداً من البوذيين والنساطرة النصارى، وبتحريض من الصليبيين الذين فشلوا في حروبهم. وتمكّن جنكيز خان من الانتصار على جيش خوارزم، وقتل من جيشها مائة وستين ألفاً، ثم دخل مدينة بخارى، وأحرقها، ونهب وسبى ماشاء له طغيانه، ثم تقدّم نحو الغرب فقاومته نيسابور، فكان جزاء أهلها القتل، وتابع سيره غرباً فدخل أوربا واحتل بلاد الروس، وهلك، فخلفه ابنه (اوجتاي) الذي غزا الصين، ثم عاد فاتجه غربا فدخل روسيا وجعلها ولاية تتارية عام ٦٣٣هـ. كما استولى على المجر والبولندة، إلّا أن المغول انسحبوا من بعض مناطق أوربا عندما حدث بينهم خلاف على الحكم بعد (كيوك بن اوجتاي).

قسّم جنكيز خان امبراطوريته الواسعة قبل أن يموت بين أولاده، فكان نصيب ابنه الكبير (جوجي) القسم الغربي، ويضم روسيا وبولندة، وأعطى ابنه الثاني (جغطاي) آسيا الوسطى، وكانت الصين لابنه (اوجتاي)، وهو ولي العهد، وأعطى فارس لولده (تولوي)، فأسس كل واحدٍ من هؤلاء الأبناء أسرة حكمت

المنطقة التي كانت من نصيبه. وقد أسس (أباتو بن جوجي) القبيلة الذهبية التي لم تلبث أن اعتنقت الإسلام، حيث أسم خانها (بركة خان) (٦٥٤ـ٦٥٥ هـ)، وذلك قبل سقوط بغداد والقضاء على الدولة العباسية على يد هولاكو، وساعد بركة خان المسلم المماليك المسلمين حكام مصر يومذاك في قتالهم المغول المتقدمين نحو الغرب بقيادة هولاكو. وبعد مدة غزا المغول التتار مسلمين، واستقروا في المناطق التي دخلوها، وهذا ماجعل الأجزاء التي يحكمونها مسلمةً، وتشمل حوض الفولغا، وسهوب أوكرانيا، وشبه جزيرة القرم، وأجزاء من المناطق الوسطى، وجزراً متفرقةً في بولندة، والمجر، وليتوانيا، وبقاعاً على سواحل بحر البلطيق في فنلندة، وفي موقع (لينغراد) اليوم.

وبدأ أمر المغول يضعف بعد مدة في الوقت الذي أصبح أمر الروس يقوى حيث بدءوا يجمعون أنفسهم حول بعض أمرائهم، وخاصة حول أمير (موسكو)، وأمير (كييف).

نظر الروس إلى هؤلاء المغول من التتار على أنهم أعداء لهم بصفتهم حكام بلادهم، فيريدون أن يحلّوا محلهم، ويحكموا أرضهم. ونظروا إلى العثمانين الترك في جنوبهم على أنهم أعداء لهم لأنهم فتحوا القسطنطينية، واتخذوها حاضرة لهم وأصبحت تحمل اسم استانبول وتعني مدينة الإسلام، وغدا ضمن بلاد المسلمين، وكانت من قبل مركز الأرثوذكس، والروس من النصارى الأرثوذكس. فاتخذ الروس من أنفسهم خلفاء للبيزنطيين، ومن عاصمتهم موسكو مقراً للكنيسة الأرثوذكسية عوضاً عن القسطنطينية. كما نظر الروس إلى التتار والعثمانيين على أنهم إخوة مادامو جميعاً يدينون بالإسلام، وماداموا يعودون إلى أرومةٍ واحدة، وانصب عداؤهم على الإسلام بدافع حقدهم الصليبي، والمسلمون يحكمونهم، وسلبوا منهم كذلك القسطنطينية ـ على حد زعمهم ـ. هذه النظرة لم تزل، وهذه السياسة لم تتغير، والروس سواء أكانوا من القياصرة أم من الشيوعيين. فهم يرون من الضروري الانتقام من التتار واحتلال أراضيهم في شرق روسيا بحجة إيجاد مجال طبيعي لهجرة السكان الذين يزدحمون في القسم الغربي والأوسط حول موسكو، في حين تفتقر بلاد التتار إلى السكان، وبعد الاحتلال يندفعون نحو الشرق في سيبيريا بالحجة نفسها. كما يرى الروس أنه من الضروري الانتقام

من العثمانيين والسيطرة على استانبول وإعادتها مركز المذهب الأرثوذكسي بحجة محاولة الوصول الى المياه الدافئة، ولقد سكتت الدول الأوربية الأخرى عن هذه الأعمال من باب محاربة الإسلام والحقد عليه، ولكي تندفع روسيا نحو الشرق بدلاً من أن تتجه نحو الغرب، وتشتغل في حروب مع أوربا الغربية، أو تتجه نحو استعمار أجزاء أخرى تهم الدول الاستعمارية الكبرى، لذا فإن انكلترا وفرنسا قد شجعتا روسيا في الاندفاع نحو الشرق كي لاتنافسهما في المستعمرات على حين وقفتا في وجه الروس من أن يحتلوا استانبول لاحرصاً على المدينة، ولا حباً في العثمانيين، ولكن تجنباً من أن تنزل روسيا إلى المياه الدافئة، وتصبح المضائق بيدها (البوسفور والدردنيل)، وتدخل مجال المنافسة الاستعمارية، وفي الوقت نفسه فإن اندفاع الروس نحو الشرق إنما هو تحرك بأرض المسلمين، وإضعاف لهم، وهذا مايجعلهم يتجهون نحو الشمال بدلاً من أن يتجهوا نحو الأماكن الأخرى التي يتسلل إليها الصليبيون الأخرون من أوربا الغربية، ويعملون فتكاً بالمسلمين، ويحتلون بلادهم.

أما شمال القوقاز فلم ينتشر الإسلام إلا في الداغستان التي فتحت منذ صدر الإسلام وذلك حتى القرن الخامس حيث دخلت قبائل (النوغاي) التركية إلى المنطقة، وبدأت تعمل على نشر الإسلام بين قبائل القبرطاي، والكاراتشاي، والبلكار، والشركس، حتى جاء دور العثمانيين وخانات القرم فنشروا الإسلام في الوقت الذي كان فيه الروس يحاولون التدخل في شؤون المنطقة. وهكذا فقد انتشر الإسلام في البلاد الإسلامية الواقعة اليوم تحت السيطرة على الشكل التالي:
أيام الراشدين دخل الإسلام الى أذربيجان وداغستان.
وأيام الأموين دخل الإسلام إلى بلاد ماوراء النهر (آسيا الوسطى).
وأيام العباسيين دخل الإسلام إلى حوض الفولغا، ثم إسلام التتار الذين استقروا في المناطق التي دخلوها ومنهاحوض الفولغا وشبه جزيرة القرم، والرقع الصغيرة المبعثرة في أوربا الشرقية.
وأيام العثمانيين انتشر الإسلام في شمال القوقاز قدمت إليه قبائل (النوغاي).

الاستعمار الروسي:

تجمّع الروس حول أمير موسكو، وأمير كييف وبدأوا بعد أن قوي أمرهم بقتال

المسلمين التتار، وأثار همتهم فتح العثمانيين للقسطنطينية، وقامت الحروب الصليبية في شرق أوربا، وفي عهد (إيفان الثالث ٨٦٧-٩١١ هـ) بدأ التمرد على التتار، وفي عهد (ايفان الرابع) الذي سمي بالرهيب لما قتل من المسلمين، غزا المناطق الإسلامية فتوسعت دولته إذ دخل قازان عام ٩٦٠ هـ (١٥٥٢ م)، وأوفا ٩٦٣ هـ (١٥٥٥ م)، واستراخان (الحاج طرخان) عام ٩٦٤ هـ (١٥٥٦ م)، بلاد الأدمورت ٩٦٨ هـ (١٥٦٠ م)، وهكذا لم يبق من الأجزاء الإسلامية في أوربا الشرقية إلا خانية شبه جزيرة القرم التي حكمتها خانات منها، فوقفت في وجه الروس، وانتصرت عليهم في كثير من الوقائع، كما وقف العثمانيون بجانبهم أيضاً وبكل قوة، واستطاعوا وخانات القرم نشر الإسلام بين القبائل الشركسية، وفي بلاد الابخاز بشكل خاص، كما امكّن العثمانيون بفضل قوتهم العسكرية أن يوقفوا نشر النصرانية في القوقاز بعد أن وصل الروس إليها في مطلع القرن الحادي عشر، وبنوا الكنائي في بلاد البلكار، ولكن لم تضم سنوات حتى غدت بلاد البكار مسلمة، ومنها بدأ الإسلام ينتشر في بلاد القوشحة (الأوستين)، كما عمّ الإسلام في هذا الوقت منطقة غوريا (آجاريا).

وفي مطلع القرن الحادي عشر ضم الروس إليهم منطقة، (سيبيريا) الغربية، فقد دخلوا عاصمتها مدينة (سيبير) الواقعة على نهر أوبي عام ٩٨٨ هـ (١٥٧٩ م)، وقد كان يحكمها (كوتشم خان) أحد أفراد القبيلة الذهبية، ولكن استمر وصول الدعاة وخاصة من مدينة بخارى إلى هذه المناطق، ونشروا الإسلام بين قبائل التتار الذين يقطنون منطقة (باريا)، ولم يأت القرن الثالث عشر الهجري إلا وأصبحت المنطقة مسلمة.

وبعد أن ضمت روسيا إليها سيبيريا الغربية في القرن الحادي عشر الهجري تقدمت وفرضت حمايتها على بلاد القازاق، والتي بقيت السلطة فيها بيد أربعة خانات، ثم عادت فاستولت على البلاد كلها، وأسقطت حكم الخانات من عام ١٢٣٨-١٢٥٨ هـ (١٨٢٣-١٨٤٢ م).

ودخلت روسيا أذربيجان في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري، ثم اضطرت إلى إخلائها نتيجة المقاومة الني وجدتها والتي استفادت من وعورة المنطقة، لكنها عادت فاستولت عليها في بداية القرن الثالث عشر الهجري.

أما بالنسبة إلى شمال القوقاز فقد استمر الصراع بين العثمانيين والروس لمد النفوذ إلى المنطقة مدةً من الزمن، ثم بدأ الاستعمار الروسي للمنطقة من ١١٩٨ ـ ١٢٩٥هـ (١٧٨٣ ـ ١٨٧٧م)، وقد قاومة الداغستان بقوة عنيفة، قادها المشايخ الذين شكلوا حكومة سيطرت على أجزاء واسعة من المنطقة واستمرت من ١٢٤١ ـ ١٢٧٨هـ (١٨٢٦ ـ ١٨٦١م)، ومن أشهر هؤلاء المشايخ الشيخ شامل، ومع هزيمة السكان وانهاء الحرب بصورة رسمية عام ١٢٧٨هـ (١٨٦١م) فإن المقاومة قد استمرت حتى عام ١٢٩٥هـ (١٨٧٧م).

ولما انتهى الروس من حروب شمال القوقاز التفت الروس إلى آسيا الوسطى (تركستان)، كي يقطعوا أية نجدات يمكن أن تأتي إلى الداغستانيين من بلاد المسلمين، ولكي يوسعوا مناطق نفوذهم، ففي عام ١٢٧٢هـ (١٨٥٥م)، استولى الـروس على تشمقنـد، وعلى طاشقند عام ١٢٨٢هـ وفرضوا الحماية على إمارة بخـارى عام ١٢٩٠هـ (١٨٧٢م)، وعـلى إمام خيوه (خوارزم) عام ١٢٩١هـ (١٨٧٣م)، وتقدموا نحو خوقند ١٢٩٢هـ (١٨٧٤م)، فوجدوا مقاومة عنيفة، فأزيلت خوقنـد من مكانها، واحتلوا بلاد التركمان ١٢٩٠ـ١٣٠٢هـ (١٨٧٢ ـ ١٨٨٥م) ووصلوا إلى هضبة بامير عام ١٣١٨هـ (١٩٠٠ م).

أما بالنسبة إلى شبه جزيرة القرم فقد استولت روسيا على مدينة ازوف عام ١١٨٨هـ (١٧٧٣م)، ورفعت السيادة العثمانية عن خانة القرم، ووضعت يدها على بعض الحصون وذلك إثر توقيع معاهدة (قينارجة) في ذلك العام، ولكنها لم تلبث أن عادت فنقضت المعاهدة واحتلت المنطقة ١١٩١هـ (١٧٧٦م)، ثم ألغت خانة تتار القرم عام ١١٩٨هـ (١٧٨٣م)، وضمتها إلى بلاد الروس.

وهكذا كان استعمار الروس للمناطق الإسلامية على النحو التالي:

١ ــ حوض الفولغا. ٩٦٠ ـ ٩٦٨ هـ .
٢ ــ القرم. ١١٨٨ ـ ١١٩٨ هـ .
٣ ــ شمال القوقاز. ١١٩٨ ـ ١٢٧٨ هـ .
٤ ــ أذربيجان. ١٢٠١ ـ ١٢٠٧ هـ .
٥ ــ قازقستان. ١٢٣٨ ـ ١٢٥٨ هـ .
٦ ــ آسيا الوسطى. ١٢٧٢ ـ ١٣١٨هـ .

توزيع المسلمين اليوم:

ولكن معـاملة الروس للمسلمين اختلفت بين جزء وثان، كما اختلفت بين قيصر وآخر، كما أن ردود فعل المسلمين تباينت بين منطقة ومنطقة، وكان تطور المسلمين مختلفاً حتى وصلوا إلى ماهم عليه الآن.

أولاً ـ بلاد التتار :

بعد أن احتل الروس بلاد التتار في حوض الفولغا استولوا على الأراضي الخصبة على طول مجاري الأنهار، وشيدوا القـلاع، وهـدّمـوا المساجد، وحاولوا تنصير المسلمين بحجة التحويل إلى السلاف، وكي يكون المواطنون سلافاً لابدّ من أن يكونوا جميعاً نصارى أرثوذكس، وعندها تتحقق الوحدة الوطنية ـ حسب زعمهم ـ وقد رفض المسلمون هذه الاجراءات مع استثناءات قليلةٍ. وفي أيام القيصرة حنا ١١٤٣-١١٥٣هـ (١٧٣٠-١٧٤٠م) أقفلت كل المساجد في بلاد التتار في مجرى نهر الفـولغـا الأوسط، وألغيت الصفـة الـدينية عن الأوقـاف الإسلامية المخصصة للتعليم والإحسان، ونقلت ملكيتها إلى الدولة، وطرد المسلمون من قراهم، وفرضت الضرائب الباهظة عليهم، وصدر أمر يقضي بالحكم بالموت على كل من يمارس دعوة دينية. وأعلن عن إعفاء التتار الذين يقبلون النصرانية من الضرائب، ومن الخـدمة العسكرية الإلزامية. وكانت محاولات لهضم المسلمين بالقوة، وصهرهم في بوتقة المجتمع الروسي النصراني الأرثوذكسي، وقد دعا هذا إلى قيام بعض الثورات والتي كان من أهمها ثورة الباشكير، ولكنها أخمدت في منتهي القسـوة، وهُجّـر المسلمـون من قراهم، وحـلّ محلهم الـروس، ودكّت المساجد، وهدمت مراكز العلم ومنع التتار من العمل في التجارة. وتحت الضغط الشديد، وفي سبيل الوصول إلى بعض الحقوق الرئيسية، ومن أجل تأمين بعض المصالح اليومية، أو تسلم بعض الأعمال الضرورية، بل حتى من أجل الحصول على لقمة العيش أحياناً، وتأمين التعليم في المدارس في كثير من الأحيان، كانت جماعات قليلة توافق الانتساب إلى النصرانية الأرثوذكسية، وتتم عملية التعميد.

وعندما تولت الحكم القيصرة كاترين الثانية في روسيا عام ١١٦٧-١٢١١هـ (١٧٥١-١٧٩٦م) وجدت أن حروبها مع الدولة العثمانية بالدرجة الأولى، وأن الضغط على المسلمين في بلادها يجعلهم يتحركون لمصلحة العثمانيين لذا فمن

الضرورة بمكان تخفيف هذا الضغط، فأعلنت عام ١١٧٨هـ (١٧٦٥م) التساهل الديني، وسمحت عام ١١٨١هـ (١٧٦٨م) للتتار بالعودة إلى قازان بعد أن كانوا قد طردوا منها، ورفعت الخطر عن عملهم في التجارة، ونادت بالحرية الدينية عام ١١٨٧هـ (١٧٧٤م)، والحق في بناء المساجد، وتشييد المدارس القرآنية، وسمحت بتأسيس المجمع الإسلامي في أورنبرغ عام ١١٩٧هـ (١٧٨٢م)، فنشط لهذا التتار في الدعوة إلى الإسلام فانتشر في باشكيريا التي كانت لاتزال فيها بعض الجزر الوثنية، وفي سيبيريا الغربية، وفي سهوب القوزاق.

وبعد كاترين الثانية عاد الضغط على التتار المسلمين فقامت ردود فعل وانتقاضات بين التتار والباشكير (فتنة بوغاتشيف)، وإن الضغط على العنصر التتاري قد جعل مفهوم الدين يمتزج مع مفهوم العنصرية التتارية، واستمر هذا الضغط حتى عام ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م) حيث أعطيت الحرية الدينية إذ ظنّ الروس أن أمر الإسلام قد انتهى، وما إن منحت الحرية الدينية حتى اعتنقت الإسلام إحدى وتسعين أسرة عام ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م)، وأسلم ثلاثة وخمسون ألفاً آخرون في العام نفسه، وأن قبيلة (الفوتياك) قد انتشر الإسلام بين أبنائها على الرغم من أن معظمهم كان قد عمد، وأن قبيلة (الشيريمس) وهي مثل قبيلة (الفوتياك) من قبائل (القن) قد أسم القسم الأعظم منها على الرغم من أن كثيرين منهم كانوا نصارى اسماً، وقد دخلت قراهم جميعها الإسلام بسبب اتصالهم بالتتار والباشكير الذين كانت عادتهم متشابهة إلى حدٍ ما، وأما قبائل (الجوفاش) الذي بلغ عددهم المليون آنذاك، وكانوا قد عمدوا جميعاً فإن الاسلام قد انتشر بينهم حتى عم، وارتفعت المآذن في قرى هذه القبائل.

وإن كثيراً من القبائل الوثنية ماكان دخولها في النصرانية إلا تغطية لدخولها في الإسلام. وأمام هذا التحول السريع نحو الإسلام خافت الحكومة الروسية على أتباعها من الذين كانت تريد أن تدخلهم في عقيدتها لذلك أقامت الجمعيات الدينية لحماية دينها، وفرضت اللغة الروسية، ولكن هذا لم يفدها شيئاً إذ قام التتار في هذه المدة بنشاط كبيرٍ بالدعوة إلى دينهم سواء في منطقة (الأورال) أم في شبه جزيرة القرم. وعادت روسيا فألغت الحرية الدينية، ولكن لم تلبث أن اندلعت نار الحرب العالمية الأولى.

كانت العربية، والفارسية، ولغة تتار قازان هي اللغات السائدة والمستعملة في الكتابة والأدب، وهي خاصة بالمتعلمين، ثم ظهرت الدعوة إلى إيجاد لغة تكون في متناول الجميع، وكانت أذربيجان وبلاد التتار هي مركز هذه الدعوة بالنسبة إلى جميع المسلمين الذين يعيشون في الامبراطورية الروسية، ودعا (إسماعيل غسبرالي) إلى لغة تركية تكتب بأحرف كيريلية (روسية)، وأسس جريدة الترجمان التي استمرت تصدر من ١٣٠١-١٣٣٢ هـ (١٨٨٣-١٩١٤ م) بهذه اللغة في مدينة (باغجة سراي) قاعدة بلاد القرم، وغدت قازان، وأوفا، وأورنبرغ، وباكو، وباغجة سراي، وترويتيسك آنذاك أهم المراكز الثقافية ولاتقل عن استانبول، ودمشق، والقاهرة يومذاك.

وقبل عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) كانت هناك محاولات في بلاد التتار لإظهار الإخلاص للروس، والتعاون الدائم بين روسيا والعالم الإسلامي، ويرى أصحاب هذه المحاولات أنها ليست إلا في صالح الإسلام - حسب قناعة بعض الزعماء - إلا أن هزيمة روسيا أمام اليابان في ذلك العام، وإعطاء الحرية الدينية قد شجع التتار على محاولة الأخذ بالثأر وبدأ العمل لذلك بجديةٍ، فعقد في صيف ذلك العام مؤتمر سري إسلامي في (نيجني نوفغورد) حضره مائتا مندوب تتاري، وكانت نتيجة مطالبة الروس بالمساواة، والحقوق الشخصية، كما عمل الحضور على اتفاق المسلمين الذين يقطنون في أرجاء الامبراطورية الروسية بعضهم مع بعض.

وفي ١٨ ذي القعدة من عام ١٣٢٣هـ عقد مؤتمر ثان في (بطرسبرغ)، وكان سرياً أيضاً، وحضره مائة مندوب تتاري، وقرمي وقفقاسي، وقازاقي، وعدد قليل من تركستان تقرر فيه تقديم المساعدة لحزب الدستوريين الديمقراطيين.

وفي مطلع شهر رجب من عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦م) عقد مؤتمر ثالث بشكل رسمي وعلني - مادامت الحرية الدينية قد أعطيت - في (نيجني نوفغورد)، وحضره مائتا مندوب، وتقرر فيه المطالبة بالحرية الدينية التامة، وحرية التعليم، وحاول المندوبون تحويل اتفاق المسلمين الى حزب سياسي اسلامي. إلا أن وحدة المسلمين قد عراها الانفصام بسبب الانقسام السياسي بين صفوف الحاضرين.

حاول المسلمون التعاون مع المنادين بالحرية في روسيا والذين كان يمثلهم حزب الدستوريين الديمقراطيين، إلا أن هؤلاء لم يكونوا صادقين مع المسلمين

فهم نصارى قبل كل شيء ومن الروس ثانياً، فكان كل طلب يقدمه المسلمون إلى الدوما (مجلس ممثلي الشعب في روسيا) يفشل لعدم دعم هذا الحزب لطلب المسلمين، لذا فقد فشل هذا التعاون، وحلّ أنصار هذا التفاهم من المسلمين أنفسهم، وهاجر عدد من القيادات إلى تركيا وإلى جهات ثانية، وتركوا قيادة العمل للشباب الذين هم أكثر حماسة وأشد عداء للروس.

ولما كان التتار قد مضى عليهم مدة طويلة تحت سيطرة الروس وضغطهم لذا فقد ضعفت الروح الإسلامية شيئاً ما، وأصبح الإسلام جزءاً من تتاريتهم التي ارتبطوا بها، ولما كان حزب الدستوريين الديمقراطيين قد خذلهم لذا فقد أرادوا الانتقام منه، ورغبوا في الانضمام إلى خصومه، واندفعوا للثورة والدعوة إلى التغيرات الجذرية في روسيا، واستفاد البلشفيك (الماركسيون) من هذا الحماس، ونادوا بالأممية، لذلك ظهرت عند شباب التتار نزعة نحو الماركسية.

تأسس في قازان عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) حزب برك (الوحدة)، وكانت له نزعة ماركسية. وتأسس في العام نفسه حزب (محاربو نجمة الصبح) «تانغشيلار» في مدينة قازان أيضاً إلا أن رجال الأمن قد فرقوا زعماء هذا الحزب عام١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م)، وأنهاه رجال الشرطة في العام نفسه. وقام في أورنبرغ حزب «محاربو الأورال» (أورالتشيلار) في نهاية عام ١٣٢٤ هـ (١٩٠٩ م)، ويدعو إلى محاربة القوميات، ويميل إلى النزعة الماركسية، ويخفي معاداته للدين.

عقد المسلمون مؤتمراً كبيراً في موسكو في شهر رجب من عام ١٣٣٥ هـ (١٩٠٧ م)، حضره تسعمائة عضو من كل الأقاليم الإسلامية في الامبراطورية الروسية، وظهرت في المؤتمر أفكار تحاول التوفيق بين الإسلام والاشتراكية رغم السمة البارزة في التشديد على الملة الإسلامية. واختلف الأعضاء على بعض النقاط فالتتار يرون الاستقلال الذاتي ضمن دولة روسيا، ويرى التركستانيون والأذربيجانيون ضرورة اتحاد المسلمين والانفصال عن الروس، ونتج عن المؤتمر تشكيل:

١ ـ إدارة مركزية لتنسيق شؤون الأمة الإسلامية.
٢ ـ مجلس إسلامي مركزي (ملي شورى)
٣ ـ لجنة اسلامية تنفيذية.

وفي شهر رمضان من العام نفسه عقد في قازان مؤتمر حضره التتار فقط من قازان، وباشكيريا، والقرم ولم يتمكن غيرهم من حضوره، وتقرر فيه فكرة اتحاد المسلمين، وأعلن عن وحدة مسلمي روسيا ثقافياً وسياسياً، وعززت الإدارة الإسلامية المركزية بإنشاء مجلس حزبي (حزبي شورى) مقره قازان، وكان شديد الحرص على الوحدة الإسلامية.

بدأ المجلس بتجنيد المسلمين تحت قيادة ضباط من التتار والباشكير، وأنشأ المجلس إدارة ملية مركزها مدينة (أوفا) كلفت بالإعداد لعقد مجلس ملي في أوفا في ٤ صفر عام ١٣٣٦هـ (١٩١٧ م) لبحث مصير الأمة الإسلامية في الإمبراطورية الروسية، إلا أن الثورة الشيوعية قد قامت في اليوم الأول من عام ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) أي قبل موعد عقد المؤتمر بحوالي الشهر الأمر الذي حال دون عقده.

واختلفت الحركات المحلية في أهدافها رغم وجود قاسم مشترك وهو الحصول على الحرية الجماعية، ومحاولة المحافظة على الأساس الديني للمجتمع الإسلامي، واختلفت بين الانفصال عن روسيا أو الاستقلال الذاتي ثقافياً وسياسياً داخل دولةٍ روسيةٍ اتحادية اشتراكية ليبرالية، وكان بعضهم يعد الإسلام أساساً للعمل مثل الداغستان، أو التحرك في مرونة مثل التركستان، على حين يرى الآخرون العلمانية دون الرغبة في هدم الكيان الإسلامي - حسب قناعتهم مع أنهم يعملون على هدمه دون علم أو دراية.

قامت الثورة الشيوعية في ١ محرم ١٣٣٦ هـ (١٦ تشرين أول ١٩١٧ م)، ووجد المسلمون فرصة للاستقلال نتيجة الفوضى التي عمت، ولكن الحركات الإسلامية كانت محلية، وتشكلت عدة حكومات في وقت واحد فضاعت الجهود، وتشتت القوى، فقد شكل (الباشكير) حكومة محلية في (أورنبورغ) في ربيع الأول عام ١٣٣٦ إلا أن الجيش الأحمر البلشفي لم يلبث أن احتل (أورنبورغ)، واعتقل الذين تعاونوا مع خصوم القوزاق، وذلك بعد شهر فقط من قيام حكومة (الباشكير)، وبعد شهرين آخرين تمكن القوزاق من النصر على البلشفيك، وألف (زكي والدي طوقان) حكومة باشكيريا ثانية في مدينة (أوفا)، وأطلق عليها اسم حكومة روسيا الموقتة، ولم تعمر سوى سبعة أشهر إذ عاد الروس البيض،

والمانشفيك، ودعوا إلى حكومة روسية موحدة تعادي البلشفيك فحلوا لذلك حكومة (أوفا) الباشكيرية، وصفوا الفرق الباشكيرية التي كانت بجانبهم بالأمس، وهذا مادعا (زكي والدي طوقان) إلى أن يتجه نحو البلشفيك، ويلتقي بـ (لينين) الـذي أعلن عن حرية القـوميات مستفيداً من الـوقت ومن الصراع، والتحق البـاشكـير بالجيش الأحمـر في مطلع شهـر رجب عام ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م)، وعندماانتصر الجيش الأحمر، وعادت القوة إلى البلشفيك ضربوا بوعودهم عرض الحائط واضطر أن يفر (زكي والدي طوقان) إلى آسيا الوسطى بعد أن خذله النصارى الروس سواء أكانوا من البلشفيك أم من المانشفيك فالجميع نصارى ونظرتهم إلى المسلمين واحدة، وهي نظرة حقد دفين بغض النظر عن الأفكار التي ينادون بها سواء أكانت دينية أم إلحادية.

وفي نهاية شهر ربيع الآخر من عام ١٣٣٦هـ أعلن عن قيام جمهورية (ترالسن بولاق) (ضـاحية من ضواحى قازان) ذات الحكم الـذاتي، وهي ضد حكومة سوفييت مدينة قازان.

وفي شهر رجب قطع اليساريون التتار صلتهم بالحركة القومية التتارية، وأسسوا في مدينة قازان اللجنة الاشتراكية المسلمة التي مدت فروعها إلى مدن المجرى الأوسط لنهر الفولغا، وجبال أورال، وكان رئيسا هذه اللجنة (مير سعيد سلطان غالييف)، و (ملانور فاختيوف)، وقد كانا ذي خط سياسي ماركسي مع بقائهما من دعاة الوحدة الإسلامية الثورية، ولم يكونا يثقان أبداً بالاستعمار الروسي، كما يرفضـان الكفـر الذي يعلنه البلشفيك، ويرفضان كذلك التخلي عن الإسلام كقاعدة يقوم عليها المجتمع، أو بالأحرى لم يفهما الاسلام، ولم ينظرا الشيوعية إلا من جانب معين، ويتصوران إمكانية ترقيع الإسلام بالفكر الماركسي، أو ترقيع الماركسية بالإسلام، ثم أصبحا رئيسي الشيوعية القومية الإسلامية.

وعندما اندلعت الثورة الشيوعية أعلن قادتها الحرية الدينية مبدئياً كي يضمنوا سكوت الشعوب الإسلامية، وعدم قيامها في وجههم، وليظن المسلمون أن الأمر أفضل مما كان عليه، فيحصلوا على بعض التأييد، وقد وزع لينين آنذاك منشورا جاء فيه «لقد قمنا لننصف المسلمين من شعبنا والذين طال عليهم الظلم ولنعلم مدى الاضطهاد الذي كان يحيق بالمسلمين يكفى أن نقول: إن الحرية المكذوبة

التي أعـطيت للمسلمـين مؤقتـاً قد أعـادت سكان مائة قرية بجوار قازان إلى الاسلام، كانت قد حملت الحكومة القيصرية على النصرانية قسراً منذ مائتي عام، وحولت مساجدهم إلى كنائس، وأرسلت إليهم القساوسة، وكانوا لايزالون في حقيقـة أمـرهم مسلمين، ولكن لم يتمكنوا من إظهار الإسلام إلا بعد سقوط الحكـومة القيصرية، إذ لم يصدقوا الحرية التي أعطتها قبل ثلاث عشرة سنة، فلمازالت عادوا إلى الإسلام، وأعادوا مساجدهم إلى أصولها، ولكن ماهي إلا غمامة صيف وانقشعت حتى ظهر الشيوعيون على حقيقتهم، وكشروا عن أنيابهم، فما أن سيطر الجيش الأحمر سيطرة تامة، واطمأن الشيوعيون على وضعهم حتى بدأت أعمال السلب والنهب تحت اسم مصادرة المحاصيل الزراعية، والثروات الحيوانية، والخيرات تطبيقاً للنظام الجديد للحكم. وحدث ماحدث من جرائم ومذابح فقد قتل في هذه الأحداث خمسة ملايين ونصف المليون من المسلمين، منهم مليون ونصف من العلماء وطلبة العلم، إضافةً إلى الذين فروا من أوطانهم والتجأوا إلى مناطق ثانية، كما شنت على المساجد حرب لاهوادة فيها فإن سبعمائة مسجد في بلاد التتار قد حولت إلى اسطبلات ونواد، واستمر الاضطهاد مدة ثماني عشرة سنـة وإن أخـذ شكـلاً أوسع وأشد حتى قامت الحرب العالمية الثانية. وقسمت البلاد إلى وحدات صغيرةٍ، وتلاعب الحكم في هذه التقسيمات بضم أجزاء أو فصل رقع، وإبقاء مجموعات من التتار خارج حدود هذه الوحدات، حتى استقر لهم الوضع بشكل يفرّق المسلمين، ويجزىء بلادهم، ويرضى عن الروس، وسنتحدث بعد قليل عن هذه الوحدات التي أطلق عليها اسم جمهوريات ذات حكم ذاتي وارتبطت كلها بموسكو.

قامت الحرب العالمية الثانية، ووقفت روسيا بجانب الحلفاء ضد دول المحور، وتقدمت الجيوش الألمانية في الأرض الروسية فخافت الحكومة الشيوعية من أولئك الـذين عاشوا ردحاً من الزمن في اضطهادٍ دائم تحت سيطرتها فأعلنت الحرية الدينية، وسمحت بإقامة الأبنية الدينية على نفقة أصحابها، وأنشأت أربع مراكز إدارية إسلامية تحت إشراف أربعة مفتين يقيمون في طاشقند، وباكو، وأوفا، وبونايسك، وفي الوقت نفسه أرسلت اكثر من مليوني روسي من سكاني المناطق التي اجتاحها الجيوش الألمانية الى البلاد الإسلامية الأخرى.

انتهت الحرب، وانتصر الحلفاء ومن بينهم الامبراطورية الروسية الشيوعية فعادت السياسة إلى أصولها في الظلم، والاضطهاد، والقتل الجماعي، والانتقام، وتهجير السكان، ولعل أشد أنواع الاضطهاد ماوقع في شبه جزيرة القرم.

وقبل أن نتحدث عن الجمهوريات ذات الاستقلال الذاتي، أو الوحدات الادارية في بلاد التتار وحوض نهر الفولغا نرى من المفيد سرد حكام روسيا القيصرية منذ نشأتها حتى قيام الثورة الشيوعية فيها:

أولاً - أدواق موسكو (الروس الكبار)

١ ــ ايفان الثالث (الكبير) ٨٦٧ - ٩١١ هـ

٢ ــ بازيل الثالث ٩١١ - ٩٤٠هـ.

٣ ــ ايفان الرابع (الرهيب) ٩٤٠ - ٩٥٤هـ.

ثم ضمّ إليه اوكرانيا وأصبح قيصراً على روسيا.

ثانياً - قياصرة روسيا

١ ــ ايفان الرابع (الرهيب) ٩٥٤ - ٩٩٢.هـ

٢ ــ تيودو الأول ٩٩٢ - ١٠٠٧ هـ .

٣ ــ بوريس كودرنوف ١٠٠٧ - ١٠١٤هـ .

وحدثت مدة من الاضطرابات دامت من ١٠١٤ - ١٠٢٢هـ حيث تسلمت أسرة رومانوف

ثالثاً : أسرة رومانوف

١ - ميخائيل ١٠٢٢ - ١٠٥٥ هـ .

٢ - الكسيس ١٠٥٥ - ١٠٨٧ هـ .

٣ - تيودور الثاني ١٠٨٧ - ١٠٩٤ هـ .

٤ - إيفان الخامس ١٠٩٤ - ١١٠١ هـ وحكم معه بطرس الكبير مدة من الزمن.

٥ - بطرس الكبير ١١٠١ - ١١٣٨ هـ .

٦ - كاترين الأولى ١١٣٨ - ١١٤٠ هـ .

٧ - بطرس الثاني ١١٤٠ - ١١٤٣ هـ .

٨ ـ حنا	١١٤٣ ـ ١١٥٣ هـ .
٩ ـ إيفان السادس	١١٥٣ ـ ١١٥٤ هـ .
١٠ ـ إليزابيت	١١٥٤ ـ ١١٧٦ هـ .
١١ ـ بطرس الثالث	١١٧٦ ـ ١١٧٦ هـ
١٢ ـ كاترين الثانية	١١٧٦ ـ ١٢١١ هـ .
١٣ ـ بول الأول	١٢١١ ـ ١٢١٥ هـ .
١٤ ـ اسكندر الأول	١٢١٥ ـ ١٢٤١ هـ .
١٥ ـ نيقولا الأول	١٢٤١ ـ ١٢٧٢ هـ .
١٦ ـ اسكندر الثاني	١٢٧٢ ـ ١٢٩٨ هـ .
١٧ ـ نيقولا الثاني	١٢٩٨ ـ ١٣٣٦ هـ .

الوحدات الإدارية في بلاد التتار

قسم الروس بلاد المسلمين في شرقي روسيا وجنوبيها إلى عددٍ من الوحدات الادارية في سبيل تفتيت المسلمين، وتجزئة أراضيهم، وتفرقة صفوفهم في الوقت الذي استوطن عدد كبير من الروس في هذه المناطق حتى شكلوا نسباً كبيرة تختلف بين وحدة وأخرى. وبين هذه الوحدات جمهوريات ذات استقلال ذاتي ترتبط كلها بموسكو، ومقاطعة واحدة ذات استقلال إداري وترتبط بكييف عاصمة أوكرانيا كما بقيت أعداد من المسلمين وخاصة من التتار خارج حدود هذه الوحدات.

١ ـ جمهوريا باشكيريا:

أول جمهورية ذات حكومة اندمجت بجمهورية روسيا الاتحادية، وتشكلت في شعبان عام ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م)، وكانت عاصمتها (سترليتا ماك) لأن مدينة (أوفا) بقيت بيد البيض إلى ذي القعدة من ذلك العام.

تبلغ مساحة جمهورية باشكيريا ١٣٤٫٥٠٠ كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها ٣٫٩٢٤٫٠٠٠ حسب إحصاء ١٣٩٩ هـ . ويتوزع سكان باشكيريا على المجموعات التالية:

٩٣٦٫٠٠٠	باشكير ويشكلون	٢٤٫٣٪ من السكان.
٩٤٠٫٠٠٠	تتار ويشكلون	٢٤٫٤٪ من السكان.

١٢٢،٠٠٠	جوفاش ويشكلون	٣٫٢٪ من السكان.
١٠٧،٠٠٠	ماري ويشكلون	٢٫٨٪ من السكان.
١٢١،٠٠٠	مجموعات أخرى ويشكلون	٣٫٠٪ من السكان.
٢،٢٢٦،٠٠٠	المجمـــوع	٥٧٫٧٪ ومعظم هؤلاء من المسلمين، وهذه النسبة هي نسبة المسلمين في باشكيريا.
١،٦٢٣،٠٠٠	روس	٤٠٫٣٪
٧٥،٠٠٠	أوكرانيون	٢٫٠٪
١،٦٩٨،٠٠٠	المجمـــوع	٤٢٫٣٪ وهم من النصارى الأرثوذكس.

ويبلغ عدد الباشكير (الباشغرد) في الامبراطورية الروسية ١،٣٧١،٠٠٠ نسمة منهم ٧٢٪ في جمهورية باشكيريا. والباقي موزعون. ويسكن الباشكير الريف عادة، وهم من أصل تتاري، ويتكلمون لغة تختلف اختلافاً بسيطا عن لغة تتار قازان. وفي مدينة (أوفا) عاصمة الجمهورية مركز إسلامي، وقد وجد منذ أيام كاترين الثانية، وأعيد عام ١٣٦١ هـ (١٩٤٠ م) أيام الحرب العالمية الثانية. وأوفا اليوم هي مركز الإدارة الإسلامية لروسيا الأوربية وسيبيريا. وارتدت جماعة من الباشكير في القرن الثاني عشر، وبدأوا يعودون إلى الإسلام، وبقي منهم عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٧ م) مايقرب من أربعة عشر ألفاً، ولم يبق منهم الآن أحد إلا وقد عاد إلى الإسلام.

٢ ــ جمهورية تتاريا :

تشكلت جمهورية تتاريا ذات الاستقلال الذاتي في رمضان عام ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م). وعاصمتها مدينة قازان التي يبلغ عدد سكانها ما يقرب من المليون. تبلغ مساحة الجمهورية ٦٨،٠٠٠ كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها ٣،٤٣٦،٠٠٠ حسب إحصاء ١٣٩٩ هـ .

ارتـدت جماعـة من التتار في نهاية القرن العاشر، وأخرى في مطلع القرن المـاضي، ولكن هؤلاء الاخيرين قد عادوا إلى الإسلام منذ أن أعطيت الحرية الـدينية عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م)، ولكن لايزالـون يقطنون وحدهم في قرى خاصة، ويطلق عليهم اسم «كرياشن».

حاول الروس دمج التتار، وتحويلهم إلى سلاف بتغيير عقيدتهم، وبذلوا في ذلك جهوداً كبيرة، فلم يفلحوا، وحافظ التتار عى إسلامهم، وتمسكوا بعنصرهم حتى ارتبط عندهم مفهوم الدين بمفهوم العنصرية.

يؤلف التتار والباشكير ٤٧٫٦٪ من سكان تتاريا، ويقدر عددهم ١٫٦٤١٫٦٠٠ نسمة، والباقي معظمه من الروس والأوكرانيين، إذ يحاول الروس ترويس هذه الجمهورية، ولاتزيد نسبة المسلمينفي تتاريا على ٥٥٪ لهذا السبب.

يقـدر عدد التتـار في الامـبراطورية الر وسية ٤٫٩٦٨٫٠٠٠ حسب إحصاء ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م)، يعيش أكثر من ربعهم في جمهـورية تتـاريا، والباقي موزعـون، بعضهم في حوض الفولغا مثل استراخان، ساراتوف، وبعضهم في جبـال الأورال مثـل تشليابنيسك، وبعضهم في أورنبرغ، ويعيش مايقرب من مليون منهم في جمهوريات آسيا الوسطى وأذربيجان. وفي موسكو ١٥٠٫٠٠٠، وفي لينبنغراد ٦٠٫٠٠٠، وفي سيبيريا ٢٠٠٫٠٠٠، ويطلق على الذين استقروا في بلاد الباشكير، عندما فروا من قازان يوم احتل الروس بلادهم عام ٩٦٠ هـ اسم التبتيار.

وذهبت أعـداد من التتـار خارج حدود الامبراطورية الروسية، واستقرت في أميركا الشمالية وخاصة في نيويورك وفي غيرها.

٣ ـ جمهوريا جوفاشيـا :

تبلغ مسـاحتهـا ١٨٫٣٠٠ كيلومـتر مربع، ويسكنها مليون ونصف المليون، ويتكلم الجوفاش لغة ليست من أصل تركي، ارتد كثير من الجوفاش، وعُمّدوا جمعياً، وعندما أعطيت الحرية الدينية عام ١٢٣٢ هـ (١٩٠٥ م) عم الإسلام معظم مناطقهم، الامر الذي سبب الضغط عليهم. وتأسست لهم جمهورية عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م)، وعاصمتها مدينة (شبوقسباري).

٤ ــ جمهورية موردوفيا :

تبلغ مساحتها ٢٥٫٠٠٠ كيلومتر مربع، ويسكنها مليون وربع المليون نسمة، ويتكلم (الموردوف) لغة خاصة لاتعود إلى أصل تركي.

٥ ــ جمهورية أدمورتيا:

تبلغ مساحتها ٤٢٫١٠٠ كيلومتر مربع، ويعيش على أرضها مايقرب من مليون من السكان، ويتكلم الأدمورت لهجة لاتمت بصلة إلى التركية. وتعيش بينهم قبائل من الفن مثل (الفوتياك) و (الشريمس)، وقد أسلمت هاتان القبيلتان بسبب احتكاكهما مع (التتار) و (الباشكير) على الرغم من أن أفرادهما كانوا نصارى اسماً، وعمدوا جميعا، وبعضهم كان وثنيا، وفي السجلات ضمن عداد الوثنيين لذا لم يسمح لهم بإقامة المساجد، وكانوا يختنون، ولم يشهروا إسلامهم، لذا أطلق عليهم الروس اسم «الكلاب المختونون»، لهذا فإنهم هجروا مجتمعاتهم وأقاموا في قرى خاصة، فلما أعلنت الحرية الدينية ظهر أن هذه القرى إسلامية، وارتفعت فيها المساجد، وحاولت القيصرية فصلهم عن المسلمين فلم تفلح، فلما جاءت الشيوعية أتمت مابدأت به القيصرية، فأنشأت لهم جمهورية خاصة عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٦ م)، وجعلت عاصمتها (إيجفسك)، وتريد روسيا أن تبقي الذين لم يدينوا بالإسلام على ديانتهم السابقة سواء أكانت الوثنية أم النصرانية اسماً، هذا ماتعتقده، والواقع أنهم أصبحوا جميعا من المسلمين.

٦ ــ جمهورية ماريا :

تبلغ مساحتها ٢٣٫٨٠٠ كيلومتر مربع، ويسكنها ثلاثة أرباع المليون من السكان، تأسست هذه الجمهورية عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م). وعاصمتها (يوشكار أولا)، ومنذ أن احتل الروس أرض هذه الوحدة الادارية من سنة ٩٦٠هـ (١٥٥٣ م) إلى الآن، وهي في إهمالٍ تام، ويلقى شعبها أشد أنواع الاضطهاد، ويتكلم السكان لغة لاتعود إلى أصل تركي.

ثانيا ـ بلاد القرم :

أما في شبه جزيرة القرم فبعد أن انضمت كاترين الثانية القرم إلى روسيا إلا أنها أعطت الحرية الدينية وممارسة الشعائر، كما أبقت الدعاء للخليفة العثماني أيام

الجمع، ولم تحاول ترويس السكان، ولكنها في الوقت نفسه قد صادرت أفضل الأراضي على شواطىء شبه الجزيرة. إلا أن الشدة القاسية قد أعقبتها سياسة اللين، وهذا ما أوجد محاولات من السكان لمسايرة الروس والتعاون معهم.

وقبل الثورة الشيوعية وجد حزب (ملي فرقة) أي الإدارة القومية التتارية وذلك عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م)، تقريبا فشكل المسلمون حكومة تتارية اسلامية في مدينة (سمفروبول)، بزعامة حزب (ملي فرقة)، فأعلنت استقلال البلاد، وأجرت الانتخابات، واجتمع المؤتمر الوطني، ووضع دستورا للبلاد. ولكن قضي على هذه الحكومة بعد ثلاثة أشهر بهجوم مفاجىء من (ستيبول سيبا)، وبعد ثلاثة أشهر أخرى احتل الألمان المنطقة، وشكلوا حكومة تتارية بإشرافهم من أعضاء حزب (ملي فرقة). وبعد أن نجح الشيوعيون في السيطرة على أكثرية الأقاليم التي كانت خاضعة لروسيا القيصرية اتجهوا نحو القرم ولكن التتار في القرم قاوموا الشيوعيين ببسالة، وعندما عجزوا عن الوقوف في وجه الطغيان اعتصموا بالجبال، ولما رأى الشيوعيون أن حبل المقاومة طويل لجأوا إلى حرب التجويع، فنقلوا كل ماكان في شه الجزيرة المكافحة من أقوات، الأمر الذي عرض السكان للهلاك، وقد نرت جريدة (الأزفستيا) في عددهـا ا لصـادر في ٢٥ تموز ١٩٢٢ (١ صفـر ١٣٤١) تقـريراً للشيوعي لينـين عن مجاعـة القرم جاء فيه «بلغ عدد الذين أصـابتهم محنة الجوع في شهر كانون الثاني ٣٠٢ر٠٠٠ مات منهم ١٤ر٤١٣، وارتفع عددهم في شهر آذار إلى ٣٧٩ر٠٠٠ مات منهم ١٩ر٩٠٢، وبلغ في شهر نيسـان ٣٧٧ر٠٠٠ مات منهم ١٢ر٧٥٤، وفي شهر جزيران ٣٩٢ر٠٧٢»، ولم يذكر عدد الموتى إلا أنه قال: «إن أكل لحم الانسان لم يكن من الحوادث التي يستغرب لها أو تبدو عجيبة في بابها». وكانوا قد قتلوا من السكان مائة ألف مسلم قبل عام أي أثناء دخولهم القرم، كما أنهم هجروا خمسين ألفاً آخرين، ونصبوا رئيساً لجمهورية القرم الإسلامية الشيوعي البنغاري (بالاكون).

واستمـر هذا الضغط وذلـك الارهـاب حتى جردوا المسلمـين من أملاكهم ومالديهم من ثروات بعد أن استسلموا، وبدأ الشيوعيون بهدم المساجد والمعاهد الدينية فلم يبق من ١٥٥٨ مسجداً بالقرم إلا آحاداً قليلةً، أما جمهرتها الكبرى فقد أزيلت أو تحولت إلى أنديةٍ، ومقاةٍ، ودور لهو، واصطبلات للخيل، وحظائر

للماشية، وبدأ عدد سكان القرم يتناقص تدريجياً.

قامت الحرب العالمية الثانية، وغزا الألمان روسيا، ودخلوا أجزاء واسعة منها حتى اقتربا من موسكو، وأثناء المعارك التي احتدمت بين الروس والألمان على أبواب القرم استسلم الفيلق القرمي للألمان ـ وتعداده ثمانية عشر ألفاً ـ انتقاماً من الروس وتخلصاً منهم، وظناً بأن الألمان أفضل من الروس الذين أذاقوهم الويلات، وأنزلوا بهم النكبات، ولم يدر في خلدهم أن الكفر ملة وحدة. وأن عداء النصارى إنما هو موجه للإسلام قبل كل شيء. وما إن عرف الألمان أن المستسلمين من المسلمين حتى نزعوا منهم السلاح، وساقوهم حفاة مسافة مائة وخمسين كيلو متراً سيراً على الأقدام، ودون طعام، فسقط بعضم على الطريق من شدة الإعياء، ثم سجنوهم في جامعة أصلها قلعة من القلاع القديمة لايدخلها نور، ومنعوا عنهم الطعام بحجة نقص المواد الغذائية عند الألمان، فبدؤوا يتساقطون جوعاً، وقد امتدت ألسنتهم تقطر منها الدماء، وقد ثلمتها جدران السجن الخشنة أثناء أخذ الدهان منها. . . وبعد مدة بدأ يخف عدد الموتى بدلاً من أن يزداد مع زيادة الجوع فعرف الضباط الألمان أن بعض السجناء يأكل بعضاً ممن مات فاقتادوا الجميع خارج السجن وقتلوهم رمياً بالرصاص.

وهزمت ألمانيا، ونجح الشيوعيون فادعوا أن تتار القرم من عملاء الألمان ـ رغم ماحل بهم ـ لذا يجب محاكمتهم، فدخلوا العاصمة (باغجة سراي) وطمسوا معالم الإسلام فيها حتى المساجد الأثرية مثل (جامع خان)، و(جامع بازار)، و (جامع اصماقويو) وغيرها كثير، وجمعوا المصاحف وأحرقوها في الميادين العامة، وقتلوا من السكان مايقرب من نصف مليون، وأجلوا الباقي وهو ٢٣٨٫٠٠٠ تتاري، وفي العام التالي حلت جمهوريتهم وغدت منطقة تتبع موسكو، ثم ألحقت بكييف.

ولايزال تتار القرم يهيمون على وجوههم في مناطق متفرقة من مجاهل سيبيريا وغيرها، ويطالبون بعودتهم إلى وطنهم وإعادة جمهوريتهم على الرغم من أنهم يعرفون أنها ستكون صورة وألعوبة بيد الروس، يعرفون ذلك من تاريخهم مع الروس الشيوعيين. ففي عام ١٣٤٧ هـ (١٩٦٩ م) قتل الشيوعيون رئيس جمهورية القرم (ولي إبراهيم) مع جميع وزرائه، وفي ١٣٤٩ هـ (١٩٣١م) قتلوا أيضفا رئيس الجمهورية (محمد قوباي) مع وزرائه، ثم كرروا الحادثة مع رئيس

الجمهورية (إلياس طرخان) عام ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) إذ استدعوه إلى موسكو وقتلوه مع وزرائه رمياًبالرصاص على الرغم من أنهم كانوا هم الذين يوافقون على تعيين هؤلاء الرؤساء والوزراء.

وفي عام ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م) شعر الروس أن بعض المنفيين من تتار القرم يعودون إلى بلادهم دون إذن من السلطات الرسمية فأرسل الروس بعض رجال الأمن يخربون البيوت التي قطنها هؤلاء العائدون فوق رؤوس ساكنيها، ويقتادون من ينجو من الموت إلى السجن، كما رفضت السلطات طلب الذين رغبوا بالعودة إلى وطنهم من التتار.

ولما نفي التتار حلّ محلهم الروس من أوكرانيين، وبيض، وروس كبار، وقد بلغ عدد سكان منطقة القرم ٢٫١٣٥٫٩١٦ حسب الإحصاء الروسي لعام ١٣٩٩ (١٩٧٩ م)، ويوزعون على المجموعات التالية:

١,٤٦٠,٩٨٠	روسي	٢٢,٥٩٧	يهودي.
٥٤٧,٠٠٠	أوكراني	١٥,٠٧٨	تتاري.
٠٤٣,٠٠٠	من روسيا البيضاء	١,١٥١	مجموعات ثانية

ثالثاً ـ بلاد القوقاز:

أما في شمال القوقاز فقد جابه السكان الحكم الروسي بمقاومة عنيفة كان أشهرها حركة عام ١١٩٨ هـ (١٧٨٣ م) التي قادها (منصور أشرمه)، ولم يحاول الروس الاستيطان في داغستان بعد الانتصار على أهلها، وإنما اكتفوا بإقامة بعض المراكز العسكرية في المناطق الجبلية، والنقاط الاستراتيجية، كما لم تشجع الدولة الاتصال بين السكان والروس بل حظرت على دعاة النصرانية دخول الجبل، ولم تحاول هي كذلك التدخل في شؤون البلاد، وهذا ما شجع بعض المتنفذين من القوموِن، والقبرطاي، والقوشحة والشركس أن يظهروا الولاء للروس ولأسرة رومانوف الحاكمة بالذات، على حين وقف أصحاب النفوذ الحقيقي، وهم المشايخ موقفاً عدائياً، وهذا ما جعل المقاومة تأخذ صفة الطابع الديني.

وقام المشايخ بحركة ضد الروس وأسسوا حكومة المريدين التي امتدت من ١٢٤٢ ـ ١٢٨١ هـ (١٨٢٤-١٨٦٣ م)، وكان آخرهم الشيخ شامل الذي هزم

أمام الروس، ورغم دخول الروس البلاد وانتصارهم على السكان، وهجرة أعداد كبيرة خارج أوطانهم، وقد انتقل أكثرها إلى أوربا الشرقية، واستقروا في الجهات الساخنة إلا أن هزيمة العثمانيين، قد جعلتهم يرضخون في مؤتمر برلين عامي ١٢٩٢ هـ (١٨٧٨ م) لأمر الروس، ويوافقون على نقل هؤلاء اللاجئين من بلاد القوقاز إلى بلاد الشام وبلاد الرافدين حيث أقاموا على هامش الصحراء لرد غارات البدو. وذلك لما عرف عن هؤلاء القوقازيين من الشجاعة سواء في بلادهم أم في أوربا الشرقية.

وقام الداغستان في آخر ثورة لهم عام ١٢٩٦ هـ (١٨٧٨ م)، وبعد ذلك بدأ الضغط الروسي على سكان المنطقة بشكل واسع فاستمرت الهجرات، ووجدت جماعات تتعاون مع الاشتراكيين، كما انضمت جماعة قليلة من الشباب إلى الحزب الشيوعي، وعندما قامت الثورة الشيوعية تعاونت جماعة أخرى مع حكومة (بتروغراد)، أما المشايخ الذين بقوا أصحاب النفوذ الحقيقي في البلاد، فقد حاربوا الشيوعية، ورفضوا التعاون مع الروس سواء أكانوا شيوعيين أم اشتراكيين، أم حكام (بتروغراد)، وفي الوقت نفسه فقد رفضوا التعامل مع المسلمين الذين يريدون التعاون مع الروس على اختلاف أسمائهم، واشتهر من بين هؤلاء الشيخ نجم الدين ذي غوتسو (غوتسينسكي) الذي انتخب إماماً في بلاد الداغستان والشاشان، والشيخ أوزان حجي، وقد بدأ هؤلاء بالإعداد للجهاد المقدس، وسيطروا على البلاد أثناء الثورة الشيوعية وحالة الفوضى التي قامت في البلاد يومذاك.

استطاع الجيش الأحمر أن يدخل شمال القوقاز في رجب من عام ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م)، وقاد العلماء تمرداً ضد الشيوعيين انطلق مع مطلع ١٣٣٩ هـ (١٩٢١ م)، واستمر مايقرب من عام، وقد حيكت الأساطير حول البطولات والتضحيات التي ظهرت في المقاومة. وعندما سيطر الروس تماماً عملوا على تقسيم البلاد إلى أقسام ووحدات صغيرة تعتمد على العنصريات بالدرجة الأولى وذلك في سبيل تجزئة صف المسلمين، وربطت هذه الوحدات بموسكو لامكانية مراقبتها بصورة جيدة، ومن هذه الوحدات ماهو جمهوريات ذات استقلال ذاتي، ومنها ما هو مناطق حكم ذاتي. وهناك جمهوريتان صغيرتان ربطتا بجورجيا. وهذه

الوحدات هي:

١ ـ جمهورية داغستان:

وقد تأسست في ربيع الأول من عام ١٣٣٩ هـ (١٩٢١ م)، وتبلغ مساحتها ٥٠٫٣٠٠ كم[٢]، ويبلغ عدد سكانها ١٫٦٢٧٫٠٠٠ حسب إحصاء عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م)، وعاصمتها (محج قلعة)، وتبلغ نسبة المسلمين فيها ٨٥٫٣٪ من السكان، وهم من:

الداغستان	وعددهم	١٫٢٦٧٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ٧٨٫٠٪
الاذربيجان	وعددهم	٦٥٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ٤٫٠ ٪
الشاشان	وعددهم	٤٩٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ٣٫٠ ٪
الطاط	وعددهم	٧٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ٠٫٢ ٪
التتار	وعددهم	٥٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ٠٫١ ٪
		١٫٣٩٣٫٠٠٠	٨٥٫٣٪

ويشكل النصارى ١٤٫٧٪ من السكان، وهم من:

الروس	وعددهم	١٩٠٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ١١٫٦٪.
الأوكران	وعددهم	٥٠٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ٣٫١٪.
		٢٤٠٫٠٠٠	١٤٫٧ ٪.

ويشكل الداغستان سكان الريف، إذ أنهم فلاحون ومربو حيوانات.

وتضم الداغستان عشر مجموعات قبيلة منها القوموق، والنوغاي من أصول تركية، وقد كان للقوموق دور بارز في حروب الشيخ شامل ضد الروس، ومنها اللزكي، واللان، والعفر، وهي من أصول قوقازية، ومن العفر قبائل الأندي التي كان لها دور في مقاومة الاستعمار الروسي. وهاجرت جماعات من الداغستان إلى تركيا، والعراق، وبلاد الشام، ولهم قرى شرق حمص. كانت اللغة العربية هي السائدة، ولغة التخاطب حتى عام ١٣٤٦ هـ (١٩٢٨ م)، كما تستعمل أحياناً اللغة التركية الأزرية، وحظرت اللغة العربية كلغة أدبية منذ عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م).

والـداغستان كلهم مسلمون، ويوجد في الجبل عدد قليل من اليهود يطلق عليهم (داغ تشوفوت) أي يهود الجبل جاءوا إلى المنطقة منذ أيام السامانيين.

وتعد (محج قلعة) المركز الاداري الإسلامي لداغستان وشمال القوقاز، ولغة المراكز الرئيسية هي العربية.

٢ ـ جمهورية شاشان ـ انغوشيا :

ألغيت هذه الجمهورية أثناء الحرب العالمية الثانية عام ١٣٦١ هـ (١٩٤٢ م)، ونقل السكان جميعهم إلى سيبيريا، وآسيا الوسطى في ظروف رهيبة وقاسية، ويبلغ عدد السكان ١٫١٥٥٫٠٠٠ نسمة حسب إحصاء عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م)، وتبلغ مساحتها ١٩٫٣٠٠ كم٢، ومدينة (غروزني) هي عاصمة الجمهورية، ويبلغ عدد سكانها ٣٧٥٫٠٠٠ نسمة معظمهم من الروس. ويتوزع السكان على النحو التالي:

شاشان	٦١١٫٠٠٠	ويشكلون نسبة	٥٢٫٩٪.
انغوش	١٣٥٫٠٠٠	ويشكلون نسبة	١١٫٩٪.
داغستان	٠٢٢٫٠٠٠	ويشكلون نسبة	٢٫٠٪.
	٧٦٨٫٠٠٠		٦٥٫٥٪

وهؤلاء كلهم من المسلمين. وتصل نسبة الروس في الجمهورية إلى ٢٠٪ وتتألف الجمهورية من المجموعتين الرئيسيتين اللتين تحملان اسمى الشاشان، والأنغوش.

أما الشاشان فيبلغ عددهم في الامبراطورية الروسية ٧٥٥٫٨٠٠ سمة حسب إحصاء ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م)، منهم ٨١٪ في جمهوريتهم، والباقي وهو ١٩٪ موزعون في آسيا الوسطى، والداغستان، وأوستينيا الشمالية. وتوجد أعداد منهم قد هاجرت من بلادها واستوطنت في العراق، وتركيا، وأكثرها في بلاد الشام ويصل عددها إلى عشرات الألوف موزعة في رأس العين والقنيطرة في سورية، وفي الزرقاء، والصويلح، وأزرق الشاشان والسخنة.

وأما الأنغوش فيبلغ عددهم ١٥٧,٠٠٠ يقيم ٧٢٪ منهم في هذه الجمهورية، ويتوزع الباقون.

ويتكلم الشعبان لغتين متقاربتين تنتميان إلى القفقاسية، وليس لهاتين اللغتين المحليتين أبجدية، ثم أصبحتا تكتبان بالحرف اللاتيني ثم بالكبيرياب.

وقد قاتل الشاشان مع الشيخ شامل الروس قتالاً شديداً، و كانت بلادهم القلعة الصامدة في وجه الروس، وكذلك فقد اشتركوا في انتفاضة الداغستان عام ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م)، بينما لم يشترك الأنغوش في كلتا الحربين. وإسلام الشاشان حديث لم يمض عليه أكثر من قرنين، وثبت في نفوسهم بشكل جيد بعد عام ١٢٨٢ هـ (١٨٦٤ م) إثر هزيمة الشيخ شامل.

٣ ـ جمهورية كبارديا ـ بالكاريا:

تشكلت هذه الجمهورية بعد الثورة الشيوعية، ثم هجر البلكار بتهمة التعاون مع الألمان، فبقيت الجمهورية تحمل اسم كبارديا، وفي عام ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) أعيد للبلكار اعتبارهم، وأعيدوا إلى بلادهم، ورجع للجمهورية اسمها الأول.

تبلغ مساحة هذه الجمهورية ١٢,٥٠٠ كيلو متر مربع، ويبلغ عدد سكانها ٦٧٥,٠٠٠ نسمة حسب إحصاء عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م)، وعاصمتها مدينة (نالتشيك) التي وصل عدد سكانها إلى ٢٠٧,٠٠٠ نسمة.

يتألف سكان هذه الجمهورية من عنصرين رئيسين الكبارد، والبلكار، وهما اللذان تحمل الجمهورية اسمهما، والكبارد (القبرطاي) من أصول قفقاسية، وهم يشبهون الشركس، وقد خرجت منهم جماعات مهاجرة بدينها كبقية سكان المنطقة، ومنهم من يقيم في خناصر جنوب حلب.

والبلكار وهم أصول تركية تبلغ نسبة المسلمين في هذه الجمهورية ٥٥٪ من السكان، إذ يصل عددهم إلى ٣٧٣,٠٠٠، أما النصارى فتصل نسبتهم إلى ٤٥٪، وعددهم ٢٩٦,٠٠٠ ومعظمهم من الروس.

٤ ـ جمهورية أوستينيا الشمالية:

تبلغ مساحتها ٨,٠٠٠ كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها ٥٩٧,٠٠٠ نسمة حسب إحصاء ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) منهم ٢٩٩,٠٠٠ أوستيني، ويطلق عليهم

كذلك قوشحة، كما يسمون بالأيرون وهم غالباً النصارى منهم. وتسمى هذه الجمهورية بالشمالية لأن هناك جمهورية أوستينيا الجنوبية، وهي ذات استقلال ذاتي أيضاً، وترتبط بجمهورية جورجيا الاتحادية، وغالبية سكانها من النصارى. وهاجرت جماعات من القوشحة مع هجرة أبناء المنطقة عندما احتلها الروس.

٥ ـ جمهورية ابخازيا :

وهو جمهورية ذات حكم ذاتي، تتبع جورجيا، وتقع على ساحل البحر الأسود، تبلغ مساحتها ٨٫٦٠٠ كيلومتر مربع، عاصمتها سوخومي، يبلغ عدد سكانها ٤٨٦٫٩٠٠ نسمة حسب إحصاء ١٣٩٩هـ (١٩٧٩ م)، وفيهم من الأبخاز ٩١٫٠٠٠. والأبخاز من العناصر الشركسية، ونسبة النصارى كانت فيهم كبيرة، وعندما أعطيت الحرية الدينية عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) دخل عدد كبير منهم في الإسلام.

قضت روسيا على حكومة (ايمارتي) التي كانت قائمة حتى عام ١٢٢٥ هـ (١٨١٠ م)، وتأسست جمهورية أبخازيا عام ١٣٤٩ هـ (١٩٣١ م).

٦ ـ جمهورية آجاريا :

تبلغ مساحتها ٣٫٠٠٠ كم٢، ويسكنها ٣٠٠٫٠٠٠ نسمة، تقع على ساحل البحر الأسود، بين جورجيا وتركيا، وعاصمتها مدينة باطوم، وتتبع جمهورية جورجيا أيضاً.

ضمت روسيا حكومة (غوريا) التي كانت قائمة هناك وذلك إثر مؤتمر برلين ١٢٩٦ هـ (١٨٧٨م)، واعترفت الدولة العثمانية بذلك. ثم تأسست جمهورية آجاريا عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م).

المناطق ذات الحكم الذاتي:

١ ـ منطقة الأديغة:

تبلغ مساحتها ٧٫٦٠٠ كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها ٤٠٤٫٠٠٠ حسب إحصاء ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م)، عاصمتها مدينة مايكوب. وهي ملحقة باقليم (كرانسنودار).

والأديغة هو الاسم القومي للعناصر الشركسية، والشركس مجموعة من القبائل أشهرها: الأبزاخ، والبزادوغ، والشابسيغ، والحاتوقواي. وهاجرت جاعات من هذه القبائل بدينها إلى أوربا الشرقية ثم إلى تركيا، والعراق، وبلاد الشام، وسكنت على هامش الصحراء، ومنهم من يقيم في منبج، وعندان، وحلب، والرقة، وقرى حمص، ودمشق، ومرج السلطان، والجولان، وعمان. سيطر الروس على المنطقة عام ١٢٩٥ هـ (١٨٧٧ م)، وتأسست مقاطعتهم عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م).

٢ ـ منطقة كاراتشاي ـ الشركسية:

تبلغ مساحتها ١٤٫١٠٠ كم[٢]، ويبلغ عدد سكانها ٣٦٩٫٠٠٠ نسمة حسب إحصاء ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) وعاصمتها مدينة شركسك، وهي ملحقة باقليم (ستافروبول).

يتألف السكان من مجموعتين رئيسيتين: الكاراتشاي، وهم من أصول تركية، والشركس وهم من أصول قفقاسيا، وتحمل المنطقة اسم المجموعتين.

هجر الكاراتشاي أثناء الحرب العالمية الثانية عام ١٣٦٢ هـ (١٩٤١ م)، ولم يرجعوا الى منطقتهم إلا عام ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م). وكانت المنطقة قد خضعت للروس بعد مؤتمر برلين عام ١٢٩٦هـ (١٨٧٨ م). وهاجرت جماعات منهم مع هجرة السكان، ومنهم من يقيم في قري البويضان، وبلي في سورية.

وتبلغ نسبة المسلمين في هذه المنطقة أكثر من ٥٠٪ بقليل إذ غزاها الروس بشكل واسع.

رابعاً ــ أذربيجان:

أما في أذربيجان فلم يحرص الروس على تحويل المسلمين إلى سلاف الأمر الذي أبقي هؤلاء المسلمين تحت النفوذ الديني للعثمانيين والإيرانيين سواء من الناحية السياسية أم الناحية الثقافية.

وتأسس في مدينة باكو عام ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤ م) حزب همة (الإدارة)، وكان ماركسيا، وبرز عام ١٣٢٤هـ (١٩٠٦ م) وعمل سراً من عام ١٣٢٥ـ١٣٣٥. وتأسس حزب المساواة عام ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) في مدينة غاندجا (كيروفوباد)

ثم نقل مقره إلى باكو، ثم أصبح يتكلم باسم العنصرية الاذربيجانية، ونشأ حزب العدالة في مدينة باكو أيضاً، وكان جل أعضائه من الإيرانيين، وهو الذي أصبح فيما بعد الحزب الشيوعي الإيراني.

كان الشيوعيون أقلية في أذربيجان فلم يحاولوا السيطرة على المنطقة عندما قامت الثورة الشيوعية، وفي شهر جمادي الأول من عام ١٣٣٦ هـ (١٩١٨ م) نجحوا في ثورتهم في أذربيجان بمساعدة الاشتراكيين الثوريين، والفرق العسكري الأرمينية لحزب طاشناق، ومقاتلي حزب همة، وتألفت كومونة باكو السوفيتية، وبعد ثلاثة أيام من المعارك قتل فيها ثلاثة آلاف مسلم، هرب قادة حزب المساواة إلى مدينة (غاندجا)، وشكلوا هناك حكومة ضد حكومة كومونة باكو السوفيتية، وأطلق عليها اسم (مجلس أذربيجان الوطني).

وفي شهر شوال من عام ١٣٣٦ هـ (١٩١٨ م) سقطت حكومة باكو السوفيتية بعد أن اتفق ضدها أنصارها بالأمس الاشتراكيون، والطاشناق الأرمن، ولم يشترك المسلمون في هذا الانقلاب.

وفي شهر ذي الحجة من العام نفسه دخلت قوات من الجيش التركي أذربيجان، واحتلت مدينة باكو، وتبعتها قوات حكومة مجلس أذربيجان الوطني في (غاندجا)، وحدثت مجازر في صفوف الأرمن، ثم انسحبت القوات التركية، وبقيت حكومة حزب المساواة في السلطة، وجاء الانكليز من جهة إيران ودخلوا أذربيجان، ثم عادوا فانسحبوا عام ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م)، وبقيت أذربيجان حكومة مستقلة مايزيد على سبعة أشهر، حيث احتل الجيش الأحمر البلاد وحكم الحزب الشيوعي الأذربيجاني، وهو الوريث لحزب همة. وتأسست جمهورية أذربيجان السوفيتية في ٥ شعبان ١٣٣٨ (٢٨ نيسان ١٩٢٠)، وتبلغ مساحتها ٨٦٫٦٠٠ كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها ٦٫٠٢٨٫٠٠٠ نسمة حسب إحصاء ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) بينهم ٥٫٠١٧٫٠٠٠ مسلم، فتبلغ بذلك نسبة المسلمين ٨٣٫٣٪ من السكان وهم من:

الأذربيجان	وتبلغ نسبتهم	٧٨٫١٪	من السكان.
الداغستان	وتبلغ نسبتهم	٣٫٤ ٪	من السكان.
التاليش	وتبلغ نسبتهم	١٫٠ ٪	من السكان.

التتار	وتبلغ نسبتهم	٥ر٠ ٪	من السكان.
مجموعات أخرى			
		٨٣ر٣ ٪	

أما النصارى فتبلغ نسبته ١٦ر٢٪ من السكان، وهم من:

الروس	وتبلغ نسبتهم	٧ر٩٪ من السكان،	وعددهم ٤٧٥ر٠٠٠ نسمة
والارمن	وتبلغ نسبتهم	٧ر٩٪ من السكان	وعددهم ٤٧٥ر٠٠٠ نسمة.
والاوكرانيون	وتبلغ نسبتهم	٠ر٤٪ من السكان	وعددهم ٢٦ر٠٠٠ نسمة.
		١٦ر٢ ٪	٩٧٦ر٠٠٠ نسمة

ويوجد عدد من اليهود تبلغ نسبتهم ٠ر٥٪ من السكان وعددهم ٣٥ر٠٠٠ نسمة.

ويمثل الشيعة ٧٠٪ من المسلمين، وأكثرهم يقيم في الجنوب، ويمثل أهل السنة ٣٠٪ ومعظمهم يقطن الشمال. كما يوجد أعداد من البهائيين، واليزيديين (عبد الشيطان) ويسكن الأوائل منهم في مدن باكو، وكوبا.

١ ــ جمهورية ناختشيفيان:

وهي ذات استقلال ذاتي، وترتبط بأذربيجان، رغم وجود مناطق أرمينية بين الجمهوريتين، وتقع على حدود إيران وتركيا، وتبلغ مساحتها ٥ر٥٠٠ كيلو متر مربع. ويبلغ عدد سكانها ٢٤٠ر٤٥٩ نسمة حسب إحصاء ١٣٩٩هـ (١٩٧٩ م)، ويتوزع السكان على المجموعات التالية:

الاذربيجانيون وعددهم	٢٢٩ر٩٦٨	نسمة ويشكلون نسبة ٩٥ر٦٪	من السكان ومعظم شيعة
الروس وعددهم	٣ر٨٠٧	نسمة ويشكلو نسبة ١ر٦ ٪	من السكان وهم نصارى
الأرمن وعددهم	٣ر٤٠٦	نسمة ويشكلون نسبة ١ر٤ ٪	من السكان وهم نصارى
مجموعات ثانية وعددهم	٢ر٢٧٨	نسمة ويشكلون نسبة ١ر٤ ٪	من السكان من مسلمين ونصارى
	٢٤٠ر٤٥٩	١٠٠ ٪	

وتتبع جمهورية أذربيجان الاتحادية منطقة (قرة باخ) ذات الحكم الذاتي. وهي وسط أذربيجان، وتبلغ مساحتها ٤٫٤٠٠ كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها ١٦٢٫١٨١ حسب احصاء ١٣٩٩ هـ. ويتوزع السكان على المجموعات التالية:

الاذربيجانيون ويبلغ عددهم	٣٧٫٢٦٤	نسمة ويشكلون نسبة	٢٣٫٠٪ من السكان
الروس ويبلغ عددهم	١٫٢٦٥	نسمة ويشكلون نسبة	٠٫٨ ٪ من السكان
الأرمن ويبلغ عددهم	١٢٣٫٠٧٦	نسمة ويشكلون نسبة	٧٥٫٩٪ من السكان
مجموعات ثانية ويبلغ عددهم	٥٧٦	نسمة ويشكلون نسبة	٠٫٣ ٪ من السكان
	١٦٢٫١٨١		١٠٠ ٪.

ويعيش في منطقة (قرة باخ) عشرون الفاً من الذين يؤلهون علياً.

وجمهورية أذربيجان جمهورية اتحادية عاصمتها مدينة (باكو) التي عدد سكانها ١٫٥٥٠٫٠٠٠ نسمة حسب إحصاء ١٣٩٩ هـ. ويتكلم السكان اللغة الأزرية التي تعود إلى أصول تركية.

خامسا ــ قازاقستان:

أما في قازاقستان فلم تشجع الحكومة الروسية هجرة الروس إلى تلك الجهات، كما لم تتدخل في حياة القبائل القازاقية، بل تركتهم على عاداتهم، وأعفتهم من الخدمة العسكرية الالزامية حتى بداية القرن الرابع عشر، وفي عام ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ م) سمحت للروس والأوكرانيين بالاستيطان في بلاد القازاق فسارت جموع إلى تلك الجهات، وأخذت أفضل الأراضي، وقد وصل عدد المستوطنين من النصارى الأرثوذكس إلى مليون مستوطن قبيل الحرب العالمية الأولى، وهذا مادعا القازاق إلى القيام برد الفعل ومناهضة الروس والانضمام الى العغمل الإسلامي.

وفي عام ١٣٣٠ هـ (١٩١١ م) تشكل حزب (الأش أوردا)، وهو غير مبال بالإسلام، ويحمل أفكار الوحدة الروس، ويطالب بإيقاف الروس في المنطقة.

كما تأسس حزب القبائل الثلاث (أوش جوز)، ويدعو إلى الوحدة الإسلامية، ويعادي الروس، ويناهض حزب (الأش أوردا)، وكانت قوته في منطقة (سيحون)، ومع أنه انحرف عن خطه الرئيسي إذ بدأ يتجه إلى المطالبة بالتغييرات

الجذرية لكنه بقي يحمل فكرة الوحدة الإسلامية، ويعادي الروس والتتار على حد سواء وفي النهاية انتسب قادته إلى الحزب الشيوعي.

وفي عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٦ م) انفجرت ثورة القبائل ضد تجاوزات المستوطنين الروس، فأخمدت هذه الثورة بوحشية، وأبيدت بعض القبائل، وفرت قبائل أخرى إلى الصين. واضطر حزب «ألاش أوردا» الذي كان متعاطفاً مع الروس أن يغير من خطته، وأن يحمل من جديد فكرة طرد الروس من البلاد. وبعد ثورة فصل الربيع من عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) وجدت جمهورية قازاقستان ذات الاستقلال الذاتي، وأوكلت هذه الجمهورية إلى حزب (ألاش أوردا) مسؤولية إدارة المنطقتين الوسطى والشرقية من قازاقستان. وعندما قامت الثورة الشوعية مع أول يوم من عام ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) كان في قازاقستان جمهورية ذات استقلال ذاتي. وسيطر حزب (ألاش أوردا) الميال إلى الاشتراكية، والمنادي بالحرية، والمعادي للشيوعية على بلاد القازاق كلها. وفي ربيع الأول بدأ قادته في الالتحاق بالقوة المعادية للشيوعية المتمثلة بالقوزاق، والباشكير، وأعلنوا استقلال بلادهم، ولاتساع بلادهم فقد ألفوا حكومتين إحداهما في المنطقة الغربية، والثانية في المنطقة الشرقية.

وفي منتصف عام ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) انسحب القازاق من قتال الشيوعيين لأن الأميرال (كولتشاك) قد تسلم الأمر وهو عدو القوميات، كما أنه يدعو إلى وحدة الروس، ثم خضعوا للقوة البلشفية، واعترفوا بالحكم السوفيتي، وتشكلت لجنة ثورية قازاقية نصف أعضائها من حزب (ألاش أوردا) والنصف الآخر من مندوبي السوفييت، وقبل أعضاء الحزب في الحزب الشيوعي، وبقوا عشر سنوات في السلطة ثم طردوا، وتسلط الشيوعيون على الحكم، وعلى الشعب، وفي سياسة التحضير التي اتبعها الشيوعيون ذهب نصف الشعب القازاقي في منتصف القرن الرابع عشر الهجري.

وتشكلت جمهورية قازاقستان يوم عيد الأضحى من عام ١٣٣٨هـ (١٩٢٠ م) وتبلغ مساحتها ٢٫٧١٧٫٣٠٠ كم²، وكانت عاصمتها (قيزي أوردا)، ثم أصبحت مدينة (ألماضا) منذ عام ١٣٤٨ (١٩٣٠ م)، وقد بلغ عدد سكانها عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) حوالي ٩١٤٫٠٠٠ نسمة، بينما بلغ عدد سكان الجمهورية

في العـام نفسه ١٤٫٦٨٤٫٠٠٠ نسمة، وهم يتوزعون حسب المجموعات على النحو التالي:

القازاق	٥,٢٨٩,٠٠٠	ويشكلون	٣٦,٠ ٪
التتار	٠,٣١٣,٠٠٠	ويشكلون	٠٢,١ ٪
الأوزبك	٠,٢٦٣,٠٠٠	ويشكلون	٠١,٨ ٪
الأويغور	٠,١٤٨,٠٠٠	ويشكلون	٠١,٠ ٪
أذربيجان	٠,٠٧٣,٠٠٠	ويشكلون	٠,٥ ٪
	٦٫٠٨٦٫٠٠٠		٤١٫٤ ٪.

وهؤلاء جميعهم من المسلمين، ويسكنون الريف بالدرجة الأولى، ثم هناك المجموعات التالية:

الروس	٥٫٩٩١٫٠٠٠	ويشكلون	٤٠٫٨ ٪
أوكرانيون	٠٫٩٩٨٫٠٠٠	ويشكلون	٠٦٫١ ٪
روس بيض	٠٫١٨١٫٠٠٠	ويشكلون	٠١٫١ ٪
كوريون	٠٫٠٩٢٫٠٠٠	ويشكلون	٠٫٦ ٪.
	٧٫١٦٢٫٠٠٠		٥٨٫٦ ٪.

وهؤلاء من النصـارى، ويقيمـون في المـدن غالبـاً، وهم غربـاء عن البـلاد، ومستعمرون لها، ويتكلم القازاق لغة قازاقية تعود إلى المجموعة التركية.

سادسا ــ آسيا الوسطى :

وضـع الروس المنطقة تحت إشراف إدارة عسكرية تخضع لها حكومة عموم تركستان، على حين بقيت إمارة بخارى، وخانية خيوة تتمتعان باستقلال ذاتي، وأعفوا السكان من الخدمة العسكرية الإلزامية، وتركوهم يخضعون لتشريعاتهم وقوانينهم الخاصة. كما حاولوا عدم صهر السكان بالمجتمع الروسي، وعملوا على عزل تركستان وحمايتها من تأثير تتار الفولغا. وكان وضع المنطقة يبدو عليه صفة

الاستعمار من حيث التميز ومحاولة استغلال السكان وأرضهم دون تقديم أية خدمات لهم، ولذا فقد بقي أصحاب النفوذ محافظين على عاداتهم وتقاليدهم، وكرههم للروس، وتمسكهم بالإسلام.

وتأسس في طاشقند عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٧ م) حزب الشورى الإسلامية، ويدعو إلى الإسلام والانفصال عن روسيا، كما كان حزب الشباب البخاريين منذ عام ١٣٢٧هـ (١٩٠٩ م) ويدعو إلى كره الروس وأمير بخارى الذي يرضى بحماية الروس، ويقتصر نشاط هذا الحزب على إمارة بخارى.

كانت الأحزاب ضعيفة التنظيم ولكنها مرتبطة بالإسلام على حين كانت برامجها الاجتماعية اشتراكية، الأمر الذي يدل على عدم الوعي الكامل بالإسلام.

وعندما قامت الثورة الشيوعية مع مطلع عام ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م) سيطر الشيوعيون على الحكم في طاشقند، وساعدهم في ذلك المستوطنون الروس جميعاً بصفتهم نصارى، فهم ضد المسلمين الذي يؤلفون غالبية سكان تركستان، وأبعد المسلمون نهائياً عن السلطة، وبعد شهر واحد عقد المسلمون مجلساً شعبياً في (خوقند)، وأعلنوا استقلال تركستان بينما بقيت طاشقند بيد الشيوعيين، وبعد أقل من ثلاثة أشهر تمكن الشيوعيون من دخول خوقند، فهدموها، وعملونا بأهلها قتلاً، وبعد شهر آخر شن الشيوعيون هجوماً على أمير بخارى، ولكنهم فشلوا في هجومهم هذا رغم دعم حزب الشباب البخاريين لهم.

وحدثت حركة في وادي فرغانة، وانضم إليها أنور باشا، وزير خارجية تركية السابق، و(زكي والدي طوقان) أحد زعماء باشكيريا، ولقيت هذه الحركة دعماً من قبائل القيرغيز، والأوزبك، والتركمان، وعرفت هذهالحركة باسم البصمتجية، وهو اسم أطلقة الروس على هؤلاء المسلمين، ويعني اللصوص، واستطاع الجيش الأحمر دخول مدينة بخارى في مطلعع عام ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠م) وقضى على الحركة بعد عامين، قوهتل أنور باشا يوم عيد الأضحى عام ١٣٤٠ .

وقسم الروس المنطقة إلى الجمهوريات التالية:

١ ــ جمهورية أوزبكستان :

وتأسست في مطلع ربيع الأول عام ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م)، ثم ضمت إليها

بخـارى، وخـوارزم، وفصلت عنهـا بلاد الطاجيك، وألحقت بها جمهورية كاراكلباكيا. تبلغ مساحة هذه الجمهورية ٤٠٨٫٠٠٠ كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكـانها ١٥٫٣٩١٫٠٠٠ نسمـة حسب إحصـاء عام ١٣٩٩هـ (١٩٧٩ م)، وعاصمتها مدينة طاشقند التي بلغ عدد سكانها ١٫٧٨٥٫٠٠٠ نسمة، وقد رابع مدينة سكاناً في الامبراطورية كلها بعد موسكو، ويننغراد، وكييف.

ويتألف السكان من المجموعات التالية:

الأوزبك	ويبلغ عددهم ١٠٫٥٦٩٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ٦٨٫٧٪ من السكان.
التتار	ويبلغ عددهم ٦٤٩٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ٤٫٣٪ من السكان.
القازاق	ويبلغ عددهم ٦٢٠٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ٤٫٠٪ من السكان.
الطاجيك	ويبلغ عددهم ٥٩٥٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ٣٫٩٪ من السكان.
الكاراكلباك	ويبلغ عددهم ٢٩٨٫٠٠٠	ويكشلون نسبة ١٫٩٪ من السكان.
القيرغيز	ويبلغ عددهم ١٤٢٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ٠٫٩٪ من السكان.
التركمان	ويبلغ عددهم ٩٢٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ٠٫٦٪ من السكان.
مجموعات أخرى	ويبلغ عددهم ١٫٣٨١٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ٢٫٦٪ من السكان.
	١٣٫٥٢٦٫٠٠٠	٨٦٫٨ ٪.

وهم من المسلمين السنة، وتوجد بينهم مجموعة من الشيعة، يقدر عددها بمائة ألف، ويعيش أتباعها في كل من سمرقند، وطاشقند، وبخارى. ويقيم الأوزبك عادة في الريف.

أما الباقي فهم من المستعمرين النصارى إضافة إلى الكوريين، ويقيمون عادة في المدن ويتوزعون كما يلي:

الروس	ويبلغ عددهم ١٫٦٦٦٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ١٠٫٨٪ من السكان
الأوكرانيون	ويبلغ عددهم ١٦٣٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ١٫١٪ من السكان
الكوريون	ويبلغ عددهم ١١٤٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ٠٫٧٪ من السكان.
	١٫٩٤٣٫٠٠٠	١٢٫٦٪.

ثم يوجد اليهود ويبلغ عددهم ١٠٠٫٠٠٠ ويشكلون نسبة ٠٫٦ ٪.

ويتكلم الأوزبك اللغة الأوزبكية، وهي من المجموعة التركية، وكانت تكتب بالحرف العربي، ثم استبدل به الحرف اللاتيني عام ١٣٤٦هـ (١٩٢٨ م).

وتتبع أوزبكستان جمهورية (كاراكلباكيا) ذات الاستقلال الذاتي والتي تبلغ مساحتها ١٦٥٫٠٠٠ كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها حسب إحصاء عام ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) مايقدر بمليون تقريباً (٩٠٥٫٠٠٠)، ويشكل المسلمون بينهم ٩٥٪، بينما يشكل الروس ٢٫٣، وعاصمتها مدينة (نوخوس) التي تقع على نهر جيحون عند بداية تفرعه قبل مصبه في بحيرة خوارزم.

٢ ــ جمهورية طاجيكستان :

وتأسست في ١٢ ربيع الأول عام ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م)، ثم أضيف إليها قسم من هضبة بامير، وهو اقليم (باداخشان) ذو الحكم الذاتي. تبلغ مساحة الجمهورية ١٤٣٫٠٠٠ كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها ٣٫٨٠٦٫٠٠٠ حسب إحصاء ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م)، وعاصمتها مدينة (دوشامبي) التي بلغ عدد سكانها في العام نفسه ٤٩٣٫٠٠٠، ويتألف سكان الجمهورية من المجموعات التالية:

الطاجيك	ويبلغ عددهم ٢٫٢٣٧٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ٥٨٫٥٪ من السكان
الأوزبك	ويبلغ عددهم ٨٧٣٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ٢٣٫٠٪ من السكان
التتار	ويبلغ عددهم ٨٠٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ٢٫٢٪ من السكان
القيرغيز	ويبلغ عددهم ٤٨٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ١٫٢٪ من الشكان.
التركمان	ويبلغ عددهم ١٤٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ٣ر ٪ من السكان
	٣٫٢٥٢٫٠٠٠	٨٤٫٢ ٪

وهم من المسلمين السنة، وتوجد جماعات من الشيعة أكثرها من عنصر الطاجيك، ويكثرون في العاصمة (دوشامبي)، وبعض المدن، كما توجد جماعة من الإسماعيلية النزارية من أتباع آغا خان، ويسكنون إقليم (باداخشان) في بامير.

أما النصارى فهم المستعمرون الدخلاء وهم:

الروس	ويبلغ عددهم ٣٩٥٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ١٠٫٥٪ من السكان
الأوكرانيون	ويبلغ عددهم ٣٦٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ١٫٠ ٪ من السكان
	٤٣١٫٠٠٠	١١٫٥ ٪.

ويوجد عدد من اليهود يبلغ عددهم ١٥٫٠٠٠ ويشكلون نسبة ٠٫٤٪ من السكان.

أما اللغة الطاجيكية فهي فارسية، وكانت بالحرف العربي حتى عام ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م)، وبعدها أصبحت تكتب بالحرف الكيريلي. ولكن شعوب البامير يتكلمون لغة ايرانية.

ويتبعـغ طاجستـان منـطقـة باداخشان ذات الحكم الذاتي، وتبلغ مساحتها ٦٣٫٧٠٠ كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها ١٢٧٫٠٠٠ حسب إحصاء ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م)، ويتألف السكان من المجموعات التالية:

١١٥٫٠٠٠ من الطاجيك، و٨٫٥٠٠ من القيرغيز، و ١٫٧٨٠ من الروس، وفيها الإسمعيليون النزاريون.

٣ ـ جمهورية قيرغيـزيا:

وأصبحت جمهورية اتحادية منذ عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م)، وكانت من قبل جزءاً من جمهورية روسيا الاتحادية أي مرتبطة بموسكو، ثم منطقة ذات حكم ذاتي، تبلغ مساحتها ١٩٧٫٠٠٠ كيلومتر مربع ويبلغ عدد سكانها ٣٫٥٢٩٫٠٠٠ نسمة حسب إحصاء ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م)، ويتألف السكان من المجموعات التالية:

القيرغيز	ويبلغ عددم ١٫٦٨٧٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ٤٧٫٩٪ من السكان
الأوزبك	ويبلغ عددهم ٩١٢٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ٢٥٫٩٪ من السكان
التتار	ويبلغ عددهم ٧٢٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ٢٫٠٪ من السكان
الأويغور	ويبلغ عددهم ٣٠٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ٠٫٨٪ من السكان

القازاق	ويبلغ عددهم ٢٧٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ٨ر٠٪ من السكان
الطاجيك	ويبلغ عددهم ٢٣٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ٧ر٠٪ من السكان
	٢٫٧٢٨٫٠٠٠	٤ر٧٧٪ من السكان

أما النصارى وهم من المستعمرين الدخلاء وهم:

الروس	ويبلغ عددهم ٧١٢٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ٣ر٢٠٪ من السكان
الأوكرانيون	ويبلغ عددهم ٨٩٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ٣ر٢٪ من السكان.
	٨٠١٫٠٠٠	

وعاصمة البلاد هي مدينة (فرونزي).

٤ ــ جمهورية تركمانستان :

ينتمي التركمان الى قبيلة الأوغوز التركية، وهم شعب محارب، قاتلوا دولة ايران الشيعية مدة قرن من الزمن، ووقفوا في وجه خانة خوارزم، وصارعوا الروس ودمروهم في قلعة (كوب تيب) عام ١٢٩٧ هـ ١٨٩٧ م)، وبعد هزيمتهم أمام الروس تعرضوا لمجازر رهيبة عام ١٢٩٩ هـ (١٨٨١ م).

اشترك التركمان في حركة الصمجية ١٣٣٥-١٣٤٠ هـ (١٩١٧-١٩٢٢ م)، وتمردوا هم ضد الروس من ١٣٤٥-١٣٥٠ هـ (١٩٢٧-١٩٣٢ م). ويشترك التركمان في طريقة عيش واحدة، وكلمة مسلم تستعمل عندهم للدلالة عليهم، فهناك مزج بين الدين والعنصر.

وتتألف الامبراطورية الروسية من أربع عشرة جمهورية اتحادية، ست منها إسلامية وهي:

١ـ أذربيجان	ومساحتها ٨٦٫٦٠٠ر٠كم²	وعدد سكانها ٦٫٠٢٨٫٠٠٠
٢ـ قازاقستان	ومساحتها ٢٫٧١٧٫٣٠٠	وعدد سكانها ١٤٫٦٨٤٫٠٠٠
٣ـ أوزبكستان	ومساحتها ٤٠٨٫٠٠٠ر	وعدد سكانها ١٥٫٣٩١٫٠٠٠
٤ـ طاجيكستان	ومساحتها ١٤٣٫٠٠٠ر٠	وعدد سكانها ٣٫٨٠٦٫٠٠٠

٥- قيرغيزيا ومساحتها ٠ر١٩٧ر٠٠٠ وعدد سكانها ٣ر٥٢٩ر٠٠٠

٦-تركمانستان ومساحتها ٠ر٤٤٥ر٠٠٠ وعدد سكانها ١ر٥٠٠ر٠٠٠

٣ر٩٩٦ر٩٠٠ ٤٤ر٩٣٨ر٠٠٠

كما يوجد في الامبراطورية الروسية عشرون جمهورية ذات استقلال ذاتي، أربع عشرة منها مسلمة وهي:

١- باشكيريا ومساحتها ٠ر١٤٣ر٥٠٠ كم٢ وعدد سكانها ٣ر٩٢٤ر٠٠٠

٢- تتاريا ومساحتها ٠٦٨ر٠٠٠ وعدد سكانها ٣ر٤٣٦ر٠٠٠

٣- جوفاشيا ومساحتها ٠١٨ر٠٠٠ وعدد سكانها ١ر٥٠٠ر٠٠٠

٤- موردوفيا ومساحتها ٠٢٦٥ر٠٠٠ وعدد سكانها ١ر٢٥٠ر٠٠٠

٥- أدمورتيا ومساحتها ٠٤٢ر١٠٠ وعدد سكانها ١ر٠٠٠ر٠٠٠

٦- ماريا ومساحتها ٠٢٣ر٨٠٠ وعدد سكانها ١ر٧٥٠ر٠٠٠

٧- داغستان ومساحتها ٠٥٠ر٣٠٠ وعدد سكانها ١ر٦٢٧ر٠٠٠

٨- شاشان انغوشيا ومساحتها ٠١٩ر٣٠٠ وعدد سكانها ١ر١٥٥ر٠٠٠

٩- كبارديا بلكاريا ومساحتها ٠١٢ر٥٠٠ وعدد سكانها ١ر٦٧٥ر٠٠٠

١٠- أوستينيا الشمالية ومساحتها ٠٠٨ر٠٠٠ وعدد سكانها ٠ر٥٩٧ر٠٠٠

٤١٠ر٥٠٠ ١٤ر٩١٤ر٠٠٠

وترتبط هذه كلها بموسكو عاصمة جمهورية روسيا الاتحادية.

١١- ابخازيا ومساحتها ٨ر٦٠٠ كم٢ وعدد سكانها ٤٨٦ر٩٠٠

١٢- آجاريا ومساحتها ٣ر٠٠٠ وعدد سكانها ٣٠٠ر٠٠٠

١١ر٦٠٠ ٧٨٦ر٩٠٠

وترتبط هذه بتفليس عاصمة جمهورية جورجيا الاتحادية:

١٣ـ كاراكلباكيا ومساحتها ١٦٥٫٠٠٠كم[٢] وعدد سكانها ٩٠٥٫٠٠٠
١٤ـ ناختشفيان ومساحتها ٥٫٥٠٠ وعدد سكانها ٢٤٠٫٤٥٩

١٧٠٫٥٠٠ ١٫١٤٥٫٤٥٩

وترتبط الأولى بطاشقند عاصمة جمهورية أوزبكستان الاتحادية، وترتبط الثانية بباكو عاصمة جمهورية أذربيجان الاتحادية.

ويوجد في الامبراطورية الروسية عدد من المقاطعات ذات الحكم الذاتي، خمس منها سلمة وهي:
١ـ القرم ومساحتها ٢٦٫١٥٠[٢] وعدد سكانها ٢٫١٣٥٫٩١٦
وترتبط بكييف عاصمة جمهورية أو كرانيا الاتحادية.
٢ـ الأديغة ومساحتها ٧٫٦٠٠كم[٢] وعدد سكانها ٠٫٤٠٤٫٠٠٠
٣ـ كاراتشاي الشركسية ومساحتها ١٤٫١٠٠كم[٢] وعدد سكانها ٠٫٣٦٩٫٠٠٠
وترتبطان بموسكو عاصمة جمهورية روسيا الاتحادية.
٤ـ قرة باخ ومساحتها ٤٫٤٠٠كم[٢] وعدد سكانها ٠٫١٦٢٫١٨١.
وترتبط بباكو عاصمة جمهورية أذربيجان الاتحادية.
٥ـ باداخشان ٦٣٫٧٠٠كم [٢] وعدد سكانها ٠٫١٢٧٫٠٠٠
وترتبط بدوشامبي عاصمة جمهورية طاجيكستان الاتحادية:

١١٥٫٩٥٠ ٣٫١٩٨٫٠٩٧

وبذا تبلغ مساحة الأرض الإسلامية في الامبراطورية الروسية كما يلي:

٣٫٩٩٦٫٩٠٠	كيلومتر مربع	جمهوريات اتحادية.
٠٫٥٩٢٫٦٠٠	كيلومتر مربع	جمهوريات ذات استقلال ذاتي.
٠٫١١٥٫٩٥٠	كيلومتر مربع	مناطق ذات حكم ذاتي.

٤٫٧٠٥٫٤٥٠ كيلو متر مربع، وهذا مايعادل خمس مساحة الامبراطورية الروسية

كاملة والتي تصل إلى ٢٢٫٤٠٠٫٠٠٠ كيلومتر مربع، منها مايقرب من خمسة ملايين كيلومتر مربع أرض روسية والباقي مستعمرات.

وتقدم الأرض الإسلامية للامبراطورية الروسية معظم نفطها، وغالبية قطنها، وأكثرية النحاس، والرصاص، والتوتياء، والكروم، والثروة الحيوانية، وكميات كبيرة من الحديد والفحم.

أما بالنسبة الى السكان فقد بلغ عدد سكان المنطقة الإسلامية حسب إحصاء ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) كما يأتي:

٤٤٫٩٣٨٫٠٠٠	سكان الجمهوريات الاتحادية.
١٦٫٨٤٦٫٣٥٩	سكان الجمهوريات ذات الاستقلال الذاتي.
٣٫١٩٨٫٠٩٧	سكان المقاطعات ذات الحكم الذاتي.
٦٤٫٩٨٢٫٤٥٦	المجمـــــــوع.

وهذا يعني أن سكان المناطق الإسلامية في الامبراطورية يعادل ٢٥٪ من مجموع السكـان البـالـغ عددهم حسب إحصـاء العـام نفسـه ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) ٢٦٢٫٠٨٥٫٠٠٠ نسمة، ولكن ليس جميع سكان هذه المناطق هم من المسلمين، وإنما تبلغ هذه النسبة حوالي ٧٠٪ وبذا يكون عدد ليس جميع سكان هذه المناطق هم من المسلمين، وإنها تبلغ هذه النسبة حوالي ٧٠٪ وبذا يكون عدد المسلمين نحو ٤٢ مليون نسمة، وتختلف النسبة بين منطقة وأخرى، فلا تزيد على ٥٥٪ في التتار حيث يغزو الروس هذه المنطقة، ويريدون ترويسها، كذلك يكثرون فيها لغناها الزراعي والمعدني، وتنخفض النسبة أيضا في بلاد القرم حيث شرد التتار جميعاً منها وعددهم ٢٣٨٫٠٠٠، وقطنها الروس من بعدهم، وليس فيها من التتار سوي ١٥٫٠٧٨ نسمة. وتصل النسبة إلى ٨٥٫٣٪ في بلاد الداغستان، و ٦٥٫٥٪ في بلاد الشاشان ـ أنغوش، ثم تعود فتنخفض في أوستينيا الشمالية، وكباردیا ـ بلكاريا، وفي بلاد الأبخاز والآجار حيث لاتزيد على ٥٥٪ وذلك لغزو الروس لهذه لمناطق، والحال نفسها في مناطق الأديغة، والكاراتشاي الشركسية. وتعود لترتفـع في أذربيجان إى ٨٣٫٣٪، وتصل في جمهورية ناتشيفيان إلى ٩٥٫٦٪.

وتنخفض في بلاد القازاق إلى ٤١٫٤٪ لغزو الروس لغني هذه الجمهورية بالنحاس والثروات المعدنية الأخرى. أما في آسيا الوسطى فهي في أوزبكستان ٨٦٫٨٪، وفي طاجيكستان ٨٤٫٢٪، وفي تركمانستان ٨٦٪، وفي قيرغيزيا ٧٧٫٤٪.

ويمكن أن نضيف إلى هؤلاء المسلمين أعداداً أخرى موزعة في أرجاء الامبراطورية الروسية، ومعظمهم من التتار والأتراك، وأهم مناطق هذا التوزع هي:

سيبيريا وفيها ٢٠٠٫٠٠٠	موسكو وفيها ١٥٠٫٠٠٠
بارايا وفيها ١٠٠٫٠٠٠	لينغراد وفيها ٦٠٫٠٠٠
استراخان وفيها ١٠٠٫٠٠٠	أوربنورغ وفيها ١٦٠٫٠٠٠
كيروف وفيها ١٠٠٫٠٠٠	اليانوفسك وفيها ١٣٥٫٠٠٠
ساراتوف وفيها ٥٠٫٠٠٠	كويبيشيف وفيها ١٦٠٫٠٠٠
أومسك وفيها ٥٠٫٠٠٠	غوركي وفيها ٧٠٫٠٠٠
بنزا وفيها ٨٠٫٠٠٠	كورغان وفيها ٢٥٫٠٠٠
تيومن وفيها ١٤٠٫٠٠٠	نوفوسيبيرسك وفيها ٣٠٫٠٠٠
تشيليا بينسك وفيها ٢٢٠٫٠٠٠	في حوض الدونتز وفيها ٩٠٫٠٠٠
سفرولفسك وفيها ١٨٠٫٠٠٠	أركانجلسك وفيها ٦٫٠٠٠
ليتوانيا وفيها ٦٫٠٠٠	مولدافيا وفيها ٢٥٠٫٠٠٠

وبذا يصل عدد هؤلاء الموزعين إلى ٢٫٣٦٢٫٠٠٠ نسمة، وبذا يقدر عدد المسلمين في الامبراطورية الروسية من سنة وأربعين مليوناً إذ أضفنا لهم المسلمين في جورجيا وأرمينيا الذين سنتحدث عنهم بعد قليل. أي أنهم يشكلون ١٩٪ من سكان الامبراطورية، ولما كانت زيادتهم تفوق زيادة الروس فإنه يتوقع أن يتكاثروا في مدة قصيرة ويصبحوا ربع سكان الامبراطورية، مع العلم أن هذا كله اعتماداً على إحصاءات الروس وهي لايوثق بها، ويتوقع أن يكون العدد اليوم مايزيد على حيث النسبة هذه النسبة.

المسلمون في جورجيا:

جورجيا جمهورية اتحادية تبلغ مساحتها ٧٠٠٠٠كم٢، ويقطنها مليونا نسمة بينهم ١٢٪ من المسلمين، ويكون عددهم بذلك ٣٤٠٠٠٠ مسلم، وعاصمتها مدينة (اريفان).

يعيش بين هؤلاء المسلمين الذين يصل عددهم إلى ٤٦ مليون نسمة في لامبراطورية الروسية أربعة ملايين من الشيعة معظمهم في أذربيجان؛ والباقي أكثره في بلاد الأوزبك، والتركمان، والطاجيك، كما يعيش بينهم ٦٠-١٠٠ ألف من الاسماعيليين في اقليم باداخشان، و ٣٥ ألفاً من عبدة الشيطان في أرميانيا وهم من الأكراد، ومايقرب من العدد نفسه من البهائيين في باكو، وعشق أباد، واستراخان، وجميع هؤلاء لايصل عددهم إلى مائتي ألف. أما الباقي فكلهم من المسلمين السنة و٤ ملايين من الشيعة - كما ذكرنا -

يؤلف المسلمون في الامبراطورية الروسية ثلاثة وسبعين شعباً، وتعد آسيا الوسطى أكبر تجمع للمسلمين إذ يسكن فيها ٧٥٪ من مسلمي الامبراطورية.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وتقسيم بلاد المسلمين، واستقرار الوضع للشيوعيين حدث بالنسبة إلى المسلمين الاجراءات التالية:

١٣٤٣ ألغيت المحاكمة الشرعية.

١٣٤٧ أغلقت المدارس الدينية.

١٣٤٩ حجزت الأوقاف الإسلامية.

١٣٥١ ملاحقة رجال الدين بتهمة الوقوف في وجه الثورة، ثم التجسس لحساب ألمانيا واليابان.

وأثناء الحرب العالمية الثانية أعلن الروس مهادنة المسلمين، وعندما انتهت الحرب اتهمت شعوب كاملة بالتعاون مع الألمان، فنفيت إلى مجاهل سيبيريا وآسيا الوسطى في ظروف رهيبة ومن هذه الشعوب - الشاشان، والبلكار، والكاراتشاي، وتتار القرم.

وفي أيام خروتشوف ١٣٧٤-١٣٨٤هـ (١٩٥٤-١٩٦٤ م) بدأت حرب جديدة ضد الدين، رغم السماح بعودة الشاشان، والبلكار، والكاراتشاي... إلا أن تتار

القرم لايزالون يهيمون على وجوههم في مجاهل سيبيريا. وبعد خروتشوف خف الهجوم على المسلمين، دون أن يتحسن الوضع أي بقي على ماكان عليه. وتوجد اليوم أربعة مراكز ادارية للمسلمين في طاشقند، وباكو، ومحج قلعة، أوفا.

حاضر المسلمين :

يمكن أن تساءل هل ترك المسلمون في الامبراطورية الروسية عقديتهم، وساروا في ركب الشيوعية بعد هذا الحكم الالحادي الطويل، والتخطيط المركز ضدهم، والتربية المعادية للأديان والموجهة خاصة ضد الإسلام، أم لايزالون محافظين متمسكين بالإسلام.

الواقع أن المسلمين في الامبراطورية الروسية لايمكن الحكم عليهم من خلال ممارسة شعائرهم، ومن يعرف عنه التأدية يلقى الاضطهاد الكبير، ويفصل من عمله بتهمة الرجعية ومعاداة الثورة ومخالفة الأنظمة، وربما تكون نتيجة الموت ويمكن أن نستثنى من ذلك أفراد قلائل تجاوزت أعمارهم السبعين، إذ يعدون في حكم الذين انتهوا، أما الآخرون فالمراقبة عليهم شديدة.

وهناك أفراد يؤدون عبادتهم شكل سري تام بعيدين عن أعين السلطة، ويعرف هذا من الذين ارتحلوا إلى تلك الديار، ووثق بهم المسلمون هناك، ومما تنشره الصحف الروسية نفسها بين الآونة والأخرى وتشير إلى ذلك، فقد نشرت جريدة البرفدا السوفيتية: «إن وفاة طالب الثانوي في الصف التاسع كشف النقاب عن وجود مدارس دينية إسلامية سرية في آسيا الوسطى، فقد توفي (دولية اصلانوف) بمرض في جمهورية طاجكستان بعد أن رفض مساعدة الطبيب قائلاً لاأريد مساعدة من ملحد فكل شيء بيد الله، ثم توفي وهو يشتم غير المؤمنين»، ومضت الصحيفة تقول: «إن المسؤولين الشيوعيين صدموا أمام هذا الموقف خصوصاًت أن الشاب عضو في الكومسومول (رابطة الشباب الشيوعي)، وقالت الصحيفة: «ثم تبين أن اصلانوف العضو في (الكومسول) منذ بضع سنوات كان يحضر الدروس في المدرسة الثانوية الحكومية، ثم يحضر دروسا أخرى في مدرسة دينية إسلامية حيث يعتبر من أفضل الطلاب. وقد توجه أحد المحققين لإجلاء المدرسة السرية فانتهى إلى مقهى لتقديم الشاي في مزرعة (جدانوف) التعاونية حيث توجد أربعة صفوف من المراهقين يتعلمون هناك اللغة العربية والآيات القرآنية، ولكن

حين اقـترب المحقق من المكـان سمـع صفيراً خفيفاً، فلما دخل وجد الطلاب يشربـون الشـاي وقد اختفت من بين أيديهم الكتب العربية وأجزاء القرآن»، وقالت الصحيفة: «إن أولاد المزرعة التي معظم سكانها من المسلمين كانوا يقضون عدة ساعات يومياً في تعلم القرآن». وختمت الصحيفة مقابلها بما يلي: «وهكذا فإن الأيدي القذرة لهؤلاء المشايخ المشردين تتولى تكوين طباع الأطفال»[1].

وعنـد المسلمـين في الامـبراطـورية الـروسية عاطفـة شديدة نحـو الإسـلام لايستطيعون إخفاءها وفي الوقت نفسه لايتمكنون من إبدائها فلو سألت أحدهم عن الدين لأجابك أنه ملحد لكنه يردف ذلك بقوله إنه مسلم. وفي الاحصاءات الروسية الرسمية يعلنون أنهم ملحدون إلا أنهم يسجلون أنفسهم مسلمين، وهذا معناه أن أعداداً من المسلمين لايسجلون أنفسهم مسلمين، وهذا معناه أن أعداداً من المسلمـين لايسجلون أنفسهم تغـطية لهم، أولا يرون فائدة، ولهذا كانت إحصاءات الروس عن المسلمين غير دقيقة بل تظهر أحياناً تناقصاً في أعدادهم لهذا السبب أو لأسباب أخرى. كما يبدو واضحاً أن قولهم ملحدين إن هي إلا تغطية وخوف من السف المصلت عليهم، وكلمة مسلم دلالة على العاطفة الدينية والاعتزاز بالاسلام، ثم رأينا كيف أن مفهوم الدين ارتبط بالعنصرية كي يذكر المرء عنصره وهو يريد أن يقول «مسلم».

كما يمكننا أن نتملس هذه العاطفة مما حدث في أفغانستان عندما نزل الجنود السـوفيت فيهـا، إذ انضم المسلمـون من هؤلاء الجند إلى إخوانهم المجاهدين الأفغان، حتى اضطهرت السلطات الروسية إلى إبدال قواتها هناك، وحرصت ألا يكون بين جنودها هناك مسلمون.

وربما يكون من أصلاب هؤلاء الذين أذلهم الحكم من يستطيع أن ينتصر لعقيدته، ويأتي اليوم الذي ينطلق فيه المسلمون مما فيه، ويكونون دولة تشد أزرها بالمسلمين في كل مكان.

كما يبدو أن العاطفة الإسلامية قد تأججت عندما انهارت الشيوعية ونحن نعيش في أول هذا الحين.

---

(١) جريدة الحياة عدد ٥٦٧٦ السبت ١٠ تشرين الأول ١٩٦٤، الحياة الاقتصادية.

١٤ ــ قبرص

قبرص أكبر جزر البحر الأبيض المتوسط الشرقي، تبلغ مساحتها ٩٢٥١ كيلو مترا مربعاً، تبعد عن ساحل تركيا الجنوبي مسافة ٦٥ كيلو متراً، وعن الساحل الشامبي ٩٠ كيلو متراً، وعن الساحل المصرى ٤٠٠ كم، وعن بلاد اليونان ٩٠ كم.

يعدها الغربيون من أوربا لربطها ببلاد اليونان النصرانية، ويسير على هذا من ينقل عنهم دون معرفة بالهدف الخبيث، ونعدها آسيوية لطبيعتها التي تشبه الأرض الشامية وتضاريسها تتمة لها، هذا إضافة إلى قربها وارتباطها التاريخي.

فتح المسلمون قبرص عام ٢٨ هـ وكان من بين المجاهدين من صحابة رسول الله ﷺ أبو ذر، وأبو الدرداء، وشداد بن أوس، وعبادة بن الصامت.

وفي أثناء الحملات الصليبية استولى ريتشادر قلب الأسد على قبرص وهو في طريقه إلى ا لشام، واتخذ من قبرص لمد الصليبيين بالمساعدات الحربية. وعندما اندحر الصليبيون من بلاد الشام انتقل بعضهم إلى قبرص واستقر فيها، كما انتقل معهم عدد من النصـارى سكان البلاد الذين كانا يؤيدون ويساعدونهم، ولا يزالون في قبرص إلى الآن، وهم الموارنة الذين يعيشون فيها، وبذا كانت هذه الجزيرة مقر تجمع القوى الصليبية، وأضحت شواطئها ملجأ للقراصنة يغيرون منها على السفن الإسلامية.

وفي أيام المماليك اضطرت قبرص أن تدفع الجزية لمصر. ثم احتلتها جيوش البندقية عام ٨٩٥ هـ (١٤٨٩ م)، وبقوا فيها حتى فتحها العثمانيون عام ٩٧٩ هـ (١٥٧١ م)، وبقوا فيها ثلاثة قرون فتوطد الإسلام في الجزيرة.

وعندما ضعف العثمانيون، وانطلق الانكليز يبسطون نفوذهم، ويستعمرون مع الصليبيين الآخـرين أمصـار العـالم الإسـلامي، وينافسون أحياناً شركاءهم في الاستعـمار، وكـان همهم المحافظة على طريق الهند، لذا فقد أكرهوا السلطان العثـماني على قبـول احتـلال انكلترا لجزيرة قبرص بعد عقد معاهدة التحالف

الدفاعي عام ١٢٩٦ هـ (١٨٧٨ م). وادعت انكلترا أن هذا الاحتلال مؤقت.

كان أكثر سكـان جزيرة قبرص يومـذاك من المسلمين فعملت انكلترا على تشجيع النصارى من اليونان للهجرة إلى الجزيرة، وفي الوقت نفسه ضغطت على المسلمـين للهجـرة منهـا، واتخـذت كل وسائل الإغراء لليونان، وجميع وسائل الإرهاب بالنسبة إلى المسلمين، وهذا ماجعل نسبة المسلمين في الجزيرة تنخفض.

ثم ضمت انكلترا قبرص إلى ممتلكات التاج البريطاني، وأنهت إلحاق قبرص الإسمي بالدولة العثمانية، واضطرت تركيا أن تعترف بهذا رسمياً إثر هزيمتها في الحرب العالمية الأولى.

قامت في قبرص حركة (أينو) وتعني الاتحاد مع اليونان، ويرأس هذه الحركة الأساقفة في الجزيرة، وقامت هذه الحركة باغتيالات واسعة، الأمر الذي أدى إلى قيام حوادث دامية عام ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م).

كانت الجزيرة في أثناء الحرب العالمية الثانية قاعدة حربية للحلفاء، وامتلأت بالمثون والذخائر. وبعد الحرب طالب وفد قبرص بحق تقرير المصير، وبرز المطران مكاريوس الذي انتخب رئيساً لأسافقة الجزيرة، وبدأ يطالب باجراء استفتاء لمعرفة آراء الشعب، وقد تم الاستفتاء عن طريق الكنيسة فقط عام ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م).

حاولـت اليونـان عرض قضـية قبرص على الأمم المتحـدة عام ١٣٧٠هـ (١٩٥٠ م)، وحاول المطران مكاريوس، إلا أن الجهود قد فشلت فبدأت أعمال التخريب والاغتيال الأمر الذي أدى إلى عرض الموضوع على الأمم المتحدة عام ١٣٧٤ هـ (١٩٥٤ م)، إلا أن النتائج لم تكن مرضية بالنسبة إلى اليونان، كما لم تتفق مع أهداف المطران، وفشل كذلك المؤتمر الثلاثي الذي عقد في لندن عام ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م).

بدأت الأسلحة تتدفق من اليونان إلى الجزيرة فقوي أمر النصارى فيها فلجأوا إلى أعمال العنف ضد المسلمين أولاً ثم ضد الانكليز الذين لايسيرون حسب رأي اليونان مباشرة. وزاد من إشعال نار الاضطرابات القبض على قارب يوناني يفرغ الأسلحة في الجزيرة.

تحـوت منـظمة (الإيوكا) من متطرفي حركة (أينوسيس) أي الجبهة الوطنية لتحرير قبرص. وترأس قسم التنفيذ في منظمة ايوكا (غريفاس) وهو جنرال يوناني متقاعد وصل إلى الجزيرة عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م)، وبدأ يحضر لأعمال الإرهاب.

بدأت أعـمال الإرهـاب من جديد، وأبدت اليونان غضبها فقاطعت حلف البلقان، وصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، ورفضت الاشتراك في مناورات الحلف الأطلسي، وهددت الغرب بالوقوف على الحياد.

نفت انكلترا المطران مكاريوس مع ثلاثة من أعوانه إلى جزيرة (سيشل) في المحيط الهندي لتسليط الأضواء عليه... عام ١٣٧٦هـ (١٩٥٦ م)، ولإعطاء فكرة للرأي العام العالمي أنها تقف على الحياد. واتخذت الجزيرة قاعدة للعدوان الثلاثي على مصر في ذلك العام.

عرضت قضية قبرص على الأمم المتحدة عام ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م)، ورفضت انكلترا مشروعاً تقدمت به الهند، وفي الوقت نفسه سمحت للمطران أن يعيش في أثينا بدلاً من المنفي في (سيشل) ليكون قريباً من منطقة الأحداث. وتتضارب الآراء حول القضية.

ترى تركيا أن أكثـرية السكـان الأصليين من الأتـراك ففي عام ١٣٠٨ هـ (١٨٩٠ م) كان السكان كما يلي:

٦٠,٠٠٠ مسلم يمثلون ٧٥٪.
٢٠,٠٠٠ نصراني يمثلون ٢٥٪.

ولاينظر الى المهاجرين أو الذين يقيمون خفية، وظهروا فقط أيام الإحصاء الذي ليس فيه مايدل على صحته، وترى اليونان أن السكان في الجزيرة كما يلي:

١٠٤,١٨٣ مسلما.
٤٤٨,٠٤٣ نصرانيا حسب إحصاء ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م).

ويخشى الأتراك على مستقبلهم، إذ أنه سيكون مصير ٨٩ ألف مسلم كانوا في جزيرة كريت ـ يوم ضمت إلى اليونان عام ١٣١٦هـ (١٨٩٨ م) الاندثار، إذ اختفوا قبل مرور عشرة أعوام على ذلك الانضمام.

وتـرى تركيا استقلال الجزيرة إذ يمكن أن يتعايش الترك المسلمون واليونان

والنصـارى دون تدخل أجنبي وإلا فالتقسيم، حيث يتمركز الاتراك في الجزء الشمالي من الجزيرة. أمّا اليونان فتصر على ضم الجزيرة إليها.

اشتعلت نار الفتنة مرة أخرى عام ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م).

وبعد مناورات واجتماعات تم الاتفاق على استقلال الجزيرة عام ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م) وينص الاتفاق على:

١ ـ يكون رئيس الدولة من الحالية اليونانية ونائبه من الحالية التركية، وينتخبان لمدة خمس سنوات، ولهما فقط حق رفض أي قانون.

٢ ـ يتألف مجلس الوزراء من عشرة أعضاء، سبعة منهم من اليونانيين، وثلاثة من الأتـراك يعهـد إلى أحدهم وزارة الدفاع، أو المالية، أو الخارجية. وتصدر القرارات بالأغلبية المطلقة.

٣ ـ ينتخب مجلس النواب لمدة خمس سنوات، وتنتخب كل جالية على انفراد بحيث يمثـل اليونـانيون ٧٠٪ من المجلس، والأتـراك ٣٠٪، وتكـون القرارات بالأغلبية المطلقة.

٤ ـ يتألف الجيش من عشرين ألف جندي ٦٠٪ من اليونانيين و ٤٠٪ من الأتراك.

٥ ـ تضم قوات الأمن ألفي جندي ٧٠٪ من اليونانيين، ٣٠٪ من الأتراك.

ويقوم تحالف عسكري بين تركيا واليونان وقبرص، وتستعيد فكرة انضمام قبرص مع أية دولة أخرى، كما تستبعد فكرة تقسيمها. واحتفظت انكلترا بقاعدتين لها في جنوبي الجزيرة.

حصل خلاف بين المطران مكاريوس وغريفاس . . . وكان مكاريوس قد نجح رئيساً للدولة الجديدة، وفاضل كوتشوك نائبا له.

وعـادت الاضـطرابـات عام ١٣٨٣ هـ (١٩٦٢ م)، وحصـل انقـلاب على مكـاريوس عام ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) وفـر المـطران من البلاد، وزاد أوار نار القتال، وأوشك زوال المسلمين فنزلت قوة تركية في الجزيرة واحتلت الجزء الشمالي الذي يتجمع فيه الأتراك.

يقدر عدد السكان في الجزيرة اليوم بحوالي ستمائة ألف يمثل النصارى بينهم حوالي ١ر٧٨٪ والمسلمون ٢٠٪، واليهود ٩ر١٪.

كتاب تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر (آسيا)

الجـــزءه الأول

المصادر والمراجع العربيـة

١ ـ أحمد فخري، اليمن، ماضيها وحاضرها.

٢ ـ أمين الريحاني، ملوك العرب.

٣ ـ أمـين سعيد، الثورة العربية الكبرى، ثورات العرب في القرن العشرين، القاهرة، ١٩٧٤، تاريخ مصر السياسي.

٤ ـ أحمد قدرى (الدكتور)، مذاكرتي عن الثورة العربية.

٥ ـ أحمد شلبي (الدكتور)، موسوعة التاريخ الإسلامي ص٤، ج٥، ج٦، ج ٧، القاهرة، ١٩٧٧.

٦ ـ السيد رجب حراز (الدكتور)، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، القاهرة، ١٩٧٠.

٧ ـ السيد رجب حراز (الدكتور)، التوسع الايطالي في أفريقيا، القاهرة ١٩٦٨.

٨ ـ السيد رجب حراز (الدكتور)، ارتيريا، القاهرة، ١٩٧٤.

٩ ـ السيد رجب حراز (الدكتور) تاريخ مصر الحديث، القاهرة، ١٩٧٤.

١٠ ـ السيد رجب حراز (دكتـور)، ومحمـد انيس (دكتـور)، الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة، ١٩٦٧.

١١ ـ اسماعيل ياغي (الدكتور)، حركة رشيد عالي الكيلاني، بيروت ١٩٧٤.

١٢ ـ اسماعيل ياغي الدكتور، تطور الحركة الوطنية العراقية، (١٩٤١-١٩٥٢)، بغداد، ١٩٧٩.

١٣ ـ أنور الرفاعي وشاكر مصطفى العالم الحديث، دمشق، ١٩٥٠.

١٤ ـ السيد مصطفى سالم (الدكتور)، الفتح العثماني الأول لليمن، القاهرة، ١٩٦٧.

١٥ - السيد مصطفى سالم الدكتور، اليمن والامام يحيى، القاهرة، ١٩٧٠.
١٦ - أحمد طربين (الدكتور)، فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار، القاهرة، ١٩٧٠.
١٧ - أحمد طربين (الدكتور)، الوحدة العربية، دمشق، ١٩٧٤.
١٨ - احمد طربين الدكتور، متصرفية لبنان.
١٩ - أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الحديث.
٢٠ - أبو القاسم سعدالله، الحركة الوطنية الجزائرية، القاهرة، ١٩٧٧.
٢١ - إحسان حقى، تونس العربية، بيروت.
٢٢ - أحمد الساداتي، تاريخ الدول الإسلامية في آسيا، القاهرة، ١٩٧٧.
٢٣ - جامع عمر الصومالي، تاريخ الصومال.
٢٤ - جورج أنطونيوس، يقظة العرب، بيروت، ١٩٧٧.
٢٥ - جمال حمدان (الدكتور)، أفريقية الجديدة.
٢٦ - جمال حمدان (الدكتور)، العالم الاسلامي المعاصر.
٢٧ - جمال زكريا قاسم (الدكتور)، الخليج العربي، القاهرة، ١٩٧٣.
٢٨ - جمال زكريا قاسم (الدكتور)، عُمان، القاهرة، ١٩٧٧.
٢٩ - جورجي زيدان، تاريخ مصر الحديث.
٣٠ - حسين مؤنس (الدكتور)، الشرق الإسلامي في العصر الحديث.
٣١ - حسين جوهر، حسن مخلوف السودان.
٣٢ - جلال يحي (الدكتور)، تاريخ مصر الحديث، القاهرة، ١٩٨٠.
٣٣ - جلال يحيى، المدخل إلى تاريخ العالم العربي، القاهرة، ١٩٦٦.
٣٥ - جلال يحيى، السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، القاهرة، ١٩٥٩.
٣٦ - خير الدين الزر كلى، شبه جزيرة العرب.
٣٧ - ذوقان قرقوط، تطور الحركة الوطنية في سوريا، بيروت ١٩٧٥ دار الطليعة للطباعة والنشر.
٣٨ - روم لاندو، تاريخ المغرب في القرن العشرين.
٣٩ - زاهر رياض (الدكتور)، استعمار إفريقية.
٤٠ - زاهر رياض، الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا.
٤١ - زاهية قدورة (الدكتورة)، تاريخ العرب الحديث، بيروت، ١٩٧٣.

٤٢ ـ ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية.
٤٣ ـ سامي منصور، نيجيريا عملاق إفريقية.
٤٤ ـ شريف الدين بيرزادة، نشأة باكستان.
٤٥ ـ صلاح العقاد (الدكتور)، المشرق العربي المعاصر، القاهرة، ١٩٧٠.
٤٦ ـ صلاح العقاد، المغرب العربى، القاهرة، ١٩٦٢.
٤٧ ـ صلاح العقاد، الخليج العربى، القاهرة، ١٩٥٦.
٤٨ ـ صلاح العقاد، زنجبار، القاهرة، ١٩٦٦.
٤٩ ـ صلاح المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية.
٥٠ ـ عبدالعزيز نوار (الدكتور)، تاريخ العرب الحديث، بيروت، ١٩٧٢.
٥١ ـ عبدالعزيز نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية، بيروت، ١٩٧٠.
٥٢ ـ عبدالكريم غرايبة (الدكتور)، مقدمة تاريخ العرب الحديث، دمشق، ١٩٦٢.
٥٣ ـ عبدالكريم غرايبة، إفريقية العربية، دمشق، ١٩٦٦.
٥٤ ـ عبدالرحمن النجار، الإسلام في الصومال.
٥٥ ـ عبدالعزيز الشناوي (الدكتور)، الدولة العثمانية دولة إسلامية مترى عليها، القاهرة، ١٩٨٠، جزءان.
٥٦ ـ عبدالعزيز الشناوى، تاريخ العرب الحديث.
٥٧ ـ عمر عبدالعزيز (الدكتور)، تاريخ العرب الحديث.
٥٨ ـ عبدالرحمن زكي (الدكتور)، الإسلام والمسلمون في شرق إفريقية.
٥٩ ـ عبدالرحمن زكي، الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية.
٦٠ ـ عبدالفتاح أبو علية (الدكتور)، الدولة السعودية الثانية، الرياض، ١٩٧٠.
٦١ ـ عبدالفتاح أبو علية، الاصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٩٧٥.
٦٢ ـ على الطنطاوى، أندونيسيا.
٦٣ ـ عبدالرحمن الرافعى، الثورة العرابية، القاهرة.
٦٤ ـ عبدالرحمن الرافعى، مصطفى كامل، القاهرة.
٦٥ ـ عبدالرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، القاهرة، ١٣٢٢هـ.

٦٦ ـ عبدالرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، بغداد، ١٩٦٧.
٦٧ ـ عبدالعظيم محمد رمضان (الدكتور)، تطور الحركة الوطنية في مصر، بيروت، ١٩٨٠.
٦٨ ـ عبدالله الفياض (الدكتور)، الثورة العراقية الكبرى، بغداد، ١٩٦٣.
٦٩ ـ عبدالوهاب الكيالي (الدكتور)، تاريخ فلسطين الحديث، بيروت، ١٩٧٠.
٧٠ ـ قدرى قلعجى، الخليج العربي، دار الكاتب العربي ـ بيروت ١٩٦٢.
٧١ ـ كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، بيروت ط ٤، ١٩٧٧.
٧٢ ـ محمد أحمد أنيس (الدكتور)، الدولة العثمانية والمشرق العربي، القاهرة.
٧٣ ـ محمد فؤاد شكرى (الدكتور)، الحملة الفرنسية على مصر وظهور محمد على، القاهرة.
٧٤ ـ محمد أسد شهاب، صفحات من تاريخ أندونيسيا المعاصرة.
٧٥ ـ محمد رفعت رمضان، على بك الكبير، القاهرة.
٧٦ ـ محمد شفيق كامل، مذكراتى في نصف قرن، القاهرة.
٧٧ ـ محمد عزة دروزة، حول الحركة العربية الحديثة ٦ أجزاء.
٧٨ ـ محمد عزة دروزة، القضية الفلسطينية، جزءان، القاهرة، ١٩٦٣.
٧٩ ـ محمد عزة دروزة، الوحدة العربية، بيروت، ١٩٥٧.
٨٠ ـ محمد بن عبدالسلام بن عبود، تاريخ المغرب، الدار البيضاء، ١٩٦١.
٨١ ـ محمد عمر الخطيب، نكبة فلسطين، بيروت، ١٩٦٧.
٨٢ ـ محمود شبيب، جوانب مثيرة من تاريخ العراق المعاصر بغداد.
٨٣ ـ فائق طهبوب (الدكتور)، البحرين.
٨٤ ـ معهد الدراسات العربية، البحرين.
٨٥ ـ مكى شبيكة (الدكتور)، السودان عبر القرون.
٨٦ ـ مجيد خدوري (الدكتور)، ليبيا المعاصرة.
٨٧ ـ محمود شاكر، سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية، البلدان الاسلامية والأقليات الإسلامية المعاصرة، الرياض، ١٩٨٠.
٨٨ ـ مصطفى مؤمن، قسمات العالم الاسلامي المعاصر، بيروت، ١٩٧٧.
٨٩ ـ نادر العطار، تاريخ سوريا في العصر الحديث، دمشق.
٩٠ ـ نجلاء عز الدين (الدكتورة)، العالم العربي، القاهرة، ١٩٥٧.

٩١ ـ نجيب الأرمنازى، سوريا من الاحتلال حتى الجلاء، بيروت.
٩٢ ـ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، بيروت، ١٩٧٢.
٩٣ ـ نقولا زيادة (الدكتور)، تونس في عهد الحماية.
٩٤ ـ نقولا زيادة، ليبيا.
٩٥ ـ نور الدين حاطوم (الدكتور)، تاريخ القرن العشرين، دمشق ١٩٦٢.
٩٦ ـ نور الدين حاطوم، التاريخ الدبلوماسي، دمشق، ١٩٦٠.
٩٧ ـ نور الدين حاطوم، قضايا عصرنا.
٩٨ ـ نورالدين حاطوم، مكى شبيكة، جمال زكريا، شاكر مصطفى، تاريخ الوطن العربي الحديث، الكويت، ١٩٧٤.
٩٩ ـ لور يمر . . ح، دليل الخليج القسم التاريخي، ٧ أجزاء، قطر، ١٩٧٧.
١٠٠ـ تقويم البلدان الاسلامية، المؤتمر الاسلامي كراتشي)، ١٩٦٥.
١٠١ـ دائرة المعارف الإسلامية، القاهرة.


مطابع المكتب المصرى الحديث
MODERN EGYPTIAN PRESS
ت: ٢٢١١٠٧١-٢٢١١٠٧٢